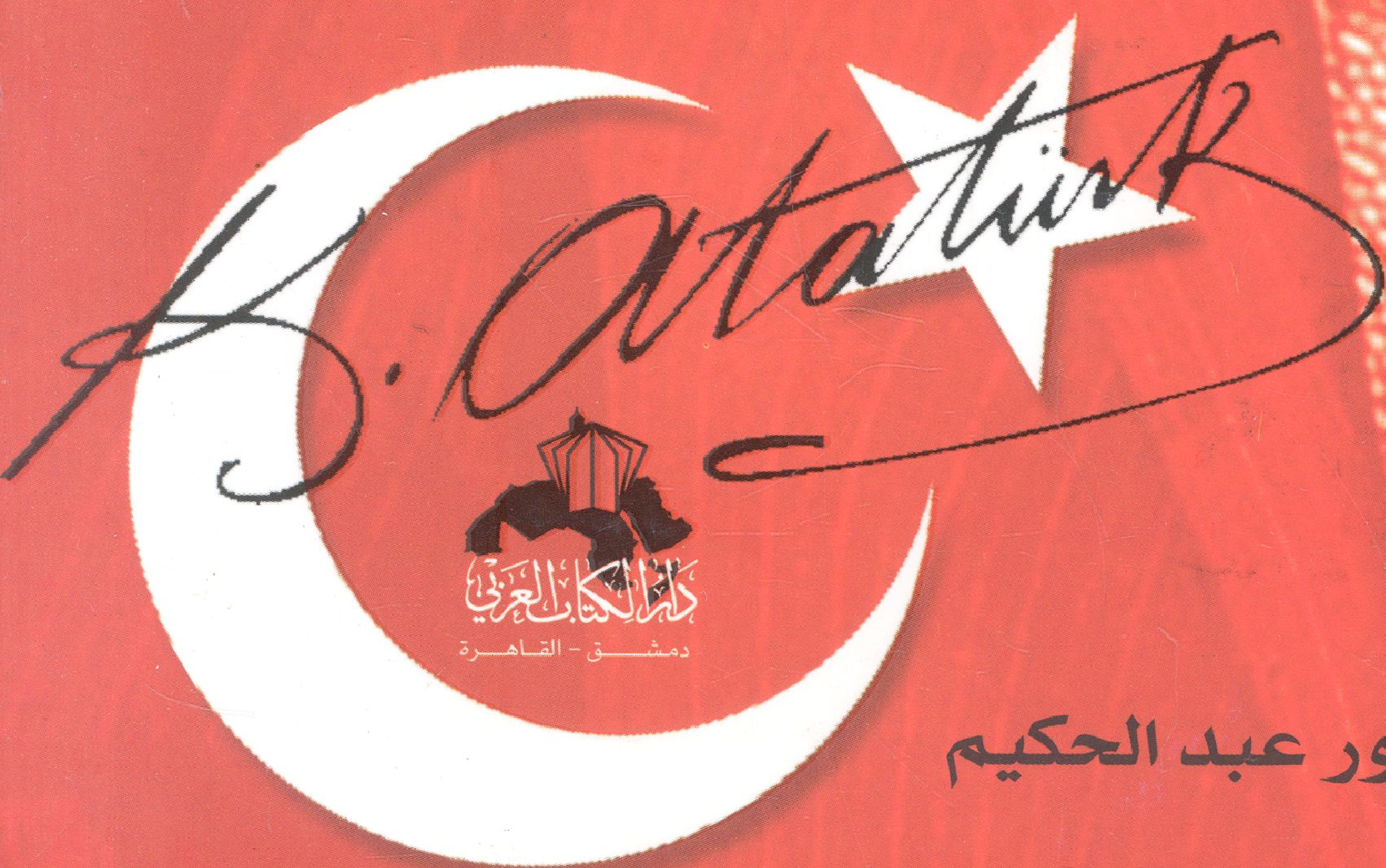
الصنم اليهودي الذي هوى

مصطفى كمال أتاتورك

ذئب الطورانية الأغبر

MUSTAFA KAMAL ATATÜRK



منصور عبد الحكيم

اسم الكتاب : مصطفى كمال أتاتورك ذئب الطورانية الأغبر طاغية الأناضول
اسم المؤلف : منصور عبدالحكيم
المراجعة اللغوية والتدقيق : طه عبدالرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٩/٢٠٢٥٨
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 978 - 977 - 376 - 498 -3
التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا :
حلب : دار الكتاب العربى ـ الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين ـ ت: ٢٢٥٦٨٧٠
دمشق : مكتبة رياض العلبى ـ خلف البريد ـ ت : ٢٢٣٦٧٢٨
مكتبة النورى ـ أمام البريد ت : ٢٢١٠٣١٤
مكتبة عالم المعرفة ـ جسر فيكتوريا ت : ٢٢٢٨٢٢٢
مكتبه الفتال ـ فرع أول ـ ت: ٢٤٥٦٧٨٦
فرع ثانى ـ ت : ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠١٠



سوريا ـ دمشق ـ الحجاز ـ شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ٢٤٨٢٥ فاكس : ٢٢٤٧٢٩٧
مصر ـ القاهرة ـ ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت ـ شقة ١٠ تلفاكس : ٢٣٩١٦١٢٢
لبنان ـ تلفاكس : ٤٣٤١٨٦ / ٠٥ ـ تليفون : ٦٥٢٢٤١ / ٠٣ ـ ص. ب ٣٠٤٣ الشويفات

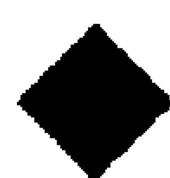
darelkitab-nassif@hotmail:com

www.darketab.com - info@darketab.com

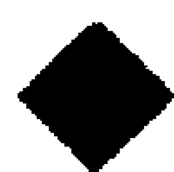
مصطفى كمال أتاتورك

ذئب الطورانية الأغبر

طاغية الأناضول



منصور عبد الحكيم



الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة



﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾

(السجدة: ١٢)

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾

(فصلت: ١٦)

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾

(الدخان: ٢٩)

المقدمــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، خلق الخلق وقدر الأرزاق وهدى العباد إلى الطريق القويم الطريق المستقيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه خاتم الأنبياء والرسل وخير من بلغ عن ربه عز وجل، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة صلى الله عليه وسلم.

ثم أما بعد..

فهذا الكتاب عن مصطفى كمال أتاتورك استكمالاً لسلسلة عن شخصيات تاريخية أثرت فى التاريخ الإنسانى.

ولا شك أن مصطفى كمال الملقب (أبو الأتراك) قد لعب دوراً هامّاً ومؤثراً فى تاريخ الإسلام والدولة العثمانية وإلغاء الخلافة العثمانية الإسلامية فكان الأداة الطيعة للصهيونية والماسونية فى القضاء على الدولة العثمانية لصالحها من أجل الاستيلاء على أرض فلسطين.

ظهر أتاتورك كبطل عسكرى فى بداية مشواره نحو الزعامة بانتصاره على أعداء تركيا فى معركة الدردنيل عام ١٩١٥ بعد هزيمة تركيا المنكرة فى الحرب العالمية الأولى فكان صنيعة اليهود والإنجليز انخدع فى أمره الكثيرون حتى قالوا إنه بطل الإسلام وخالد الترك وشبهوه بخالد بن الوليد رضي الله عنه.

اختلف الكثيرون فى أمره لكن الغالبية العظمى من المؤرخين والباحثين يعدونه عميلاً للصهيونية والدول الأوربية المتآمرة على الدولة العثمانية، فقد كان

لظهوره فى أواخر سنوات آل عثمان وهزيمة دولتهم حتى إنها احتُلت فى الحرب العالمية الأولى، فكان لظهوره كقائد عسكرى نجح فى تحرير بعض أراضى الدولة من أعدائها العامل الأكبر فى صناعة شخصيته الأسطورية حتى تولى قيادة تركيا بعض القضاء على الخلافة والسلطنة العثمانية.

ثم انتخابه لرئاسة الدولة التركية التى أصبحت جمهورية علمانية وظل رئيساً للجمهورية التركية التى خلعت رداء الإسلام وتسربلت برداء العلمانية الملحدة حتى وفاته عام ١٩٣٨ م.

وترك البلاد والعباد والجيش لا هم لهم إلا المحافظة على علمانية تركيا وبُعدها عن الإسلام إلا أنها فى السنوات الأخيرة عادت مستخفية إلى حظيرة الإسلام ولكن بشكل غير رسمى.

والحديث عن مشوار أتاتورك يكشف لنا الدور الماسونى الصهيونى الذى تعرضت له تركيا منذ رفض السلطان عبد الحميد الثانى الموافقة على تهجير وامتلاك اليهود لأرض فى فلسطين حينما كان سلطاناً للدولة العثمانية فكانت المؤامرات الصهيونية عليه التى انتهت بخلعه وعزله عن السلطنة عام ١٩٠٩ م وما لبثت الدولة العثمانية بعده إلا سنوات قليلة تحقق فيها الحلم الصهيونى باستيطان فلسطين بعد إعطائهم وعد بلفور عام ١٩١٧ م ثم إنهاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤ م[(١)].

وفى هذا الإصدار سوف نتناول بمشيئة الله مسيرة مصطفى على رضا المشهور بمصطفى كمال أتاتورك وكيف استطاع الانقضاض على الخلافة العثمانية وجعل تركيا دولة علمانية.

وسوف نتحدث عن دور اليهود فى القضاء على الدولة العثمانية بحرب عالمية تشترك فيها ويتم تقسيم دولتها وأراضيها ودور جماعة الاتحاد والترقى فى ذلك، وطبيعة المدينة التى ولد فيها مصطفى كمال وكانت معقل ليهود الدونمة المتسترين

(١) اقرأ كتابنا «السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين المحترمين» الناشر دار الكتاب العربى.

بالإسلام وكيف كان أتاتورك أحدهم وصنيعتهم التى حققت أحلامهم.

لقد ظهر أتاتورك بعد الهزيمة المنكرة الساحقة حتى إن السلطان العثمانى فى حينها محمد وحيد الدين قد استعان به ليكون مفتشاً على جيوش الدولة فى الأناضول وأعطاه صلاحيات واسعة ووضع فيه ثقته إلا أن أتاتورك سحب البساط من تحت قدمى السلطان المغلوب على أمره وقضى عليه بانقلاب دستورى ألغى من خلاله الحكم الملكى الوراثى وأبدله حكماً جمهوريّاً علمانيّاً ثم أعلن إلغاء الخلافة العثمانية للمسلمين.

فمن هو أتاتورك ومن كان يقف وراءه حتى أوصله إلى سدة الحكم والديكتاتورية حال كونه رافعاً شعار الديمقراطية والحرية، والحقيقة أنه أكذوبة الديمقراطية والحرية، عدوّاً للإسلام والمسلمين انخدع فيه الكثيرون.

نسأل الله التوفيق والسداد فى إخراج هذا العمل على الوجه الذى يرضيه وأن يتقبله منا وسائر أعمالنا الصالحة إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

منصور عبد الحكيم

mansor - 2455 @ yahoo. com.

البداية..

نهاية الخلافة العثمانية للمسلمين

- الهـــدم بمعـــول الإصـــلاح ودور الإصلاحيين فى هدم الدولة العثمانية.
- مدحت باشا الصدر الأعظم ومصطفى كمال أتاتورك وجهان لعملة واحدة.



الإصلاح سلاح للهدم في الدولة العثمانية

يذكر المؤرخ الفرنسى «دين جروسيه» فى كتابه «وجه آسيا» أن عملية تصفية الخلافة العثمانية استغرقت ٢٢٠ عاماً بدأت بمعاهدة كارلوفجة عام ١١١١ هـ - ١٦٩٩ م حيث تضافرت جهود الدول الأوروبية الكبرى وهى الدول الاستعمارية عبر تلك السنوات الطويلة فى عملية الهدم إلا أن اختلاف مصالح تلك الدول فى تركة الدولة العثمانية كان سبباً فى إطالة عمرها.

واستخدمت الدول الأوربية سلاح الإصلاح فى هدم الدولة العثمانية منذ عصر السلطان محمود الثانى وانتهاء بعصر السلطان محمد الخامس فكلمة الإصلاح تعنى عند العامة والخاصة التطور من الأسوأ إلى الأفضل من التخلف إلى المدنية والتطور.

لكن كلمة الإصلاح فى بعض البلاد تعنى الهدم والتخلف لأنها نابعة وواردة من أعدائنا وليست من داخلنا وهو الأهم.

فالإصلاح فى نظر الغرب هو البعد عن الدين وفصله عن الحياة الدنيا، والإصلاح الذى تم تصديره لنا فهو إلغاء الشريعة الإسلامية وعدم الاحتكام لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا هو المراد من الإصلاح الوارد من الغرب الصليبى.

فقد كانت دولة الخلافة العثمانية ظاهرة تاريخية فريدة، وشغلت حيزاً كبيراً من الزمان والمكان، لأنها عاشت أكثر من ستة قرون، وامتدت رقعتها الجغرافية إلى آسيا وأوروبا وإفريقيا، وكانت جيوشها أكثر جيوش العالم عدداً وأحسنها تدريباً وتسليحاً وتنظيماً، وعبرت جيوش هذه الدولة البحر من الأناضول إلى جنوبى شرق ووسط أوروبا، وفتحت بلاد اليونان وبلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا والمجر ورودس وكريت وقبرص وألبانيا حتى بلغت مشارف عاصمة النمسا وجنوبى إيطاليا؛ فكانت

أول دولة إسلامية تصل إلى هذا العمق فى الأرض الأوربية، ولهذا فقد عادتها الدول الأوربية الكبرى المسيحية لتهديدها للمسيحية فى عقر دارها.

وكذلك سعت تلك الدول لتقويض أركانها، وهدم بنيانها الشامخ، فقامت ضدها الأحلاف والتكتلات المسيحية فى حروب كان النصر فيها حليف الدولة العثمانية فى أغلب الأحيان، غير أن عوامل الضعف والتآكل بدأت تضرب فى الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف، فكان سقوطها فى الداخل المرحلة الأولى لسقوطها وزوال خلافتها حيث ضعفت عسكرياً أمام روسيا القيصرية، حتى أطلق عليها القيصر الروسى نيقولا الأولى لقب «رجل أوروبا المريض» وأصبحت مطمعاً للدول الاستعمارية الكبرى: بريطانيا وفرنسا وروسيا.

ولم يدخر الغرب فى معركته ضد الخلافة سلاحاً إلا استخدمه، بدءًا من الإرساليات التبشيرية والغزو الفكرى، وإشعال الثورات والفتن الطائفية والمذهبية، واصطناع الجواسيس والأعوان وشراء الذمم بالمال، وتلونت كل هذه الإصلاحات بثوب الإصلاح الخدَّاع البرَّاق.

وكان **السلطان عبد الحميد الثانى** يقف عقبة أمام الأطماع الأوربية فى تفتيت الدولة العثمانية، والأطماع الصهيونية فى فلسطين، ونجحت المكائد والدسائس فى إبعاده عن الخلافة سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م بالتعاون مع حزب الاتحاد والترقى، وهو أول حزب سياسى ظهر فى الدولة العثمانية وأصبح هذا الحزب هو صاحب السلطة الحقيقية فى الدولة العثمانية، وكان معظم أعضائه من الماسونيين، وكان ضباط الجيش التركى هم أبرز الاتحاديين وعلى رأسهم مصطفى كمال أتاتورك.

وقد تولى الخلافة بعد خلع عبد الحميد أخوه الأمير محمد رشاد الذى تسمى بمحمد الخامس، وكانت الدولة والعرش العثمانى نفسه فى حالة احتضار، لكن الدولة كانت متماسكة إلى حد ما، إلا أن الاتحاديين سعوا لاستقرار الحكم فى قبضتهم، ولكن تطلعاتهم لم تتحقق، إذ واجهتهم معارضة شديدة من الرأى العام، تدعو إلى دعم حقوق الخلافة، وتعديل الدستور لتحقيق هذا الهدف.

ثم **كانت الحرب العالمية الأولى** سنة ١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٤ م فانضمت حكومة الاتحاد والترقى إلى جانب ألمانيا، ودخلت تركيا حرباً لا دخل لها بها وأجهضت قوتها البشرية والاقتصادية والعسكرية، حيث تمزق الجيش التركى على جميع الحدود والجبهات نتيجة للقيادة الفاشلة والعميلة.

وانتهت الحرب سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م بهزيمة ألمانيا وتركيا، وتحطم دولة الخلافة وتمزق أوصالها، حيث استولى الإنجليز على قلاع الدرنديل، واحتلت الجيوش الفرنسية والإنجليزية مدينة إستانبول، واحتلت اليونان أزمير، ووقعت هدنة «مدروز» التى نصت على استسلام الدولة العثمانية دون قيد أو شرط، وبدأت القوات العثمانية تلقى سلاحها، واستعد الحلفاء لاحتلال الأستانة وغيرها من المدن التركية، وأدت روح التشفى التى صدرت عن الحلفاء والأقليات الدينية إلى نمو روح المقاومة لدى الأتراك، وتفكك أوصال تلك الدولة العتيقة التى حملت لواء الخلافة الإسلامية أكثر من ستة قرون.

أما كبار رجال حزب الاتحاد والترقى الذين كانت فى أيديهم مقدرات البلاد فقد فروا من البلاد، وكان السلطان العثمانى الجديد «محمد وحيد الدين» يدرك أن وجود تركيا لازما لدول الغرب لإقامة التوازن بينهما، كما أن بريطانيا وفرنسا لن تسمحا بالقضاء على تركيا قضاء مبرماً؛ لأن ذلك يفسح المجال أمام روسيا الشيوعية للاستيلاء على الأناضول وبالتالى على مضيق البوسفور والدرنديل، بل كل ما تريدانه هو جعل الدولة العثمانية دولة صغيرة مثل الدول التى ستقوم على أنقاضها.

لذا رأى السلطان أن ما أخذ من الدولة العثمانية لا يسترد إلا بالقتال، وبالتالى فلا بد من القيام بثورة فى البلاد؛ لذلك استعان بمصطفى كمال، وعهد إليه بأن يقوم بثورة فى شرقى الأناضول حتى يتسنى لرجال السياسة أن يستخدموا هذه الثورة كورقة ضغط أثناء عقد الصلح مع الحلفاء حتى يحصلوا على أكثر ما يمكن من المكسب، وللتغطية على هذه الثورة خاصة من الإنجليز الذين كانوا يسيطرون على إستانبول، عين السلطان محمد السادس «وحيد» مصطفى

كمال» مفتشاً لجيوش الأناضول بصلاحيات واسعة، وزوده بمبلغ كبير من المال، ووضع فيه ثقته، لكنه خان الأمانة وغدر بالسلطان وعمل لنفسه.

فقد كان مصطفى كمال صديقاً للسلطان منذ أن كان وليا للعهد وعمل لديه كمستشار عسكرى وأظهر خلال فترة صداقته الأولى للسلطان وحيد الدين كراهيته لجماعة الاتحاد الترقى فظن به السلطان خيراً فأوكل إليه مهاما عظاما بعد توليته السلطنة وأراد السيطرة على الأناضول.

غادر مصطفى كمال استانبول فى شعبان ١٣٣٧ هـ مايو ١٩١٩ بعدما عهد إليه السلطان العثمانى بالقيام بالثورة فى الأناضول، واختار معه عدداً من المدنيين والعسكريين لمساعدته، وبعدما استطاع جمع فلول الجيش حوله هناك بدأ فى ثورته، فاحتج الحلفاء على هذا الأمر على السلطان، الذى أوصى بالاكتفاء بدعوته إلى العاصمة، لكنه اضطر بعد ذلك إلى إقالته فلم يمتثل أتاتورك لذلك وقال فى برقية أرسلها للخليفة: «سأبقى فى الأناضول إلى أن يتحقق استقلال البلاد».

وبدأ يشعل ثورته التى يحميها الإنجليز، وانضم إليه بعض رجال الفكر وشباب القادة الذين اشترطوا عدم المساس بالخلافة، واستمر القتال عاماً ونصف العام ضد اليونانيين، استعار خلالها أتاتورك الشعار الإسلامى ورفع المصحف، وأعلن الحلفاء أثناءها حيادهم، أما الإنجليز فكانوا يعملون جهدهم لإنجاح هذه الثورة، فبعد تجدد القتال بين أتاتورك واليونانيين فى ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م انسحبت اليونان من أزمير ودخلها العثمانيون دون إطلاق رصاصة، وضخمت الدعاية الغربية الانتصارات المزعومة لأتاتورك.

فانخدع به المسلمون وتعلقت به الآمال لإحياء الخلافة، ووصفه الشاعر أحمد شوقى بأنه «خالد الترك» تشبيهاً له بخالد بن الوليد، ثم انكشف أمره بعد ذلك فذمه بعد مدحه، فقد عاد مصطفى كمال إلى أنقرة حيث خلع عليه المجلس الوطنى الكبير رتبة «غازى»، ومعناه الظافر فى حرب مقدسة، وهو لقب كان ينفرد به سلاطين آل عثمان.

فتعزز موقفه الدولى والشعبى، ووردت عليه برقيات التهانى من روسيا

وأفغانستان والهند والبلدان الإسلامية المختلفة، وسار العالم الإسلامى فخوراً بثورة مصطفى كمال سنوات عدة، استغلها فى كسب عواطف المسلمين وأموالهم بعدما كسا ثورته لباساً إسلاميا سواءً فى أحاديثه أو فى معاملته للزعماء المسلمين.

وبعد انتصارات مصطفى كمال الوهمية انتخبته الجمعية الوطنية الكبرى رئيساً شرعيا للحكومة، فأرسل مبعوثه «عصمت باشا» إلى بريطانيا ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م لمفاوضة الإنجليز على استقلال تركيا، فوضع اللورد كيرزون - وزير خارجية بريطانيا - شروطه على هذا الاستقلال وهى:

أن تقطع تركيا صلتها بالعالم الإسلامى، وأن تلغى الخلافة الإسلامية، وأن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة، وأن تختار تركيا لها دستوراً مدنيا بدلاً من الدستور العثمانى المستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية.

نفذ أتاتورك ما أملته عليه بريطانيا، واختارت تركيا دستور سويسرا المدنى، وفى ربيع أول ١٣٤١ هـ - نوفمبر ١٩٢٢ م نجح فى إلغاء السلطنة، وفصلها عن الخلافة، وبذلك لم يعد الخليفة يتمتع بسلطات دنيوية أو روحية، وفرض أتاتورك آراءه بالإرهاب رغم المعارضة العلنية له، فنشر أجواء من الرعب والاضطهاد لمعارضيه، واستغل أزمة وزارية أسندت خلالها الجمعية الوطنية له تشكيل حكومة، فاستغل ذلك وجعل نفسه أول رئيس للجمهورية التركية فى ربيع أول ١٣٤٢ هـ - ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ م.

وفى ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ - ٣ مارس ١٩٢٤ م ألغى مصطفى كمال الخلافة العثمانية، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد، وألغى وزارتى الأوقاف والمحاكم الشرعية، وحول المدارس الدينية إلى مدنية، وأعلن أن تركيا دولة علمانية، وأغلق كثيراً من المساجد، وحول مسجد أيا صوفيا الشهير إلى متحف، وجعل الأذان باللغة التركية، واستخدم الأبجدية اللاتينية فى كتابة اللغة التركية بدلاً من الأبجدية العربية.

وكانت هذه الإجراءات المتتابعة منذ إسقاط الخلافة تهدف إلى قطع صلة تركيا بالعالم الإسلامى بل وصلتها بالإسلام، ولم يقبل المسلمون قرار أتاتورك

بإلغاء الخلافة؛ حيث قامت المظاهرات العنيفة التى تنادى ببقاء هذا الرباط الروحى بين المسلمين لكن الواقع الذى فرضه أتاتورك بالخداع والقوة قد تحقق وانتهى عهد الخلافة الإسلامية وأصبح حلماً لدى الشعوب الإسلامية لا يتحقق إلا آخر الزمان فى عصر المهدى المنتظر إن شاء الله تعالى.

ونعود إلى الخلافة العثمانية للعالم الإسلامى حيث بلغت ذروة مجدها فى عهد السلطان سليمان القانونى ١٥١٢ ـ ١٥٢٠ م بعد تغلبه على الشاه الصفوى وهيمنته على المقدسات الإسلامية ودخولها تحت حكمه، وقد واكب هذا النمو والازدهار ظهور بعض بوادر التمرد بظهور فى المجتمع العثمانى دعاوى الإصلاح الذى ظهر فى أوربا مما بعث فى الأوربيين أحقادهم الصليبية من جديد وأطمعهم فى بلاد المسلمين فخططوا لضرب الدولة العثمانية وإضعافها ليتسنى تقسيمها فى قابل الأيام، وقد ساهم فى مشاريع الإجهاز على الدولة نخبة المجتمع الأوربى كما تؤكده شهادة دجوفارا وزير خارجية رومانيا فى كتابه «مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية»، الذى أكد مساهمة أغلب الدول الأوربية فرنسا، إنجلترا، روسيا، بلجيكا، هولندا، أسبانيا، بكفاءات علمية وسياسية وعسكرية عالية المستوى ورجال الدين، والساسة والأدباء، والأطباء، والعسكر فى مشاريع الإطاحة، منهم لايبنيتز وبوانكرييه وفولتير وغيرهم[1].

ففزت فرنسا الجزائر ١٨٣٠ م ثم احتلت تونس، واحتلت إنجلترا مصر عام ١٨٨٢ م واحتل الروس رومانيا وتتابع سقوط باقى الدول الأخرى التابعة للدولة العثمانية.

وفى خضم الضعف الذى دب فى جسد الدولة ظهرت محاولات إصلاحية وفق المنظور الإسلامى على يد عثمان الثانى عام ١٠٣٢ هـ/ ١٦٢٩ م ثم ظهرت محاولات الإصلاح وفق النمط الغربى على يد سليم الثالث ١٢٢٢ هـ/ ١٨٠٧ م ثم السلطان عبد المجيد وتتابع السلاطين العثمانيون فى تبنى دعاوى الإصلاح ومعهم رؤساء الوزارات كما حدث فى عصر أحمد الثالث ١١٤٣ هـ/ ١٧٣٠ م والصدر

---

(١) حاضر العالم الإسلامى «لاوثروب» تعليق شكيب أرسلان ترجمة عادل نويهض.

الأعظم إبراهيم باشا ١١٥٤ هـ/ ١٧٤٢ م وكان أهم تلك المحاولات ما أحدثه مدحت باشا الوزير والصدر الأعظم فى عصر السلطان عبد العزيز ثم عصر السلطان عبد الحميد الثانى، وهذا ما دعا السلطان عبد الحميد الثانى إرجاع الدولة إلى سابق عهدها المجيد، فعمل على صد التيارات الانفصالية وحل المشاكل التى تتخبط فيها الدولة، فعمد إلى الحيلة والتحايل من أجل حماية هذا الدرع الواقى لرسالة الإسلام من الاندثار(١).

فقد استهل السلطان عبد الحميد الثانى عهده فى ظل ظروف مأساوية بدأت بوفاة عمه عبد المجيد ١٢٧٧ هـ/ ١٨٦١م ثم قتل عمه عبد العزيز ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٥ م، على يد الإصلاحيين بزعامة الصدر الأعظم مدحت باشا الذى حاول فرض الإصلاح بالقوة وإرهاب السلطان.

تسارعت الأحداث السياسية بظهور أحزاب سياسة تتبنى طرحا مغايرا للاتجاه الأصيل فى الأمة لتمكين الأمم الغربية من المجتمعات الإسلامية.

فنادى بعضهم بالإصلاح الجذرى وفق المنظور الغربى، واختارت مجموعة أخرى التلفيق بين الموروث الإسلامى والفكر الغربى، واحتدم الصراع بين الفريقين فى المجتمع العثمانى، فكانت الغلبة للمجموعة الأولى بقيادة مدحت باشا ١٨٢٢ م - ١٨٨٣ م الذى يعد جهده امتداداً مرتقباً لفريق متأصل الجذور فى المجتمع العثمانى.

وحاول مدحت باشا تطبيق النظام الإنجليزى فى الإدارة والحكم، فوضع الدستور للحد من صلاحيات السلطان الذى اختاره لمنصب الصدارة العظمى إرضاء للمجتمع العثمانى المريض، يؤكد هذا المعنى قول السلطان: «لم أكن أستطيع الوقوف أمام تيار ذلك العهد، كنت مجبراً على التعاون معهم، فقد كان من الضرورى أن أتقدم لشعب مريض أفصح أن اسم مدحت باشا يساوى فى حساب الجمل دواء الأمة.

(١) اقرأ كتابنا السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين المحترمين الناشر دار الكتاب العربى.

اقترح الفريق الجديد إضافة الصليب إلى راية الدولة إرضاء للغربيين، كما عمل على تدريس اللغات القومية فى المدارس الرسمية للدولة وإمعاناً فى خدمة الأوربيين عينوا ولاة من غير المسلمين فى ولايات أغلب سكانها مسلمين، وسمحوابالتحاق الطلبة غير المسلمين بالجيش والمدارس الحربية خاصة الأرمن المعروفين بسوء أخلاقهم وعمالتهم للدول الغربية.

أقحم الصدر الأعظم (مدحت باشا) الدولة العثمانية فى حرب خاسرة ضد روسيا (١٨٧٧ م)، ونجم عنها قبول معاهدة سان ستيفانوس ٣/ ٣/ ١٨٧٨ م، نالت الدولة العثمانية المهيبة بموجبها ذلا لا تحسد عليه، تدخل بعدها السلطان بغرض تخفيف آثارها الوخيمة، فعقد بموجب ذلك مؤتمر برلين ١٣/٧/ ١٨٧٨ م، وأقيل بعدها مدحت باشا ونفى بعد محاكمته وإدانته بقتل السلطان عبد العزيز.

وقد واكبت هذه الحركة مجموعة أخرى ركزت إصلاحاتها على الاستفادة من التجربة الإنسانية الأوربية فى مجالات مخصوصة، منها أساليب الحكم والإدارة والثقافة والاجتماع وخاصة ما جاءت به الثورة الفرنسية مثل الحرية والمساواة والعدالة، مع العمل على إيجاد مسوغات شرعية للاقتباس من أوربا، فأرجعوا النظام البرلمانى الأوربى فى إنجلترا وفرنسا إلى الشورى فى الشريعة الإسلامية.

يقول الأستاذ عبد المنعم الهاشمى فى كتابه «الخلافة العثمانية»: إذا تحدثنا عن الإصلاحات الدستورية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى فإننا سنتحدث عن طرفى مسألة الدستور، وهما: السلطان عبد الحميد الثانى، ومدحت باشا.

وقد تحدث السلطان عبد الحميد الثانى عن مدحت باشا كثيراً فى مذكراته، ويبدو من حديثه العداء الذى استشرى بين الرجلين فيقول عنه: إنه كان لا يفهم من الديمقراطية إلا معنى تقليد الغرب.

ويقول: «مدحت باشا غير فوائد الحكم المشروطى (الديمقراطى) وذلك أنه لم يدرس أسباب هذه الديمقراطية ولا تأثيراتها الأخرى، أمراض (السلفات) لا تصلح لكل شعب ولكل بنية قومية، كنت أظن أن الديمقراطية غير مفيدة، أما الآن فإنى مقتنع بضررها».

وقد بدأت محاولات مدحت باشا فى إعلان ما سمى بالدستور أثناء خلافة السلطان عبد العزيز وفشلت، ولكنه حاول إعادة الكرة فى عهد السلطان مراد ولم يتمكن أيضاً لإصابة السلطان مراد بمرض عقلى أدى إلى عزله عن السلطة.

وفى عهد السلطان عبد الحميد تولى الصدارة تحت ضغط الدول الأوروبية وخاصة الإنكليز ليفسح لهم المجال فى نشر الأفكار الغربية، فقد تمهدت السبل أمامه حسبما تهيأ له، فعقد مؤتمراً لسفراء الدول الكبرى فى العاصمة بناءً على اقتراح من إنكلترا، ثم جرى بعده ضغط دولى بغية القيام بالإصلاحات، فشكل مدحت باشا مؤلفة من ستة عشر موظفاً متديناً وعشرة من العلماء وقائدين كبيرين من الجيش لوضع مشروع الدستور، الذى استوحى من الدستور البلجيكى تحت اسم قانون أساسى، وذلك فى سنة ١٢٩٤ هـ، فأصبح الدستور البلجيكى المعدل دستوراً للدولة الإسلامية بعد أن كان الإسلام هو دستور الدولة العثمانية حاملة راية الخلافة الإسلامية.

ويقول السلطان عبد الحميد فى مذكراته: «لم يكن مدحت باشا قد درس أى قانون أساسى فى أى دولة من الدول عندما اقترح على إعلان القانون الأساسى، ولم يكن له فى هذا الموضوع فكر متأصل، كان (أوديان أفندى الأرمنى) هو أستاذ مدحت باشا الفكرى»(١).

لقد أصبح بين السلطان عبد الحميد الثانى ومدحت باشا مواجهة، ولكن المواجهة صنعتها رعونة مدحت باشا وعدم فهمه للأمور كما كان السلطان عبد الحميد الثانى يفهم، وكان كل همه التغيير إلى اتجاه الغرب، فقد انبهر بالغرب وسياسته، ونسى أنهم يريدون مصالحهم أولاً وقبل كل شىء، ونستطيع أن نستخلص ذلك من رواية السلطان عبد الحميد الثانى التى تنطق بالصدق وحسن المنطق وسلامة الرؤيا، يقول السلطان فى مذكراته:

«عند إعادة قراءة ما كتبته عن مدحت باشا، وجدت أنى مررت على إحدى النقاط مر الكرام، ترددت كثيراً عندما فكرت فى تركها، ولكن ليس من شىء

---

(١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى.

أخفيه عن الله وعن التاريخ مهما اختبأ الشىء، ومهما تسترنا عليه، فلا بد أن يظهر يوماً بكل تفرعاته.

ثم يضيف:

«كنت أعلم أن السر عسكر عونى باشا قد أخذ من الإنكليز أموالاً، إن رجلاً من رجال الدولة يأخذ مالاً من دولة أخرى لا بد وأن يكون قد قدم لها خدمات، يعنى هذا أيضاً أن خلع المرحوم عمى السلطان عبد العزيز وتولية السلطان مراد بدله، لم يكن حقداً فقط من حسين عونى باشا، ولكنه مرضاة لرغبة دولة أخرى أيضاً.

وكما كتبت من قبل، فإن السلطان عبد العزيز كان قد جرد حسين عونى باشا من رتبته ونياشينه، ونفاه إلى أسبرطة، لم يكن حسين عونى باشا فى ذلك الوقت يملك شروى نقير، بالإضافة إلى أنه كان مريضاً، عندما أبلغت إليه إرادة عمى كان فى منزله، تملكته الحيرة والدهشة، ظهر عليه الندم الشديد، كان يفكر فى أنه لا يمتلك شيئاً، وأنه لم يستطع تأمين دخل له حتى ذلك اليوم، كثيرون سمعوا حسين عونى باشا وهو يقول فى تلك الأيام: «آه لو تسنح لى فرصة أخرى لعرفت ماذا أفعل».

كان لحسين عونى باشا مزاياه، كما كانت له عيوبه، كان يثق بنفسه كثيراً، وكان يظن أنه يعرف ما لا يعرفه أحد.. أقبل القول بأنه جيد كجندى، ولكنه كرجل دولة كان سيئاً بعدم تبصره وكثرة كلامه وغروره، ولكنى أعرف أنه حتى تاريخ إرساله إلى المنفى كان رجلاً شريفاً، إن أسباب الحاجة والآلام التى قاساها فى منفاه أوقعته فى غفلة البحث عن الشرف، وكان هذا محور سوء حظه.

كنا نسمعه أنه كان فى ضيق وحرمان أثناء مقامه فى أسبرطة، وكان عمى يسمع مثلنا بهذا، وأظن أن هذا أثر فى عمى، فرَقَّ له، وصفح عنه، وأذن له بالعودة إلى استانبول، ليس هذا فحسب، بل عينه والياً على إيدين فى الأناضول.

طلب حسين عونى باشا السفر إلى أوروبا للاستشفاء، حيث العيون المعدنية،

لأنه يعانى من المرض الذى أصيب به أثناء مقامه فى المنفى، والذى استمر مدة أحد عشر شهراً، وسافر[1].

ويضيف أيضاً:

صفح السلطان عن سر عسكره السابق، ولكن السر عسكر السابق لم يصفح عن سلطانه!

كان حسين عونى باشا يعيش وهو يدفن حقده، وكان يعمل كل ما فى وسعه دون أن يطلع عليه أحد عما ينوى فعله، وعندما سافر إلى أوروبا طرق أبواب رجال الحكم هناك أكثر من ذهابه إلى المياه المعدنية وأثناء سفره إلى فرنسا وإنكلترا ارتمى فى أحضان الإنكليز.

لا أعرف كيف حدث هذا؟ هل اتصل حسين عونى بالسفارة الإنجليزية وقت أن كان هنا؟ أم أن الخارجية الإنكليزية أحست بهمهمات حقده عندما وصل هناك فأوقعته فى المصيدة؟ لا أدرى، وإنما بعد فترة من الزمن أخبرنى سفيرنا فى لندن موسوروس باشا أن حسين عونى باشا تقاضى مالاً كثيراً من يد أجنبية فى إنكلترا، ولم يعلم سفيرنا بهذا إلا فى وقت متأخر جدا، وعندما وصل إلى الخبر كان حسين عونى باشا قد مات، ولكن مسألة أن قائداً عثمانياً يقبل نقوداً من دولة أجنبية لم يكن عملاً يستهان به. وقفت طويلاً أمام هذه المسألة باهتمام».

وتحت عنوان مثير يقول السلطان عبد الحميد فى مذكراته:

«وزيرى الأعظم (مدحت باشا) وقائد جيشى، عميلان لأعدائى»:

كانت الهدايا القيمة التى قدمها سواء للقصر أم لأصدقائه المقربين، بعد عودته من أوروبا، تفوق كثيراً قدرة مدحت باشا حديث العودة من المنفى، الذى قاسى فيه الفقر والحرمان، تلك الأيام لم تغب عن عينيّ، وأنا إلى الآن ما زلت مندهشاً متسائلاً: كيف لم يلحظ المرحوم عمى هذا؟

رغم أن الباشا قدم له شمعداناً ثنائياً مرصعاً عالى القيمة تاريخيّاً، واشتراه

(١) السر عسكر هو قائد الجيوش ووزير الحربية، انظر المصدر السابق.

من باريس بثلاثة آلاف ذهباً ليهديه إلى السلطان، علمت بعد ذلك أن تحقيقاً تم فى أمر هذا الشراء، أبلغنى موسوروس باشا بهذا، وكان مدحت باشا وقتها صدراً أعظم، وكان حسين عونى باشا رفيقاً لمدحت باشا، واشتركا معاً فى إنزال عمى عن عرشه». مدحت باشا أيضاً مثل حسين عونى باشا، اتبع سياسة مؤيدة للإنكليز، وكان دائماً يفصح عن ثقته فى الإنكليز.

ويقول السلطان عبد الحميد: «كنت أعلم أن كمال بك وضياء بك ورشدى باشا وآخرين من رفاقهم يجتمعون كل مساء فى قصر مدحت باشا يعاقرون الخمر ويتحدثون، وذات مرة قال مدحت باشا: ليس فى الأسرة المالكة العثمانية خير يرجى، ولم يبق إلا الاتجاه نحو الجمهورية ترى كيف يمكن هذا؟ إن عدة أشخاص مثلكم يفهمون المسألة الآتية: يوجد فى العالم حتى الآن بآل عثمان، ماذا يحدث لو ظهر ما يسمى بآل مدحت!».

وقد كان السلطان عبد الحميد يعرف أن لإنكلترا دوراً فى كل هذه المؤامرات، وفى جراءة مدحت باشا على شخصه، فلم يكتف مدحت باشا بإثارة ما أثار من مشاكل، فهو من ناحية يريد خلق أزمة فى السراى، ومن ناحية أخرى أريد الزج بالبلاد فى أتون الحرب.

وقد حاول سن بعض الأعمال التى لا يتصورها العقل؛ مثل تعيين الولاة من الأقلية (النصارى والأرمن) فى ولايات الأغلبية فيها مسلمون، وقبول طلبة من (الروم) فى المدرسة الحربية التى هى عماد الجيش.. أعمال كهذه يمكن أن تؤدى معاذ الله إلى تقويض الدولة من أساسها».

ويضيف السلطان قائلاً: «كان الملك العثمانى يهتز بشدة من أساسه بناء على هذا كله، كنت أرى أن الصدر الأعظم (مدحت باشا) يؤيد الإنكليز ويتعاون معهم، سواء بدافع من ماسونية، أو بدافع من أسباب أخرى خاصة، ولم أعد أحتمل، فاستندت إلى صلاحياتى فى القانون الأساسى وعزلته عن الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) وأبعدته خارج الحدود».

مدحت باشا وأتاتورك
وجهان لعملة واحدة

بعد التخلص من مدحت باشا وأعوانه الماسون قاد السلطان حركته الإصلاحية بوضع صيغ فعالة للحد من خطورة التوجهات الانفصالية المشجعة من قبل الأوربيين، وفى هذا قال فى مذكراته: «منذ قرن كامل خبرنا بآمال ونوايا العناصر البلغارية والروسية فى الاستقلال الذاتى، يسعى البلغار والسلاف نحو التخلص من حكم العثمانيين»(١).

وحاول أيضاً فى ذات الوقت على منع التدخل الأجنبى فى الشؤون الداخلية للدولة والحد من خطورة الحركة الدستورية بعث حركية سياسية إسلامية جديدة تتوخى تطبيق الشريعة وتتمثل مقاصدها، فبدأ بخاصة نفسه آمراً بالمعروف وناهيا عن المنكر ومحارباً لمظاهر الفساد الإدارى والسياسى داخليا وقطع الطرق عن الأطماع الأجنبية خارجيا مع تقشف متميز.

لكن الماسونية العالمية وقفت له بالمرصاد من خلال رجالاتها فى جماعة الاتحاد والترقى فأوقفت مشاريعه الإصلاحية المؤسسة على توحيد العالم الإسلامى من حيث تبنى فكرة الجامعة الإسلامية كفكرة فعالة على الساحة السياسية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى.

لقد حاول من خلال منصبه الدينى إنفاذ فكرة الجامعة الإسلامية باستعطاف المسلمين نظراً للظروف الصعبة التى تمر بها بلاد المسلمين بصفة عامة، وخاصة فى ظل عدم وفاء الأوربيين بما أبرم من اتفاقات فى مؤتمر برلين ١٨٧٨ م، وتسرب تيار الإصلاحات وفق المنظور الغربى فى دواليب السلطة وقد واكب ذلك أزمة مالية خانقة مصحوبة بإجباره فى دخول معارك دموية طاحنة مع

---

(١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى.

روسيا القيصرية.

بدأ السلطان دعوته إلى الخلافة وذلك بعد أن هيأ لها الشروط الموضوعية بغرض قطع الطريق على التيار العلمانى والحيلولة دون توغل الأوربيين فى البلاد، والسعى إلى إحكام السيطرة على الولايات العربية وغيرها من الولايات.

وحاول السلطان وخز الضمير الإسلامى فى الداخل والخارج لعله يظفر بنصير لمواجهة الاستعمار العالمى؛ إلا أن الأزمات الداخلية حالت دون بعث فكرة الخلافة الإسلامية، ورغم المصاعب المحيطة به من كل جانب لم ييأس وقام بأعمال جبارة لم يكتب لها النجاح المأمول.

بدأ السلطان بخاصة نفسه متقشفاً آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر محارباً لمظاهر الفساد مع عمل دؤوب من أجل تحقيق الإصلاح الشامل، وأنشأ شبكة الطرقات بهدف تخفيف كلفة النقل، وأنشأ المؤسسات العلمية كجامعة استنبول والعسكرية كالكليات العسكرية والمدارس التعليمية، كما سعى إلى بعث إعلام فعال بإنشاء المجلات والدوريات، وحاول فى الوقت نفسه إصلاح التعليم بإدخال العلوم الدينية واللغة العربية فى المقررات الرسمية، وتشجيع استعمال لغة القرآن فى المجال الثقافى والعلمى، رغم العراقيل التى وضعها محمد سعيد باشا، ومنع إطلاق الترجمة الأوربية للأسماء العربية والتركية على الشوارع ومنح الأولوية للحد من نفوذ إنجلترا وفرنسا وروسيا فى الدولة العثمانية، فرغب فى التقارب مع ألمانيا والاستفادة من خبراتها العسكرية فى تنظيم الجيش مع استثمار صلاته الدبلوماسية من أجل الاستفادة من الخبرة البحرية الإنجليزية.

وقد سجل تيودور هرتزل للسلطان إخلاصه لدينه ووطنه حيث قال عنه فى يومياته: «إنه لا يتخلى أبداً عن القدس».

سجل له التاريخ أنه قال لمبعوث اليهود الراغب فى شراء فلسطين: «لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحدة من البلاد لأنها ليست لى بل لشعبى، لقد حصل شعبى على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا لا أستطيع أبداً أن أعطى أى جزء منها، ليحتفظ اليهود ببلايينهم.

لم يرفض السلطان بيع فلسطين فحسب بل أوضح لهرتزل عدم رضوخه بسياسة الترغيب والترهيب الذى سلط عليه من كل جانب، وردا لما بذله اليهود من وسائل ترغيب وترهيب، يقول السلطان عبد الحميد الثانى فى مذكراته: فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل إنما لن تقسم إلا على جثتنا ولن أقبل بتشريحها لأى غرض كان.

لكن المحاولات الصهيونية الماسونية من خلال التيارات السياسية الحزبية التى ظهرت فى عصره من تغير الوضع لصالح اليهود وكان على رأس تلك التيارات جماعة الاتحاد والترقى.

رغم أن جماعة الاتحاد والترقى قد تعرضت إلى مضايقات كبيرة فى بداية أيامها نظراً لإعلانها الصريح معاداة الخلافة، مما اضطرها إلى العمل فى سرية تامة بدأتها سنة ١٣١٧ هـ/ ١٨٩٩ م بعقد مؤتمرها الأول فى إزمير واستنبول ثم الأناضول ١٩٠٨ م.

وفشل رجال الاتحاد والترقى فى إبعاد السلطان نظراً لضعف موقفهم السياسى ولما لقيه السلطان من تأييد المشايخ وبعض العسكريين المنادين بتطبيق الشريعة، لكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ استغلوا الظروف المحلية والدولية للانقضاض على السلطان، فبرزت الثورة المضادة قوية متسعة، وتمكنوا أخيراً من القيام بانقلاب عسكرى على السلطة القائمة وإبعاد السلطان فى شهر أبريل ١٩٠٩ ، ونفيه فى سالونيك المدينة التى يهيمن عليها اليهود.

ثم حكم الاتحاديون بمرحلتين أساسيتين كانت أولاهما مهيئة لتحقيق الثانية، المرحلة الأولى ١٩٠٩ ـ ١٩١٤ م، والثانية ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م، انتهت الأولى باستياء شعبى كبير من جراء استبدادهم وقلة اكتراثهم بالموروث الثقافى والحضارى للأمة العثمانية، وعملاً منهم على امتصاص الغضب الشعبى المتزايد أقيل محمود شوكت باشا ١٩١٣ م لتأتى المرحلة الثانية التى استبشر العامة بها خيراً، ولكن الأحوال بقيت على حالها سواء من ناحية الخلفية العقيدية للدولة أو من حيث الوضع السياسى والاجتماعى المتردى لأنهم سرعان ما عادوا إلى ما عرفوا به فى سالف

الأيام ثم دخول البلاد فى حرب خاسرة عالمية انتهت باحتلال أراضيها.

وبلغة الأرقام يمثل عدد الموظفين العرب نسبة أقل من واحد من مائة، وعممت هذه السياسة على سائر المجالات، فأصبح عدد الطلبة الموفدين إلى الخارج يمثل ربعا واحدا من مائة.

وتمادوا فى تلك السياسة الرديئة، فبلغوا فيها حدا لا يطاق، فهجروا السوريين من أوطانهم واعتبروا اليمن والحجاز مستعمرات تركية، وسلطوا بموجب هذه السياسة جمال باشا السفاح على الشعب فقتل وحرق وهجر ١٩١٥ ـ ١٩١٦ م فى سوريا وأرمينيا.

وكشفت هذه السياسة ما كان مستوراً فانقلبوا على القوميات التى شجعوها فى سالف الأيام، وخاصة القومية العربية، ليخلص لهم اجتثاث لغة القرآن من المجتمع الجديد، وقد وصل بهم الاستهتار حدا لا يطاق، لا يتصوره أى عاقل، منها منع الشيخ محمد الطاهر الجزائرى ١٢٦٨ ـ ١٣٣٨ هـ ١٨٥٢ ـ ١٩٢٠ م من تدريس الشريعة الإسلامية فى إعدادية بيروت.

ولا يغيب عن الباحثين والمؤرخين صلة حزب الاتحاد والترقى بيهود الدونمة حيث نشأ فى كنفهم فى مدينة سالونيك حيث وجد رواده الرعاية الكاملة فى الفترة السرية، يقول أحد زعمائهم (رفيق بك): حقا أننا وجدنا سنداً معنويا من الماسونية الإيطالية عند ما قدم لنا المحفلان الإيطاليان فى سالونيك خدمة حقيقية، وفر لنا الملاجئ، فكنا نجتمع لتنظيم أنفسنا، كما أننا اخترنا معظم رفقائنا من هذين المحفلين اللادينيين، نظراً لما كان يبديانه من دقة فى الاستفسارات عن الأفراد(١).

ويقول مصطفى صبرى: عند بدء الحرب بيننا وبين إيطاليا فى طرابلس الغرب عقدت جلسة سرية بطلب من سعيد باشا (رئيس الوزارة الاتحادية) كان الغرض منه استجلاب أصوات الثقة لتلك الوزارة من النواب، فاتفق أن قرأ محمود ناجى بك نائب طرابلس الغرب رسالة وصلته من أخيه فقال: «إن كل الأحزاب

(١) انظر حركة تركيا الفتاة/ رامروز.

الإيطالية متفقة على احتلال ليبيا إلا حزبين البناءون الأحرار (الماسونيون) والاشتراكيون، حيث ورد عن البناءين الأحرار الإيطاليين»: لا يجدر بنا أن نصول على الأتراك حال كون حكومتها فى أيدى البناءين الأحرار لأن ذلك يفضى إلى تزعزع مراكزهم[1].

وكان على رأس لجنة قرار خلع السلطان عبد الحميد الثانى الماسونى اليهودى قره صو الاتحادى.

وبعد هزيمة حزب الاتحاد والترقى فى الحرب العالمية الأولى وهروبهم لأوربا انتقل الحكم إلى وريثهم الشرعى المعروف بالكماليين، لأن الفريق الأول ليس سوى مهيئاً لظروف جديدة ستفرض بقوة الطغيان على الأمة، إذ كانت أعمال الاتحاديين بمثابة إرهاصات إلغاء الخلافة، ولعل من علامات ذلك إبعاد اللغة العربية من التداول الرسمى بل والشعبى ثم إلحاق المحاكم الشرعية بوزارة العدل الحاكمة بغير شرع الله حتى فى الأحوال الشخصية وبدؤوا ينقضون عرى الإسلام عروة عروة إلى أن تم لهم إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤ م، وتحقق أمل الأوربيين فى جعل تلك البلاد دولة علمانية وفق المنظور الغربى.

ولهذا تعتبر الحركة الكمالية امتداداً طبيعيا للاتحاديين، ظهرت نواتها الأولى باسم «الحرية العثمانية»، أسسها مصطفى بن على المتوفى ١٩٣٨ م بمدينة دمشق مع مجموعة من الضباط الأتراك، كان بعضهم بما فيهم المؤسس يحضرون اجتماعات الاتحاديين ويعلنون عدم مخالفة سياستهم فى بعض الأحيان وكان الصراع بينهما شديدا، لكنهما فى الحقيقة جماعة واحدة من حيث الهدف والوسيلة.

فقد استغل الكماليون كسابقيهم الأوضاع المأساوية المشحونة بالخوف، وبدءوا يمهدون للاستحواذ على السلطة، فأعلن مصطفى كمال استقلاله عن الحكومة المركزية واستقر فى أنقرة ثم أسرع إلى اتخاذ إجراءات هامة منها الدعوة إلى عقد المجلس الوطنى الكبير ٢٣/ ٤/ ١٩٢٠ م، وانتخب فى تلك الأثناء رئيساً

(١) انظر النكير على منكرى النعمة من الخلافة والأمة/ مصطفى صبرى.

للمجلس والحكومة واختار أنقرة عاصمة للدولة الجديدة، وتم له فى الوقت نفسه تسوية بعض المشاكل مع الدول الغربية.

وانتقل بعد الهيمنة على مقاليد الحكم إلى إعلان الفصل بين السلطة والخلافة عام ١٩٢٢ م وظهر التلاعب بالقوانين فسن قانون الخيانة العظمى الذى بموجبه قتل كل معارضيه، وطورد بموجبه العلماء والطلبة ونخبة المجتمع من المعارضين.

وتنتهى تلك الفترة بإلغاء الخلافة فى ٣/ ٣/ ١٩٢٤ م وإزالة كل متعلقاتها من وتطبيق الشريعة، المحاكم الشرعية، اللغة العربية، الحجاب ومنصب شيخ الإسلام وعدل الدستور فى ٢٠/ ٤/ ١٩٢٦ م وحذفت منه المادة الثانية التى تنص على أن الإسلام دين الدولة وفشت مظاهر الفساد والإلحاد، وأجبر أتاتورك نساء أنقرة على خلع الحجاب، وخرجت زوجته ترتدى ثياب الرجال وتحرض النساء على المطالبة بمساواتهن بالرجال، ثم أزيحت الحواجز بين الجنسين فى السفن والمراكب والمسارح والأماكن العمومية، وانتقلوا بعدها إلى منع تعدد الزوجات ورفع سن الزواج، ليس هذا فحسب بل دعوا إلى أسوأ من ذلك على الإطلاق، فدعوا إلى الأفكار القومية التى رفضها الإسلام وهذا ما يطالب أيضاً العلمانيون فى عصرنا الحالى.

وقد تحقق للكماليين مبتغاهم وأنشأوا دولة مسايرة لدول أوربا والغرب على حساب الإسلام والحضارة الإسلامية، واختاروا بموجب هذه السياسة القوانين السويسرية بديلاً عن الشريعة الإسلامية.

وشجع الكماليون ومن قبلهم الاتحاديون النزعات القومية فى كل البلاد الخاضعة للدولة العثمانية.

فظهرت فى لبنان المدارس اليسوعية الموجهة دينيا من روما وسياسيا من فرنسا، ثم سريت فى القرن الثامن عشر إلى سوريا لهذا اعتبر نصارى الشرق رواد الحملات الصليبية الجديدة، واعتبرت مؤسساتهم التعليمية أوكاراً للتآمر على الإسلام والمسلمين.

وتبنى عرب الشام القومية العربية بطريق تلك المؤسسات وبمباركة ورعاية القوتين الفرنسية والأمريكية، من خلال مؤسساتهم التعليمية والخيرية، وفى إطارها وبرعايتهم برزت الجمعيات الأدبية المروجة لأفكار اليسوعيين والمبشرين.

وتم تأسيس جمعية علمية برعاية الإرساليات الأمريكية سنة ١٨٤٢ م، وظهرت بعدها جمعية علمية غامضة الأهداف عرفت باسم «جمعية الفنون والعلوم» وكان ذلك سنة ١٨٤٧ م، ساهم فى بعثها رجال من مختلف الجنسيات ومن طبقات اجتماعية متنوعة.

وظهرت الجمعية الشرقية برعاية الأب هنرى دوبرنير وتأسست بعدها الكلية اليسوعية التى عرفت فيما بعد بجامعة القديس يوسف سنة ١٨٦٦ م.

وبهذا يتضح أن بعض العرب ساهموا فى تقويض الدولة العثمانية بمساعدة جحافل المستشرقين على ترويج أفكارهم العلمانية والنزاعات القومية، والحركات الانفصالية، والمطالبة بإلغاء اللغة العربية الفصحى وإبدالها باللغة العامية.

وقد وجدت هذه الأفكار أرضاً خصبة فنمت بسرعة فائقة لتعدها بالحماية والصيانة من قبل أعداء الأمة، وخاصة المحافل الماسونية، فكانت بمثابة القنبلة الموقوتة التى ساهمت فى التعجيل بسقوط الدولة العثمانية، ولا ننسى الدور الماسونى فى هذه المرحلة الهامة حيث تعتبر المحافل الماسونية الخزان الثقافى والاقتصادى للمعارضة المتآمرة على كيان الأمة الإسلامية، فقد كانت تمول الأحزاب والجمعيات المتآمرة بالأفكار والمال والرجال بمباركة القوى السياسية الأوربية كما ذكر ذلك الجنرال التركى رفعت الكخان فى كتابه أسرار الماسونية.

فالماسونية من أعظم الجمعيات السرية وتعرف بالبنائين الأحرار، ظل منشؤها غامضاً مجهولاً أو على الأقل سريا كغاياتها المبهمة حتى بالنسبة لأتباعها، لقد اقتبست أفكارها من المصادر اليهودية والمسيحية والفرعونية ولا تعترف بالأديان(١).

(١) انظر كتابنا «أقدم تنظيم سرى فى العالم» ففيه المزيد والمفيد عن الماسونية، ونشأتها وأفكارها وحكم الإسلام فى الانضمام إليها، الناشر دار الكتاب العربى.

وتزعم الماسونية أنها مؤسسة فلسفية تحب الخير للإنسانية، هدفها الأساسى إيجاد صيغ ممتازة للتعاون والتآزر بإشاعة أخلاق ومبادئ دنيوية يركز فيها على التسامح المتبادل وحرية الضمير، وترك ما يتعلق بما وراء الطبيعة للقناعة الشخصية، لهذا عملوا على صرف أنظار الناس عن الحماس الدينى والمذهبى، فقالوا إن الدين يفرق وإن الماسونية تجمع.

ونادوا على الثالوث «الحرية المساواة والإخاء»، الذى بمثابة السم فى العسل.

وأما وسائلهم فتتلخص فى إغراء أصحاب القرارين السياسى والثقافى بالمال والجاه، وغيرهما من وسائل الترغيب، وهذا لما تملكه من سلطة وهيمنة قانونية ومعنوية على المؤسسات العالمية، وقد تحدثنا عن خطرهم ودورهم فى صناعة المؤامرات العالمية فى أكثر من كتاب لنا(١).

وقد عمل الإصلاحيون بالتعاون مع إخوانهم اليهود على إسقاط الخلافة العثمانية، فاندس فيها أمثال مدحت باشا وهو يهودى، كان له دور كبير فى الخلافة العثمانية، حتى إنه ساهم أحياناً فى إسقاط خليفة ونصب خليفة آخر والمصادقية على الدستور، وكان ينادى بإتاحة الحريات وتبين فيما بعد كما قال السلطان عبد الحميد قال: تبين أنه كان ينادى بالحريات له ولقومه من اليهود ولحزبه وطائفته، ولا ينادى بالحريات الحقيقية للناس كلهم أجمعين.

ولذلك كان اليهود يتربصون سقوط الخلافة حتى ينفذوا مخططاتهم فى فلسطين، حتى إنهم أعلنوا الإسلام كما هو معروف فى يهود الدونمة، وتغلغلوا فى مناصب الدولة.

ومدحت باشا كان الغربيون يسمونه فى أوربا أبا الحرية، لأنه كان ينادى بالحرية، ويطالب بالمصادقة على ما يسمونه بالدستور، الذى يضمن حقوق الأقليات، يضمن حقوق اليهود فى التمتع بحرياتهم كما يشاءون، داخل ستار وراية الدولة العثمانية.

---

(١) اقرأ سلسلة الحكومة الخفية للمؤلف، الناشر دار الكتاب العربى.

وكما كان اليهود أعدى أعداء الرسول ﷺ فى المدينة، وكان ابن سبأ وجماعته أعدى أعداء الإسلام فى عهد على بن أبى طالب رضي الله عنه كذلك كان الدونمة أعدى أعداء السلطان عبد الحميد.

كان مدحت باشا من هؤلاء الدونمة، وكانت أوروبا وراءه وهو يقوم بإنجاز مهمته فى إيقاد نار الفتنة.

فقد قام مدحت باشا وبعض من أعوانه بقتل السلطان عبد العزيز، وكانت محاولة إظهار الجريمة وكأنها انتحار من السذاجة بحيث أنها ما كانت لتخدع صبيا صغيراً.

فعندما قتل عبد العزيز قصت شرايين رسغية وقيل إنه انتحر هكذا، ولكن إن قص شريان أحد رسغيه فبأى يد استطاع قص شريان رسغه الآخر؟

ثم إن بعض شرايين عنقه كانت أيضاً مقصوصة. فكيف يمكن أن يكون هذا انتحاراً؟!

ثم ما السبب الذى دعاه إلى الانتحار؟

كل ما قيل فى هذا الخصوص عبارة عن أكاذيب وعن افتراءات. ثم شكلت هيئة للتحقيق فى هذا الموضوع. وبعد قيام هذه الهيئة بتدقيق التقارير المقدمة لها أصدرت قرارها بإدانة مدحت باشا وأعوانه وأصدرت حكم الإعدام بحقهم.

لكن السلطان استعمل صلاحيته فخفف أحكام الإعدام عن قاتل عمه الذى كان فى الوقت نفسه أعدى أعدائه، وخفف هذه الأحكام إلى سجن مؤبد ونفاه إلى الطائف.

ومات مدحت باشا فى منفاه بسجنه فى الطائف مخنوقاً وانتهى أمره بعد فشل محاولات استخبارات دول أوربا تهريبه من الطائف ببلاد الحجاز.

لكن أنصاره تابعوا مسيرته الساعية لهدم الدولة العثمانية بمعول الإصلاحات وكانت الخاتمة أو الضربة القاضية لمصطفى أتاتورك وهو أيضاً من يهود الدونمة وماسونى العقيدة مثل مدحت باشا الصدر الأعظم السابق.

البداية..

نهاية الخلافة العثمانية للمسلمين

- يهود الدونمة، فى تركيا دولة داخل الدولة.
- الاتحاد والترقى والماسونية الصهيونية اليهودية.
- الماسونية ودورها فى إنهاء الخلافة الإسلامية العثمانية.



يهود الدونمة فى تركيا
دولة داخل الدولة

يهود الدونمة هم جماعة من اليهود أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية وذلك للكيد بالمسلمين والإسلام وإسقاط الخلافة الإسلامية والدولة العثمانية.

وقد سكن هؤلاء اليهود منطقة الغرب من آسيا الصغرى ووضعوا أيديهم على مجالات التجارة والاقتصاد والإعلام كعادة اليهود الصهاينة فى التحكم فى مقدرات أى بلد أو دولة ومن ثم التحكم فى السياسة العامة، ولذلك فهم من الماسونيين الكبار ويعملون ضمن مخططاتهم وهم متواجدون الآن فى تركيا ويملكون وسائل السيطرة على الحكم فيها.

كان وجود اليهود فى الدولة العثمانية منذ السلاطين الخلفاء الأوائل حيث طلبوا اللجوء إلى الدولة التركية فى عصر سليمان القانونى فى القرن السادس عشر الميلادى، وذلك هرباً من محاكم التفتيش فى أسبانيا وبلاد الأندلس.

وكان سماح السلطان لهم بالهجرة، إلى دولته بعد زواجه من إحدى فتيات يهود تتار القرم وتدعى «روكسلانة» والتى تولى ابنها سليم الثانى الحكم بعد مؤامرة دبرتها لإقصاء ولى العهد مصطفى بن سليمان القانونى من زوجة أخرى.

وسمح سليمان القانونى لليهود أن يهاجروا ويقيموا فى بلاده عقب سقوط غرناطة عام ٨٩٧ هـ، ولكنه لم يسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين.

فعندما سقطت الأندلس فى يد الصليبيين كان بها أعداد كبيرة من اليهود الذى لاقوا معاملة مهينة من الصليبيين الذين خيروهم بين اعتناق النصرانية أو الرحيل من الأندلس فدخل الكثيرون منهم فى النصرانية ورحل الباقى عن

(١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى.

الأندلس فلم يجدوا بلداً يوافق على استقبالهم لسالف أفعالهم الشريرة وإفسادهم كل بلد يدخلونه ورفضهم العالم بأسره.

وعندها طلبت روكسلان اليهودية من زوجها السلطان سليمان قبولهم فى الدولة العثمانية وتذللت بين يديه وتصنعت له حتى وافق سليمان المسكين على استيطان هؤلاء اليهود فى بلاده ولم يدر أى بلية نكب به أمة الإسلام وأى داهية دخلت تحت ثيابه ذلك لأن هؤلاء اليهود الذين أطلق عليهم اسم يهود الدونمة سيكون لهم دور رئيسى وأساسى فى سقوط الخلافة العثمانية فيما بعد.

روكسلانة كانت يهودية من أصل روسى وروسيا كانت من أعدى أعداء المسلمين وكانت روسيا صاحبة الدور الأكبر فى إسقاط العثمانيين، وكان الروس آنذاك ضعافا والمسلمون التتر فى شبه جزيرة القرم يغيرون عليهم باستمرار وعندها تدخلت روكسلانة لدى سليمان وتوسطت عنده ليمنع المسلمين فى شبه جزيرة القرم من محاربة الروس وكف أيديهم عنهم وبالفعل منع سليمان التتر من ذلك.

استطاع القيصر إيفان الثالث المعروف بالرهيب توحيد الروس وأغار على القرم داخل بلادهم وسيطر عليهم وارتكب أبشع الجرائم التى تدل على شدة الكراهية للإسلام والمسلمين ولقد سمى إيفان بالرهيب للأفعال الرهيبة التى فعلها مع المسلمين، ثم استدار الروس بعدها للعثمانيين وظلوا يحاربونهم حتى سقطت الدولة العثمانية فى نهاية الأمر.

ولم تكتف روكسلانة بكل ما فعلته سابقاً بل عملت بشتى السبل على إقناع سليمان ليولى ابنه منها سليم الثانى الخلافة بعده ولكن سليمان رفض لأن ولى عهده كان ولده الكبير القائد العظيم مصطفى الذى كان يحظى بحب الشعب لديانته وأدبه وميله للعلماء والشعراء وأيضاً يحظى بدعم الجيش والانكشارية لبطولته وفروسيته وشجاعته وتوسم فيه الجميع أنه سيكون خليفة على الطراز الأول يعيد للأذهان عهد الخلفاء الصالحين.

ولما رأت روكسلانة رفض سليمان لعزل مصطفى وتولية سليم عملت على استخدام الدسائس والمؤامرات بالتعاون مع الصدر الأعظم رستم باشا وهو زوج

ابنتها من السلطان وتم تعيينه عن طريق روكسلانة، تآمرت معه على أن يحرض السلطان على ولده وأفاض عليه الأكاذيب والأباطيل أن مصطفى يريد الخلافة واستقطب الانكشارية فى صفه ويريد أن يفعل مع سليمان ما فعله جده سليم مع أبيه بايزيد حتى امتلأ صدر سليمان غضباً على ولده مصطفى الذى كان يحارب وقتها الدولة الصفوية فاستدعاه سليمان يوم ١٢ شوال سنة ٩٥٤ هـ إلى خيمته ثم أمر بعض الخدم فخنقوا مصطفى حتى قتلوه.

وعندما علم الناس ذلك ثارت الانكشارية وهموا بعمل انقلاب فعزل سليمان الصدر الأعظم رستم باشا لتهدئة الاضطرابات فأرسلت روكسلانة من قتل الصدر الجديد حتى يعود زوج ابنتها مرة أخرى.

ولم تكتف روكسلانة بذلك بل أرسلت من قتل طفل مصطفى الرضيع لينقطع أثره ولا يطالب منهم أحد بعد بالملك. وهكذا اغتالت تلك الأفعى حلم الأمة وأملها فى قائد عظيم يواصل رحلة الجهاد والقوة ضد الكافرين وفتحت أبواب الدولة على مصراعيها لسرطان سوف يقتلها وهم يهود الدونمة.

وكانت تلك البداية الحقيقية فى سقوط الدولة العثمانية وتلتها خطوات أخرى من يهود الدونمة الماسون الذين سكنوا سالونيك التى كانت تابعة للدولة العثمانية وقتها.

وحين رفض السلطان سليمان القانونى طلب اليهود الهجرة إلى فلسطين سمح لهم بالهجرة إلى العراق واليمن وإيران ومصر وتركيا فى مدينة سالونيك التى كانت ضمن أملاك الدولة العثمانية وقتها، أما الآن فهى إحدى المدن اليونانية.

وكلمة الدونمة تعنى الرجعة وتعود إلى مؤسس الجماعة أو الحركة سباتاى زيفى (١٦٢٦ ـ ١٦٧٥ م) وهو يهودى أسبانى الأصل تركى المولد والنشأة ادعى عام ١٦٤٨ م أنه مسيح بنى إسرائيل المنتظر ومخلصهم الموعود والتف حوله اليهود حتى استفحل خطره فاعتقلته السلطات العثمانية وناقشه العلماء وأبطلوا زيف ادعاءاته ونصحه البعض بادعاء الإسلام خوفاً عليه من القتل ففعل، وأمر أتباعه أن يفعلوا مثله ويبقوا على يهوديتهم.

والمسيح المنتظر عند اليهود هو آخر أنبيائهم يحاربون العالم تحت لوائه ولهذا لم يعترف اليهود بعيسى ﷺ مسيحاً لذلك ادعى أكثر من واحد من اليهود أنه المسيح المنتظر الذى سيخلصهم ويقيم دولتهم الكبرى التى تسود العالم.

ولهذا ادعى سباتاى زفى مؤسس الدونمة النبوة، وقام بنشر وثيقة مزيفة زورها حاخام يدعى (ابراهام ياكينى) فى استانبول وجعلها كرسالة قديمة تحمل عنوان (تفسير مزامير سليمان) وفي هذه الرسالة خبر يقول: إن مسيحا سيولد اسمه سباتاى زفى واستغل هذه الوثيقة للدعاية لنفسه.

ولد سباتاى فى إزمير بتركيا عام ١٦٢٦ م من أسرة يهودية إسبانية الأصل، مارس مهنة التدريس وأصبح حاخاما وهو فى سن الثامنة عشرة ونال مرتبة الأستاذية.

وقام سباتاى بقلب الشريعة اليهودية رأساً على عقب، ولم يكن يتردد فى جعل بعض الأشياء الممنوعة بصورة قطعية مباحة، كل ذلك أدى إلى بروز خطر وفوضى اليهود الذين كانوا يخضعون من قبل حاخاميمهم فى نظام متماسك عبر القرون ذلك لأنهم كانوا ينظرون لساباتاى زفى بالتمجيد والتعظيم، لأنه كان يمثل المسيح المخلص، ولم يعرف أن يهودياً آخر لقى مثل ما لقى سباتاى زفى حتى تيودور هيرتزل لم ينل من الالتفاف مثل ما نال سباتاى فى القرن السابع عشر.

وكان سباتاى يسعى لهجرة اليهود إلى فلسطين لتحقيق أحلامهم وتطبيق ادعاءاته بوصفه المسيح الموعود، ولكنه لم ينجح فى ذلك.

تسبب سباتاى زفى فى إثارة الكثير من الفتن وقت تواجده فى إزمير، كما تسبب فى إزعاج للسلطات العثمانية واتهم بمحاولة التمرد على الدولة وإقامة دولة لليهود على حساب الدولة العثمانية لدرجة أن أتباعه كانوا يتوجهون له بالدعاء بدلاً عن السلطان العثمانى، بأعتباره ملكهم، فقام الوزير (أحمد كوبرولى) بإصدار أوامره بالقبض على سباتاى، وشكلت محكمة لمحاكمته وقام بدور المترجم فيها (من التركية إلى الأسبانية) الطبيب (مصطفى حياتى) حيث استطاع هذا المترجم إقناع سباتاى أن إعلان إسلامه لن يحوله عن دعوته للمسيح المنتظر، بل أقنعه أن دعوته وهو مسلم مخادع سوف تكون أكثر تأثيراً من أن يظهر بثوب المدعى للمسيح

الموعود، فعمل سباتاى بنصيحته وأعلن إسلامه وأمر مريديه البقاء على عهدهم، وأخبرهم أن إسلامه تجنباً لخطر الموت.

فدخل عدد كبير من أتباعه فى الإسلام، لكسب ثقة الأتراك وبدلوا أسماءهم بأسماء إسلامية واندمجوا فى صفوف الشعب، وراحوا يعملون فى السر لتحقيق أغراضهم القومية تحت ستار الإسلام.

ثم قام سباتاى بتقديم طلب للسلطان بالسماح له بدعوة اليهود للإسلام وعندما أذن له أمر أتباعه بالدخول فى الإسلام فلبوا دعوته ولبسوا الجبب والعمائم فكانوا فى الظاهر مسلمين وفى الباطن يهودا وكانوا وقتهم حينئذ حوالى مئتى أسرة استقرت فى سلانيك.

أطلق على أتباعه لقب (الدونمة) وهى كلمة تستعمل كصفة مشتقة من المصدر التركى (دونمك donmek) بمعنى العودة أو الرجوع وهى صفة تعنى العائد أى الذى أسلم بعد أن كان يدين باليهودية، ثم أصبحت تعنى اصطلاحاً المسلم ظاهراً واليهودى فعلاً وباطناً.

وكان ليهود الدونمة دور بارز فى الميزان الاقتصادى للدولة العثمانية وذلك من خلال النقود الأسبانية والنمساوية التى جلبها اليهود بتجارتهم إلى تركيا فكان الأتراك يفضلون هذه العملات عن أية عملات أخرى، وكانت تستخدم فى شراء السلع باهظة الثمن وكانت الشركات الأوربية ترسل لليهود من الخارج معونات مالية أحدثت انتعاشاً فى الحركة الاقتصادية.

وقد توصل (حكمت طانيو) عند دراسته ليهود الدونمة من خلال شواهد مقابرهم فى إزمير إلى حقيقة هامة وهى أن التجار من يهود الدونمة أخذوا يتزاوجون من العائلات التركية المسلمة المعروفة فى عالم التجارة رغم أن هذا التزاوج كان ممنوعاً طبقاً للعقيدة الدونمية.

قام يهود الدونمة بدور فعال فى نصرة القوى التى تحركت من سلانيك لعزل السلطان عبد الحميد، وانتشروا فى البلاد العثمانية وتجنسوا بجنسيات مختلفة

وساعدوا الجمعيات السرية، إلى جانب نشر الدعايات المختلفة ضد السلطان عبد الحميد والتى تقول إن البلاد ترزح تحت الحكم المطلق وإن الحرية فقدت وإن السلطان يفتك بالعناصر المثقفة وغيرها من شعارات تقول: إن لا حرية فى الدولة العثمانية والاستبداد يخيم علينا وكان هذا من الشائعات الماسونية.

كان تخطيط يهود الدونمة لإلغاء الخلافة تدريجياً حتى لا يؤلبوا الرأى العام المسلم ضدهم وكانت وسائلهم فى ذلك مثل:

إثارة الأقليات غير المسلمة مثل الأرمن بهدف تكوين دولة أرمنية داخل الأناضول، مما دفع السطان عبد الحميد إلى القول «لم أكن أدهش لهيام الأرمن بحب الاستقلال، وخاصة بعد معرفة أفراد تركيا الفتاة الذين هربوا لأوربا وأصدروا هناك صحفاً ضدى، كانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات الأرمنية، كما أدهش لأنهم كانوا يأخذون أموالاً أيضاً وكانوا يقولون: إنهم يريدون إنقاذ الدولة العثمانية من التمزق، ثم يتعاونون مع الذين يعملون على تفتيت الدولة.

وقاموا بتشجيع تغريب تركيا والبعد عن المظاهر الإسلامية فى الوقت الذى قام فيه أساتذة يهود بتلقين الشباب التركى المبادئ والاتجاهات الفكرية الغربية.

وقام الدونمة بدور بارز فى سياسة تتريك الدولة وهذه السياسة قامت على أساس الضرب على وتر القوميات القديمة التى أماتها الإسلام وإثارة الأعراق المختلفة التى تعيش فى كنف الدولة العثمانية.

ولم تفلح محاولات السلطان عبد الحميد الثانى من إيقاف نفوذ يهود الدونمة رغم إبعادهم عن العاصمة استانبول، وظلوا يعملون على خلعه من السلطنة وخاصة بعد رفضه السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ورفض عرض زعيمهم هرتزل بسداد ديون الدولة العثمانية مقابل السماح لليهود بالهجرة لفلسطين، ونجحوا بالفعل بواسطة جماعة الاتحاد والترقى فى عزل السلطان وتنكروا للدولة العثمانية التى أنقذتهم فى الماضى من الاضطهاد.

وكانت هجرة اليهود إلى تركيا فى البداية من أجل النجاة بأنفسهم من محاكم

التفتيش ثم انقلبوا على تلك الدولة التى مدت لهم أيديهم كعادة اليهود دوماً.

فقد كان لظهور الدولة العثمانية فى القرن الرابع عشر وحلولها مكان الإمبراطورية البيزنطية فى الأناضول وشرق أوربا بمثابة طوق النجاة الذى عثر عليه اليهود الهاربون من أسبانيا، فقد فتحت الدولة العثمانية أبوابها على مصاريعها أمام اليهود مرحبة بهم، بينما انغلقت أمامهم معظم الأبواب الأوربية المسيحية، وعاش اليهود فى ظل التسامح العثمانى حقبة طويلة امتدت خمسة قرون، حققوا فيه استقرار لم يسبق له مثيل فى تاريخهم.

وإذا كان اليهود قد حصلوا على العلم فى بغداد والأندلس والفسطاط، وحصلوا على المال فى معظم البلدان، إلا أنهم لم يحصلوا على الراحة والاستقرار إلا فى ظل الدولة العثمانية. مع ملاحظة أن تاريخ اليهود فى الأناضول بدأ قبل هجرة اليهود السفارديم بقرون كثيرة.

كان المجتمع اليهودى فى الدولة العثمانية يتكون من ثلاث مجموعات:

الأولى: اليهود الذين عاشوا فى الدولة البيزنطية، ثم خضعوا للدولة العثمانية بعد سقوطها.

الثانية: المهاجرون من النمسا والمجر وروسيا وألمانيا وبولندا.

الثالثة: فكانوا اليهود المهاجرون من أسبانيا والبرتغال وإيطاليا نتيجة للاضطهاد الذى لاقوه من تلك الشعوب وقد وجد هؤلاء الأمان فى كنف الدولة العثمانية.

وكان أول اليهود القادمين إلى الدولة العثمانية من أسبانيا هم اليهود الذين يطلق عليهم اسم (المارانوا) وهم يهود قدموا إلى الدولة العثمانية ودخلوا الإسلام طواعية حسب ما يذكر د. عبد الوهاب المسيرى فى كتابه اليد الخفية ثم تدفقت مجموعات يهودية أخرى من ألمانيا كما تدفق عدد آخر من فرنسا حيث طردوا عام ١٣٩٤ م إلى مدينة أدرنة فى تركيا واستقروا فيها[١].

وقام الأتراك بمساعدة هؤلاء اليهود حيث وجهت مجموعات كبيرة منهم إلى

---

(١) انظر اليهود الدولة العثمانية ـ أحمد نورى النعيمى.

المدن الرئيسية فى الدولة العثمانية كالقسطنطينية وأدرنة وأزمير وسلانيك، واستوطن اليهود بكثرة قرب موانئ ومداخل استانبول، وقاموا بمهمة الإشراف على سك العملة، وفرضوا أنفسهم على البلاط بوصفهم أطباء.

وأصبحت مدينة استانبول مركزاً للطباعة العبرية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر كما أصبحت إحدى أهم مدن اليهود فى العالم حيث أدخلت أول مطبعة إلى الأراضى العثمانية بعد (٥٠) سنة من ظهور مطبعة (غوتنبرغ) وفى عام ١٥٤٦ م طبع اليهود أسفار التوراة الخمسة.

وفى القرن الثامن عشر تأسست مطبعة (إبراهيم متفرقة) تحت رعاية الحكومة العثمانية وكان من الشخصيات التى اشتهرت فى ميدان الطباعة، (صموئيل بن محياس) و (دافيد) اللذان نفيا من أسبانية وكذلك عائلة (صونسنيو) التى هى من إيطاليا.

وفى (سلانيك) تمتع اليهود فى تعايش سلمى مع العثمانيين وكانت سلانيك مركز تموين اقتصادى للبلقان العثمانى وتمتعوا باستقلال ذاتى.

وعلى هذا النحو وجد يهود أسبانيا المأوى والرفاهية والحرية التامة وممارسة شؤونهم الدينية حتى إن قرارات ومراسيم الحاخام اليهودى كانت تصدق عليها الحكومة العثمانية لدرجة أن هذه القرارات تحولت إلى قانون يخص اليهود وأصبح الحاخام فى الأستانة يمثل جميع اليهود فى الدولة أمام الحكومة العثمانية.

وقد سمح السلاطين لليهود بنقل تجارتهم فى الشعوب الأوروبية إلى الدولة ولم يعرفوا مخاطرهم التى سمحت للمهاجرين اليهود المطرودين من أسبانيا بالاستقرار فى كنف الدولة الأمر الذى رفضته الدول الأوروبية لمعرفتها بدورهم وأساليبهم فى صنع الفتن واختلاق الأكاذيب والسيطرة على البلاد، ويا ليتهم فعلوا مثل تلك الدول الأوربية التى أدركت خطرهم فى الماضى، الماضى الحاضر فقد تعاونوا معهم.

وقد فتح العثمانيون الباب ليهود أسبانيا منذ عام ١٤٩٢ للعمل والنشاط دون

مراقبة عليهم فما أن وطأت أقدامهم الدولة حتى بدؤوا العمل على تطوير علاقتهم التجارية الخارجية إثارة الفتن والسيطرة على أسواق المال والذهب مما أثار عليهم الرأى العام الإسلامى فى هذه الفترة وما تلاها من فترات وأصبح اليهود فى الدولة العثمانية منذ هجرتهم إليها من أسبانيا من كبار أصحاب المحلات التجارية فى أزمير وسلانيك وفى استانبول.

ونافس يهود استانبول الصدر الأعظم والوزراء فى فخامة منازلهم وكانوا يديرون كثيراً من الأنشطة إلى جانب هذا فقد أتاحت معرفة اليهود للغات الغربية وميلهم إلى التجارة الفرصة لهم لشغل وظائف هامة فى الدولة فى مرحلة كانت تشهد تطوير العلاقات مع الدول الأوروبية.

وقد عبر رشيد رضا فى جريدته المنار عن خطر اليهود بقوله:

«اليهود قوم اعتادوا الربا الفاحش فلا يبذلون درهماً من المساعدة إلا لينالوا مثقالاً أو قنطاراً من الجزاء وإذا كانوا بكيدهم وأموالهم قد جعلوا الدولة الفرنسية ككرة اللاعب فى أيديهم فأزالوا منها سلطة الكنيسة وكانت تدعى (بنت الكنيسة البكر) وحملوها على الظلم فى الجزائر وهى تفاخر الأمم والدول بالعدل والمساواة وهى فى الذروة العليا من العلم والمدنية والسياسية والثروة والقوة أفلا يقدرون على أكثر من ذلك فى الحكومة العثمانية وهى على ما نعلم من الضعف والحاجة إلى المال وطمعهم فيها أشد وخطرهم أعظم؟ فبيت المقدس له شأن عظيم عند المسلمين والنصارى فإذا تغلب اليهود عليه أقاموا ملك إسرائيل وجعلوا المسجد الأقصى هيكل سليمان وهو قبلتهم معبداً خالصاً لهم»(١).

وفى القرن السابع عشر قامت حركات يهودية فى الدولة العثمانية أطلق عليها اسم (حركات تحرير) تدعو اليهود إلى الهجرة إلى (الأرض الموعودة) فى فلسطين مما سبب توتراً فى العلاقات اليهودية العثمانية عرفت باسم مرحلة العد العكسى للنفوذ اليهودى فى السلطنة العثمانية حتى إن السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥ م) عبر عن وضع اليهود فى تلك الفترة بقوله: «ما الذى يحصل لو قطعت رؤوس جميع هؤلاء».

(١) انظر جريدة المنار - ١٠ - ٧٢٥ - رشيد رضا.

ولا يزال يهود الدونمة فى تركيا يتحكمون فى مصيرها حتى العصر الحالى رغم أنهم فقدوا السيطرة على أمور كثيرة فيها مع تنامى الصحوة الإسلامية فى الدولة التركية، ووصول تيار ذى أصول إسلامية إلى الحكم، ولا ننسى غضب رئيس الوزراء التركى «أردوغان» فى اجتماع جمعه مع رئيس الدولة الصهيونية شيمون بيريز بسبب ما ارتكبه اليهود الصهاينة من مجازر بشرية وجرائم ضد الإنسانية فى أهلنا فى غزة أواخر عام ٢٠٠٨ م وأوائل عام ٢٠٠٩ م وقام أردوغان بالانسحاب من ذلك الاجتماع وسط ذهول الرئيس الصهيونى ودهشته.

وهذا الموقف الكبير من الزعيم التركى يؤكد أن الأتراك لم ينسوا تاريخهم وإسلامهم ولم ينسوا ما فعله اليهود فى دولتهم الكبرى.



الاتحاد والترقى والماسونية
والانطلاق من «سالونيك»

جمعية الاتحاد والترقى حزب معارض لنظام الحكم العثمانى الإسلامى والخلافة الإسلامية، وهو حزب علمانى أُسس فى أواخر القرن التاسع عشر من جناحين، وأعضاء هذه الجمعية من الماسونيين وليس منهم واحد مسلم الأصل أو تركى العرق فقادته الذين قادوا الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثانى أنور أفندى وجاويد من يهود الدونمة يهودى أسبانى وقراصوه يهودى.

خرجت هذه الجمعية الماسونية الأصل من رحم جماعة «تركيا الفتاة» أو أطلق عليهم أيضاً الأتراك الشباب أو العثمانيون الجدد وهو اتحاد لمجموعات عديدة ماسونية تسعى لإثارة القومية التركية الطورانية التى كان شعارها الذئب الأخضر، وكانت تسعى لمجموعة أهداف منها الإطاحة وتفكيك السلطنة العثمانية عن طريق أثاره القوميات لكل الأمم التى كانت تحكمها السلطنة العثمانية كرد فعل على تتريك الأتراك.

أدت الحركة إلى الحقبة الدستورية الثانية بواسطة ثورة تركيا الفتاة.

فى عام ١٨٨٩ بدأت الحركة فى صفوف الطلاب العسكريين وامتدت بعدها لتشمل قطاعات أخرى، وكانت بدايتها كمانعة للسلطة المطلقة للسلطان عبد الحميد الثانى.

عند تأسيس جمعية الاتحاد والترقى فى ١٩٠٦ م ضمت الجمعية معظم أعضاء تركيا الفتاة.

بنت الحركة واقعاً جديداً للانشقاقات التى صاغت الحياة الثقافية، السياسية والفنية للإمبراطورية العثمانية فى الفترة الأخيرة قبل إلغائها.

حكم الباشوات الثلاثة - أى الصدر الأعظم - المنتمين لتركيا الفتاة الإمبراطورية العثمانية منذ التحول عام ١٩١٣ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

تم إنشاء جمعية العربية الفتاة على يد مجموعة من الطلاب العرب فى باريس عام ١٩٠٩، لتكون حركة شبيهة لجماعة تركيا الفتاة لتنفيذ انقلابات ثقافية وسياسية وعسكرية فى الدول العربية التابعة للدولة العثمانية وهذا ما حدث بالفعل فيما يسمى بحركة القوميين العرب وهى دعوة مماثلة للدعوة الطورانية التركية التى تبنتها جماعة تركيا الفتاة ثم جماعة الاتحاد والترقى ثم حزب الشعب التركى.

فجمعية تركيا الفتاة من أهم الجمعيات السرية التى أنشأها الأتراك لمناهضة دولة الخلافة الإسلامية والدعوى إلى القوميات لتفريق الأمة الإسلامية، وكان لتأسيسها عام ١٨٦٥ م الأثر الفعال لهدم الدولة العثمانية، وقد حضر أول اجتماعاتها نامق كمال وآية الله بك الذى أحضر معه فى أول اجتماع بعض الكتب التى تحوى فكرة جماعة الكاربونارى الإيطالية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر لمناهضة الاستعمار الفرنساوى والنمساوى شبه الجزيرة الإيطالية وتأسيس حكومة دستورية.

- وانضم إلى الجمعية الأمير مصطفى فاضل أحد أمراء أسرة محمد على فى مصر والأخ غير الشقيق للخديوى إسماعيل وكانت له أطماع فى اعتلاء عرش الحكم بمصر فانضم إليهم لمحاربة السلطان العثمانى الذى حرمه من حكم مصر.

وانتقل نشاط الجمعية إلى أوربا بعد نفيهم من الدولة العثمانية ولكن أعضاء الجمعية لم يتجاوز الـ ٢٤٥ عضواً وجلهم من المثقفين الأتراك.

وأساس فكرهم هو العنصرية القومية الطورانية التى تستند على قطاع المثقفين وتنادى بالحرية والنظام الدستورى والقضاء على النظام الملكى والسعى لإقامة وطن تركى بفصل تركيا عن العالم العربى والإسلامى ومحاربة الدين الإسلامى وجعل الدولة لا دينية أى علمانية.

وكانت تلك الجمعية النواة لتكوين جمعية أو حزب الاتحاد والترقى فيما بعد انضمام الضباط الشبان إليهم.

ويرجع بعض الباحثين بداية ظهور جمعية تركيا الفتاة إلى عهد السلطان عبد العزيز، حيث قامت فى عهده جماعة صغيرة من الذين يسمون «بالأحرار»، وذلك بوحى وتأثر من الآراء والأفكار الغربية، وأنشأوا لهم فى عام ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤ م مجلة فى لندن باسم «حريت» ثم ما لبثوا أن انضم إليهم بعض الشخصيات المرموقة أمثال: نامق كمال وهو أديب تركى شهير، ولد سنة ١٨٤٠ م فى (رودستو)، درس اللغة العربية والفارسية والفرنسية وأعجب فى شبابه بالزعيم والمفكر التركى (إبراهيم شيناسى) وانضم إلى رئاسة تحرير مجلته (تصوير أفكار) وفى سنة ١٨٦٥ م أصبح مسؤولاً عن تحرير المجلة واشتهر أديباً وصحفيا سياسيا، له مؤلفات عديدة منها: (المنثور والمنظوم) و (الأوراق المبعثرة)، وتوفى عام ١٨٨٨ م فى جزيرة (خيوس)(١)، وقد عادى السلطان عبد الحميد الثانى.

ومن المؤسسين ضياء باشا، ولد سنة ١٨٢٥ م، ونظم الشعر باللغتين التركية والفارسية انتقل إلى أوربا سنة ١٨٦٩ م وأصدر فيها مع عبد الله جودت جريدتى (المخبر) و (الحرية)، ومن آثاره الأدبية: كتاب (خرابات ورسالة (رؤيا) و (ظفرنامه) توفى فى (أطنة) فى شهر آذار (مارس) ١٨٨٠ م(٢).

وفى سنة ١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٩ م كون جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الإمبراطورية فى الآستانة منظمة ثورية هدفها الواضح عزل السلطان عبد الحميد.

وأما مؤسس الاتحاد والترقى فى الشبان الضباط فهو رجل ألبانى يدعى إبراهيم تيمو ولد فى مارس عام ١٨٦٥ م، فى بلدة «ستروغا» قرب حدود يوغسلافيا مع ألبانيا، من أب ألبانى الأصل، تلقى تعليمه الأولى فى بلدته ثم انتقل إلى استانبول والتحق بالمدرسة الطبية العسكرية عام ١٨٨٦ م، ولما تخرج فيها بعد سنتين التحق بالكلية الطبية العسكرية وتخرج فيها طبيباً للعيون عام ١٨٩٣ م، هرب إلى رومانيا عام ١٨٩٥ م وأصدر فيها مجلة «صدى الملة».

---

(١) انظر الموسوعة العربية الميسرة جـ ٢.

(٢) انظر تاريخ الأدب التركى ـ حسين مجيب المصرى.

ولما أعلن الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ م عاد إلى استانبول وأسس فيها «الحزب العثمانى الديمقراطى»، مات فى «مجيدية» برومانيا فى آب (أغسطس ١٩٤٥ م).

واستطاع تيمو من خلال التحاقه بالمدرسة الطبية طابة أن يكون الخلية الأولى العسكرية من الطلاب العسكريين وهم ثلاثة: إسحاق سكوتى ومحمد رشيد الشركسى وعبد الله جودت.

وأما إسحاق سكوتى فهو كردى ثورى ومن المؤسسين لجمعية (تركيا الفتاة)، قبضت عليه الحكومة العثمانية سنة ١٨٩٥ م ونفته إلى (رودس)، ولكنه استطاع أن يهرب منها إلى باريس وأنشأ مع عبد الله جودت صحيفة جديدة لتركيا الفتاة فى جنيف سمياها (عثمانلى)، ثم عين طبيباً عسكريا فى السفارة العثمانية فى روما سنة ١٩٠٠ م، وبعدها بسنتين توفى فى (سان ريمو).

وأما عبد الله جودت فقد ولد فى (عربكير) عام ١٨٦٩ م، تخرج فى المدرسة الطبية العسكرية، ثم أبعد إلى (ليبيا) عام ١٨٩٢ م بسبب أنشطته السرية، وفى عام ١٨٩٧ م هرب إلى أوربا وأصدر من جنيف مجلته المشهورة (اجتهاد)، تبنى مبادئ إلحادية ومادية معادية للإسلام، مات فى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٢ م.

أصبح هؤلاء الأربعة نواة منظمة سرعان ما جذبت إليها طلاباً آخرين، وبعد أمد قصير انضم إليهم شرف الدين مغمومى وشفيق الكريتلى وجودت عثمان وكريم سياطى وصبرى الملكى والدكتور ناظم السلانيكى المولود فى سالونيك عام ١٨٧٠م وأعدمه مصطفى كمال عام ١٩٢٦ م بعد استيلائه على الحكم واتهام ناظم بالقيام بمحاولة انقلابية ضد أتاتورك.

ثم انتشرت هذه الحركة فى المدرسة الطبية بسرعة وامتدت إلى المدارس العالية الحكومية الأخرى فى الآستانة كالكلية العسكرية، ومدرسة البيطرة، والكلية الملكية، ثم انضم إليها بعض الشخصيات البارزة ذات النفوذ.

وفى سنة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ م أخذ أعضاء هذه الحركة يهربون إلى أوربا حيث تركز

معظمهم فى باريس، وفى سنة ١٨٨٩ م انضم إلى الجمعية فى باريس أحمد رضا.

وأصدروا صحيفة فى باريس باسم «مشورت»، أصبحت فيما بعد الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقى.

وهكذا استمرت تلك الجمعية فى توسيع نطاقها وزيادة تحركاتها ونشاطها إلى أن استطاعت أن تعلن الدستور وتخلع السلطان عبد الحميد من عرشه، وعندئذ بدأت فى تحقيق أغراضها ومطامعها.

وكانت القوى العالمية المعادية للإسلام والمسلمين وراء هذا الجمعية تدعمها بكل ما تستطيع، يقول السلطان عبد الحميد فى مذكراته: «لا بد للتاريخ يوماً أن يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم (الأتراك الشبان) أو (تركيا الفتاة) وعن ماسونيتهم، استطعت أن أعرف من تحقيقاتى أنهم كلهم تقريباً من الماسون، وأنهم منتسبون إلى المحفل الماسونى الإنجليزى وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل، ولا بد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات وهل كانت معونات إنسانية أم سياسية»(١).

ولكن السلطان استهان بهم لقلة عددهم ونفى معظمهم خارج البلاد، ولم يكن فى عهد السلطان عبد الحميد إلا محفل ماسونى واحد للأجانب، أما فى عهد الاتحاديين فقد أرادت الماسونية أن تنتفع من إطلاق الحريات فأنشأت المحافل الماسونية فى أنحاء الدولة.

وكانت جمعية الاتحاد والترقى تعقد اجتماعاتها فى بيوت اليهود المنتمين إلى الجمعيات الماسونية الإيطالية، إذ إن جنسياتهم الإيطالية تحميهم بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية من الخضوع لأوامر القبض ومن تفتيش البوليس لمنازلهم أو محاكمتهم أمام محاكم الدولة، لأن لهم محاكمهم القنصلية الخاصة.

ولهذا دأب أعضاء الاتحاد والترقى على الاحتماء بحصانة هؤلاء اليهود، فكانوا يجتمعون فى بيوتهم آمنين من كل خطر.

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد ص ٤٩.

وكذلك تمويل تلك الجمعية كان من جهات خارجية يهودية ومن يهود الدونمة فى الداخل فى سلانيك.

ولما تولى الاتحاديون زمام الحكم فى الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور الثانى ١٩٠٨ م لم يكن لهم أكثرية برلمانية ولهذا لم يشتركوا فى وزارة كامل باشا القبرصى (١٨٢٦ ـ ١٩١٣ م)[١] إلا بوزير واحد، وذلك ليظهروا بمظهر السلطة غير المسئولة، ولكى يديروا الأمور بالخفاء مع إلقاء مسؤولية الأخطاء على غيرهم، مع وضع السلطان عبد الحميد الثانى تحت الرقابة الشديدة.

وكان أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد والترقى يجتمعون يومياً بأعضاء الحكومة ويملون عليهم إرادة الجمعية، وكانت أنديتهم فى الأقاليم تسير على هذا النهج نفسه إذ يملى إرادتها على الولاة والموظفين فى الولايات والأقضية، ويتدخل أفرادها فى شؤون الإدارة ويطلبون إقالة الموظفين الذين لا يرغبون فيهم.

لقد كانوا يحكمون بالفعل عن طريق سيطرتهم على الجيش العثمانى.

وكانت اللجنة المركزية للجمعية بعد الانقلاب الدستورى عام ١٩٠٨ مكونة من ثمانية أشخاص من بينهم: أحمد رضا بك، وأنور بك، وطلعت بك، ومدحت شكرى بك، وهذه اللجنة هى التى تقرر الخطة التى يجب السير عليها وتعمل على تنفيذها إما بالاتصال بالصدر الأعظم أو الوزراء[٢].

وبعد مضى أشهر على وزارة كمال باشا رأى الاتحاديون أن كمال باشا بشخصيته القوية وبعزمه على إصلاح الإدارة والقضاء على المفاسد قد تزايد نفوذه بتجمع العناصر غير التركية حوله، فعملوا على الإطاحة به وبوزارته، مما أوجد معارضة قوية ضد الاتحاديين من فئات الشعب التى كانت تؤيد وزارته فتكونت

(١) ولد سنة ١٨٣٢ م وقيل ١٨٢٦ م فى مدينة (الفقوشة) بقبرص انتقل إلى مصر سنة ١٨٤٧ م ودرس فى المدرسة العسكرية بها، وفى سنة ١٨٥١ م انتقل إلى الآستانة ثم عين مديراً للأوقاف بقبرص ثم وزيراً للأوقاف ثم تولى رئاسة الوزارة فى الدولة العثمانية أيام تمرد البلغاريين، توفى سنة ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣ م بقبرص.

(٢) انظر العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ـ توفيق على برو.

جبهة معارضة مشتركة من الأتراك وغير الأتراك الألبان والأرمن واليونان تقوم بمعارضتهم وبشن هجوم قوى ضدهم.

وانضم إليهم المتدينون من الترك بصفة خاصة، الذين أنشئوا لأنفسهم جمعية باسم (اتحاد محمدى)، وهى جمعية دينية تكونت فى الآستانة، وأعلن تكوينها فى (إبريل) ١٩٠٩ م بعد اجتماع دينى حاشد فى جامع (أيا صوفيا)، وكان فى مقدمتهم الشيخ بديع الزمان سعيد النورسى، وقد أنشئت هذه الجمعية لمجابهة الجمعيات والمنظمات الماسونية فى الدولة خصوصاً جميعة الاتحاد والترقى.

وقاموا باغتيال بعض الصحفيين المعارضين لهم مثل حسين فهمى، وأحمد حميم، وأدى ذلك حدوث فتنه كبرى فيما بعد عرفت بأحداث ٣١ مارس عام ١٩٠٩ انتهت بسيطرة الاتحاديين بانقلاب عسكرى على الحكم وعزل السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ م.

وتعاقب ثلاثة سلاطين على حكم الاتحاديين الذى استمر عشر سنوات منذ إعلان الدستور عام ١٩٠٨ م حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وهم عبد الحميد الثانى، ومحمد رشاد «الخامس»، ومحمد وحيد الدين «السادس» آخر السلاطين العثمانيين[١].

ورغم أن ثورة الاتحاديين على السلطان عبد الحميد الثانى كما أعلنوا أنها ثورة على استبداد السلطان عبد الحميد الثانى إلا أنهم حكموا البلاد حكماً استبدادياً ديكتاتورياً شديد القسوة وكثرت الاعدامات لكل المعارضين لهم ويكفى ذكر أسماء زعماء الاتحاد والترقى الذين حكموا البلاد وكانوا مثالاً للديكتاتورية مثل هتلر وموسولينى وتيمور لنك وهولاكو وجنكيز وهم طلعت باشا رئيس الوزارة وأحمد جمال باشا، وأحمد أنور باشا.

---

(١) انظر يهود الدولة العثمانية ـ أحمد نورى التعيمى وقد عاصر السلطان محمد وحيد الدين آخر عصر حكم الاتحاد والترقى وبداية عصر الكماليين حيث ألغيت السلطنة العثمانية وتم عزله وتولى بعد عبد المجيد الثانى بوظيفة خليفة للمسلمين فقط وليس سلطاناً وأعلنت الجمهورية التركية.

ومع ذكر نبذة بسيطة عن سيرة كل منهم تتعرف عليهم وكيف انتهى حكمهم باحتلال إنجلترا وحلفائها لأراضى تركيا والعاصمة التاريخية استانبول: ـ

١ ـ محمد طلعت باشا، ولد بأدرنة عام ١٨٧٤ م، درس القانون بسلانيك مدة من الزمن، تقلد مناصب عديدة بالدولة العثمانية وقدم خدمات كبيرة لجمعية (تركيا الفتاة).

ولما انهزمت الدولة العثمانية بسبب سياسة الاتحاديين فى الحرب العملية سنة ١٩١٨ م هرب إلى المانيا حيث قتل هناك فى ١٥ (مارس) ١٩٢١ م.

٢ ـ أنور باشا، ولد بالآستانة عام/ ١٨٨١ م، تخرج فى الكلية الحربية بالآستانة برتبة (رئيس) وعين فى الفيلق الثالث بسلانيك، ثم عين فى أركان الفيلق الثالث بمناستر وانضم هناك إلى الاتحاد والترقى.

تقلد عدة مناصب عسكرية وحكم البلاد مع طلعت وجمال حتى انهزام الدولة فى الحرب العالمية الأولى حيث هرب إلى خارج البلاد وتنقل بين ألمانيا وموسكو وبرلين، قتله الروس فى (سمرقند) عام ١٩٢٢ م.

٣ ـ أحمد جمال باشا، ولد سنة ١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٣ م، تخرج فى المدرسة العسكرية بالآستانة وتقلد مناسب عسكرية كبيرة حتى عين وزيراً للبحرية العثمانية وحاكماً لبلاد الشام، وارتكب العديد من المجازر هناك ضد معارضى حكم الاتحاديين من العرب والأرمن حتى عرف بجمال باشا السفاح.

بعد هزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى هرب مع زعماء الاتحاد والترقى وتنقل بين ألمانيا وسويسرا وروسيا وأفغانستان حتى قتله الأرمن بتخطيط من الروس فى مدينة تفليس عام ١٩٢٢ م.

وقد خدع الاتحاديون الأمة التركية والإسلامية بشعارتهم الماسونية الحرية والعدالة والإخاء، ومارسوا الاستبداد فى الرأى والحكم فلم يقبلوا مشاركة من أحد ولا مشورة، وقاموا بالاغتيالات السياسية للمعارضين لهم، وأوقفوا الجرائد المناوئة لهم، وتلاعبوا بالانتخابات لصالحهم واستخدموا فيها كل ألوان الضغط والحيل

والإكراه ولم يستندوا إلا على القوة المسلحة، التى تستند إليها النظم الديكتاتورية.

ومن مظاهر الاستبداد أن (حزب الحرية والائتلاف) الذى ضم كل المعارضين لحزب الاتحاد والترقى حيث فاز بالأغلبية فى الانتخابات بصوت واحد سارع الاتحاديون إلى حل البرلمان، وقبل أن يَحُلّوه مهدوا الطريق لذلك بأن قاموا بتعديل المادة (٣٥) من القانون الأساسى تعديلاً آخر غير التعديل الذى قاموا به فى أول حكمهم، حيث تنص هذه المادة فى القانون الأساسى الأصلى الذى وضع عام ١٨٧٦ م على إعطاء السلطان الحق فى حل مجلس «المبعوثان» أو إقالة مجلس الوزراء فى حالة خلافهما وإصرار الوزراء على وجهة نظرهم بعد رفضها من قبل المجلس، ثم عدلوا هذه المادة فى أول حكمهم بأن قيدوا حق السلطان فى حل مجلس «المبعوثان» برأى أعضاء مجلس «الأعيان»، كما حددوا بدقة شروط حل المجلس.

غير أن الاتحاديين لما رأوا أن مقاليد الأمور ستؤول إلى الحزب المعارض لهم (حزب الحرية والائتلاف) اتفقوا على حل المجلس المادة (٣٥) من القانون لا تعطيهم الحق فى ذلك، فقاموا بتعديلها مرة أخرى وذلك بإعادتها إلى نصها السابق لصالحهم.

وقد عارضهم خصومهم فى ذلك معارضة شديدة، ولكنهم استطاعوا أن يقوموا بذلك الأمر لسيطرتهم على الجيش[١].

ويقول أحد المعاصرين لتلك الأحداث وهو الجنرال جواد رفعت أتلخان عما شاهده فى فترة حكم الاتحاديين: فى الواقع إن جمعية الاتحاد والترقى التى خلعت السلطان عبد الحميد عن عرشه هى التى أقامت الاستبداد بعد ذلك، وشهدت البلاد من المآسى ما لم تشهده خلال ثلاث وثلاثين سنة من حكم السلطان ولفظ مواطنون مخلصون كثيرون أنفاسهم الأخيرة على أعواد المشانق التى نصبت فى مختلف أنحاء البلاد[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر كتاب أسرار الماسونية ـ جواد رفعت أتلخان.

ويقول مصطفى طوران:

«لقد رأت أجيالنا فيما بعد أي شيء هذه الحرية، عاشت مصائب ونكبات خُنِقَ فيها البشر كالكلاب على أعواد المشانق وطُعِنَ الأبطال بالحراب في صدورهم، وشهدت الأرض التي أقسم جيشها على تحقيق الحرية حمامات الدم والإبادة الجماعية، كل ذلك كان في عهد الحرية»(١).

■■■

(١) انظر كتاب أسرار الانقلاب العثماني ـ مصطفى طوران.

الحركة الطورانية الأساس الفكرى السياسى للاتحاد والترقى ولمصطفى كمال

يعتبر اليهودى موئيز كوهين مؤسس الفكر القومى الطورانى، وكتابه فى القومية الطورانية هو الكتاب المقدس للسياسة الطورانية التى قوضت الخلافة العثمانية، وأحبطت فكرة الجامعة الإسلامية، واليهود ويؤكدون على دورهم فى تحطيم الخلافة العثمانية بإرسال أحد كبار اليهود وهو (إيمانويل قراصو) وهو من قادة الاتحاد والترقى ليسلم السلطان عبد الحميد قرار عزله كنوع من التشفى والانتقام، وإظهار عاقبة رفض عبد الحميد لطلبهم باستيطان فلسطين.

وهم فئة من الدونمة مهمتهم تأجيج المشاعر القومية والتعصب العرقى وتمجيد الترك كحضارة وثقافة وكان على رأسهم (موئيز كوهين)، وكان يكتب المقالات باسم تركى هو (لب تكين) إمعاناً فى الخداع، ومهمتهم تدعو إلى توحيد الشعوب والقبائل التركية المتفرقة واستعملوا كافة الطرق لتوصيل أفكارهم من إعلام وصحافة وخطب.

وتبنت الطورانية (نظرية الشمس) عام ١٩٣٢ م التى تدعى أن اللغة التركية هى أم اللغات وأن الحضارة التركية قبل الإسلام هى أم الحضارات وبل أجروا العديد من الدراسات والبحوث لتأكيد كذبهم كل ذلك لإثبات أن لهم أرثاً وحضارة تعادل قيم وتراث الحضارة الإسلامية.

وقد ذكر نيازى بركس فى كتابه «المعاصرة فى تركيا» اسم اليهودى موئيز كوهين الذى وصفه رينيه بيلو قائلاً:

١ - إن كوهين هو من مؤسسى الفكر القومى الطورانى فى الدولة العثمانية.

٢ - إن كتاب موئيز كوهين هو الكتاب المقدس للسياسة الطورانية.

كان اليهودى موئيز كوهين نشطاً جدا فى التعريف بحركة الاتحاد والترقى فى الصحف الأوروبية، فقد كان يعرف بجانب العبرية والتركية، عدة لغات أوروبية، وبدأ هذا بمقال باللغة الفرنسية يحمل عنوان (الأتراك يبحثون عن روح قومى).

لقد أسهم كوهين فى التخطيط للسياسة العنصرية الطورانية التى سارت عليها جمعية الاتحاد والترقى وهى السياسة التى شقت شعوب الدولة العثمانية وأوجدت بينها العداوة والبغضاء.

وقد مات سنة (١٩٦٢ م) وأقامت جمعية التراث التركى اجتماعاً لتأبينه حضره ابنه (إسحاق كوهين)، وكتب كوهين ثلاثة كتب (سياسة التتريك) سنة ١٩٢٨ م وكتاب (الكمالية) سنة ١٩٣٦ م وكتاب (الروح التركية).

ومن أقوال كوهين المشهورة: (إن الذى يمثل الكمالية ليس بإنسان فقط بل هو فوق الإنسان).

(إن الكمالية وجهت حملتها الأولى نحو حكم الدين وقد انهارت هذه السلطة الغاشمة بضربة واحدة وجهها إليها أتاتورك).

(إن رب الكمالية الذى عبدته منذ البداية هو: القومية).

(قبل البدء بالبناء لا بد من تسوية الساحة التى يملؤها عقبتان رهيبتان هما الدين والخلافة فلتسقط حكومة التشريع).

هذه هى القومية الطورانية، إنها صناعة يهودية ماسونية.

إن جمعية الاتحاد والطورانية تنسب إلى جبل طورون، والتى من مفاهيمها (نحن أتراك وكعبتنا طوران) ويتغنون بمدائح جنكيزخان وفتوحات المغول وهى حركات ارتبطت باليهود ربطاً وثيقاً وأبعدتها عن الإسلام تماماً.

وفى هذا يقول نيازى بركس فى كتابه «المعاصرة فى تركيا»: (إن لليهود الأوربيين واليهود المحليين فى الدولة العثمانية فى القرنين التاسع عشر والعشرين دوراً ضخماً فى إرساء تيار القومية الطورانية).

وكان لهم ضلع فى جمعية الاتحاد والترقى التى نجحت فى الإطاحة بحكم عبد الحميد الثانى ومن ثم الاستيلاء على السلطة.

قام الاتحاديون بتوجيه الدولة وجهة قومية لا دينية، ولما احتل الإنجليز استانبول أصبح الخليفة شبه أسير فى أيديهم وأصبح المندوب السامى البريطانى والجنرال هارنجتون القائد العام لقوات الحلفاء فى استانبول، هما أصحاب السيادة الفعلية وعلى ضوء ذلك كانت اللعبة السياسية باصطناع بطل عميل تتراجع أمامه جيوش الحلفاء وكان هذا البطل الوهمى مصطفى كمال أتاتورك.

وبتكليف من جمعية الاتحاد والترقى تم تكوين لجنة لابلاغ خليفة المسلمين وسلطان الدولة العثمانية عبد الحميد الثانى بقرار خلعه وكانت هذه اللجنة تتألف من:

١ ـ إيمانويل قراصو: يهودى أسبانى وهو أول المشاركين فى حركة تركيا الفتاة ومسؤول جمعية الاتحاد والترقى لإثارة القلاقل والتحريض ضد السلطان وتلفيق التهم إليه بأعمال مارسوها هم.

٢ ـ ارام: أرمنى عضو مجلس أعيان عثمانى.

٣ ـ أسعد طوبطانى: البانى نائب عن المبعوثان.

٤ ـ عارف حكمت: كردى وهو عضو مجلس أعيان وفريق بحرى.

وفى رواية السلطان عبد الحميد لهذه الحادثة: (إن ما يحزننى ليس الإبعاد عن السلطة ولكنها المعاملة غير المحترمة التى ألقاها بعد كلمات أسعد باشا هذه التى خرجت عن كل حدود الأدب حيث قلت لهم إننى أنحنى للشريعة ولقرار مجلس المبعوثان ـ ذلك تقدير العزيز العليم أن المسؤولية التى تحتملوها ثقيلة جدا.

ثم أشار السلطان عبد الحميد قائلاً: (ما هو عمل هذا اليهودى فى مقام الخلافة وبأى قصد جئت بهذا الرجل أمامى).

وجه السلطان عبد الحميد رسالة إلى الشيخ محمود أبو الشامات جاء فيها: (إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا علىَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة فلسطين ورغم إصرارهم لم أقبل بصوره قطعية هذا التكليف.

ويقول بعض أقطاب حركة الاتحاد والترقى ذلك مثل نظام الدين لبه دنللى أوغلو: (اليهود يملكون قوى كثيرة تستطيع النجاح فى العمل المنظم فالمال كان عندهم والعلاقات التجارية الدولية كانت فى أيديهم كما كانوا يمتلكون الصحافة الأوروبية والمحافل الماسونية).

وأنور باشا: يقول لجمال باشا شريكه فى المؤامرة (أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟ قال: نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آلة بيد الصهيونية واستثمر بنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقى).

وأيوب صبرى قائد الاتحاديين العسكريين قال: (لقد وقعنا فى شرك اليهود عندما نفذنا رغباتهم عن طريق الماسونيين لقاء صفيحتين من الليرات الذهبية فى الوقت الذى عرض فيه اليهود ثلاثين مليون ليرة ذهبية على السلطان عبد الحميد لتنفيذ مطالبهم إلا أنه لم يقبل بذلك).

برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسونيون واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان معارضاً قوياً لليهود، إذ رفض بشدة إعطاء أى شبر أرض لليهود فى فلسطين).

وقال نجم الدين أريكان زعيم حزب الرفاه فى تركيا (إن الحركة الماسونية سعت سعياً شديداً لعزل السلطان عبد الحميد ونجحت فى سعيها وإن أول محفل فتح فى تركيا العثمانية كان على يد (إميل قرصوه) وهو صهيونى وقد انضم إليه ضباط منطقة سالونيكا.

وبعد إبعاد السلطان عبد الحميد الثانى عن السلطة عبرت الصحف اليهودية فى سالونيك عن فرحتها فى الخلاص من مضطهد إسرائيل كما وصفته هذه الصحف.

وفى هذا يقول لوثر: (وبعد إبعاد عبد الحميد من السلطة عبرت الصحف اليهودية فى سيلانيك عن غبطتها وأخذت تزف البشائر بالخلاص من مضطهد

إسرائيل الذى رفض استجابة طلب هيرتزل لمرتين والذى وضع جواز السفر الأحمر الذى يقابل عندنا قانون الأجانب.

وهذه ترجمة لقصيدة نظمها الفيلسوف التركى (رضا توفيق) وهو من كبار رجال الاتحاد والترقى وكان من أكبر المعارضين لحكم السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين وقد كتبها بعد وفاة السلطان عبد الحميد يقول فيها:

عندما يذكر التاريخ اسمك.

يكون الحق فى جانبك ومعك أيها السلطان العظيم.

كنا نحن الذين افترينا... دون حياء على أعظم سياسيى العصر.

قلنا إن السلطان ظالم.. وإن السلطان مجنون.

قلنا لا بد من الثورة على السلطان.

وصدقنا كل ما قاله الشيطان...؟؟

وعلمنا على إيقاظ الفتنة.

لم تكن أنت المجنون... بل نحن.. ولم نكن ندرى.

علقنا القلادة.. على فتيل واه.

لم نكن مجانين فحسب،، بل كنا قد عُدمنا الأخلاق.

فلقد ضللنا أيها السلطان العظيم على قبلة الأجداد..

والطورانية منذ ظهورها تناصب العرب العداء رغم أن العرب تاريخيا الأكثر إخلاصاً للدولة العثمانية من باقى رعاياها لكن فى ٢٧/ ٤/ ١٩٠٩ أفتى شيخ الإسلام التركى محمد ضياء الدين بجواز خلع السلطان عبد الحميد مما جعل جمعية الاتحاد والترقى الطورانية المسيطرة على مجلس الأعيان ترسل وفداً من أربعة أعضاء هم إيمانويل قراصو وآرام وأسعد طوبطانى وعارف حكمت لإبلاغ

السلطان قرار الخلع.

والملاحظ أن الوفد تكون من ممثلين عن القوميات المكونة للدولة العثمانية ولم يكن بينهم عربى واحد وهذا دليل على كراهيتهم للعرب والإسلام.

ثم قام الاتحاديون بعد ذلك بتوجيه الدولة وجهة قومية تركية لا دينية واستهدفوا خلالها العرب بالاضطهاد والعنصرية والاحتقار وتم عزلهم من المناصب وكان آخر ذلك وزير الأوقاف العربى واستبداله بتركى، وأوقفوا العمل باللغة العربية وقد حاول بعض الزعماء والضباط العرب أواخر ١٩٠٩ التوجه للآستانة وحل الإشكال إلا أنهم أهينوا من قبل بعض غلاة الاتحاديين أمثال أحمد أغايف ويوسف قسورة مما قضى على آمال المصالحة بين الترك والعرب.

وأنشأ الاتحاديون جمعية طورانية عظمى سموها «ترك أوجاغى» جعلت غايتها محو الإسلام وتتريك العناصر العثمانية وقد تفرع عنها عدة جمعيات منها «ترك بوردى» لتطهير اللغة التركية من الكلمات العربية، كما قررت نزع أسماء الصحابة من الجوامع كونهم عرباً كما طعنوا من على المنابر فى الخلفاء الراشدين وساهموا فى نشر كتب الكفر والإلحاد فى الدولة مما آذى شعور العرب المحافظين.

ولكن حين دخلت تركيا الحرب الأولى فى أغسطس ١٩١٤ اصطف العرب، رغم ما جرى، ووقفوا خلف الاتحاديين الحاكمين فى الآستانة وأرسل جمال باشا السفاح إلى بلاد العرب بعد تدبيره مذابح الأرمن فى أضنة فنصب المشانق للأحرار وتسبب فى مقتل مئات الآلاف من العرب عبر عمليات التهجير القسرى والمجاعات التى اختلقها وقد اتهم العرب بالخيانة لتبرير التنكيل بهم بينما كشف البلاشفة بعد ثورة ١٩١٧ عن رسائل سرية أرسلها السفاح لقيصر روسيا يعد بها الحلفاء (الأعداء) بأن ينحاز لهم لقاء القبول به ملكاً على الشام والعراق ولأبنائه من بعده.

لذا قرر من نجا من مذابح السفاح التوجه للحجاز وإعلان الثورة من هناك تحت راية الشريف حسين ومما جاء فى نص خطاب الشريف للاستقلال

والانفصال عن حكومة الاتحاديين قوله: «إن صحيفة «الاجتهاد» الاتحادية وصفت سيرة النبى ﷺ بأنها شر سيرة وأن الحكومة الاتحادية ألغت قوله تعالى (للذكر مثل حظ الأنثيين) فساوت بينهما فى الميراث، وأنها أمرت جنودها فى المدينة ومكة والشام بإفطار رمضان للمساواة بينهم وبين المقاتلين على حدود الروس وفى ذلك هدم لأحد أركان الإسلام الخمسة».

كما عدد جرائم الاتحاديين ببيع أراضى ودول الإسلام فى البوسنة والهرسك لحكومة النمسا وأراضى طرابلس الغرب وبرقة ومقدونيا وجزيرة كريت وجزر الأرخبيل للإيطاليين.

ونعود للحديث عن جماعة الاتحاد والترقى التى تأسست عام ١٨٩٤ ووصلت إلى سدة الحكم فى الدولة العثمانية بعد انقلابها على السلطان عبد الحميد الثانى فى ٢٧ أبريل ١٩٠٩ ثم ورطت الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى مما أدى إلى سقوطها وتقاسم الدول الأجنبية لأراضيها، وانته الأمر بحل الجمعية بعد أداء دورها عام ١٩١٨ م بانتهاء الحرب العالمية الأولى واحتلال تركيا.

بدأت جمعية الاتحاد والترقى بفرض عملية التتريك على جميع المحافظات العربية وغيرها، ففرضت اللغة التركية فى الدواوين والمدارس والمناهج.

كانت سياسات الحكومة الاتحادية بعد خلع عبد الحميد قد مهدت لأمرين هامين: أولهما: تحقيق المشروع الصهيونى فى فلسطين وثانيهما: تفكيك الدولة العثمانية والعمل على إضعافها وتمثلت هذه السياسات والقرارات بما يلى:

١ ـ بدأوا تغيرات إدارية فى فلسطين بعد الانقلاب الأول مباشرة فقبل عام ١٩٠٨ م/ ١٣٢٦ هـ كان مجلس مدينة القدس الإدارى (البلدى) يتكون من تسعة أشخاص، ستة من المسلمين واثنين من المسيحيين ويهودى واحد، غير أن هذا المجلس البلدى للقدس تغيرت تركيبته فى نفس العام ١٩٠٨ م/ ١٣٢٦ هـ حيث ارتفعت نسبة تمثيل اليهود فى المجلس إلى عضوين.

٢ ـ تأسست مباشرة بعد الانقلاب عام ١٩٠٨ م/ ١٣٢٦ هـ فى فلسطين

(شركة التطوير الإنجلو ـ فلسطينية) وهى مؤسسة يهودية فى يافا، ودخلت مباشرة فى مفاوضات مع أطراف شبه رسمية بغرض الحصول على أراضٍ فى رفح على الجانب المصرى، من أجل إقامة مستعمرة زراعية يهودية هناك.

٣ ـ بعد الانقلاب وفى نفس العام عين فيكتور جيكبسون وهو صهيونى روسى المولد وكان يعمل مديراً لفرع الشركة الانجلو ـ فلسطينية ببيروت، عين ممثلاً للمنظمة الصهيونية باستانبول، حيث أصبح مقره (وكالة صهيونية) فى العاصمة العثمانية.

ويصف أحمد النعيمى دور هذه الوكالة بأنه أصبح مراقبة النظام السياسى الجديد وموقفه من الصهيونية، إلى جانب مراقبة النواب العرب ونشاطهم فى البرلمان العثمانى، والمساهمة فى كل الأنشطة الإعلامية التى تخدم الصهيونية إضافة إلى التنسيق مع كبير الحاخام والبرلمانيين اليهود الأربعة أو الخمسة فى العاصمة لصالح المشروع الصهيونى(١).

٤ ـ سمح قائمقام طبرية العثمانى لليهود بتكوين حرس خاص بهم (أى جيش صهيونى جديد) بدعوى إن الخطر الذى بات يهدد اليهود لم يقتصر على غزوات البدو للمستعمرات ـ كما كان فى الماضى ـ ولكن كما ذكر فرانك ـ امتد مع زيادة الهجرة فأصبح هذا الخطر موجوداً فى كل أنحاء فلسطين، وقد لاحظت جريدة (نهضة العرب) ذلك واتهمت الاتحاديين بالتفاهم مع اليهود.

٥ ـ فى عام ١٩٠٩ م/ ١٣٢٧ هـ بدأ اليهود بدعم من روتشيلد أحد أكبر البيوتات اليهودية التى تسيطر على اقتصاديات العالم وتوجه السياسات العالمية، بتشييد أول مدينة يهودية كبيرة فى فلسطين هى مدينة (تل أبيب)، إلى جانب الميناء الغربى لمدينة يافا وقد وصفتها المؤرخة الإنجليزية المنصفة كارين أرمسترونج بأنها (أصبحت «واجهة عرض» يهوديتهم الجديدة).

٦ ـ قامت حكومة الاتحاد والترقى بتعطيل عدد من الصحف العربية

---

(١) انظر ـ يهود الدونمة ـ د. أحمد النعيمى.

المعارضة للهجرة اليهودية إلى فلسطين فى عام ١٩٠٩ م/ ١٣٢٧ هـ، وهى صحيفة الكرمل بحيفا التى قدم رئيس تحريرها إلى المحاكمة بتهمة سب اليهود، وصحيفة المقتبس بدمشق وصحيفة فلسطين فى يافا.

٧ ـ أصدر اليهود طوابع بريدية تحمل اسم هرتزل، وزاد نفوذهم بفلسطين، دون اتخاذ إجراءات لإبطال خطواتهم.

٨ ـ بعد الانقلاب الذى أعاد الاتحاد والترقى للحكم عام ١٩١٣ م/ ١٣٣١ هـ نشط الصهاينة مرة أخرى بعد أن خاطب الحاخام اليهودى باستانبول والذى انتخب حاخاماً أكبر لتركيا بعد الانقلاب فى عام ١٩٠٨ م، خاطب وزير العدل والثقافة، طالباً إلغاء جواز السفر الأحمر الذى يعطى لليهود غير الأتراك عند دخولهم فلسطين، وإزالة القيود ضد حيازة اليهود لمساحات شاسعة من الأرض خارج المدن والقرى الفلسطينية، بدعوى أن هذه الإجراءات (تجرح وبعمق الحس الوطنى والدينى اليهودى).

وقد استجاب الوزير وألغيت كذلك مهلة ثلاثة الأشهر التى كانت تحدد مدة بقاء اليهود الزوار لفسطين، بحجة أن ولاة القدس وبيروت العثمانيين قرروا أن هذه الإجراءات لم تحقق الغرض منها[١].

وكان مقر تلك الجماعة المدنية اليهودية الشهيرة فى التاريخ التركى الحديث والقدم مدينة سالونيك التى كانت تابعة للدولة العثمانية التى أصبحت فيها تابعة للدولة اليونانية بعد الحرب العالمية الأولى وهى تجمع يهود الدونمة ومنها خرج مصطفى كمال أتاتورك الذى أجهز على ما تبقى من الدولة العثمانية فى عام ١٩٢٤ م ومحا من الخريطة السياسة والاسلامية منصب الخلافة الإسلامية وقبل ذلك ألغى النظام الملكى العثمانى كما سيأتى بعد إن شاء الله تعالى.

يرى البعض أن مؤسس الاتحاد والترقى فى الجيش العثمانى هو إبراهيم تيمو الذى انتقل إلى المدرسة الطبية العسكرية، وهناك ابتدأ مشواره بقراءة المؤلفات السياسية، حيث تعرف خلال هذه المدة وفى نفس المدرسة على (إسحق

(١) المصدر السابق موسوعة ويكبيديا الحرة ـ الإنترنت.

سكوتى ديار بكرى) الذى بقى حتى وفاته أقرب الأصدقاء المخلصين لإبراهيم تيمو، بالإضافة إلى آخرين الذين بدأوا بتأسيس جمعية الاتحاد والترقى.

وقام تيمو بمساعدة زملائه هؤلاء بمطالعة المؤلفات السياسية التى كانت فى أغلبها تعبر عن الأفكار الغربية ومنها كتب شناسى ونامق، كما أنه درس اللغة الفرنسية.

وفى عام ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩ م تخرج إبراهيم تيمو من المدرسة الإعدادية الطبية، فالتحق بالكلية الطبية العسكرية، التى كانت نموذجاً للكليات الأوروبية، وهناك قضى إبراهيم سنوات فى هذه الكلية مما مكنه من إيجاد الفرصة المناسبة للتعرف على أنصاره الجدد، وفيما بعد بادر فى أيار ١٨٨٩ م مع أربعة من طلاب هذه الكلية إلى تأسيس جمعية سرية، وهؤلاء هم (إسحق سكوتى، عبد الله جودت، محمد رشيد الجركسى، وحسين زاده على.

وإبراهيم تيمو، هو ألبانى الأصل، ولد فى مارس ١٨٦٥ م فى بلدة ستروغا التى تقع فى أقصى جنوب يوغسلافيا سابقاً، وهناك من يقول إنه ولد فى بلدة أوهريد ohrid، وكان والده يدعى مراد مصطفى، ويعود بأصله إلى منطقة مات mat فى ألبانيا، ولقد انتقلت أسرته من بلدة مات إلى ستروغا المجاورة، حيث أنهى إبراهيم تيمو دراسته فى المدرسة الابتدائية بالإضافة إلى صفين من المدرسة الإعدادية (الرشدية) فى ستروغا ثم غادر إلى استانبول.

ولقد تمكن بمساعدة إسماعيل طوبطانى ووحيد بلوشميا وهما من أصدقاء والده من الوصول إلى أستاذ الجيولوجيا إبراهيم باشا وهو أيضاً ألبانى الأصل، حيث قام الأخير بتسجيل إبراهيم تيمو فى المدرسة الإعدادية الطبية، وقد تأثر «تيمو» بالماسونية اليهودية وخاصة منظمة الكاربوتارى الإيطالية أثناء زيارته لإيطاليا عام ١٨٨٨ م.

وكانت تلك النواة الأساسية من الأربع لهذه الجمعية السرية، ويرجع السبب فى خروج هذه الجمعية من المدارس والكليات الحربية، إلى القطار الذى يأتى من

باريس إلى محطة (سيركجى)، والتى تقع قرب المدرسة العسكرية، حيث كانت الأفكار الغربية تصل للطلاب بشكل مباشر بسبب الاحتكاك بالأجانب ووصول الصحف والمجلات الغربية إليهم.

وبعد تأسيس هذه الجمعية بادر إبراهيم تيمو لعقد اجتماع سرى خارج مدينة استانبول فى (قهوة) يملكها البانى يدعى (علوش آغا) وشارك فى هذا الاجتماع اثنا عشر عضواً، كان من بينهم عبد الله جودت الذى اشتهر بالإلحاد وعداوته الشديدة للإسلام والعرب.

ونتيجة للمراسلات السرية بين أعضاء جمعية الاتحاد العثمانى السرية فى الداخل وفى الخارج تم الاتفاق على وحدة العمل العسكرى والمدنى ضد السلطان، وعلى اعتماد اسم (جمعية الاتحاد والترقى) للجناحين المعارضين، العسكرى والمدنى، الذين يعملان فى إطار الجمعية.

كان اسم الجمعية فى الأوساط العسكرية هو (الاتحاد العثمانى)، وكان أحمد رضا بك ممثل الجناح المدنى[1] متأثراً بأفكار الفيلسوف (أوغست كانت) وكان دستور هذا الفيلسوف هو (الانتظام والترقى)، فأخذ أحمد رضا كلمة (الترقى) استلهاماً من دستور «كانت» واحتفظ العسكريون بمسمى (الاتحاد)، واتفق الجميع أن تكون جمعيتهم باسم (الاتحاد والترقى).

تغلغلت خلايا (الاتحاد والترقى) فى وحدات الجيش، وبين موظفى الدولة من المدنيين، واتحدا فى العمل الموحد بعد اتفاق جناحيهما العسكرى والمدنى فى باريس، للعمل الفعلى ضد السلطان عبد الحميد، واستطاعت الجمعية بالفعل إجبار السلطان فى ٢٤ يوليو ١٩٠٨ م على إعلان الدستور الذى كان قد أمر سابقاً عام ١٨٧٧ م يوقف العمل به.

ولقد عبرت صحيفة مشورت الى أسسها أحمد رضا بك فى فرنسا عن

(١) كان أحمد رضا بك أحد مؤسسى الجمعية والذى شغل منصب مدير إدارة المعارف فى منطقة بورصة فى الدولة العثمانية قد هرب إلى فرنسا وأسس جريدة مشورات عام ١٨٩٥ م لمحاربة السلطان عبد الحميد الثانى.

أهداف الجمعية، والتى أصبحت الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقى، لقرائها، وتعتبر هذه الأهداف هى أول عرض كامل لآراء الجمعية، وجاء بعنوان المقال باسم (منهاجنا) وجاء فيه: «إننا نرغب فى العمل لا لخلع الأسرة الحاكمة التى نعتبرها ضرورية لحفظ النظام السليم، ولكن لنشر فكرة التقدم التى نريد لها نصراً سليماً، ولما كان شعارنا هو النظام والترقى، فإننا نخشى من الامتيازات التى تحصل بالعنف».

وكان الجانب السرى الذى تتكون منه خلايا ومجموعات الاتحاد والترقى داخل الدولة العثمانية والجانب العلنى والذى تتكون منه خلايا مجموعات الاتحاد والترقى خارج الدولة العثمانية خصوصاً فى أوربا ويعملان معاً لأهداف مشتركة على رأسها هدم الدولة العثمانية والخلافة، وهذا ما أكده الفكر السياسى لجمعية الاتحاد والترقى من المفاهيم الطورانية على المستويين الداخلى والخارجى، والطورانية تسمية تشير إلى وطن الأتراك الأصلى وكان داخل حركة الاتحاد والترقى اتجاهاً قويا يؤكد أن الترك هم من أقدم أمم الأرض وأعرقها مجداً وأسبقها إلى الحضارة، وأنهم هم والجنس المغولى واحد فى الأصل، وكان شعارهم عدم التدين وإهمال الجامعة الإسلامية إلا إذا كانت تخدم القومية الطورانية، فتكون وسيلة لا غاية وقد اتضحت هذه المفاهيم حين اعتلت الجماعة على كرسى الحكم فيما بعد.

فقد تولت جمعية الاتحاد والترقى union and progress Committee مقدرات الدولة العثمانية وتدير شؤونها منذ الانقلاب الدستورى عام ١٩٠٨ م حتى هزيمة الدولة فى الحرب العالمية الأولى وتوقيع معاهدة مودروس Modrus عام ١٩١٨ م(١).

(١) تم الانقلاب الدستورى عام ١٩٠٨ ثم القيام بحركة انقلابية عسكرية بواسطة الجماعة أيضاً بعد حادثة ٣ مارس الشهيرة عام ١٩٠٩ عزل السلطان عبد الحميد الثانى وتولية أخيه محمد رشاد الذى لقب بالسلطان محمد الخامس الذى كان سلطاناً وخليفة لا يحكم وكان الحكم فى أيدى أصحاب الانقلاب الدستورى والعسكرى جماعة الاتحاد والترقى والتى ورطت تركيا فى الدخول فى الحرب العالمية الأولى حيث خسرت تركيا الحرب وتم احتلال =

ترجع أصول هذه الجمعية إلى العام ١٨٦٥ م حين ظهرت فئة من المثقفين الشبان أطلقوا على أنفسهم اسم «العثمانيون الجدد» أو «تركيا الفتاة».

وقد رأى هؤلاء أن الإصلاحات التى أدخلها رجال التنظيمات منذ العام ١٨٣٩ م قد أضعفت الأساس الأخلاقى والعقيدى للمجتمع العثمانى من دون أن تقدم بديلاً مناسباً، وذهب بعضهم مثل نامق كمال وضيا باشا إلى أبعد من ذلك، فقالوا إن التنظيمات قضت على الحقوق التى كان الناس ينعمون بها فى ظل الحكم الإسلامى، ولم تعطهم شيئاً من مزايا الحكم الغربى المقتبس، وإن هذا الحكم فتح ممالك السلطنة أمام النفوذ والتدخل الأجنبيين فكان الانهيار الاقتصادى نتيجة حتمية للاستغلال الأجنبى والاستبداد الداخلى.

وكان العلاج، فى نظرهم هو الحكم الدستورى النيابى القائم على أساس إسلامى، وبذلك كانوا من أوائل المفكرين المسلمين الذين حاولوا التوفيق بين النظم السياسية الغربية ومبادئ الشورى الإسلامية.

وعندما صدر دستور العام ١٨٧٦ م الجديد تحقق فيه جل ما كانوا ينادون به من الحقوق والحريات.

ثم كان حل المجلس النيابى وتعليق الدستور وتركيز السلطان عبد الحميد السلطة بيده أدت كلها إلى تحول «العثمانية الفتاة» إلى حركة سرية.

وفى العام ١٨٨٩ م بعث نشاط «العثمانية الفتاة» مجدداً حين ألفت جماعة من طلبة «الطبية العسكرية» جمعية سرية ثورية تهدف إلى محاربة الحكم الفردى وإعادة الحياة الدستورية.

وتذرع أحمد رضا مدير معارف بروصة آنذاك بزيارة معرض قومى فى باريس فبقى معتمدا من أحرار العثمانيين هناك.

= أراضيها وتقسيم دولتها بواسطة الدول المنتصرة إنجلترا وفرنسا مما أدى إلى ظهور مصطفى كمال أتاتورك كبطل قومى حرر البلاد من الاستعمار والحقيقة أنها مسرحية هزلية أخرجها الاتحاد والترقى لغرض العلمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية وتوطين اليهود الصهاينة فى فلسطين وهو ما حدث بالفعل.

ثم جرى اتصال بين الجمعية السرية فى إستانبول وجماعة أحمد رضا، وتقرر أن تندمج الجماعتان باسم «جمعية الاتحاد والترقى العثمانية»، وطالب منهاجها بالإصلاحات فى جميع ولايات السلطنة لمصلحة العثمانيين كافة من جميع القوميات والأديان والمذاهب.

وقد اكتسبت جمعية الاتحاد والترقى دعماً جديداً بانضمام صهر السلطان عبد الحميد الداماد محمود باشا وولديه صباح الدين ولطف الله بعد فرارهم إلى باريس فى أواخر ١٨٨٩ م، فى وقت كان السلطان يعتقد أنه نجح فى القضاء على خصومه الدستوريين.

وكان سبب اطمئنان السلطان تقارير الأجهزة السرية التى يعتمد عليها أى حاكم يظل فى كرسى الحكم سنوات طوال وفى الغالب يتم شراء هذه الأجهزة السرية.

ولهذا شهد العام ١٩٠٦ م تطوراً مهما فى حركة المطالبة بالدستور حين تسربت تنظيماتها إلى صفوف الضباط داخل السلطنة، وكان لهم اتصالات بكل جزء من أجزاء السلطنة العثمانية، ولعل أولى خلايا هذه الحركة كانت «جمعية الحرية العثمانية» التى أسسها فى دمشق عدد من ضباط الجيش الخامس المرابط فى ولاية سورية، وكان لها فروع فى يافا والقدس وبيروت والعريش.

كذلك تولى عدد من الضباط الصغار تأسيس فروع للجمعية فى الرومللى، وبينهم أنور ومحمد صادق وأيوب صبرى وجمال.

ولم يلبث أن انتقل نشاط الجمعية إلى سالونيك فى مقدونيا التى كانت مسرحاً للدسائس الدولية والمؤامرات على الدولة العثمانية.

فى سالونيك عقدت جمعية الحرية العثمانية صلات مع أعضاء جمعية تركية الفتاة المنفيين فى أوربا أسفرت عن اندماج الجمعيتين فى أيلول ١٩٠٧ م تحت اسم جمعية باريس أى جمعية الاتحاد والترقى، وهدفها الرئيسى المعلن هو إعادة الدستور.

وفى سالونيك اتخذت الجمعية شكلها العسكرى الجديد، ونمت فاعلياتها، ولا سيما بعد الاتصال بالمحافل الماسونية هناك، كما تلقت معونة اليهود الشرقيين (السفارديين) الذين عرفوا باسم «الدونمة».

وحين خشيت الجمعية كشف تنظيماتها فى سالونيك، سارعت إلى العمل قبل أن يتحرك السلطان لضربها وتصفيتها، وقامت بانقلاب دستورى ١٩٠٨ م واضطر السلطان معه إلى إعادة العمل بالدستور فانتهى بذلك عهده وبدأ عهد الاتحاديين.

وبقيت جمعية الاتحاد والترقى تنظيماً سريا مقره فى سالونيك تحكم من وراء ستار وتمارس نفوذها السياسى عن طريق مندوبين من أعضائها البارزين مثل طلعت ورحمى وجاويد والدكتور ناظم وبهاء الدين شاكر وأحمد رضا، ثم أوفدت إلى استانبول لجنة تمثلها من سبعة أعضاء وتم اتخاذ الخطوات اللازمة لإقامة حكومة جديدة وإجراء الانتخابات.

ونشرت الجمعية بياناً يتضمن مناهجها فى تحقيق الإصلاحات السياسية وضمان حرية الجماهير، وتعزيز سيادة الدولة ووحدتها، وتطوير الزراعة والصناعة، وتحقيق العدالة فى دفع الضرائب.

وسرعان ما اعتقدت المجموعات القومية التى تتألف منها عناصر السلطنة أن تعاونها مع الاتحاد سيحقق لها مطالبها ولا سيما فى الأخذ بمبدأ اللا مركزية الإدارية فى الولايات.

وحين اتضح أن جمعية الاتحاد والترقى ظلت تتمسك بالسياسة المركزية السابقة عادت مجدداً الخلافات والعداوات القديمة.

وفى البداية أخذ الاتحاديون بالسياسة العثمانية أملاً فى ضمان ولاء العناصر الدينية والقومية التى كانت تضمها السلطنة ولكن انتشار الروح القومية عموماً زعزع إمكانات قيام اتحاد حر ومتكافئ بين هذه العناصر فى إطار من الولاء.

واختلف قادة الاتحاد والترقى إلى ثلاثة أقسام مختلفة فطلعت باشا كان

ينزع إلى السياسة العثمانية، وأنور باشا كا يتبنى السياسة الإسلامية، وجمال باشا كان يتجه نحو السياسة التركية الطورانية.

وقد شهدت الانتخابات لعام ١٩٠٨ م صراعاً حادا بين أنصار هذه السياسات الثلاث، إضافة إلى الصراع بين القائلين بالمركزية والقائلين باللا مركزية.

لكن أنصار الطورانية التركية هم الذين غلبوا على أمرهم رغم استنكار أنصار الوضع القديم مظاهر العلمانية والسير على خطا الغرب التى اتصف بها العهد الجديد، فطالبوا بالعودة إلى أحكام الشريعة الإسلامية.

وفى ١٣ إبريل ١٩٠٩ م تحول السخط إلى تمرد قام به عدد من الضباط والجند، وهاجموا مجلس «المبعوثان» والباب العالى، وطالبوا بسقوط الحكومة الاتحادية وحل المجلس ونادوا بإلغاء الدستور وإعلان حكم الشريعة الإسلامية وانتشرت حركات مماثلة فى الأناضول.

واتهم السلطان عبد الحميد بتدبير الثورة المضادة، فزحف جيش سالونيك إلى استانبول بقيادة محمود شوكت وهو من أصل عربى، وخلع السلطان ونصب أخاه محمد رشاد باسم محمد الخامس، ومنذ ذلك الوقت حتى انهيار السلطنة أصبح الاتحاديون أصحاب النفوذ الأول فيها وقادوا بلادهم إلى حرب عالمية خرجت منها بلادهم خاسرة كل شيء.

كانت اللجنة المركزية فى جمعية الاتحاد والترقى تمارس قيادة جماعية فى الإشراف على الإدارة وإصدار المراسيم والقرارات التى كانت تربط فروع الجمعية على مختلف المستويات ومن الوجهة العلمية، فقد بقيت الجمعية تمارس السلطة عن طريق اثنين أو ثلاثة من أقطابها لتعريف السلطان الأعظم والسفارات الأجنبية بسياسات الجمعية.

وأصبح أقطاب الجمعية هم الحكام الفعليين ودولة داخل الدولة العثمانية مع المحافظة على طابعها السرى أيضاً.

ولكن، بعد أن استسلم مجلس المبعوثان للثورة المضادة، قررت الجمعية أن

تشارك فى الحكومة فعليا، فعينت اثنين من أعضائها هما طلعت وجاويد وزيرين للمالية والداخلية، مع ذلك ظل الانشقاق الداخلى والصراع بين كبار الضباط يهدد بنسف مركز الجمعية.

كما ظل الأعضاء المدنيون يدركون الأخطار الناجمة عن كون العسكريين يؤلفون الغالبية العددية فيها، ولذا كانوا يسعون باستمرار إلى التغلب على هذا التهديد.

وحين ظهر حزب الحرية والائتلاف فى عام ١٩١١ م، ردا على احتكار الاتحاديين للسلطة وتمسكهم بالمركزية، ونادى بوجوب السير على مبدأ اللا مركزية الإدارية، انضم إليه المنشقون عن جمعية الاتحاد والترقى والمعارضون لمناهجها وأعمالها، ولا سيما العناصر غير التركية فى الإدارة الحكومية ومجلس المبعوثان.

ولأن كثيراً من أعضاء الحزب كانوا نواباً فى مجلس المبعوثان، فقد استصدر الاتحاديون إرادة سلطانية بحل المجلس فى كانون الثانى ١٩١٢ م، وأجروا انتخابات جديدة داخلها التزوير وحققوا بها غالبية ساحقة فى المجلس.

وهكذا وصل من ادعى بالليبرالية والديمقراطية للحكم عن طريق التزوير مثل أى نظام ديكتاتورى استبدادى.

ولكن الاتحاديين واجهوا مشكلات معقدة، فقد ردت المعارضة على تزييف الانتخابات، ونجح نفر من الضباط، معظمهم من أصل ألبانى، فى إسقاط الحكومة التى يدعمها الاتحاديون (تموز ١٩١٢ م)، وتألفت حكومة ائتلافية جديدة حظرت على الضباط الانضمام إلى أى جمعية سياسية أو التدخل فى شؤون الدولة، وأعلنت عن عزمها على تطبيق مبدأ اللا مركزية.

وشغلت الحكومة بمقاومة الغزو الإيطالى لليبيا، كما واجهت الحلف البلقانى الذى اقتربت قواته من العاصمة فى مطلع عام ١٩١٣ م، فعاد الاتحاديون إلى الحكم بانقلاب عسكرى فى أواخر كانون الثانى ١٩١٣ م، واستقالت الوزارة الائتلافية وتألفت وزارة اتحادية.

واستطاع الاتحاديون من قمع أحزاب المعارضة، ونفوا زعماءها وأعدموا الكثير من أعضائها، واشتد الاتجاه الطورانى التركى بعد ثورة ألبانيا ١٩١٣ وحرب البلقان على حساب الاتجاه العثمانى وبرز التيار الداعى إلى فرض السيادة التركية على العناصر غير التركية، وأهمهم العرب وهكذا أصبح الاتحاديون قد أوجدوا عصر الانقلابات العسكرية التى ما زالت تعانى منه تركيا حتى الآن.

وأصبح اتخاذ القرارات السياسية الهامة فى أيدى جمعية عامة مؤلفة من عشرين عضواً وتتولى الجمعية العامة كذلك تنسيق أعمال اللجنة المركزية المؤلفة من اثنى عشر عضواً برئاسة الأمين العام. أما الأمانة العامة فكانت تشرف على النواب الاتحاديين فى مجلس (المبعوثان)، وهى مؤلفة من ستة أعضاء برئاسة نائب الرئيس، لكن اللجنة المركزية بقيت أقوى الأجهزة فى الجمعية.

وبعد أن دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوسط، اتخذت كل الوسائل الممكنة لاجتذاب عطف العالم الإسلامى وأعلنت الجهاد، ولكن هذه الجهود لم تثمر الثمرات المرجوة كما هو معلوم، وألف الاتحاديون وزارة اتحادية صرفة، وغدت الدولة ذات حزب حاكم واحد.

وفى سنوات الحرب فقدت اللجنة المركزية الكثير من نفوذها، وأصبح تنظيم جمعية الاتحاد والترقى أكثر لا مركزية، وصارت السياسة تناقش فى مستويات أربعة: الوزارة، واللجنة المركزية، والجمعية العامة، والفرق النيابية التى كانت بديلاً عن الرأى النيابى لأن مجلس المبعوثان لم يجتمع إلا لوقت قصير، ولم تلبث الجمعية العامة أن حلت محل اللجنة المركزية لأن تصريف الشؤون اليومية كان يتطلب ذلك.

وأصبحت العاصمة استانبول تحت حكم فئة من الاتحاديين يتزعمهم أنور باشا وطلعت باشا وكانت الولايات تحت حكم ديكتاتورى مثل رحمى باشا فى إيدين والسفاح جمال باشا فى سورية، يتمتعون بما يشبه الاستقلال الذاتى.

كانت الحرب العالمية الأولى نكبة على السلطنة العثمانية وعلى جمعية الاتحاد والترقى.

وفى أواسط العام ١٩١٨ م تطلع الاتحاديون إلى إنشاء حزب سياسى لا يحمل طابعهم للتفاوض مع دول الحلفاء على معاهدة سلام، ولكن الأحوال تطورت بسرعة، فأرجئ مؤتمر الجمعية عام ١٩١٨ م الذى كان قد تقرر عقده فى أكتوبر بسبب هدنة بلغاريا، وافتتح المؤتمر فى نوفمبر بعد توقيع هدنة مودروس وترأس طلعت باشا الاجتماع.

وفى جلسة أخرى انسحب هو وأعضاء اللجنة المركزية من المؤتمر وهربوا إلى أوربا بعد ذلك، وترك لأحد أعضاء الجمعية مهمة حلها، وإعادة تشكيلها باسم جديد هو حزب التجدد.



موقف السلطان عبد الحميد الثانى من جماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقى

لم يكن التنظيم السرى الذى تكون فى عصر السلطان عبد الحميد الثانى خافياً عليه فقد كان له جهاز مخابراتى كبير، وقد اعترف فى مذكراته وخواطره السياسية بعد عزله وخلعه بعلمه بوجود هؤلاء المعارضين لحكمه إلا أنه استهان بهم بالإضافة أنه لم يحسب حساب من يقف وراءهم وخاصة أن فعالية الحركة كانت فى الدول الأوربية الكبرى حيث فرَّ إليها هؤلاء المتمردون على الحكم السلطانى والدولة العثمانية.

أضف إلى ذلك أن السلطان عبد الحميد قد جعل التمرد عليه ضد الوطن، وتلك عادة الزعماء والملوك والرؤساء حيث تم وضع مادة اتهام فى كل قوانين الدول سميت الخيانة العظمى أى الخروج على الحاكم فى الحقيقة.

وما فعله السلطان عبد الحميد الثانى حين تمرد عليه جماعة الاتحاد والترقى عليه وقاموا بثورة عسكرية لخلعه فى ٩ إبريل ١٩٠٩ وأراد الجنود التابعون له التصدى لهم رفض ذلك حقناً للدماء قال: «أليسوا جميعاً أتراكاً، إنهم يريدون عبد الحميد ولا يريدون سواى إن الأمة يا بنى فى حاجة إلى دمائكم ودمائهم فيما سيحيق بها غداً من نكبات»، ثم أمر قائد الحرس بالانصراف.

وجاء فى مذكراته عن جماعة تركيا الفتاة قوله: هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم اسم تركيا الفتاة كانوا فى الأصل ثلاثة أشخاص أو خمسة وهؤلاء عملوا ضدى لمدة سنوات فى أوربا وتكلموا. خططوا، كتبوا. كل ذلك قبل أن يفكروا أن العمل ضدى معناه أيضاً: العمل ضد الوطن.

كانت صحفهم التى يصدرونها تأتى خفية إلى البلاد عن طريق البريد الأجنبى، وتوزع بواسطة الأجانب. مضت أعوام ولم تحدث آثار جدية هامة لهذا، لأنها لم تكن أعمالاً تنبع من أفكار جدية هامة.

ورغم هذا، فإنى كنت على صلة بهم، وحتى لا يتورطوا فى شىء نتيجة لإفلاسهم - وهم فى بلاد أجنبية فقد بذلت لهم مساعدات مادية كبيرة بحجة شراء صحفهم، وأغمضت عينى عن إرسال بعض الأشخاص للنقود إلى البلاد، لكى لا يكونوا أداة للأجانب، وكنت أقول: إن معارضتهم - رغم خطئها - فإنها يجب أن تظل شريفة.

هناك أيضاً بعض الأسباب التى دفعتنى لذلك: «أحمد رضا بك» - وكان مديراً للمعارف فى بورصة - سافر إلى أوروبا بحجة الدعاية للمنتجات الحريرية البورصوية فى معرض باريس الذى افتتح بمناسبة مرور مائة عام على الثورة. ذهب ولم يعد، ومن هناك أرسل لى - لائحة إصلاحية - قرأتها ولم يكن فيها شىء، فهو لا يعرف البلاد، ولا يعرف ما يمكن أن تفعله هذه المقترحات، أهملتها.

بدأ بعد ذلك يصدر مجلة «مشورت» وطلبت من سفيرنا فى باريس أن يتحرى عن وسيلة تعيشه. أجابنى بأنه يلقى دروساً فى اللغة التركية ويتعيش عن طريقها. وأنه يصدر صحيفة ويتحمل نفقاتها.

إنه ساذج، ولا يصدقه أحد، حتى لو كانت جارية بسيطة لم تشتر فى حياتها رغيف خبز واحد من مخبز. وبدأت أرسل له نقوداً بطرق مختلفة، فليس هناك حل آخر[1].

ويضيف أيضاً:

وهنا أتحدث قليلاً عن «مراد بك» المشهور بـ «الميزانجى» وهذا أتى من قفقاسيا وهو فى ربع الشباب. مر باستانبول. وكان أول باب - وهو فى طريقه إلى القرم للدراسة - طرقه فى استانبول: باب قصر مدحت باشا.

سريعاً ما قابله مدحت باشا واستمع إليه ثم أرسله بمذكرة إلى رشدى باشا، اشتغل مراد بك فترة فى ديوان رشدى باشا، وبعد موت الباشا أصبح مدرساً للتاريخ فى المدرسة الإعدادية، كان المعروف عنه تأييده للسياسة الإنجليزية،

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى - وانظر كيف كان يعامل السلطان هؤلاء المتمردين عليه وكيف أن إحسانه لهم أضاع هيبة السلطان حتى إنهم فى نهاية الأمر قاموا بخلعه ونفيه تحت حراستهم ثم أضاعوا البلاد فى الحرب العالمية الأولى.

وعندما أبعدت سعيد باشا عن الصدارة العظمى، وهو المعروف بتأييده للسياسة الإنجليزية، بدأ مراد بك فى إصدار جريدته الميزان، وهرب ذات يوم إلى روسيا، ومن هناك توجه إلى أوروبا، وفى لندن قابل «اللورد سالسبورى».

ثم استطاع الحصول على تصريح بإصدار جريدته «الميزان» من مصر، ثم ذهب إلى أوروبا مرة أخرى، وأخيراً، وبوساطة أحمد بلال باشا، عاد إلى استانبول مرة أخرى(١).

لا أود الحديث عن كيفية معيشته أثناء هذه الفترة، ولا عن كيفية استطاعته القيام بهذه الرحلات الطويلة، ولا جهة تمويل جريدته.

رأيت خطاباً تسلمه أحمدجلال الدين باشا من على كمال بك فى مصر - وغالباً ما يكون هذا الخطاب بين محفوظات قصر يلدز - فيه أسماء ومصادر التمويل، اسماً اسماً.

وفى هذا الخطاب أيضاً يذكر أن الدكتور عبد الله جودت. والدكتور إسحاق شكوتى، والدكتور بها، الدين شاكر، والدكتور ناظم، والدكتور إبراهيم تيمو، ينتسبون إلى المحافل الفرنسية والإيطالية، حتى إن هذه المحافل أيضاً تسلم عائلاتهم الموجودة داخل البلاد النقود يداً بيد.

هذا ما كتبه وأرسل معه الوثائق المؤكدة لهذه المعلومات.

وكما قلت من قبل: إن الصحف التى صدرت فى أوروبا ومصر بمختلف أسمائها، ورجال الجمعية الذين يتنزهون فى هذه البلاد، لم يخرجوا للبلاد كاتباً جاداً واحداً.

ولكن محافل الماسونية - رغم كل تعقبنا لهم - جعلت من هؤلاء المتسكعين أعلاماً، عندما حركوا الضباط من أعضاء الاتحاد والترقى، وها هى ذى قصة تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقى(٢).

(١)، (٢) المصدر السابق، لقد كتب السلطان تلك المذكرات بعد خلعه من الحكم وفى القصر الذى سجن فيه فى سالونيك اليهودية جزاءً على رفضه بيع فلسطين لهرتزل مندوب الصهيونية الذى أراد شراء أرض فلسطين لليهود مقابل سداد ديون الدولة العثمانية وقتها.

لقد أوضح السلطان أنه كان يعرف كل شيء من المؤامرة ضده ولهذا قال صراحة: «وكما استغل الإنجليز غفلة أعضاء تركيا الفتاة عن طريق المحافل الماسونية بدأ الألمان يفعلون هذا مع الفريق الآخر منهم، وعن طريق المحافل الماسونية أيضاً.

وبهذا الشكل سيطر الألمان على تشكيل تركيا الفتاة فى سالونيك، وسيطر الإنجليز على تشكيل تركيا الفتاة فى مناستر».

ويضيف «كان الإنجليز يثيرون على اتحادى مناستر، ويثير الألمان على اتحادى سالونيك، كانوا يعملون على قيام انقلاب للاستيلاء على الدولة من الداخل».

ثم يعترف بعدم قدرته على التصدى لهم فيقول: سيقولون لى: تعلم كل هذا، ولم تمنعه، لماذا أغمضت عينيك عن خراب الدولة وانهيارها؟.. حاشا!

ليست المسألة مسألة إغماض عين، لقد كنت يقظاً فى كل لحظة، لكنى لم أكن أستطيع منع هذا، كنت بمفردى وكان معهم كل عالم العدو.

لم تكن طبيعتى وظروفى تساعد إلا على هذا.

يديننى أصدقائى بأننى متساهل، أما أعدائى، فيقولون إنى ظالم غدار.

الإطاحة فوراً بعدة رؤوس كلام من السهل قوله، من الصعب تنفيذه، وكل رأس إنسان تفتح أمام الإنسان هوة، ولو استطعت أن تملأ هذه الهوة فسيخافون منك، ولا تستطيع عندها أن تهدد، وكل ما تهدد به سينفذ. وفى حالة عدم تغطية هذه الهوة، فليس هناك شيء قط يمكن عمله، وأنا إنسان رحيم منذ ميلادى ولكنى أعلم أن الدولة لا يمكن أن تدار بالرحمة»(1).

ويبرر ما فعله معهم من التسامح ومعادلة ردهم إلى الصواب ردًا جميلاً فيقول:

«وكما يحمى البستانى أزهاره من الحشرات الضارة، حميت أنا أيضاً بلادى من الأفكار التافهة، ولم أسمح لها بقرض دولتى، عاملت هؤلاء الشبان وهم

(1) المصدر السابق.

أصحاب أفكار خاطئة بشفقة ولم أعاملهم بظلم.

ولقد حاولت مع الكثيرين كل واحد منهم على حدة أن أرشدهم إلى الطريق القويم وعملت على تحويل نيران حماسة شبابهم إلى خير البلاد. نجحت مع بعضهم وأخفقت مع البعض الآخر. خلال ما بذلته من جهد، لم أستخدم حماسى هذا فى سبيل شراء ضمائرهم لكنى استخدمته لتنوير ضمائرهم»[١].



(١) المصدر السابق - وكانت تلك طريقة السلطان عبد الحميد فى التعامل مع كل معارضيه فى الدولة العثمانية، ولو أن حاكماً غيره لأطاح برؤوس هؤلاء الخارجين عليه، ولكن القلة من تفعل فعل السلطان عبد الحميد رحمه الله.

الماسونية ودورها فى إنهاء الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية

الماسونية العالمية الحديثة معروفة لدى الباحثين والمتخصصين ولا يعرف عنها العامة سوى كونها جمعية خيرية إنسانية يظهر أعضاؤها بمظهر جذاب فى المجتمعات الراقية وهم فى الغالب من طبقة الحكام والمفكرين فى الدول التى توجد بها المنظمات الماسونية مثل اللوتارى والليونز وغيرهما الكثير.

وقد تكلمنا فى أكثر من كتاب عن الماسونية وأهدافها ومخططاتها السرية والمعلنة ومؤامراتها التى دبرتها وتقف من ورائها، وسوف نتحدث هنا باختصار وإيجاز عنها وعن دورها فى الدولة العثمانية والدولة التركية الحديثة.

الهيكل التنظيمى للماسونية الحديثة تنقسم إلى ثلاث مراتب رئيسة، مرتبة وفق الترتيب العمودى: الماسونية العامة أو الرمزية، والماسونية الملوكية أو العقد الملوكى، وأخيراً الماسونية الكونية.

١ـ المرتبة العامة:

وسميت هذه المرتبة «العامة» لأن أعضاءها غالباً ما يكونون من عامة الناس، ومن مختلف الانتماءات الفكرية والعرقية والوطنية، وأكثر هؤلاء يجهل حقيقة الماسونية وأهدافها، وتجتذبه العناوين والأدبيات الإنسانية الزائفة التى تغلف النشاط والخطاب العلنى للحركة الماسونية.

وسميت بالرمزية لكونها محاطة بشرنقة من الرموز والإشارات الإيحائية المكثفة، التى أريد لها لعب دور المثير المحفز للعضو المنتسب حديثاً، وجعله أسير شعور بالرهبة والرغبة، كذلك الذى ينتاب عادة أصحاب المجازفات الذين لا يخفون لذتهم فى المغامرة طلباً للشهرة والتميز.

وهذه المرتبة مقسمة إلى ٣٣ درجة، والمطلوب من العضو الارتقاء فى سلم هذه الدرجات، وقد يكتسب رضا رؤسائه بالوصول إلى الدرجة النهائية، لكن يبقى دون ذلك عقبات وصعوبات جمة، تتمثل فى جزء منها فى تفلت المرء من روابطه الدينية والوطنية والبيئية.

ويذكر الأب لويس شيخو فى كتاب «السر المصون فى شيعة الفرمسون» أن أحد كبار الماسون فى محفل منفيس قال له:

إننا إذا سمحنا ليهودى أو لمسلم أو لكاثوليكى أو بروتستانتى بالدخول فى أحد محافل الماسونية، فإنما ذلك يتم على شرط أن الداخل يتجرد من أضاليله السابقة ويجحد خرافاته وأوهامه التى خدع بها فى شبابه، فيصير رجلاً جديداً.

وأعضاء هذه المرتبة هم، بنظر أعضاء المرتبتين التاليتين، العميان الذين قصرت أبصارهم عن رؤية ماهية الماسونية واستغرقتهم نشوة الإحساس بالتقدير الأجوف.

وفى إشارة إلى هذه النقطة، جاء فى البروتوكول الخامس عشر من «بروتوكولات حكماء صهيون» ما نصه: «.. والحافز لأفراد الغوييم (غير اليهود) فى انتمائهم إلى المحافل عادة، حب الاستطلاع ودافع الفضول، وفصيل ثالث منهم؛ أمنيته أن يقف ويتكلم فى الجمهور ليستمعوا إليه، وهذا ليس إلا ترهات، فهؤلاء جميعاً متعطشون إلى أن تستمعوا بلذة القول، إن هم نجحوا واستحسن الناس ما قالوا، ونحن فى هذا على غاية الجود والكرم، والسبب الذى من أجله أننا نمن عليهم بهذا النجاح والاستحسان، هو أن نسخرهم ونستغلهم من ناحية غرورهم المطبق، وهذا كله مما يحملهم على أن يعظموا من دون شعور آراءنا وأفكارنا.

٢ ـ مرتبة العقد الملوكى:

أعضاؤها من اليهود الصهاينة فقط، إلا أنه واستجابة لتطور أوضاع الحركة لجهة اتساع دائرتها وارتفاع عدد المنتسبين إليها من غير اليهود، أرتأى قبول أولئك الذين خلصوا فى ولائهم للقضية اليهودية من اليهود وغير اليهود.

جاء في كتاب «هيكل سليمان أو الوطن القومى لليهود» لصاحبه المؤلف يوسف الحاج، الذى كتب عن الماسونية وخفاياها بعد أن عاينها عن قرب بوصوله إلى المرتبة ٣٣ وتحوله إلى مرتبة العقد الملوكى قبل تخليه لاحقاً عن ماسونيته، حيث يقول:

يشهد الله أننا ما قصرنا فى شىء من العطف على أبناء إسرائيل طيلة السنين التى خالطناهم فيها فى محافل الحرية والمساواة.. وكم مرة مشينا وإياهم فى نشر المبادئ الإنسانية العامة، غافلين عما كانوا يعملونه فى الخفاء بمعزل عنا، بلم شعثهم وجمع شتاتهم من آفاق الأرض للحصول على السيادة العالمية باسم الدين والقومية، الذين كانوا يظهرون لنا تذمرهم من التمسك بهما وإضرارهما بالاجتماع، وكم من مرة محونا من مؤلفاتنا التاريخية اسم كل يهودى له صلة بإحدى وقائع التاريخ التى يشتم منه رائحة التعصب والتعدى، زعماً منا أنه تحامل عليه.

٣ ـ مرتبة الماسونية الكونية:

وتضم القلة القليلة من أبرز الشخصيات اليهودية التى تتفرع عن سلالات يهودية، عريقة فى الإجرام والخبث، ويحيط بهذه الشخصيات غموض كثيف، ولا يتسنى لأحد معرفة هوياتهم غير من كان له الأقدمية فى المرتبة الثانية، ويكاد يجمع الباحثون على أن المعقل الرئيسى لهؤلاء يقع فى مدينة نيويورك ذات الكثافة اليهودية عالميا.

فالحركة الماسونية حركة سرية باطنية، الطقوس والإشارات السرية الرمزية تشكل عنصراً أساسيا من عناصر بنائها الهيكلى، وجزءاً هاما من ديناميتها الداخلية المغلقة، وتبدأ بالرموز المتعلقة بفكرة البناء، والتى تمثل الشعار الرسمى للماسونية، وهى مكونة من: البيكار، الشاقول، المطرقة، الزاوية القائمة. وترمز إلى الأدوات التى استخدمت فى بناء هيكل سليمان.

ويلى ذلك، مجموعة من المفردات والأشكال والحركات المرمزة التى تجرى عادة داخل المحفل، خاصة فى أجواء انضمام عضو جديد، وللمثال نقف عند بعض

حيثيات الطقس الرمزى لهذه العملية، حيث تعصب عينا الداخل أول الأمر كى لا يرى شيئاً من موجودات المحفل حتى يتم حلف اليمين، يأخذه الكفيل الذى يقوده إلى جهة الرئيس بعد أن يهمس فى أذنه قائلاً له أن يخطو ثلاث خطوات متساوية مبتدئاً بالرجل اليمنى، ثم يوقفه بين عمودين.

ويرمز بهذا التقديم إلى أن المنتسب قبل دخوله كان فى ظلمة واليوم بعد القسم ينتقل إلى النور الأزلى، ثم إن الرئيس يدعوه ويلقى عليه الأسئلة التى يراها مناسبة، ويحلفه اليمين وفى يده سيف على عنق الحالف، وأمام عينيه التوراة بيد كفيلة، وعند انتهائه من اليمين تحل العصابة عن عينيه فيرى السيف مسلولاً على عنقه والتوراة الممثلة للنور الأزلى أمام عينيه، ثم يلبسه الرئيس مئزراً صغيراً كإشارة إلى تحقق انضمامه إلى الجمعية، وعن مضمون القسم، فهو كالآتى:

«أقسم بمهندس الكون الأعظم (المقصود به ظاهراً الإله وباطناً حيرام أبيود) ألا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحركات، ولا أكتب شيئاً عنها ولا أنشره بالطبع أو الحفر أو التصوير، وأرضى إن حنثت بقسمى بأن تحرق شفتاى بحديد محمى، وأن تقطع يداى ويجز عنقى وتعلق جثتى فى محفل ماسونى كى يراها طالب آخر ليتعظ بها، ثم تحرق جثتى ويذر رمادها فى الهواء لئلا يبقى أثر من جنايتى، أقسم بمهندس الكون الأعظم أن لا أفشى أسرار الماسونية، ولا علاماتها ولا أقوالها ولا تعاليمها ولا عاداتها، وأن أصونها مكتومة فى صدرى إلى الأبد»[1].

بالإضافة إلى ما تقدم فإن الماسونيين يحرصون دائماً على إضفاء طابع السرية الرمزية التامة حتى على أبسط تفاصيل علاقتهم الداخلية ومظهرهم الخارجى، وذلك من مثل العبارات والمصطلحات الخاصة بالتحية وطريقة المصافحة، ووضع قفازات بيضاء فى أيديهم وتزيين صدورهم بشريط عريض، وارتداء ثوب أسود طويل (بالأخص داخل محافلهم)، ووضع الخاتم المهور بشعار

---

(١) اقرأ كتابنا «أقدم تنظيم سرى فى العالم»، وكذلك باقى سلسلة حكومة العالم الخفية، الناشر دار الكتاب العربى.

الماسونية بإصبع كل ماسونى، وفى الآونة الأخيرة بدأ الحديث عن ضغوط تمارس من قبل بعض الحكومات على المحافل الماسونية للكشف عن هويات المنتسبين إليها، وعن أنشطتها الغامضة فى مختلف المجالات، وذلك كما حصل فى فرنسا منذ عهد ليس بالبعيد، عندما سمح لرجال الأمن والصحافة بدخول المحافل الماسونية وبالتعرف على أبرز الشخصيات الماسونية ذات التأثير الكبير فى مجريات الأحداث.

وقد كتبت صحيفة Le monde فى حينها تقريراً مفصلاً عن هذه القضية، وكما يحصل حالياً فى بريطانيا، حيث كتبت صحيفة «تايمز» نقلاً عن تقرير أعدته وكالة رويترز للأنباء بتاريخ ٢٨ ـ ١ ـ ٢٠٠٢ بأن الماسونيين فى بريطانيا سيبدأون بالظهور علانية فى شوارع لندن اعتباراً من أواخر شهر يونيو، وبأن الماسونيين الذين عرف عنهم السرية والغموض حتى بعد أن صدر قانون حظر منع الجمعيات السرية فى بريطانيا واستثنيت المحافل الماسونية منه عام ١٧٩٨ م بأنهم سيقومون بأعمال خيرية فى الشوارع وهم يرتدون قمصاناً مكتوباً عليها «أنا ماسونى»، وحسب ما أوضحت الصحيفة فإن الماسونيين المشهورين بتأثيرهم فى المجتمع البريطانى من خلف الستار، سيكون بإمكانهم قراءة مجلتهم «الماسونية» عليهم.

وأشارت رويتر إلى أنه رغم تشجيع الحركة الماسونية لنحو ٣٠٠ ألف ماسونى فى بريطانيا على التحدث بصراحة عن دورهم فى المجتمع، فإنه لن يسمح لهم بالحديث عن طريقة المصافحة أو كلمة السر المطلوبة لدخولهم المراكز الماسونية، كما ستظل اجتماعاتهم قاصرة عليهم.

أما فى تركيا أو الدولة العثمانية العلية ومنطقة الشرق الأوسط فقد دخلتها الماسونية مع دخول اليهود أراضيها هرباً من اضطهاد المسيحيين لهم فى بلاد الأندلس بعد سقوط الأندلس فى أيديهم.

وكانت تركيا المحطة الأولى فى المنطقة لإعلان هذا النشاط.

فقد تأسس أول محفل ماسونى فى الدولة العثمانية عام ١٨٦١ م تحت اسم «الشورى العثمانية العالية» ولكنه لم يستمر طويلاً، فالظاهر أنه قوبل برد فعل

غاضب مما أدى إلى إغلاقه بعد فترة قصيرة من تأسيسه.

ومن المعروف أن أول سلطان عثمانى ماسونى كان السلطان مراد الخامس الشقيق الأكبر للسلطان عبد الحميد الثانى والذى لم يدم حكمه سوى ثلاثة أشهر تقريباً عندما أقصى عن العرش لإصابته بالجنون.

وقد انتسب إلى الماسونية عندما كان وليا للعهد وارتبط بالمحفل الإسكتلندى، كما كان صديقاً حميماً لولى العهد الإنجليزى الأمير إدوارد «ملك إنجلترا فيما بعد» الذى كان ماسونيا مثله، حتى ظن بعض المؤرخين أن ولى عهد إنجلترا هو الذى أدخله فى الماسونية، ويقال إنه كان ماسونيا قبل تعرفه إلى الأمير «إدوارد».

وكان من النتائج الخطيرة لتواجد المحافل الماسونية الأجنبية داخل حدود الدولة العثمانية احتضان هذه المحافل حركة «الاتحاد والترقى» وهى فى مرحلة المعارضة فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى، وأصبحت المحافل الماسونية محل عقد اجتماعات أعضاء جمعية الاتحاد والترقى بعيداً عن أعين شرطة الدولة وعيونها لكونها تحت رعاية الدول الأجنبية ولا يمكن تفتيشها.

ويعترف أحد المحافل الماسونية التركية الحالية وهو محفل «الماسونيون الأحرار والمقبولون» على شبكة «الإنترنت»: بأنه: «من المعلوم وجود علاقات حميمة بين أعضاء جمعية الاتحاد والترقى وبين أعضاء المحافل الماسونية فى تراقيا الغربية، بدليل أن الذين أجبروا السلطان عبد الحميد الثانى على قبول إعلان الدستور المسمى المشروطية كان معظمهم من الماسونيين».

يقول المؤرخ الأمريكى الدكتور «أرنست أ. رامزور» فى كتابه «تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ م» وهو يشرح سرعة انتشار حركة جمعية الاتحاد والترقى فى مدينة سلانيك:

«لم يمض وقت طويل على المتآمرين فى سلانيك وهى مركز النشاط حتى اكتشفوا فائدة منظمة أخرى وهى الماسونية، ولما كان يصعب على عبد الحميد أن يعمل هنا بنفس الحرية التى كان يتمتع بها فى الأجزاء الأخرى من الإمبراطورية

فإن المحافل الماسونية القديمة فى تلك المدينة استمرت تعمل دون انقطاع ـ بطريقة سرية طبعاً ـ وضمت إلى عضويتها عدداً ممن كانوا يرحبون بخلع عبد الحميد».

ثم يضيف:

«ويؤكد لنا دارس آخر أنه فى حوالى سنة ١٩٠٠ قرر «المشرق الأعظم» الفرنسى (أى المحفل الماسونى الفرنسى) إزاحة السلطان عبد الحميد وبدأ يجتذب لهذا الغرض حركة تركيا الفتاة منذ بداية تكوينها. ثم إن محللاً آخر يلاحظ: يمكن القول بكل تأكيد أن الثورة التركية (أى حركة جمعية الاتحاد والترقى) كلها تقريباً من عمل مؤامرة يهودية ماسونية».

ويقول «سيتون واطسون» فى كتابه «نشأة القومية فى بلاد البلقان: «إن أعضاء تركيا الفتاة ـ الذين كان غرب أوروبا على اتصال دائم معهم ـ كانوا رجالاً منقطعين وبعيدين عن الحياة التركية وطراز تفكيرها لكونهم قضوا ردحاً طويلاً من الزمن فى المنفى، وكانوا متآثرين وبشكل سطحى بالحضارة الغربية وبالنظريات غير المتوازنة للثورة الفرنسية. كان كثير منهم أشخاصاً مشبوهين، ولكنهم كانوا دون أى استثناء رجال مؤامرات لا رجال دولة، ومدفوعين بدافع الكراهية والحقد الشخصى لا بدافع الوطنية.

والثورة التى أنجزوها كانت نتاج عمل مدينة واحدة وهى مدينة سلانيك إذ نمت وترعرعت فيها وتحت حماية المحافل الماسونية «جمعية الاتحاد والترقى» وهى المنظمة السرية التى بدلت نظام حكم السلطان عبد الحميد الثانى.

وكما كان عهد الاتحاديين هو العهد الذهبى بالنسبة لليهود الراغبين فى الهجرة إلى فلسطين كذلك كان العهد الذهبى فى فتح المحافل الماسونية فى طول البلاد وعرضها فى الدولة العثمانية.

يقول فخر البارودى فى مذكراته واصفاً وضع دمشق بعد وصول الاتحاد والترقى إلى الحكم «وقد ساعد الاتحاديين على نشر دعايتهم: اللوج ـ أى المحفل ـ الماسونى الذى كان مغلقاً قبل الدستور» ثم يقول: «وبعد الانقلاب فتح المحفل

أبوابه، وجمع الأعضاء شملهم وأسسوا محفلاً جديداً أسموه محفل «نور دمشق» وربطوه بالمحفل الإسكتلندى».

وفى كتاب نشره الماسونيون فى تركيا تحت عنوان «الماسونية فى تركيا وفى العالم» يتحدث عن دور المحافل الماسونية فى إنجاح حركة الاتحاديين: وقد انتشرت الماسونية بشكل خاص فى سلانيك وحواليها.

ومع أن عبد الحميد حاول أن يحد ويشل الحركة الماسونية هناك، إلا أنه لم يوفق فى مسعاه، وقد قامت هذه المحافل، لا سيما محفل ريزورتا ومحفل «فاريتاس» بدور كبير فى تأسيس وتوسيع دور حركة الاتحاد والترقى وفى إعلان الحرية عام ١٩٠٨ م والانقلاب الدستورى عام ١٩٠٨ ثم عزل السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٩٠٩ م؛ ثم إنهاء حكم السلاطين العثمانيين عام ١٩٢٤ م والخلافة عام ١٩٢٤ م.

والجدير بالذكر أن عضو الاتحاد والترقى من الماسون كان يطلق عليه الأخ الشقيق والغير مرتبط بالماسونية فيطلق عليه الأخ من الأب؟!

إنها الماسونية الصهيونية اليهودية العالمية.



الاتحاد والترقى
وعلاقته بالماسونية

هناك تشابه كبير بين جماعة الاتحاد والترقى ومنظمة «الكاربونارى» الإيطالية وهى منظمة مماثلة للمنظمة الماسونية الحديثة العالمية لأن كلاهما قد اعتمد على اختراق منظمة مهنية كواجهة لممارسة نشاط سياسى دينى مشبوه.

فالكاربونارى هم حارقو الفحم مثل (البناؤون الأحرار) «الماسون» ويرى البعض أن الفحامين أو الكاربونارى قد أنشأها أسقفاً من «ساربروك» يسمى «تيوبولد» فى القرن الحادى عشر من الفحامين والحطابين لتدير الشؤون العامة طبقاً لرغبة الجميع ورأيهم لتصل إلى إقامة الدولة الديمقراطية العادلة.

وقيل إن أصل المنظمة يعود إلى جماعة الجلفيين الذين كانوا يفرون من مطاردة أعدائهم «الجيلان» فى إيطاليا وكانوا يجتمعون فى الغابات فى أكواخ الفحامين والحطابين فأطلق على المنظمة أو الجماعة «الكاربوناريين» فهى جماعة سياسية سرية ونشأتها كانت فى إيطاليا وفرنسا وقد قامت جماعة الكاربوناريين بثورات فى إيطاليا وفرنسا فى القرن التاسع عشر واستخدموا السلاح والثورة المسلحة وحاربهم ملك «نابولى».

والأجهزة التنظيمية للجماعة ورموزها تتشابه مع المنظمات الماسونية، وتشير كل الاحتمالات إلى أن المؤسس الحقيقى لجمعية الاتحاد والترقى، قد تأثر بمنظمة (الكاربونارى) الإيطالية، فيما قام به، حيث قام (إبراهيم تيمو) بزيارة إيطاليا، وزار خلالها محفلاً ماسونيا ومن خلال هذا المحفل تعرف (تيمو) على (الكاربونارى) فى أيار ١٨٨٨ م، وقرر أن يؤسس جمعيته السرية على نمطها.

ويذكر الماسون الذين أصدروا كتاباً فى تركيا باسم (الماسونية فى تركيا والعالم) أن المحفل التركى الأعظم المرتبط بالمحفل الإيطالى الكبير المسمى بمحفل

(مقدونية ريورتا)، ومحفل (لابوريت لوكس) لعبت دوراً هاما فى جمعية الاتحاد والترقى، وقد حاول السلطان عبد الحميد الحد من نشاط هذه المحافل، لكنه لم يوفق فى مسعاه، وقد قامت هذه المحافل بدور كبير بتأسيس وتوسيع جمعية الاتحاد والترقى.

ويعترف أحد قادة جمعية الاتحاد والترقى بخدمات الماسونية لجمعيته فى مقابلة له مع مراسل صحيفة باريسية حيث قال: «حقا إننا وجدنا سنداً من الماسونية، وخاصة الماسونية الإيطالية، فالمحفلان الإيطاليان (مقدونية ريزورتا ولابوريت لوكس) قدما لنا خدمة حقيقية، ووفرا لنا الملاجئ، فكنا نجتمع فيها كماسونيين، لأن كثيراً منا كانوا ماسونيين، غير أننا فى الحقيقة كنا نجتمع لتنظيم أنفسنا كما أننا اخترنا معظم رفقائنا من هذين المحفلين، اللذين ساعدا لجنتنا كغربال، نظراً لما كانا يبديانه من دقة فى الاستفسار عن الأفراد.

فكان العمل السرى الذى يجرى فى (سلانيك) قلما يثير الشكوك فى القسطنطينية، كما أن عملاء الشرطة حاولوا عبثاً دخوله، يضاف إلى ذلك أن هذه المحافل التمست من الشرق الأعظم فى إيطاليا أن تتدخل السفارة الإيطالية عند الحاجة، وقد وعد الشرق الأعظم بدوره بضمان ذلك.

وبذلك قامت المحافل الماسونية بجمع كلمة الاتحاديين، وكان كثير من الماسونيين وأغلبهم من اليهود الأثرياء يمدونهم بالمال.

ويقر أعضاء الاتحاد والترقى بفضل الماسون عليهم فيقولون نحن العثمانيون مدينون للماسونية أكبر دين لأنها هى التى تثبت فى نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقى روح الحرية، وبها اقتدوا فى إنشاء جمعيتهم.

أما الحديث الذى يدور فى هذه المحافل - الماسونية - فقد أورده (أرمسترونج) فى كتابه الذئب الأغبر حيث يقول: «لقد أدخل مصطفى كمال أخاً فى (محفل فيداتا)، فوجد نفسه فى محيط لم يحبه، لأن المحفل كان جزءاً من منظمة فوضوية عالمية، وكان مليئاً برجال لا قومية لهم يتكلمون عن شرور روسية، حيث كان اليهود مضطهدين، وعن مباهج (فينا)، حيث سمح لهم الحصول على

المال، لقد كانوا أناساً مرضى ولصوصاً مفعمين بالأسرار والكلام الغامض وهناك شهادات المؤرخين حيث يقول لبيرس): «إن زعماء جمعية الاتحاد والترقى التحقوا بالمحافل الماسونية للإبقاء على مخططهم سرية».

وأما (اللورد كنروس) فيقول: «إن جمعية الاتحاد والترقى قد استفادت من أساليب وفنون الماسون».

ويقول ستون وطسون: «لقد كان مصطفى ماسونيا كما يؤكد هذا (الدكتور أرنست رامزر).

وقال بينوميشان: «اعتنق مصطفى كمال الماسونية رسميا وانتسب إلى محفل (نيدانا)».

وفى دائرة المعارف الماسونية: «فمن يماثل أتاتورك من رجاله الماسون».

وهناك وثيقة السفير البريطانى (لاوزر) سنة ١٩١٠ م، هذه الوثيقة السرية هى أصلاً رسالة سرية جدا أرسلها السفير البريطانى فى قسطنطينية (السير جبرار ولاوزر) بتاريخ ٢٩/ ٥/ ١٩١٠ م إلى وزير خارجية بريطانيا (السير ش. هارونج) وتحوى معلومات دقيقة حول العلاقة بين جمعية الاتحاد والترقى بالماسونية.

لكى تشدد الجمعية قبضتها على الجيش أدخل عدد كبير من الضباط وخاصة من ذوى الرتب الصغيرة فى محفل ماسونى يسمى (ريسنا) بلد نيازى بيك، ويرأس المحفل أخوه النقيب (عثمان فهمى بك).

دخل فى الماسونية معظم نواب الجمعية فى مجلس المبعوثان والأعيان فى المحفل الذى يسمى (الدستور) وكان من كبار رؤسائه طلعت.

نواب المعارضة وخاصة العرب بدأوا ينشئون لهم محافل خاصة بهم مثل (محفل التآخى العثمانى) (أصدقاء الحرية) أو ينضمون إلى المحافل القائمة.

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية الأعداد ٤٢٩، ٤٢٥، تاريخ ٢٥، ٢، ١٩٧٨.

طائفة البكتاشية تفشت بينهم الماسونية

فى المدة التى بين ١٩٠٩ م ـ ١٩١٠ م أنشئت المحافل الماسونية التالية: (الوفاء الشرقى، نهضة بيزنطية، الأصدقاء الحميمون للاتحاد والترقى، الحقيقة، الوطن، النهضة، وفرع من محفل (نهضة مقدونيا)، (الفجر).

ويبدو أن جميع هذه المحافل الماسونية ـ مثل شبكة المحافل الماسونية فى سلانيك ومقدونيا ـ كان يقودها أو يخطط لها اليهود.

الأمير المصرى سعيد حليم وأخوه الأمير عباس حليم والأمير عزيز حسن ماسونيون يوسف بيك السكاكينى من زعماء الماسون.

والزعيم الوطنى المصرى (محمد فريد) ماسونى كبير عين مثلاً فى مصر لمحفل الشرق العثمانى الأعظم وأقيمت حفلة التنصيب فى محفل ماسونى فى (طنطا).

وحاييم ناحوم حاخام الطائفة اليهودية الأكبر الجديد فى تركيا كان زميل دراسة لعدد من أعضاء جمعية أعضاء الاتحاد والترقى البارزين.

طلعت وجاويد يمثلان قمة الماسونية فى تركيا، وطبعاً جاويد يهودى.

ومنذ أن أصبح طلعت وزيراً للداخلية عمل على نشر شبكة الماسونية وعلى رأسها الأستاذ الأعظم (طلعت بيك).

جمعية الاتحاد والترقى الماسونية تشجع الثوريين اليهود والأرمن على تفجير القلاقل والاضطرابات فى روسيا القيصرية.

أعضاء جمعية الاتحاد والترقى يقلدون الثورة الفرنسية فى أساليبها بتوجيه من اليهود.

اليهود يزينون للأتراك الالتقاء مع الهنغاريين (المجر) بدافع القومية الطورانية، لأن المجريين من أصل طورانى. وجميع هذه المعلومات حصلنا عليها من ماسونيين محليين فى سرية تامة.

انتهت وثيقة السفير البريطانى (لاوزر) التى كتبها سنة ١٩١٠ م.

ويتحدث صاحب كتاب الرجل الصنم عن أتاتورك فيقول: «وعندما أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ م تحت تأثير سلانيك فإن الاتحاديين بالرغم من كونهم لم يستلموا الحكم بعد إلا أنهم سيطروا على معظم الأماكن الحساسة، ولكون الاتحاديين وخاصة أنور لا يرتاحون إلى مصطفى كمال فإنهم نفوه إلى طرابلس الغرب بحجة القضاء على ثورة هناك، ولكن ذهابه ورجوعه لم يستغرق سوى شهرين تقريباً، لأنه أرسل فى نهاية سنة ١٩٠٨ م ورجع فى أوائل سنة ١٩٠٩ م ودخل مركز الجمعية فى سلانيك وقال للمجتمعين هناك: «كما ترون فإنى رجعت»».

وعندما تحرك (جيش الحركة) من سلانيك إلى استانبول بعد حادثة ٣١ مارس التى كانت فى الحقيقة من ترتيب وعمل الاتحاد والترقى ضد السلطان عبد الحميد الثانى، وكان مصطفى كمال أحد الأركان وليس رئيساً للأركان كما يدعون.

ويصف (فالح رفق) نظرة الاتحاديين إلى مصطفى كمال وهو وصف ينطبق على حقيقته فيقول: «كان مصطفى كمال بالنسبة للاتحاديين سكيراً لأنه يشرب وانتهازيا، لأنه كان دائم النقد بين أصدقائه للأوضاع القائمة، وساقطاً من الناحية الأخلاقية لكونه مغرماً باللهو والمجون. ومع أن له قيمة من الناحية العسكرية إلا أنه شره للشهرة لا يشبعه أى شىء».

عندما بدأت تحركات جمعية الاتحاد والترقى ضد السلطان عبد الحميد، فاندلعت الثورة، بدون مقدمات، على يد مجموعة من الشبان الأتراك، فى ربيع عام ١٩٠٨ م، فقام (نيازى) ـ وهو أحد قادة جماعة الاتحاد والترقى ـ بحشد بعض جنوده وزحف بهم عبر مقدونيا الجنوبية، وما كان (أنور) يعلم بتمرد (نيازى) حتى أصدر بياناً يعلن فيه الثورة، وزحف هو الآخر بفيلقه، وفكر مصطفى كمال بالانضمام إلى الثورة رغم كرهه واحتقاره (لنيازى وأنور) إلا أنه تراجع فى اللحظة الأخيرة بعد أن اعتبر القضية مجرد مغامرة.

فأعضاء جمعية الاتحاد والترقى لا يزيدون على الثلاثمائة شخص ما بين عسكريين ومدنيين، عدا «أن القائمين بالثورة لم يبنوا تصرفهم على أى دراسة صحيحة واقعية لإمكانية تجاوب الشعب وسائر قطاعات الجيش معهم، فبقى منصرفاً إلى واجباته العسكرية البحتة، وكان يرد على كل من يسأله رأيه بهذه الثورة إنها «مجرد مغامرة لن تعيش أكثر من يومين».

إلا أن الثورة نجحت رغم كل التقديرات المعاكسة، ولأول مرة أخطأ فى حساباته وتحسباته للأمور الجدية، فالجنود الذين أرسلهم عبد الحميد على جناح السرعة من استانبول إلى مقدونيا لسحق الثورة ما لبثوا أن انضموا إلى القائمين بها، إذ أقنعت الثوار بأن الثورة إنما قامت لمصلحتهم، عندها أصدر عبد الحميد أوامر إلى إحدى الفرق المرابطة فى العاصمة، والتى كانت تعتبر من أفضل فرق الجيش تدريباً وانضماماً بالتوجه إلى مقدونيا والقضاء على الجنود الذين قاموا بحركة التمرد.

إلا أن هذه الفرقة رفضت تنفيذ الأوامر، مما رفع معنويات الثوار وأكسبهم نصراً لم يكونوا ليتوقعوه أو حتى ليحلموا به، فقرروا الزحف على العاصمة.

فأدرك السلطان أن الثورة ليست مجرد عمل طائش قام به بعض المغامرين وشعر أن العرش بدأ يهتز من تحته، فأعلن تشكيل حكومة وعهد إليها بتطبيق الدستور الذى كان (مدحت باشا) قد وضعه عام ١٨٧٦ م، وامتدح الثوار ووصفهم بأنهم أبطال الوطن وحماته البواسل، ثم أعرب عن استعداده لاستقبالهم والترحيب بهم فى قصره فى استانبول وتهنئتهم على العمل البطولى الذى قاموا به.

وكانت هناك عدة أسباب جعلت من جمعية الاتحاد والترقى أن تبقى السلطان عبد الحميد الثانى فى تلك الفترة على العرش منها:

١ ـ لم تكن فى حوزة الاتحاد والترقى القوة الكافية بعزله فى عام ١٩٠٨ م.

٢ ـ اتباع عبد الحميد الثانى سياسة المرونة معهم، وذلك بتنفيذ رغباتهم بإعادة الدستور.

٣ ـ ولاء العثمانيين لشخص السلطان عبد الحميد، وهذه النقطة واضحة، حيث أن لجنة الاتحاد والترقى لم تكن لها الجرأة الكافية على نشر دعايتها ضد السلطان عبد الحميد الثانى بين الجنود، لأن هؤلاء كانوا يبجلون السلطان.

لم تقتصر جماعة الاتحاد والترقى على الانقلاب الدستورى لعام ١٩٠٨ م، بل تعاونت مع الماسونية لتحقيق مكاسب، وعليه كان لابد من التخلص من السلطان عبد الحميد الثانى نهائياً ولذلك دبرت أحداث فى ٣١ إبريل ١٩٠٩ م فى استانبول وترتب على أثرها، اضطراب كبير قتل فيه بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقى؛ عرف الحادث فى التاريخ باسم حادث ٣١ مارس ١٩٠٩ ـ ١٣٢٧ هـ.

واتفقت هذه الرغبة مع رغبة الدول الأوروبية الكبرى خاصة بريطانيا التى رأت فى ذلك الخطوة الأولى لتمزيق الإمبراطورية العثمانية، وشعر اليهود والأرمن أنهم اقتربوا كثيراً من أهدافهم؛ لذلك كانت أحداث ٣١ مارس ـ هو الشهر الأول من شهور السنة الرومية.

وعلى إثر ذلك جاءت قوات موالية للاتحاد والترقى من سلانيك، ونقلت إلى استانبول، وانضمت إليها بعض العصابات البلغارية والصربية، وادعت هذه القوات أنها جاءت لتنقذ السلطان من عصاة إستانبول، وأراد قادة الجيش الأول الموالى للسلطان عبد الحميد منع هذه القوات من دخول إستانبول والقضاء عليها إلا أن السلطان رفض ذلك، وأخذ القسم من قائد الجيش الأول بعدم استخدام السلاح ضدهم؛ فدخلت هذه القوات استانبول بقيادة محمود شوكت باشا وأعلنت الأحكام العرفية، وسطوا على قصر السلطان وحاولوا الحصول على فتوى من مفتى الدولة بخلع السلطان لكنه رفض، فحصلوا على فتوى بتهديد السلاح.

وقد حدث هذا الاضطراب الكبير فى العاصمة بتخطيط أوروبى يهودى، مع رجال الاتحاد والترقى وتحرك على أثره عسكر الاتحاد والترقى من سلانيك ودخل استانبول.

وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثانى من كل سلطاته المدنية والدينية. ثم وجهت إليه جمعية الاتحاد والترقى التهم التالية:

تدبير حادث ٣١ مارس.

إحراق المصاحف.

الإسراف.

الظلم وسفك الدماء.

مع أن جمعية الاتحاد والترقى العثمانية، تبنت الأفكار الغربية المضادة للإسلام وللفكر الإسلامى؛ لكنها استغلت الدين عند مخاطبتها الناس للتأثير فيهم. وكسب أنصار لهم فى معركتهم ضد السلطان عبد الحميد الثانى، وقد نجحوا فى ذلك.

رغم أن التهم التى وجهت للسلطان عبد الحميد الثانى لا تثبت أمام البحث والحجج، فقد أثبتت الأدلة عدم علم السلطان عبد الحميد بحادث ٣١ مارس.

كما أنه من المحال إحراق السلطان عبد الحميد للمصاحف، فهو سلطان معروف بتقواه، ولم يعرف عنه تركه للصلاة وإهماله للتعبد، كما أنه معروف بعدم إسرافه ولأنه لا يعرف الإسراف فقد كان المال يتوفر معه دائماً ولذلك فقد أزاح من على كاهل الدولة أعباء كثيرة من ماله الخاص.

وعن ظلمه وسفكه للدماء فلم يعرف عن السلطان عبد الحميد هذا، وسفك الدماء لم يكن أبداً ضمن سياسته.

واتفق الاتحاديون الماسون مع مفتى الإسلام محمد ضياء الدين إصدار فتوى خلع السلطان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر إبريل عام ١٩٠٩ واجتمع ٢٤٠ عضواً من مجلس الأعيان فى جلسة مشتركة وقرروا بالاتفاق خلع السلطان عبد الحميد الثانى وكتب مسودة الفتوى الشيخ نائب حمدى أفندى المالى لكن أمين الفتوى نورى أفندى الذى دعى للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه إن لم يجر تعديل عليها وأيده فى التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الأخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه.

وبتكليف من جمعية الاتحاد والترقى تم تكوين لجنة لإبلاغ خليفة المسلمين

وسلطان الدولة العثمانية عبد الحميد الثانى بقرار خلعه وكانت هذه اللجنة تتألف من:

١ ـ إيمانويل قراصو: وهو يهودى أسبانى. كان من أوائل المشتركين فى حركة تركيا الفتاة وكان مسئولاً أمام جمعية الاتحاد والترقى عن إثارة الشغب وتحريضه ضد السلطان عبد الحميد الثانى وتأمين التخابر بين سلانيك واستانبول فيما يتعلق بالاتصالات والحركة.

وقراصو هذا محام، عملت جمعية الاتحاد والترقى بنجاح على تعيينه فى المجلس النيابى العثمانى نائباً عن سلانيك مرة وعن استانبول مرتين.

وصفته المصادر البريطانية بأنه من قادة الاتحاد والترقى.

عمل أثناء الحرب مفتشاً للإعاشة، واستطاع أثناء وجوده فى هذا المنصب أن يجمع أموالاً كثيرة لحسابه الخاص، ولعب دوراً هاما فى احتلال إيطاليا لليبيا نظير مبلغ من المال دفعته إليه إيطاليا.

واضطر نتيجة لخيانته للدولة أن يهرب إلى إيطاليا ويحصل على حق المواطنة الإيطالية واستقر فى تريسنا حيث مات عام ١٩٣٤ م. وكان أثناء وجوده فى الدولة العثمانية الأستاذ الأعظم لمحفل مقدونيا ريزولتا الماسونى.

٢ ـ آرام: وهو أرمنى عضو فى مجلس الأعيان العثمانى.

٣ ـ أسعد طوبطانى: وهو ألبانى، نائب فى مجلس المبعوثان عن منطقة دراج.

٤ ـ عارف حكمت: وهو فريق بحرى وعضو مجلس الأعيان.

وتنازل السلطان عن العرش لأخيه محمد رشاد الذى لقب السلطان محمد الخامس فى ٢٧ أبريل عام ١٩٠٩ م وانتقل للمنفى فى سالونيك فى قصر يمتلكه يهودى، وتوفى فى ١٠ فبراير عام ١٩١٨ عن عمر يناهز ستة وسبعين عاماً.

وما أن استقر الأمر والحكم لجمعية الاتحاد والترقى حتى حكموا البلاد بالحديد والنار والاستبداد وقاموا بتتريك الوظائف فى كل الوزارات والدواوين حتى لم يبق فى وزارة الخارجية من العرب سوى موظف واحد، بينما كان السلطان

عبد الحميد يعمل على استمالة العناصر العربية ويسلمهم مناصب رفيعة وحساسة، وأكثر السلطان من تقريب العرب وعظمائهم حتى كانت لهم كفة مرجحة فى الحكم مثل عزت باشا العابد الدمشقى والشيخ أبو الهدى الصيادى، وسليم باشا ملحمة وزير المعادن وشقيقه الوزير نجيب باشا ملحمة والاثنان من لبنان، وغيرهم من العرب.

وبدأت الصحف الاتحادية فى العاصمة العثمانية تنشر مقالات معادية للعرب، ولم تقتصر هذه الحملات على أشخاص العرب الحميديين بل إلى كل عربى بحيث قرنت اسم العرب بلفظه «بيس» التركية، وأضافت إلى ذلك ذكر جنسيتهم العربية بعبارة «بيس عرب»، وكلمة «بيس» التركية معناها «قذر».

وكان باعة الصحف ينادون بأعلى أصواتهم بهذه العبارة فى كل شوارع العاصمة، مما أثار اشمئزاز العرب المقيمين فى العاصمة من وجهاء وأدباء وموظفين وخريجى المعاهد العليا، فقرروا فى اجتماع عقدوه الاحتجاج على هذه العبارة.

كما هاجمت صحيفة «طنين» لصاحبها اليهودى «حسين جاهد» كل القوى المعادية للاتحاديين وركزت هجومها على العرب بالذات، فقد هاجمت خليل باشا حمادة وزير الأوقاف العربى فى أواخر (أكتوبر) عام ١٩٠٩ ، مدعية ببطء الأعمال فى الوزارة.

وقام الدونمة اليهود بنشر عبارة «بيس تركيلر» أى «الأتراك القذرون»، وذلك إيماناً منهم بضرورة مضاعفة الخلافات بين العرب والأتراك، وتكريس الانقسامات بينهم.

كما أن الظلم والقتل ازدادا فى عهد الاتحاديين وتؤكد صحيفة «المباحث» هذه الوقائع بقولها: «إن الاتحاديين كانوا يميلون إلى الانتقام الشديد بدلاً من السلوك بالتؤدة والرفق فأدى ذلك إلى مقابلتهم بمثل شدتهم أو أشد عنفاً.

وقام العرب بالتذمر فاتفقوا مع بعض الأتراك المعتدلين وأسسوا حزب «الائتلاف» لينافسوا الاتحاديين.

وقد بلغ نفوذ الدول الأجنبية والصهيونية بين أوساط الاتحاديين بحيث شلت قدراتهم على التحرك، إذ أن أعضاء تركيا الفتاة لم يستطيعوا لا هم ولا إصلاحاتهم إنقاذ الإمبراطورية العثمانية التى تكالبت واجتمعت عليها القوى الأكثر قدرة فى ذلك الحين.

وقد اعترف بعض الاتحاديين أنفسهم بفشلهم وعدم درايتهم بشؤون السياسة والحكم ومن هؤلاء «محمد كافيت» والذى أصبح فيما بعد وزيراً للمال فى عهد الاتحاديين والذى أوضح للسكرتير الأول بالسفارة البريطانية بأن تركيا الفتاة كانت تضم الشبان الذين تنقصهم الخبرة فى الأعمال الإدارية بالرغم من تحصيلهم العلمى، كما أنهم كانوا يفتقدون إلى الاحترام والتقدير أيضاً.

ففى عهدهم عظم شأن الماسونية وصورت جمعية الاتحاد والترقى كجمعية ماسونية، وكان أعضاؤها إذا ساروا إلى عواصم أوروبا يبحثون عن المحافل الماسونية ويسلمون على رؤسائها. وفى أثناء زيارتهم لبريطانيا فى صيف عام ١٩٠٩ م أقيمت على شرف أعضاء الاتحاد والترقى مأدبة صهيونية أكد الأعضاء فيها ترحيبهم بالهجرة اليهودية إلى الإمبراطورية العثمانية، وإن تظاهر الأعضاء فى بعض الأحيان بالحذر والتردد.

ونظراً لتأييد الاتحاديين لأطماع اليهود فى فلسطين، فقد جرى نقل الموظفين الأتراك المعارضين للهجرة اليهودية من فلسطين إلى أماكن أخرى مثلما حدث مع على أكرم بك الذى أثبت أثناء توليه المسؤولية كل حرص لوقف الهجرة اليهودية، وإذا بالاتحاديين بعد ثورة يولية ١٩٠٨ يصدرون قراراً بنقله من فلسطين إلى بيروت(١).

وبهذه الأساليب استطاعت الصهيونية ـ بالإضافة إلى التأييد الرسمى التى كانت تلقاه ـ نقل الأعداد الكبيرة من اليهود إلى فلسطين وإنشاء مستوطنات وتشير جريدة المنار إلى دور اليهود وأهدافهم من الانقلاب العثمانى فتقول بأنه: «كانت لهم يد فى الانقلاب العثمانى لا لأنهم كانوا مظلومين أو مضطهدين فى المملكة

(١) انظر سورية والعهد العثمانى، يوسف الحكيم.

العثمانية، فإنهم كانوا آمن الناس من الظلم فيها حتى إنهم كانوا يفرون إليها لاجئين من ظلم روسيا وغيرها، وإنما يريدون أن يملكوا بيت المقدس وما حوله ليقيموا فيه ملك إسرائيل.

وكانت الحكومة العثمانية تعارضهم فى امتلاك الأرض هناك فلا يملكون شيئاً منها إلا بالحيلة والرشوة.

ولهم مطامع أخرى مالية فى هذه البلاد فهم الآن يظهرون المساعدة للحكومة العثمانية الجديدة لتساعدهم على ما يبتغون، فإذا لم تتنبه الأمة العثمانية لكيدهم وتوقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة فى مساعدتهم، فإن الخطر من نفوذهم عظيم وقريب، فإنهم قوم اعتادوا الربا الفاحش فلا يبذلون درهماً من المساعدة إلا لينالوا مثقالاً أو قنطاراً من الجزاء[1].

وقد أعلن زعماء الاتحاد والترقى عن المشاريع التى وضعوها لتحسين أحوال اليهود فى الدولة العثمانية، وكان «الدكتور ناظم» فى مقدمة هؤلاء، وهو من المشاركين فى ثورة يولية عام ١٩٠٨، ويعتبر نفسه صديقاً للشعب اليهودى، وقد صرح أن الحكومة العثمانية عازمة على إنفاق مبلغ ٥ ملايين ليرة تركية لتوطين مهاجرين أجانب فى المناطق المقدونية بما فيهم عشرين ألفاً من يهود رومانيا.

وكذلك أكد أحد زعماء الصهيونية بعد نجاح الاتحاديين فى السيطرة على الحكم من أن أبواب فلسطين مؤهلة لأن تفتح لليهود بدون صعوبة، وأن الزعماء الجدد فى تركيا يسرهم الاستيطان اليهودى، وهم على استعداد لاستقبال المهاجرين الجدد.

وعن دور الصهيونية واليهود والدونمة والماسونية فى ثورة الاتحاد والترقى والأسباب التى أدت إلى نجاحها أوردت صحيفة «نهضة العرب فى باريس عام ١٩٠٩ حيث أرسل إليها أحد فضلاء العثمانيين المسلمين فى باريس مقالاً بعنوان «الإسرائيلية فى جمعية الاتحاد والترقى» يقول: «تناقل العارفون من الناس ما كان من أمر الإسرائيليين والماسون مع جمعية الاتحاد والترقى واشتراكهم فى نهضتها

(١) انظر المنار ٢ نوفمبر ١٩١٠ .

وقيامهم بمناصرتها حتى ذهب البعض إلى أن فوزها كان ثمرة مساعيهم ثم توسعوا فى البيان فقالوا: إن اليهود لما قنطوا من تحقيق أمانيهم فى عهد الحكم السالف باستملاك أراضى فلسطين وتشييد مملكة إسرائيلية فيها كما هو معلوم عنهم لدى الخاص والعام عمدوا إلى الماسونية ولهم فيها اليد الطولى كما لا يخفى، فاتخذوها آلة لترويج مقاصدهم فى تلك الأرجاء وجروا فى هذا السبيل على خطتهم المعروفة فى التسلط على الحكومات الأوربية فاستعانوا بالماسونية واستتروا وراءها.

ودفعت الماسونية جمعية الاتحاد والترقى ومدتها بالرأى والمال، وجعلت أنديتها لها ملجأ فامتنع على أعوان السلطان المخلوع ولوجها وانضم إليها أمراء العسكرية وأخذوا مع الجمعية بنشر مبادئهم وأفكارهم فى الولايات المكدونية واستمالوا إليها الكثيرين وفازوا بالقوة التى مكنتهم من قلب الحكم المطلق وتبديله بالدستور.

ويضيف الكاتب قوله: «ومعلوم أن اسم الجمعية «الاتحاد والترقى» هو اسم اللوج الماسونى فى سلانيك.

فاشتراك الماسونية فى نهضة الأحرار أمر ثابت لا يختلف فيه اثنان، وما كان ذلك ليدعو إلى التخوف والوجس ما دامت نتيجته تأييد الحرية والمساواة وخير الأمة والبلاد، ولكن الذى جعل الأمر موضوعاً للتأويل والاشتباه إنما هو الحركة الإسرائيلية الكامنة وراءه وغاية اليهود من السعى بالفتنة فى الدولة والعمل على دمارها ليشيدوا على خرائب آل عثمان المملكة الإسرائيلية التى ما برحوا يحلمون بها. أما اللائحة التى بنوا عليها هذا التدبير فهى فى اعتقادهم أن المتمسكين بالدين من مسلمى العرب والترك لا يرتاحون إلى الحرية والمساواة فى دولة هى قاعدة الخلافة الإسلامية فيقومون على الأحرار ويقع بينهم الشقاق والنزاع وتضطر الدول الأجنبية إلى وضع يدها لحماية مصالحها الكثيرة وتحقيق مطامعها الكبيرة.

ويزيد فى توسيع الخرق ما هى عليه العناصر العثمانية من التباين والتنافر فيستحكم البلاء ويفضى الشر إلى تشتيت شمل الدولة وهدم أركانها وبذلك يبلغون

القصد ويتم لهم المراد[1].

إنها الماسونية العالمية اليهودية وبروتوكولات الصهيونية.

فقد جاء فى «البروتوكول» الثالث من «بروتوكولات حكماء صهيون»:

«أستطيع اليوم أن أؤكد أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ولم تبق إلا مسافة قصيرة كى تتم الأفعى الرمزية شعار شعبنا دورتها، وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوروبا محصورة بأغلال لا تكسر».

ومن المعلوم أن «الأفعى الرمزية» هذه المذكورة تمثل إسرائيل، رأسها يرمز إلى حكماء صهيون مخططى المؤامرة اليهودية، والجسم يرمز إلى الشعب اليهودى.

فالطقوس الماسونية تستمد وحيها من التراث اليهودى، والرموز الماسونية تمثل الفكر والثقافة اليهودية، والمفهوم الماسونى عن الألوهية مبنى على الأسطورة الإسرائيلية.

وروايات اليهود الصحيحة والمزعومة يعاد صياغتها وتقنينها وتمثيلها فى كل المحافل الماسونية فى جميع أنحاء العالم.

والماسون مرتبطون فى أوكارهم وأنشطتهم فى الحياة الخاصة والعامة بقصص وخرافات العصر الذهبى لليهود، يعيشون ذكرياتها، ويتمثلون تاريخها، ويحاولون إحياء هذا الماضى بأساطيره ومزاعمه، ويندب الماسون قدر اليهود ويرثونه ويتفجعون عليه فى نواح الثكالى.

وجاء فى الموسوعة الجديدة فى الماسونية:

«أما المعبد الإسرائيلى ـ هيكل سليمان ـ تاريخه وبناؤه، هندسته وخرابه، إعادة بنائه ثم تدميره للمرة الثانية والحنين إلى بنائه من جديد، فهو الفكرة المركزية وحجر الزاوية وبؤرة كل الشعائر والمراسم والطقوس فى الماسونية.

وأما البناء الثالث للهيكل فهو الهدف الأسمى ونهاية الأرب عند الماسون ـ

(١) انظر مقال الإسرائيلية فى جمعية الاتحاد والترقى، نهضة العرب، ٤١ مايو ٩٠٩١، العدد لكاتب مجهول.

ألف وباء المحفل»[١].

لقد التهمت الخطة الصهيونية السرية كل القوى العالمية لكى تكمل الأفعى عملها حتى يغلق الطريق بعودة رأسها إلى صهيون، وحتى تكون الأفعى بهذه الطريقة قد أكملت التفافها حول أوروبا وتطويقها، وتكون لشدة تكبيلها أوروبا قد طوقت العالم أجمع.

فعودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تدخل كل القوى الأوروبية فى المصيدة وفق عناصر الخطة من الأزمات الاقتصادية والفتن والحروب وبيوت المال والصحافة والفكر والمجندين الماسون فى جميع المراكز صانعة القرار.

ولأن القدس فى حماية الدولة القائمة بأمر الإسلام وهى الدولة العثمانية منذ فتح السلطان سليم الأول فلسطين فى عام ١٥١٦ م فأصبحت جزءاً من الدولة المسلمة الواحدة. وقد مضت الآن أربعة قرون متواصلة كانت فيها أولى القبلتين فى حراسة السلطان العثمانى خليفة المسلمين الذى يحكم من عاصمة الخلافة «استانبول» كان لا بد إذن من تحطيم الدولة العثمانية، ويوم تسقط «الآستانة» ستسقط تبعاً لذلك «القدس» فى أيدى اليهود.

وهذا ما خططت له الماسونية وحققته بواسطة الاتحاد والترقى ومن خلال الدخلاء من اليهود والأجانب رجالاً ونساء وقد غيروا أسماءهم بأسماء إسلامية، وعملوا بمساعدة المحافل الماسونية وبتأييد من القوى الأوروبية على الارتقاء فى المناصب، وتغلغلوا فى شعاب البنية السياسية والاجتماعية والفكرية والعسكرية والاقتصادية للدولة حتى وصل بعضهم إلى أعلى المناصب ومنها الصدارة العظمى ووزراء وولاة وقادة جيوش وقادة المدارس العسكرية، وقد وجدوا فى معطيات الماسونية الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية أو الألمانية فلسفتهم ومثلهم وحركتهم، ومن الخارجية البريطانية قبضوا الأموال ونفذوا بالدعم والمساندة مخططات كل قوى عالم العدو لتدمير الدولة من داخلها وهؤلاء كانوا يهود الدونمة أعضاء ومؤسس الاتحاد والترقى[٢].

---

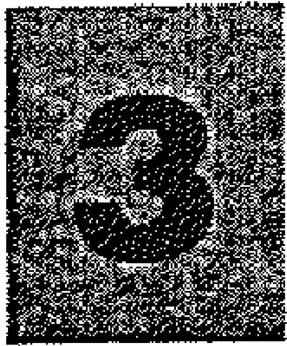
(١) انظر أرثر إدوارد فى موسوعة جديدة فى الماسونية.

(٢) انظر المسألة الشرقية ـ محمد ثابت.

سالونيك مسقط رأس

الدكتاتور الزعيم

- «سالونيك» المدينة التركية قديماً اليونانية الهوية حديثاً.
- فى سالونيك ولد مصطفى كمال وتربى ومنها خرج ليفسد فى الأرض.
- نهاية الصراع بين الدولة العثمانية واليونان على جزيرة
- كريت مع بداية أتاتورك فى مشواره نحو الجندية والعسكرية.



«سالونيك» المدينة التركية قديماً اليونانية الهوية حالياً

«سالونيك» المدينة اليونانية حالياً التى كانت تابعة للدولة العثمانية حتى أوائل القرن العشرين وهى المدينة التى يتمركز فيها الماسون والمحافل الماسونية ويهود الدونمة والتى احتجز فيها السلطان عبد الحميد الثانى بعد خلعه عام ١٩٠٩م فى قصر يهودى ماسونى هو رمزى بيك.

وظلت «سالونيك» مركز نشاط المناوئين للسلطان عبد الحميد الثانى حتى خرجت تلك المدينة من تحت السيادة التركية بعد الحرب العالمية الأولى.

فما هى تلك المدينة من الناحية التاريخية والجغرافية؟

«سالونيك» (بالإنجليزية: Thessaloniki)، مدينة يونانية ومركز لبلدية تقع فى شمال البلاد، وهى عاصمة لمنطقة (إقليم) مقدونيا الوسطى الإدارية وأيضاً عاصمة إحدى مقاطعات هذا الإقليم والتى تحمل نفس اسم المدينة.

تقع المدينة على رأس خليج سالونيك أحد تفرعات الخليج الثيرمى، والذى يشكل بدوره الجزء الشمالى الغربى من بحر إيجة، ترتفع المدينة من مستوى سطح البحر إلى أقدام جبل خورتياتيس بشكل يشبه مدرجات مسرح رومانى.

تبعد مسافة ٥٠٠ كيلو متر عن أثينا عاصمة البلاد.

يبلغ عدد سكان المدينة حوالى ٤٦٣ ألف نسمة (تقديرات ٢٠٠١)، بينما يصل عدد سكانها مع ضواحيها إلى ٨١٠ آلاف نسمة، وبالتالى تكون ثانى أكبر مدينة يونانية من حيث عدد السكان بعد أثينا.

تعتبر سالونيك ثانى أكبر مركز اقتصادى، صناعى، تجارى وسياسى فى اليونان، ومركزَ مواصلات مهما فى جنوب شرق أوروبا وهى مركز تعليمى وثقافى

هام لمنطقة البلقان.

تحتوى المدينة على العديد من الصروح التى تعكس تاريخها البيزنطى، العثمانى وأيضاً اليهودى الغنى.

تعود تسمية المدينة إلى كاساندروس ملك مقدونيا الذى أوجد المدينة وأعطاها اسم زوجته ثيسالونيكى (Thessaloniki) التى كانت الأخت غير الشقيقة للإسكندر المقدونى، ومعنى هذا الاسم هو «النصر فى ثيساليا» أو «نصر القوم الذين أتوا من البلاد التى كان أصلها ماء».

وقصة هذا الاسم أنه قد وصل نبأ مولدها لأبيها فيليب المقدونى فور انتصاره فى معركة هامة فى إقليم ثيساليا وسط اليونان فأمر بإطلاق هذا الاسم على مولودته الجديدة.

يوجد لاسم المدينة عدة تحريفات لفظية فهو ثيسالونيكى (Thessaliniki) كما باللغة اليونانية الرسمية، أو فقط سالونيكى (Saloniki) باليونانية العامية، أو سلانيك (selanik) باللغة التركية.

بينما تدعى فى أغلب اللغات الأوربية باسم سالونيكا (Salonica) وباللغات السلافية سولون (Solun).

بنيت المدينة حوالى العام ٣١٥ ق. م على يد الملك كاساندروس المقدونى بالقرب من مدينة ثيرمه (Therme) القديمة، وقد أطلق عليها اسم زوجته ثيسالونيكى الأخت غير الشقيقة للاسكندر المقدونى. تطورت سالونيكى بسرعة خلال القرن الثانى قبل الميلاد وسرعان ما بنيت حولها الأسوار وأصبحت تتمتع بمزايا الحكم الذاتى وكان لها وقتئذ برلمان خاص يوجد للملك تمثيل فيه.

ازدادت أهمية سالونيك باضطراد بعد سقوط مقدونيا بيد الرومان عام ١٦٨ ق. م وخاصة بعد قيامهم ببناء طريق إغناتيا والذى ربط بين روما والقسطنطينية، فأصبحت محطة تجارية هامة على هذا الطريق ثم جعلت عاصمة مقاطعة مقدونيا الرومانية.

احتفظت المدينة بامتيازاتها على الرغم من أنها كانت محكومة من قبل بريتور رومانى (قاض رومانى) مدعوماً بحامية عسكرية رومانية.

وقد كانت مسرحاً للعديد من الأحداث المهمة فى تاريخ الرومان كلجوء بومبى لها واحتمائه من قيصر.

استوطنت فى المدينة جالية يهودية بدءاً من القرن الأول م. وأصبحت سالونيك من أول مراكز المسيحية إذ زارها بولس الرسول وقام بدعوة اليهود الموجودين فى المدينة إلى الدين الجديد ولكنهم طردوه منها إلى فيريا، وقد كتب القديس بولس اثنتين من رسائله إلى أهل سالونيك وكانتا بعنوان رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى ورسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكى. عانت المدينة من هجوم القوط خلال القرن الثالث للميلاد.

وعاش فيها غاليريوس الذى ورث الجزء الشرقى من الإمبراطورية الرومانية من ديوكليتيان وقد قام غاليريوس أثناء وجوده فى المدينة باضطهاد ثم إعدام القديس ديمتريوس الذى يعتبر حالياً شفيع المدينة.

أصبحت سالونيك فى عهد ثيودوسيوس الكبير ٣٧٩ ـ ٣٩٥ م عاصمة لإقليم الليريكوم (Illyricum)، وجزءاً من الامبراطورية الرومانية الشرقية، وجعلت مركزاً كنيساً وقاعدة للحملات الإمبراطورية ضد القوط.

حدثت فيها عام ٣٩٠ م مجزرة كبيرة راح ضحيتها ٧٠٠٠ نسمة على أيدى جنود الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير إثر ثورة قام بها سكان المدينة، وقد قام الإمبراطور بعد ذلك بطلب التوبة على يد القديس أمبروس أسقف ميلان.

صمدت المدينة فى القرون التالية فى وجه العديد من الغزوات القادمة من الشمال والتى قام بها السلاف والألبان ولكنها عانت من زلزال كبير عام ٦٢٠ م هدم العديد من أبنيتها العامة والخاصة. ولد فيها القرن التاسع الأخوان القديس سيريل والقديس ميثوديوس اللذان حولا السلاف إلى الدين المسيحى وابتكرا الأبجدية السيريلية.

فى عام ٩٠٤ م هاجمها العرب الموجودون فى كريت بمساعدة الإغريقى ليو من توبيولى (Leo of Tripli) فمكثوا فيها لمدة عشرة أيام.

عادت المدينة بعد ذلك لتصبح قاعدة بيزنطية فى وجه البلغار وازدهرت فى القرون الثلاثة التالية.

احتلها عام ١١٨٥ م ملوك صقلية النورمان ودمروها بشكل كبير ولكن البيزنطيين استعادوا السيطرة عليها بعد ذلك بعام واحد، ولكن وفى العام ١٢٠٤ سيطر عليها الفرنجة من خلال الحملة الصليبية الرابعة وأسست فيها مملكة ثيسالونيكا اللاتينية.

حاول اليونانيون استعادتها بعدة مرات على يد إمبراطور إبيروس البيزنطى ونجحوا بذلك عام ١٢٢٢، ولكن باقى مقدونيا سقط بيد إيفان آسين الثانى ملك بلغاريا. على الرغم من تلك الفترة الحرجة فقد شهدت المدينة نهضة ثقافية وفكرية وازدهرت تجاريا وفنيا.

شهدت المدينة خلال القرن الرابع عشر وتحديداً بين عامى ١٣٢٤ ـ ١٣٤٩ ثورة قادتها حركة زيلوتس للإصلاح المجتمعى، وقد حكم على إثرها زيلوتس مطبقاً مبادئ تقدمية اشتراكية بعد القضاء على طبقة النبلاء السالونيكيين.

سالونيك ضمن أملاك الدولة العثمانية:

عاشت سالونيك منذ أواخر القرن الرابع عشر فترة مضطربة فقد سيطر عليها العثمانيون لمرتين متتاليتين ثم أخرجوا منها على يد البيزنطيين، إلى أن باعت الإمبراطورية البيزنطية الضعيفة وقتها المدينة للفينيسيين وذلك فى عام ١٤٢٣ م، لعدم قدرتها على مواجهة العثمانيين، الذين سيطروا عليها بشكل نهائى بعد حصار دام لمدة ثلاثة أيام وذلك فى عام ١٤٣٠ م فى عهد السلطان مراد الثانى.

شهدت المدينة خلال الفترة العثمانية نموا متزايداً فى عدد السكان المسلمين واليهود، وخاصة بعد اضطهاد يهود أسبانيا فى محاكم التفتيش، حيث بدأ هؤلاء بالوصول والاستقرار فى المدينة بعد استقبال العثمانيين لهم بدءاً من العام ١٥٠٠م.

أصبحت المدينة تحتوى على ثلاث مجموعات عرقية أساسية خلال الفترة العثمانية هى المسلمون الأتراك، الأرثوذكس اليونانيون واليهود السفارديم (الأسبان)، وسرعان ما استعادت أهميتها كمركز تجارى لكل منطقة البلقان وخاصة بعد المعاهدات التى عقدتها الدولة العثمانية مع كل من أوستريا ـ هنغاريا وروسيا إذ تكونت فى المدينة طبقة تجار كبيرة كان لها علاقات مع كل الدول الأوروبية.

فى أواخر القرن التاسع عشر تشكلت فى المدينة عدة منظمات وأحزاب قومية يونانية، تركية وبلغارية، فقد كانت المدينة مركزاً للتنظيم الثورى المقدونى (IMRO) والذى يعتبر كأول منظمة إرهابية فى التاريخ الحديث، بالإضافة إلى تنظيمات تركيا الفتاة.

الحروب البلقانية والقرن العشرين:ـ

احتلت القوات اليونانية مدينة سالونيك فى ٩ نوفمبر ١٩١٢ بعد انتصارها الساحق على الأتراك فى معركة يانيتسا، وذلك فى اليوم التالى لعيد شفيع المدينة القديس ديمتريوس. أصبحت المدينة يونانية بعد اتفاقية بخارست عام ١٩١٣.

حدث فى المدينة حريق ضخم وذلك فى ١٨ أغسطس عام ١٩١٧ شرد حوالى ٧٠ ألف نسمة من سكانها، سبب هذا الحريق هجرة الكثير من سكانها وخاصة اليهود منهم إلى فلسطين وباريس وتم استبدالهم بمهاجرين يونانيين من آسيا الصغرى وخاصة بعد عام ١٩٢٣ م وما يعرف بمأساة التبادل العرقى بين الأتراك واليونانيين على إثر الحرب بين البلدين.

احتلتها ألمانيا النازية عام ١٩٤١ وأصبحت مركزاً لقوات المحور فى منطقة البلقان.

أهم المعالم التاريخية فى المدينة

تعتبر سالونيك واحدة من أغنى مدن أوربا بمعالمها التاريخية والدينية التى تعكس تنوعاً كبيراً للثقافات والديانات التى مرت عبر تاريخها الطويل ولذلك فقد اعتبرت بكافة معالمها أحد مواقع التراث العالمى ومن أهمها:

● البرج الأبيض (ليفكوس بيرغوس (Lefkos Pyrgos): يقع على الواجهة البحرية للمدينة ويعتبر رمزاً لسالونيكى بنى عام ١٤٣٠ على يد السفينيسيين.

يبلغ ارتفاعه ٣٢ مترا، ويستخدم حالياً كمركز للعرض تابع لمتحف سالونيك البيزنطى، تحيط به حديقة يوجد ضمنها تمثال ضخم للإسكندر المقدونى.

● قوس وقير غاليريوس: يعرف بال (كامار Kamara) وهو قوس نصر مزخرف بدقة بناه غاليريوس ليخلد انتصاراته على الفرس عام ٢٩٧ م، يوجد بجانبه قصره وضريحه.

● الروتوندا (Rotunda) أو كنيسة القديس جورجيوس: وهى أقدم وأكثر بناء فى سالونيك بقى محافظاً على هيئته الأصلية له هيئة قبة كبيرة واسعة، بنى فى القرن الثالث الميلادى، حول إلى مسجد أثناء الفترة العثمانية باسم سليمان أفندى (Effendi Suleiman) عندما بنيت إلى جانبه مأذنة كبيرة.

● الفوروم الرومانى (Forum): ويقع ضمن ساحة ذيكاستيريون (Plateia Dikastion) وقد كشف منه الأوديون ورواقين معمدين (Stoas)، وهو يقع على محور طريق إغناتيا القديم.

يوجد أيضاً فى هذه الساحة الكبيرة حمام (Hammam Bey) وهو بناء أنيق يعود للفترة العثمانية بناه السلطان مراد الثانى عام ١٤٤٤ م، كحمام عام للرجال والنساء، كنيسة باناغيا خاليكون (Panaghia Chalkeon) التى تعود للعام ١٠٢٨ م. التى كانت قد حولت إلى مسجد قازانجيلار (Kazancilar) أثناء الفترة العثمانية. وأيضاً جامع حمزة بيه (Hamza Bey Djami) الذى بنى عام ١٤٦٨ ويعتبر أكبر مسجد على التراب اليونانى.

● كنيسة القديس ديمتريوس (أغيوس ديمتريوس (Agios Dimitrios): وهى أكبر كنيسة فى اليونان، مكرسة للقديس الشهيد ديمتريوس الذى أعدم على يد غاليرنيوس، توجد فى السراديب الموتى (Catacombs) والحجرة التى سجن فيها القديس بنيت بدءاً من العام ٤١٢ م.

توجد ضمنها العديد من اللوحات الجدرانية، الأيقونات والفسيّفساءات ذات الأهمية الكبيرة فى التاريخ المسيحى.

● أكروبول المدينة والتحصينات البيزنطية: وتدعى أيضاً بـ (أنو بوليس) المدينة العليا بنيت فى عهد الإمبراطور البيزنطى ثيودوسيوس الكبير يبلغ ارتفاع الأسوار بين ٧,٥ ـ ١٢ متراً توجد عليها ٤٠ برج مراقبة بقى نصفها تقريباً، أهمها برج هورميسداس (Hormisdas)، غالبية البيوت بين الأسوار تملك طابعاً معماريا عثمانيا، يوجد فى قسمها الأعلى حصن (إبتابيرغوس) (Eptapyrgos) والذى يدل اسمه على أبراجه السبعة وحدث فيه كتابة باللغة العربية تؤرخ بناءه فى عام ١٤٣١ م.

● كنائس المدينة التاريخية الأخرى: ومنها باناغيا أخيروبييتوس (Panaghia Acheiropoietos) وهى أقدم كنيسة مكرسة لمريم العذراء فى العالم وتعود لعام ٤٣١ م. وهى مبنية على الطابع المعمارى السورى.

كنيسة أغيا صوفيا (Aghia Sofia) وتعنى (الحكمة المقدسة) التى تعود للقرن الثامن حولت لاحقاً إلى مسجد على يد راكتوب إبراهيم باشا (Raktoub Ib-rahim Pasha)، كنيسة بانداليمون (Agios Panteleimonos) التى تعود للقرن العاشر ميلادى. كنيسة النبى إيليا (Profitis Llias) المبنية على قصر بيزنطى. كنيسة القديسة إيكاترينى (Aghia Aikaterini) التى تعود للقرن الثالث عشر، وكنيسة الرسل الاثنا عشر (Dodeca Apostoloi) التى تعود لعام ١٣١٢ م وهى أكثر كنائس المدينة سحراً.

● رهبانية فلاتادون (Moni Vlatadon) وكنيسة هوسيوس دافيد (Hosios David): بنيا فى القرن الرابع عشر على يد الأخوين فلاتاذس، كرس الدير للضوء

(١) انظر سورية والعهد العثمانى، يوسف الحكيم.

المقدس، وقد كان تابعاً لحركة دينية مسيحية بيزنطية متأثرة بالسبوذية دعيت الـ هسيخازمية (Hesychasm) جلبها من الهند القديس يواساف زاوة هذا المذهب بين البوذية والمسيحية من أجل الوصول المنشود لرؤية النور الإلهى.

● الحمامات التركية: مثل باشا حمام (Pasha Hammaun) ويهودى حمام (yehudi Hammam)، وبرج (مخزن) الأسلحة التركى فاردار (Vardar) الذى يدعى أيضاً توبخانه (Top Hane)، ومن المعالم المهمة كذلك منزل مصطفى كمال أتاتورك والذى تديره حالياً الحكومة التركية.

أهم مناطق المدينة

● متحف سالونيكى الأركيولوجى الأثرى: توجد فيه أهم مجموعة أثرية تعكس ثراء مملكة مقدونيا القديمة وما تلتها من فترة هلنستية، وفيه مجموعة ذهب مقدونيا، وثيقة درفينى (Derveni Papyrus) التى تعود للقرن الرابع قبل الميلاد وتظهر بوضوح كيف أن بعض العادات والطقوس الوثنية القديمة تم تبنيها لاحقاً فى الديانة المسيحية.

● متحف سالونيكى البيزنطى: يعتبر أهم متحف للفن البيزنطى فى العالم، أخذ لقب «متحف أوربا للعام ٢٠٠٥».

● متحف سالونيكى للفن المعاصر: وتوجد ضمنه مجموعة هامة من الفن الروسى (Avantgrade).

● المتحف اليهودى.

● متاحف أخرى: مثل متحف التصوير الضوئى، المتحف السينمائى، متحف الصراع المقدونى، متحف للتاريخ الطبيعى، ومتحف مائى.

وتعتبر سالونيكى المدينة الأوربية الكبيرة الوحيدة التى لا تملك مترو للأنفاق، ولكن يتم حالياً بناء مترو أنفاق لديه القدرة على خدمة ٢٥٠ ألف راكب يومياً ويربط المدينة بضواحيها وبالمطار، يتوقع أن يفتتح هذا المترو عام ٢٠١٢ م.

وتعتبر شبكة المواصلات الوحيدة التى تغطى كل أقسام المدينة، ويوجد عليها ضغط كبير خاصة فى أوقات الازدحام.

وترتبط سالونيك مع أثينا عبر الطريق السريع G R -1 ومع غرب اليونان عبر الطريق السريع GR -1 (طريق إغناتيا الجديد) ومع صوفيا عبر الطريق GR -12

وكانت المدينة وما تزال عقدة مواصلات حديدية فى منطقة البلقان منذ عام ١٨٨٨ م إذ تنطلق منها رحلات مباشرة إلى أغلب العواصم الأوربية مثل بوخارست، موسكو، بلجراد، استانبول، فيينا وأثينا بالإضافة إلى الرحلات الداخلية نحو معظم المدن اليونانية الأخرى ومطار مقدونيا الدولى الذى هو ثانى أكبر مطار فى اليونان، ويبعد عن مركز المدينة مسافة ١٥ كيلو متر.

وتعتبر المدينة مركزاً تعليميا أسبانيا فى اليونان وتضم ثلاث جامعات هى:

١ ـ جامعة أرسطو: من أهم جامعات اليونان، تأسست عام ١٩٢٥، وتضم ٤٢ كلية ما عدا المكتبات والمعامل والمستشفيات التابعة لها، يدرس فيها ٧٧ ألف طالب.

٢ ـ جامعة مقدونيا.

٣ ـ معهد سالونيك التقنى العالى.

وتستضيف المدينة سنويا العديد من المهرجانات والمعارض الدولية من أهمها:

● معرض سالونيكى العالمى للتجارة: يحدث فى شهر أيلول/ سبتمبر من كل عام ويستمر لمدة عشرة أيام، يعود تاريخه للعام ١٩٢٦، ويعقد فى مركز سالونيكى الدولى للمعارض والذى تبلغ مساحته ١٨٠،٠٠٠ م٢ ويزوره سنوياً حوالى ٣٠٠ ألف شخص.

● مهرجان سالونيكى السينمائى: من أهم مهرجانات منطقة جنوب شرق أوروبا السينمائية، ويعتبر ذا أهمية خاصة للسينما اليونانية وأيضاً لصانعى الأفلام الصاعدين حديثاً، حدثت دورته الأولى عام ١٩٣٣.

● مهرجان سالونيكى للأفلام الوثائقية: ويركز على إظهار التطورات الاجتماعية والاقتصادية على الصعيد العلمى.

● مهرجان سالونيكي الدولي للتصوير الضوئي (فوتوسنكيريا): ويعقد من شباط/ فبراير إلى منتصف نيسان/ أبريل من كل عام ويكون ملتقى للمصورين اليونانيين والعالمين بنفسه متحف سالونيك للتصوير الضوئي.

● مهرجان ديمتريا يستمر لمدة ثلاثة أشهر بدءاً من أيلول/ سبتمبر، وقد أطلق عليه هذا الاسم تيمناً بقديس المدينة (أغيوس ديمتريوس)، يتضمن سلسلة من النشاطات الثقافية الموسيقية، المسرحية، الحفلات الراقصة، والمعارض المتنوعة.

ويهود الدونمة كانوا يقطنون المدينة

وكانت غالبيتهم من اليهود السفارين الذين قدموا إلى المدينة من أسبانيا، بعد البدء بتطبيق محاكم التفتيش هناك. ارتبط وجودهم وازدهارهم بوجود العثمانيين، فلقد أصبح هؤلاء يشكلون أكثر من نصف سكان المدينة خلال بعض الفترات، وأصبحت سالونيك تعرف بأنها أكثر مدينة يوجد فيها يهود في العالم ولمدة ثلاثة قرون. تحدث هؤلاء بلغة اللادينو، إحدى اللغات الرومانسية.

بدأ عددهم بالتناقص بدءاً من العام ١٩١٧ بعد نشوب حريق سالونيكي الكبير الذي شرد الكثير منهم فهاجروا إلى الولايات المتحدة، مصر وأوروبا أما ما بقي منهم فقد تم ترحيله خلال الحرب العالمية الثانية إلى معسكرات التجميع النازية، حالياً توجد في المدينة جالية صغيرة.

أما مسلمو المدينة وهم من أصل تركي أو ألباني تشرد الكثير منهم أثناء حريق سالونيك الكبير لعام ١٩١٧، ولكن تم طردهم بشكل نهائي عام ١٩٢٣، بعد اتفاقية تبادل السكان بين الأتراك واليونانيين على إثر الحرب التركية اليونانية، واستبدل هؤلاء بلاجئي آسيا الصغرى اليونانيين[١].

---

(١) المصدر: موسوعة ويكيبيديا الحرة ـ الإنترنت.

فى سالونيك ولد وتربى أتاتورك
ومنها خرج ليفسد فى الأرض

يرى أكثر المسلمين أن مصطفى كمال أتاتوركِ نكبة كبرى على الإسلام بوجه عام وعلى تركيا بوجه خاص، والقلة من يعتبره بطل قوميا حقق الانتصارات لتركيا!!

اختلفوا حول سيرته ونشأته ونسبه حتى تاريخ مولده الذى قال البعض إنه فى إحدى ليالى شتاء عام ١٨٨١ م(١) ومنهم من قال إنه ولد فى عام ١٨٨٠ م.

أمه تدعى «زبيدة» وأبوه يدعى «على رضا» كان يعمل موظفاً صغيراً فى أحد دواوين الدولة العثمانية ثم عمل فى تجارة الخشب حيث استأجر محلا خاصا به لكنه تعرض للمتاعب المالية وأغلق حانوته وأصبح طريداً للدائنين.

اختلف الأبوان فى مستقبل الطفل «مصطفى» فقد أرادت أمه ذات النزعة الدينية أن تجعل ابنها إماما دينيا أى «خوجة» بالتعبير التركى يخطب الناس يوم الجمعة ويؤم المصلين فى المساجد، ولكن الأب أراد أن يكون يتعلم ابنه التعليم الغربى ليكون موظفاً ليحمل لقب أفندى.

التحق الابن مصطفى بمدرسة دينية تابعة لأحد المساجد فى بلدته «سولنيك»، لكن الطفل الصغير كان شرس الطباع رفض التعليم الدينى ورفض حفظ القرآن مما جعل أمه تلحقه بمدرسة مدنية تدعى مدرسة شمس أفندى.

وتفوق «مصطفى» فى مدرسته الجديدة وأثار تفوقه إعجاب أساتذته وحسد زملائه.

توفى والده فجأة وهو صغير فاضطرت والدته إلى هجر منزلها فى سولنيك

---

(١) انظر ذئب الأناضول ـ مصطفى الزين.

والانتقال إلى منزل أخيها الفلاح فى قرية «لازاسان» وهناك عاش مصطفى الصغير حياة الفلاحين مع خاله فأصبح موفور الصحة قوى البنيان.

والاسم الذى حمله مصطفى كمال هو مصطفى على رضا، أما نسبته إلى كمال أتاتورك فجاء حين التحق بالمدرسة الحربية فأطلق أستاذ الرياضيات عليه اسم مصطفى كمال أما أتاتورك فهو لقب حصل عليه بعد رئاسته لتركيا وهو لقب يعنى أنه أبو الترك.

ويرى البعض من كتاب السير أن نسب مصطفى كمال تحيط به الشكوك فيقال إن أصل أبويه من ألبانيا.

ويؤكد د. رضا نور الطبيب والمؤرخ التركى، أن مصطفى كمال مولود غير شرعى(١).

وقد قيل إنه فضل اسم مصطفى كمال بدلاً من مصطفى على رضا لذلك.

ومن المعروف أن أمه تزوجت ثانية وكان عمرها ٣٥ سنة فضعفت علاقته بها، ولذا فقد لزم مصطفى كمال الصمت حول والديه طيلة حياته وكان يردد بدون مناسبة: لقد ولدت كالآخرين وكبرت، وإذا كان هناك من تمايز أو فرق فى ولادتى فإنه ينحصر فى كونى تركيا مما يشير بوضوح إلى العقدة التى كان يعانيها بسبب نسبه وولادته.

ويذكر المؤرخون والكتاب أن فالح رفقى وهو أحد مرافقى مصطفى كمال والذى دون ذكريات أتاتورك منه إملاءً أنه قال:

«فى أغلب الأحيان يظهر هناك من يحاول أن يصطنع ويختلق شجرة نسب أصلية للزعماء الذين يظهرون فى الشرق، على أن مصطفى كمال لم يكن مرتبطاً أو مهتما بسلفه، ومع أن أحد الضباط الذين تطوعوا ضمن طوابير العساكر الملكية

(١) انظر مذكرات د. رضا نور ١٨٧٩ ـ ١٩٤٣ وقد شغل منصب نائب وزير الخارجية فى عهد مصطفى كمال ونشرت مذكراته عام ١٩٦٨ بناء على وصيته وأحدثت ضجة فى تركيا وتم مصادرتها.

التى تشكلت فى سلانيك عام ١٨٧٦ م فى ذكرى إعلان القانون الأساسى فى ٢٣ كانون الأول قدم على أنه سيسر من كون والده مشتركاً فى جماعة وطنية كانت غايتها مساعدة أنصار الحرب فى استانبول، غير أنه ظهر بأنه لم يكن يعتقد بهذا، بل إننى سمعته بأذنى يوماً وهو يقول باستهزاء: إن هذا ليس بوالدى؟؟!

ويقول صاحب كتاب الرجل الأوحد، شوكت ثريا : .

«هناك حادثة غير اعتيادية حدثت لعلى رضا أفندى بعد زواجه من زبيدة بمدة قصيرة وهو اشتراكه كمتطوع فى صفوف وحدة عسكرية مَساعدة كانت قد تشكلت فى سلانيك أثناء الحروب الروسية التركية سنة ١٨٧٦ م، وكانت تطلق على هذه الوحدات اسم العساكر المعاونة أو اسم العساكر الملكية.

ففى بداية القرن التاسع عشر ١٨٢٩ م بدأت الاستعانة من حين لآخر بهذه الوحدات العسكرية المساعدة فى الحروب بعد القضاء على الإنكشارية.

والظاهر أن الطابور الذى التحق به على رضا أفندى آنذاك يعمل كاتباً فى دائرة الأوقاف فى سلانيك، وقد توفرت هذه المعلومات عنه عند التدقيق فى قضية التطوع هذه.

وعندما التحق بإحدى الوحدات العسكرية المساعدة المشكلة بسبب الحرب فقد عين برتبة ملازم أول بصورة مؤقتة لكونه يعرف القراءة والكتابة، وأن الصورة الوحيدة الباقية لزوج زبيدة ووالد مصطفى كمال على رضا أفندى هى صورته المأخوذة له وهو فى البزة العسكرية برتبة ملازم أول فى الطابور العسكرى المساعد».

ويظهر أن شوكت ثريا مقتنع تمام الاقتناع بأن صاحب هذه الصورة هو والد مصطفى كمال، لذلك نراه يحاول التفتيش عن الملامح المشتركة بينهما، فيقول: «فى هذه الصورة يظهر على رضا أفندى وعلى رأسه الطربوش الواسع والواطئ المسمى بالعزيزية وبسترته الطويلة ذات الصف الواحد من الأزرار والياقة والكتافية

المذهبتان وبحزامه العسكرى وهو فى وضع الاستعداد العسكرى أما بنطلونه فهو بحسب البزة السائدة آنذاك بشكل سروال يمسك بيده اليسرى غمد سيفه، أما يده اليمنى فهى شاهرة بالسيف فى وضع التحية، وهو فى وقفته وحاله يظهر كموظف طيب ومؤدب وليس كمحارب أما خطوط وجهه، وخاصة عينيه، فقد نقلها إلى ابنه مصطفى بشبه تدعو إلى الدهشة»(١).

لقد تزوج على أفندى من زبيدة عندما كان يعمل حارساً فى الجمرك، ثم تقلب فى عدة وظائف حتى أنه عمل لفترة فى تجارة الأخشاب وبنى فى هذه الفترة البيت الوردى المشهور فى مجلة «حارة» «أحمد سوباشى» فى سلانيك وبعد مدة يدمن على الخمر بسبب كساد تجارته وإفلاسه كما يقال، ويموت من حزنه وكدره وهو فى أواخر الأربعينيات من عمره.

ويصف شوكت ثريا الانهيار النفسى والمعنوى والمادى عنه قائلاً: بعد فترة من الأزمة مر بها على رضا أفندى نراه هذه المرة ضمن إطار عمل أكثر تواضعاً إذ أنه قرر القيام بتجارة الملح، ولكن الظاهر أن الملح بقى متراكماً دون تصريف من متجره أو فى مخزنه، بل إن ابنته مقبولة، تقول بأن الملح ذاب جميعه فى المخزن، عند ذلك فقد الثقة بنفسه وفقد الأمل فى التجارة، وبدأ من جديد بالبحث عن وظيفة رسمية صغيرة، ولكنه لم يجدها وكان من الطبيعى أن يبدأ بالانهيار، وهكذا ترك على رضا نفسه للخمر بعد أن فقد كل دعائمه، وتبع ذلك المرض إذ أصيب بسل الأمعاء، وبعد ثلاث سنوات قاسى فيها آلام المرض توفى وعمره ٤٧ سنة على الأغلب».

ويضيف شوكت ثريا قائلاً «إن من الأصوب أن على رضا أفندى ارتحل وهو منهار انهياراً من الناحية المادية ومن الناحية النفسية والمعنوية كذلك، إذ ليس من الممكن تجاهل العوامل النفسية لأن تأثيرها لم يكن يقل عن تأثير العوامل المادية بحال من الأحوال، ذلك لأن على رضا أفندى كان شخصاً بسيطاً على قدر حاله، بينما كانت زبيدة أصغر منه سنا بكثير وكانت جميلة جدا، ولكنه لم يستطع أن

---

(١) الرجل الصنم، ضابط تركى سابق.

يسعدها».

ويضيف:

«كانت زبيدة شأنها شأن النساء الأكثر سنا منها تستخدم أدوات الزينة، ومع أنها لم تكن بحاجة إليها، إلا أن استعمال وسائل الزينة هذه كانت من العادات التى لا يمكن التخلى عنها فى ذلك الجو المغلق الذى كانت تعيشه نساء سلانيك، مثلها مثل غيرها من المدن الإسلامية، والذى كانت تتزين فقط لأزواجهن».

المهم أن الصبى مصطفى كمال قد التحق بالعيش مع خاله بعد وفاة والده فى لازاسان واضطر أن يحيا حياة الفلاحين وهى حياة لم تكن فى أى حال أفضل من مستوى حياة الفقر التى كان يعيشها من مرتب والده الصغير فى سالونيك، فكان يقود مع كل صباح مواشى خاله إلى المراعى فى البرية ليعود به إلى المنزل فى المساء، حيث يشغل نفسه هناك أيضاً بتنظيف مراقدها وتدبير علفها قبل أن يأوى إلى فراشه، إلا أن هذا النمط من الحياة لم يعجبه أيضاً، رغم أن هواء الريف النقى والتنقل فى المراعى قد أكسبا جسمه قوة ومنعة، فبات موفور الصحة والعافية بعد أن كان شاحب الوجه نحيل الجسم.

وكثرت مشاكساته مع والدته وشقيقها فكان يثور بوجهيهما لأتفه الأسباب، ويهدد بمغادرة المنزل إلى غير رجعة إذا لم يعيداه إلى مدرسة محترمة فى سالونيك يستطيع مواصلة دراسته فيها.

ولما كان خاله غير قادر على تحمل نفقات دراسته، فقد التجأت والدته إلى شقيقة لها ميسورة الحال، وأقنعتها بأن تقرضها مبلغاً من المال لتنفقه على تعليم ابنها ريثما ينال شهاداته ويصبح قادراً على كسب معيشته فترده إليها.

وهكذا عاد مصطفى إلى سالونيك، والتحق بإحدى مدارسها التى كانت أرفع مستوى من مدرسة (شمس أفندى)[1].

---

(١) انظر ذئب الأناضول ـ مصدر السابق.

وذات يوم عاد الصبى مصطفى إلى بيت خاله حاملاً كتبه ودفاتره وأقلامه فى حقيبة من القماش، مدلاة من فوق عنقه إلى ما تحت إبطه وهو مدمى الوجه مشعث الشعر ممزق الثياب، ولم تكن زبيدة بحاجة إلى كثير من الذكاء أو الحدس لتدرك السبب، فطالما ألفت هذا المنظر عندما كانت لا تزال فى منزلها الزوجى فى سالونيك، حيث كان مصطفى يطل عليها فى كل مساء تقريباً وهو على مثل هذه الحال، بعد أن يكون قد تشاجر مع فتيان الحى من أقرانه.

إلا أن المشاجرة هذه المرة كانت أكثر عنفاً وأبعد خطراً على مستقبله، فقد تعارك فى المدرسة مع بعض الصبية ونالهم منه من الأذى مما ناله منهم، عندها تدخل الناظر وانتزعه من وسطهم بعد أن صفعه لرفضه ترك شعر أحدهم وكان قد تشبث به محاولاً طرحه أرضاً، فما كان من مصطفى إلا أن رفس الناظر أيضاً وشتمه، فانهال هذا عليه ضرباً ولكما وطرده من المدرسة(١).

وأمام هذا الوضع المتمثل بالرفض لكل شىء: البيت وللمدرسة وللدين وللوظيفة وللحياة القروية، أصبح مصطفى مجرد عنصر إزعاج دائم ومتاعب لا تنتهى لوالدته ولشقيقها، فاحتاروا فى أمره وفى أمر المستقبل الذى عليهما أن يعدانه له، وأخيراً خطر لشقيق زبيدة خاطر جديد ما لبث أن صارحهما به، لماذا لا يدخل مصطفى المدرسة العسكرية المجانية فى سالونيك؟

فالجندية بما فيها من انضباط ونظام صارم هى السبيل الوحيد لترويض نفسيته المتمردة وطباعه الشرسة، فإذا ما قدر له أن ينجح فيها فقد ضمن حياته وأمن مستقبله، إنه الآن فى الخامسة عشرة من عمره، وقد آن له أن يواجه الحياة ويتحمل مسؤوليته بنفسه.

ووافقت زبيدة لمشورة أخيها دون أن تستطيع إخفاء خوفها من هذا المصير المحفوف بالمخاطر الذى سيساق منها إليه، وما إن فاتحت ابنها فى المساء، وقبل أن يأوى إلى فراشه، بما يعتزم خاله بشأنه، حتى سرت فى عروقه نشوة لم يشعر

(١) انظر ذئب الأناضول ـ مصدر السابق.

بمثلها من قبل، وومضت عيناه ببريق غريب كمن كان أعمى وأبصر فجأة إشراقة الشمس، لقد وجد أخيراً الطريق الذى أعده له القدر والجندية.

ودخل المدرسة الحربية فى سلانيك سنة ١٨٩٣ م، وكان اسمها مدرسة الرشدية العسكرية، وكان يطلق عليه اسم مصطفى فقط، ولكنه فى أحد الأيام يخاطبه أستاذ الرياضيات بقوله: «إن تسمينا كلانا هو مصطفى، يجب أن يكون هناك تمييز، فلتضف إلى آخر اسمك كمال، كن أنت مصطفى كمال».

وأقبل فى كليته وبحماس بالغ على دراسته العسكرية حتى أحرز فيها تفوقاً باهراً، وظهرت مواهبه أكثر ما ظهرت فى الرياضيات واللغات الأجنبية، لا سيما الفرنسية، كما أظهر براعة فائقة فى تنظيم الطوابير والاستعراضات العسكرية، مما أثار إعجاب أحد أساتذته المدعو مصطفى أيضاً فرقاه إلى رتبة (تلميذ مدرس) وطلب منه الإشراف على بعض الدروس التى كانت تلقى على التلامذة الصغار المبتدئين، وسر مصطفى أيما سرور بهذه الترقية السريعة التى أتاحت له لأول مرة فرصة السيطرة وإصدار الأوامر.

وقضى مصطفى كمال سنتين فى مدرسة سالونيك الإعدادية بز خلالهما جميع رفاقه فى جميع المجالات، فقد كان مبدؤه فى الحياة أن يكون الأول فى كل شىء أو لا يكون شيئاً على الإطلاق.

وفى نهاية العام الثانى تقدم إلى امتحان فكانت درجته الأول بين جميع المتخرجين وعلق اسمه على لائحة الشرف، وأرسل إلى المدرسة العسكرية العليا فى (موناستير) فى مقدونيا.

وفى هذه الأثناء تتزوج أمه التى كانت أرملة فى الخامسة والثلاثين من عمرها، دون أن تخبر أحداً من أبنائها من أحد الموظفين.

وغضب مصطفى كمال من هذا الزواج وترك البيت، وذهب إلى عمته، وأصبحت علاقته بوالدته علاقة ضيقة وزياراته لها قليلة وعلى فترات متباعدة.

وتخرج فى موناستير سنة ١٨٩٩ م[١].

---

(١) ، (٢) المنارة المفقودة، د. عبد الله عزام.

وفى سن ١٨ ـ ١٩ يأتى إلى استانبول للالتحاق بالمدرسة الحربية، ولكنه استمر فى هوايته للخطب المنبرية السياسية فقد كانت السياسة تسرى فى عروق الشباب فى هذا الزمان الذى يعج بالمؤامرات والفتن وهو عصر السلطان عبد الحميد الثانى.

وهكذا أصبح الفتى المشاكس الذى رفض العمامة وحِفْظ القرءان وعلوم الدين عسكريا يدرس العلوم العسكرية ليكون ضابطاً فى الجيش التركى العثمانى، وهو يرى أنه وجد فى المكان الصحيح والحياة التى خلق لها وخلقت له فأقبل بكل حماس على الدراسة العسكرية وأظهر التفوق فيها.

وقد قضى فى مدرسة سالونيك العسكرية عامين كان الأول على أقرناه وتخرج فيها وأرسل إلى المدرسة العسكرية العليا كما ذكرنا فى موناستير فى مقدونيا وهى تعادل الآن الكلية الحربية من عصرنا الحالى كى يتخرج منها بعد الدراسة ضابطاً فى الجيش العثمانى.

وما أن التحق بالمدرسة العسكرية العليا بمقدونيا حتى اشتعلت الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وقد انتهت بتدخل الدول الأوربية الكبرى بريطانيا وفرنسا وروسيا وحملت الطرفين المتنازعين على الصلح وتوقيع معاهدة صلح عام ١٨٩٨ م وكان الصراع بين الأتراك واليونان على جزيرة «كريت» وقد قامت اليونان باحتلالها إلا أن المعاهدة أدت إلى انسحاب اليونان منها على أن تتمتع باستقلال ذاتى تحت حكم حاكم من أهلها يكون تابعاً للسلطان العثمانى.

وبهذا فقدت الدولة العثمانية السيادة الفعلية على تلك الجزيرة كما فقدتها على كثير من الدول العربية التى كانت تابعة فعليا لها ثم أصبحت التبعية إسمية بعد احتلال تلك الدول من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا.

فقد كانت اليونان جزءاً من الدولة العثمانية عدا الجزر الأيونية التى كانت تحت سيطرة الفرنسيين ثم البريطانيين منذ عام ١٨١٥ م.

الحرب بين اليونان والدولة العثمانية والنزاع على جزيرة كريت

فى عام ١٨٢١ بدأت ثورة اليونان ضد الإمبراطورية العثمانية والتى كانت محتلة منها فقاموا بالثورة على الاحتلال التركى لبلادهم، وبدأت بذور الثورة اليونانية بالظهور من خلال نشاطات «أخوية الصداقة» وهى منظمة يونانية وطنية سرية تأسست عام ١٨١٤ م فى أرديسا الواقعة اليوم فى أوكرانيا.

وفى تلك الفترة كانت رغبة الاستقلال متفشية بين اليونانيين بجميع طبقاتهم وفنائهم، بعد أن تم شحن مشاعرهم الوطنية لفترة طويلة من الزمن بفضل جهود الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية التى كانت تعمل على تعزيز روح القومية الهيلينية أو اليونانية فى نفوس أتباعها، وقد كانت الكنيسة حينها الحصن الأخير للغة اليونانية والمسؤول الإدارى عن اليونانيين أمام السلطان العثمانى.

ومن العوامل التى ساعدت أيضاً على اندلاع الحرب، النمو الاقتصادى فى اليونان والتأثر بالأفكار الثورية الغربية التى ألهبت فى نفوس اليونانيين الغيرة على قوميتهم ووطنهم.

واندلعت شرارة الحرب فى شهر مارس عام ١٨٢١ عندما قام اليكساندروس إبسيلانتيس زعيم الفيليكى إتيريا بعبور نهر بروت اتجاه مولدافيا الرومانية والتى كانت حينها مقاطعة عثمانية، وكانت برفقته قوة صغيرة من ٤٥٠٠ محارب يونانى. وكان أليكساندروس يأمل بأن تحض تحركاته الريفيين الرومانيين للتمرد على الأتراك، ولكن بدلاً من ذلك قام الرومانيون بمهاجمة الأثرياء من بنى جلدتهم فاضطر ألكسندروس ورجاله للفرار سريعاً من أمام وجه العثمانيين.

ولكن فى نفس تلك الفترة انتفض اليونانيون ضد الحكم التركى فى شبة جزيرة بيلوبونيس شمال خليج كورنثوس والتى تشكل جزءا كبيرا من مساحة البلاد،

كذلك امتدت الثورة إلى عدة جزر يونانية، وعندما وصلت أنباء الثورة إلى السلطان أمر بشنق بطريرك القسطنطينية الأرثوذكسي غريغوريوس الخامس المقيم في استانبول بعد أن اتهمه بالفشل بضبط المسيحيين الرومانيين في طاعة السلطات العثمانية، وذلك بحسب المهمة التي كان من المفترض أن ينفذها، وتم ذلك مباشرة بعد احتفال البطريرك بقداس عيد الفصح عام ١٨٢١ وأعدم وهو مرتد زيه الديني، وإكراماً لذكراه تم إغلاق بوابة المجمع البطريركي منذ ذلك الحين.

وقام جيرمانوس مطران باتراس برفع علم الثورة في دير آيا لافرا بالقرب من كالافريتا هاتفاً «الحرية أو الموت» لتصبح كلماته تلك الشعار الذي تبناه الثوار في السنتين اللاحقتين.

بدأت حدة المعارك تتصاعد شيئاً فشيئاً متسببة بمجازر من قبل الطرفين، ففي جزيرة شيوس قتل العثمانيون ٢٥,٠٠٠ يوناني، بينما قتل اليونانيون ١٥,٠٠٠ من الأربعين ألف تركي المقيمين في شبه جزيرة بيلوبونيس.

واستمرت حرب الاستقلال ورفع أول علم رسمي للثورة فوق جزيرة سبيتسيس بيد لاسكارينا بوبولينا المترملة مرتين وأم لسبع أولاد والتي كانت فائقة الثراء واشتملت أملاكها على الكثير من السفن.

وفي ٣ أبريل من نفس العام أعلنت جزيرة سيبيتسيس ثورتها تبعتها جزيرة هيدرا وجزيرة بسارا لتجمع الجزر الثلاث قوة اشتملت على ٣٠٠ سفينة.

بعد ذلك قامت بوبولينا بدفع ثمان من سفنها لتنضم إلى القوى اليونانية الأخرى في حصار بيلوس وتمكنت بعدها من توفير وجلب المؤن للثوار عبر البحر لإكمال حصارهم لنافبليو حتى سقوطها.

تعتبر لاسكارينا بوبولينا بسبب إسهاماتها تلك في الثورة بطلة قومية في اليونان فهي واحدة من أوائل النساء التي لعبن دوراً محوريا في مسيرة ثورة الاستقلال، وبحسب رأي العديد من المؤرخين فإنه لولا بوبولينا ولولا سفنها لما تمكنت اليونان من نيل استقلالها أبداً، وكانت لاسكارينا بوبولينا من أصول ألبانية.

فى غضون عام تمكن الثوار من إحكام قبضتهم على بيلوبونيس تحت قيادة ثيودوروس كولوكوترونيس، وفى شهر يناير عام ١٨٢٢ أعلنوا استقلال اليونان وتم انتخاب أليكساندروس مافروكورداتوس رئيساً للبلاد.

وبعد أربعة أشهر فى ٢٦ أبريل هاجم اليونانيون أثينا ففر الأتراك المقيمون فيها إلى الأكروبوليس.

وفى شهر أغسطس وصلت قوة عثمانية لنجدتهم ولكن الثوار تمكنوا من محاصرتها فى شهر يونيو، وبعد أن وعدوا الأتراك المحاصرين بتأمين ممر آمن لهم قام اليونانيون بقتلهم فى مجزرة بشرية رهيبة ظلت ذكراها عالقة بأذهان الأتراك والمسلمين.

حاول العثمانيون غزو شبه جزيرة بيلوبونيس عدة مرات بين عامى ١٨٢٢ م و ١٨٢٤ م ولكن جميع محاولاتهم لم يتحقق لها النجاح وبدأت الخلافات الداخلية تتفاقم فى صفوف الثوار مما حال دون تمكنهم من بسط سيطرتهم على باقى الأراضى اليونانية وأيضاً من إحكام سلطتهم على شبه جزيرة بيلوبونيس.

وفى عام ١٨٢٣ تحولت تلك الخلافات لحرب أهلية فيما بين اليونانيين أنفسهم، فمن جهة كان هناك ثيودوروس كولوكوترونيس ورجاله، ومن جهة أخرى جيوروجيوس كونتوريوتيس وأنصاره وقد كان هذا الأخير رأس الحكومة التى شكلت فى عام ١٨٢٢، ولكنه أجبر على الفرار إلى جزية هيدرا فى شهر ديسمبر من نفس العام.

وبعد نشوب حرب أهلية ثانية عام ١٨٢٤ ثبت كونتوريوتيس بقوة مركزه قائداً لليونانيين، ولكن وصول القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا لمساعدة الأتراك عام ١٨٢٥ م شكل خطراً كبيراً على حكومة كونتوريوتيس وعلى الثورة بأكملها.

ظلت الحرب منذ بدايتها وحتى عام ١٨٢٥ بين العثمانيين واليونانيين، ولكنها شهدت تغيراً فى سير أحداثها عندما طلب السلطان محمود الثانى المساعدة من محمد على أقوى ولاته والذى كان قد جعل من مصر قوة تنافس سلطة العثمانيين

أنفسهم واستجاب محمد على لطلب محمود الثانى وأرسل أسطوله البحرى بقيادة ابنه إبراهيم باشا الذى وضع يده على بيلوبونيس وقام بنهبها وتدميرها، وبعد مقاومة شجاعة من قبل اليونانيين سقطت ميسولونغى أمام جيشه فى إبريل عام ١٨٢٦.

بعد ذلك حاول إبراهيم باشا اجتياح نافبليو ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه، وفى غضون ذلك كانت قواته قد تمكنت من اكتساح وتخريب الريف اليونانى. ثم تحول لشبه جزيرة مانى فقام إبراهيم باشا بإرسال مبعوث منه لأهالى مانى يطالبهم بالإستسلام والخضوع لمشيئة السلطان، وإن رفضوا فإنه سيقوم بتدمير أرضهم كما فعل مع بقية أجزاء شبه جزيرة بيلوبونيس، ولكن بدلاً من الاستسلام أرسل المانويين له جوابهم التالى:

من يونانيى مانى وبقية اليونانيين المقيمين فيها إلى إبراهيم باشا، لقد تلقينا رسالتك التى حاولت فيها بث الرعب والخوف فى نفوسنا قائلاً إنه إن لم نستسلم لك فسوف تقوم بقتل المانويين ونهب مانى، من أجل هذا فها نحن هاهنا ننتظرك وننتظر جيشك، نحن سكان مانى نوقع وننتظرك.

حاول إبراهيم باشا غزو مانى من جهة الشمال الشرقى قرب الميرو بتاريخ ٢١ يونيو ١٨٢٦، ولكنه أجبر على التوقف أمام التحصينات المنيعة التى كانت تنتظره فى فيرجاس.

وهكذا تمكن جيش مانى المؤلف من ٢٠٠٠ مانوى و ٥٠٠ لاجئ يونانى من أنحاء أخرى من هزيمته مرة أخرى، وقام المانويون بملاحقة جيشه حتى كالاماتا قبل أن يعودوا إلى فيرجاس.

كانت تلك المعركة مكلفة جداً لإبراهيم باشا ليس فقط من حيث تكبده خسائر بشرية وصلت لألفين وخمسمائة رجل ولكن لإحباطها خطته بغزو مانى من الشمال، حاول إبراهيم باشا مراراً معاودة غزو مانى ولكنه كان يخفق فى كل مرة، وكانت قواته تعانى من خسائر أكثر من تلك التى كانت تحدثها فى صفوف اليونانيين.

أما الحصيلة العامة لحملة إبراهيم باشا فقد كانت سقوط شبه جزيرة بيلوبونيس بيد العثمانيين من جديد، فبعد سقوط ميسولونغى، سقطت أيضاً أثينا فى أغسطس ١٨٢٦ وأكروبوليس فى يونيو ١٨٢٧، وهكذا عادت معظم أجزاء اليونان لسلطة العثمانيين عدا مدينة نافبليو وبضع جزر يونانية ومناطق أخرى قليلة وذلك بفضل تدخل الجيش المصرى بقيادة ابن محمد على باشا والى مصر.

لكن الدول الأوربية الكبرى تدخلت لصالح اليونان لدى الدولة العثمانية حيث طالبتها بضرورة إقامة دولة يونانية مستقلة وذلك حين اتفقت كل من إنجلترا وروسيا وفرنسا بعد عقد اتفاق لندن فى يوليو عام ١٨٢٧ م.

قام الإنكليز والفرنسيون والروس بإرسال أساطيل حربية قرب سواحل اليونان، ولكن العثمانيون رفضوا التدخل الأجنبى فيما اعتبروه قضية داخلية فى سلطنتهم، فقامت أساطيل الحلفاء بتدمير الأسطول المصرى والتركى فى خليج نافبليو فى ما عرف بمعركة نافارين بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧، واستمرت الحرب وتعقدت أمورها مع نشوب الحرب الروسية التركية بين عامى ١٨٢٨ م و ١٨٢٩ م.

ففى عام ١٨٢٨ انتخبت الجمعية الوطنية فى ترويزين الكونت إيوانيس كابوديسترياس من كورفوكاول حاكما لليونان بعد أن أخرج الجيش المصرى التركى بشكل دائم من شبه جزيرة بيوبونيس، وكان اليونانيون قد أعلنوا دولتهم كجمهورية.

ولكن فى وقت لاحق وقع اتفاق يونانى تركى مدعوم من قبل القوى الأوروبية يقر بقيام مملكة اليونان المستقلة تحت حماية أوربية وذلك بموافقة السلطان العثمانى، وقع ذلك الاتفاق فى ٢١ يوليو ١٨٣٢ م بحضور المبعوث البريطانى السير سترادفورد كانينغ وممثلى بقية الدول الكبرى وسمى (معاهدة القسطنطينية).

بموجب هذه المعاهدة تم ترسيم حدود المملكة اليونانية مع السلطة العثمانية، حيث امتدت الحدود الشمالية كخط وهمى من ارتا إلى فولوس، وأعيد التأكيد عليها فى بروتوكولول لندن بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٣٢ الذى وضع من قبل الدول العظمى وصدق فيه على ترتيب القسطنطينية، ودفع للأتراك مبلغ ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ ليرة عثمانية كتعويض لهم عن خسارة الأرض اليونانية.

وفى ٣١مارس ١٨٣٣ م انسحبت القوات التركية من المواقع التى احتلتها فى الأكروبوليس.

وبعد أربع سنوات من انتخاب كابوديستريديا كرئيس للجمهورية أغتيل فى مدينة نافبليو العاصمة الجديدة للبلاد.

وبعد مضى عام على ذلك اختارت كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا الأمير أوتو بن لودفيغ الأول ملك بافاريا ليكون أول ملك على اليونان، وكان لا يزال حينها فى السابعة عشرة من عمره.

وفى عام ١٨٣٤ م انتقلت العاصمة إلى أثينا والتى كانت حينها مدينة لعشرة آلاف نسمة، وفى عام ١٨٣٧ م افتتحت جامعة أثينا، وأجبر الملك أوتو من قبل العسكر على قبول دستور للمملكة عام ١٨٤٣ م.

وفى عام ١٨٦٢ خلعه الجيش عن العرش ونفى مع زوجته أميليا ليستبدل فى العام التالى بأمير دانمركى هو كريستيان ويليام فرديناند أدولفوس جورج، الذى أصبح جورج الأول ملك اليونانيين.

وفى عام ١٨٦٤ تخلت بريطانيا عن الجزر الأيونية لصالح المملكة اليونانية.

ثم انتقل الصراع بين الدولة العثمانية التركية واليونان حول السيطرة على جزيرة «كريت» التى طالبت اليونان بضمها إلى دولتهم وتحريرها من السيطرة التركية.

وكانت تلك الجزيرة قد تم فتحها وضمها للدولة العثمانية فى عهد السلطان إبراهيم الأول الذى تولى الحكم والسلطة بعد وفاة أخيه مراد الرابع فى عام ١٠٤٩م وكانت جزيرة «مالطا» معقلاً إرهابيا لقوات فرسان القديس يوحنا الإرهابية الصليبية وكانت تهدد مصالح الأتراك فى البحر الأبيض ونقل قوافل الحجاج المسلمين فى البحر.

ورغم الحالة السيئة التى كانت عليها أجهزة الحكومة، وتغلغل نفوذ نساء القصر؛ فإن الدولة العثمانية ظلت قوية لم تتأثر كثيراً بتخبط السلطان وكبار رجاله، وقام السلطان فى وقت تيقظه وانتباهه لتبعات منصبه بغزو جزيرة كريت،

فقد كانت جزيرة كريت خاضعة لجمهورية البندقية وضمها لدولة العثمانية يعد ضرورة لأمن الدولة عسكريا.

وحدث أن وقعت سفينة عثمانية تحمل رجالاً ونساء وأطفالاً فى أيدى فرسان القديس يوحنا، وكان مقرهم جزيرة مالطة، وكانت السفينة فى طريقها إلى الحجاز، وقام هؤلاء القراصنة بقتل الرجال وسبى النساء، وتنصير الأطفال؛ ليكونوا فى زعمهم جنوداً من جنود المسيح عليه السلام يحاربون ويقتلون المسلمين فى أعالى البحار(١).

ولهذا قررت الدولة الاستيلاء على جزيرة كريت، ودأب السلطان إبراهيم على زيارة الترسانة البحرية، والإشراف على الاستعدادات، وأعطى القيادة العليا لمشير البحر الوزير يوسف باشا، وتحركت الحملة فى ٣٠ من إبريل ١٦٤٥ م وكانت تضم ١٠٦ سفن و ٣٠٠ ناقلة جنود، وما يزيد على ٧٠ ألف جندى، وفى الطريق توقفت فى نافارين.

ثم وصلت الحملة إلى كريت، وضربت حصاراً حول قلعة «كانيه»، واستسلمت القلعة على الرغم من تحصينها وقوة دفاعاتها، غير أن الحملة لم تتمكن من السيطرة على الجزيرة كلها، وتركت قوة تعدادها ١٢٠٠٠ جندى للمحافظة على كانيه وحمايتها، ومواصلة فتح الأجزاء المتبقية فى الجزيرة، وفى السنة التالية فرض العثمانيون حصاراً حول «كنديا» عاصمة الجزيرة، لكن حال دون فتحها تمرد الجنود الإنكشارية العثمانية على السلطان.

ازدادت أحوال الدولة سوءاً، واضطربت ماليتها، ونزع الإنكشارية إلى التكتل والتدخل فى شؤون الدولة، وحاول السلطان إبراهيم أن يقمع الفتنة، ويتخلص من زعماء الإنكشارية بعد أن علا صوتهم، وازداد تدخلهم فى شؤون الدولة، وتركوا مهمتهم الأصلية فى الدفاع عن الدولة ومهاجمة أعدائها إلى التذمر وانتقاض

---

(١) اقرأ كتابنا «دولة فرسان مالطا وغزو العراق» لنتعرف المزيد والمفيد عن هذه الدولة التى ما زالت متواجدة حتى الآن تمارس الإرهاب وحرب المسلمين ومساعدة القوات الأمريكية وغيرها، الناشر دار الكتاب العربى.

أعمال السلطان، والقيام بالسلب والنهب.

وعندما علم زعماء الإنكشارية بعزم السلطان، تحركوا سريعاً وأعلنوا ثورتهم، وعاونهم فيها شيخ الإسلام «عبد الرحيم أفندى» وبعض العلماء، وكانت السلطانة الوالدة «كوسم مهبيكر» تقف وراء الثورة، واتفق الجمع على عزل السلطان وتولية ابنه «محمد الرابع»، ولم يكن قد أتم السابعة من عمره، ووقعت هذه الثورة فى ٨ من أغسطس ١٦٤٨ م وتحقق لها خلع السلطان وجلوس طفل صغير على عرش دولة كبيرة ثم قتل السلطان المخلوع بعد ذلك.

واستمر الصراع بين اليونانيين ـ وخاصة بعد استقلالها ـ والأتراك العثمانيين حتى أواخر عصر السلطان عبد الحميد الثانى وكان مصطفى كمال طالباً فى المدرسة الحربية العليا، وانتهى الصراع باستقلال جزيرة كريت من الدولة العثمانية فعليا باستقلال ذاتى بعد توقيع معاهدة صلح عام ١٨٩٧ كما ذكرنا.

ورأى مصطفى كمال أن خروج الجزيرة من تحت سيطرة الدولة العثمانية خسارة كبيرة واتخذها ذريعة للثورة على سياسة السلطان العثمانى وهو ما زال طالباً فى الكلية العسكرية.

وشجع مصطفى كمال وجود غيره من الطلاب فى الكلية العسكرية للثورة على سياسة السلطان العثمانى حيث أن الجزء الغربى من الدولة العثمانية كان مشتعلاً بالحركات الثورية التى تطالب بالاستقلال وقد تكون فى تلك الفترة تنظيماً سرياً من ضباط المستقبل يرى أن تغير نظام الحكم السلطانى ضرورة ملحة.

وقد انخرط مصطفى كمال فى هذا التيار السياسى العسكرى الجديد ورأى انخراطه فى هذا التنظيم السرى يؤهله لتحقيق أحلام ظلت تراوده فى يقظته ومنامه.



مصطفى كمال والضباط الثوريون وبداية المشوار نحو القمة

- في عاصمة السلاطين ثائراً.
- انخراطه في العمل السياسي وتكوينه لجمعية سرية مناهضة للسلطان عبدالحميد الثاني وأول محاولة انقلابية.
- القبض على مصطفى كمال واعتقاله ثم العفو السلطاني عنه.

4

فى عاصمة السلاطين ثائراً

انخرط مصطفى كمال فى العمل السياسى منذ التحاقه بالمدرسة العسكرية فى «موناستير»، حيث وجد هناك جمعيات للعمل الثورى السرى منتشرة بين ضباط الصف هدفها الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثانى الذى تربع على عرش السلطنة سنوات طويلة تجاوزت فى مجملها الثلاثين عاماً وقد وصفوه بالحاكم المستبد.

وكما أن الحياة العسكرية قد استهوته كذلك العمل السياسى الثورى السرى، فشارك فيه بكل حماس وساهم فى كتابة المنشورات السرية المناهضة للحكم وتعرف على صديق له يدعى «فتحى» كان مثله منخرط فى العمل السياسى السرى بجانب دراسته العسكرية.

فى هذه الأثناء اطلع مصطفى كمال على مؤلفات «فولتير» و «روسّو» و«مونتيسكيو». وهم من رواد وفلاسفة الثورة الفرنسية وكانت تلك الكتب من الممنوعات فى ذلك الوقت.

وبعد أربع سنوات فى المدرسة العسكرية فى «موناستير» أنهى دراسته وتخرج فيها برتبة ضابط «ملازم ثان» ونظراً لتفوقه فى الدراسة أرسل لاستكمال دراسته فى كلية الأركان العليا فى العاصمة استانبول.

ووجد نفسه وجهاً لوجه فى عاصمة السلاطين العثمانيين حيث ضفاف البوسفور وحركة البواخر التى تعبر من الشاطئ الآسيوى إلى الشاطئ الأوربى ومن الأوربى إلى الآسيوى وحيث روعة قصور السلاطين والأبنية الحكومية والمآذن الخضراء يتطلع إليها وكأنه فى حلم جميل لا يريد أن يفيق منه.

وتخرج فى كلية الأركان فى عام ١٩٠٥ م برتبة «يوزباشى» «نقيب» وهو فى الرابعة والعشرين من عمره متفوقاً على أقرانه وساعده تفوقه على العمل مدرساً فى الكلية الحربية وقد لفت تفوقه فى الدراسة انتباه رؤسائه.

فقد كانت «العسكرية التركية» خلافاً للوظائف المدنية لا تخضع لاعتبارات الحسب والنسب أو مكانة الأهل وثرائهم، بل كان يكفى أن يكون ضابط الكلية الحربية من أصحاب الكفاءة حتى يفسح فى المجال أمامه للوصول إلى أرفع المراتب، وكان هذا سر قوتها الذى مكنها من تحقيق فتوحاتها الواسعة فى الشرق وفى أوروبا.

لذلك لم يكن انتماؤه إلى طبقة الفلاحين ليعيق تقدمه أو ليقف حجر عثرة أمام طموحه ومواهبه.

إلا أنه وجد نفسه مرة أخرى محاطاً بضباط ثوريين قد نظموا أنفسهم فى خلايا وجمعيات سرية، شأن إخوانهم من «صف الضباط» فى «موناستير» ولكن بشكل أكثر نضجاً وأفضل تنظيماً، فقد كانوا جميعهم فى العشرين أو الثلاثين من العمر.

وكانت جمعية «وطن» أقوى هذه الجمعيات وأكثرها انتشاراً، فانضم مصطفى كمال إليها وراح يساهم فى عقد اجتماعاتها وفى كتابة نشرتها السرية التى تحمل اسمها، يدعو فيها الجيش والشعب للثورة على الاستبداد والثورة على السلطان والفاسدين الذين يدعمونه، ليظلوا متنعمين بمراكزهم التى تتيح لهم الإثراء بشتى الوسائل والسبل غير المشروعة، وأقلق هذا أجهزة المخابرات التابعة للسلطان عبد الحميد حيث إن أعداد هذه النشرات كثيراً ما تقع بين أيديهم، إلا أنهم عجزوا عن اكتشاف مكان صدورها وأسماء الذين يساهمون فى تحريرها، ورفعوا بذلك تقريراً إلى السلطان عبد الحميد.

كما كانت نشرات الجمعية تهاجم الوعاظ ورجال الدين الذين يعوقون فى نظرهم كل تقدم وإصلاح، وأقسم أعضاء الجمعية معاهدين أنفسهم على المضى فى مكافحة استبداد السلطان وإنشاء حكومة دستورية يختارها برلمان شعبى، تكون مهمتها تحرير الشعب من رجال الدين وتحرير النساء من الحجاب ونظام الحريم.

فلقد كانت تركيا محكومة بقوة من السلطان وجواسيسه، وما لم يسمح للأفكار الجديدة بالمرور فى عروقها فمصيرها حتماً إلى الموت[1].

(١) هـ. س. أرمسترونج، الذئب الأغبر مصطفى كمال، كتاب الهلال، القاهرة، دار الهلال، يوليو ١٩٥٢.

واستدعى السلطان القائد العام للتدريب الحربى إسماعيل حقى باشا، وعنفه على عدم اكتشافه لهذه الجمعية السرية من قبل وبالتالى القضاء عليها فى المهد. ولم يكن سخط «إسماعيل حقى باشا» بأقل من سخط السلطان على هذه «الفضيحة العسكرية»، فأرسل وراء مدير الكلية الحربية وعنفه تعنيفاً شديداً لتغاضيه عن نشاط أعضاء هذه الجمعية والمروجين لمبادئها، وطلب منه بحزم عدم السماح لأى من الضباط بالاشتغال فى السياسة.

فما كان من هؤلاء إلا أن بدأوا يجتمعون خارج ثكناتهم العسكرية وكان مصطفى كمال فى هذه الأثناء قد أصبح رئيساً للجمعية بعد أن طغت شخصيته وأفكاره على الآخرين، فاستأجر غرفة فى أحد الأحياء الشعبية الفقيرة لإبعاد الشبهة وتضليل رجال البوليس، وجعلها مركزاً لعقد الاجتماعات وإصدار نشرة «وطن» السرية.

لكن البوليس السرى التابع للسلطان تمكن آخر الأمر إلى اكتشاف مكان الاجتماعات عن طريق أحد عملائه الذى انضم إلى الجمعية، بعد أن أوهم أعصاءها بأنه لا يقل عنهم نقمة على السلطان ونظام حكمه.

وأثناء انعقاد الاجتماع، دهم رجال البوليس المكان، واعتقلوا جميع أعضاء الجمعية بمن فيهم مصطفى كمال، وزجوهم فى «السجن الأحمر» الرهيب.

ولما تبين أثناء التحقيق أن مصطفى كمال هو زعيم الجمعية، فصل عن رفاقه الآخرين وزج به فى «زنزانة» منفردة تحت الأرض، لا يدخلها النور إلا من خلال كوة صغيرة تعيث فيها الحشرات والهوام محومة باستمرار فوق رأسه فى النهار، ومتخذة من فراشه مأوى لها فى الليل، كما منعت عنه قراءة أى كتاب أو صحيفة ولم يسمح له حتى بالتدخين حتى كاد أن يصاب بالجنون من هذا الحبس الانفرادى(١).

وهكذا يفعل الحبس الانفرادى بأصحابه، إلا أنه وذات يوم، ودون مقدمات، دخل إلى زنزانته اثنان من الجنود المسلحين واقتاداه إلى مكتب «إسماعيل حقى باشا»

(١) انظر ذئب الأناضول ـ مصطفى الزين.

فى وزارة الحربية، وهناك قال له إسماعيل حقى باشا:

«لقد أظهرت منذ دخولك «الحربية» مقدرة فائقة شهد لك بها جميع أساتذتك ورؤسائك. وكان أمامك مستقبل باهر لخدمة وطنك وسلطانك. لكنك بدلاً من ذلك قد جلبت العار على نفسك وعلى لباسك العسكرى وانغمست فى تيار الخيانة والتآمر الذى جرف بعض الضباط من رفاقك المضللين المغرورين. على أن عظمة السلطان قد ارتأى، رغم كل ما قمت به، أن يظهر نحوك الرأفة والحلم باعتبار أنك شاب طائش قد انسقت إلى ذلك الإجرام دون أن تقدر عواقبه وخطورته.

لذلك فقد أمر بإلحاقك بأحد الفيالق المعسكرة فى دمشق. واعلم جيداً أن مستقبلك يتوقف على التقارير التى سيرفعها رؤساؤك إلينا بحقك. فعليك أن تكف عن جميع هذه الحماقات وأن تكرس كل وقتك وجهدك للنهوض بواجباتك العسكرية.. فخذ حذرك واعلم أن هذه فرصتك الأخيرة وإنه لن تتاح لك فرصة أخرى مثلها. وأكرر إنها فرصتك الأخيرة.. أفهمت؟!»[1].

ثم اقتيد إلى باخرة متجهة نحو بيروت فصعد إليها دون أن يسمح له بتوديع أحد من رفاقه ولا حتى والدته وعندها أدرك مصطفى كمال، أن الاشتغال بالسياسة قد يصل به إلى الدرج الأسفل وعليه التريث قليلاً حتى ينسى رؤساؤه ما حدث.



(١) المصدر السابق.

أول محاولة انقلابية ضد السلطان العثمانى تنطلق من دمشق

وصل مصطفى كمال إلى عمله الجديد فى دمشق فوجد ثورة للدروز فى جنوب سوريا، وكانت فرقته العسكرية قد صدر لها الأوامر بقمع تلك الثورة التى كانت فى مركز «درعا» وقد تحصن الثوار الدروز فى الجبال، وبالتالى فقد فشلت الفرقة العثمانية فى التصدى لها.

فقام الجنود العثمانيون بالهجوم على القرى وحرقها ونهبها وائتلاف الأراضى انتقاماً من الثوار، ورفض مصطفى كمال المشاركة فى أعمال النهب والحرق لتلك القرى وحين سأله رئيسه عن ذلك قال له: إن الضباط الأتراك الشبان اليوم هم غير الضباط القدامى، يرفضون أعمال القمع التى يأمر بها.

وبدأ فى الاتصال مع الخلايا الثورية فى القوات العثمانية وأعاد تنظيم خلايا جمعيته السابقة «وطن» ولقى تجاوباً من عدد كبير من الضباط أمثاله الناقمين على السلطان عبد الحميد الثانى(١).

ووضع مصطفى كمال خطة انقلابية عسكرية مع هؤلاء الضباط الثائرين وأن يبدأ هذا الانقلاب العسكرى من داخل الفيلق العسكرى الذى يعمل به حيث خطط للاستيلاء على الفيلق وتملك القيادة فيه ثم الزحف نحو العاصمة استانبول ثم خلع السلطان وطرد جميع الوزراء ورجال القصر وتأليف حكومة جديدة برئاسته لتولى الحكم وإعلان النظام الجمهورى.

لكنه تراجع عن خطته الانقلابية والتمرد العسكرى لخوفه من عدم جمع الأتباع اللازمين من البلاد السورية وكذلك بعد المسافة بين دمشق والعاصمة العثمانية.

وفى تلك الأثناء وصلته رسالة من صديقه القديم «فتحى» يطلب منه اللحاق

---

(١) انظر ذئب الأناضول ـ مصدر السابق.

به فى «سالونيك» كى يتم تدبر الأمر وانطلاق الثورة من سالونيك إلى سائر الأراضى التركية ومساندة يهود الدونمة لحركته.

وبالفعل طلب من قائده إجازة وغادر دمشق إلى «يافا» حيث قائد الحامية العثمانية هناك وهو أحمد بك الذى كان عضواً بارزاً فى جمعية «وطن» التى يترأسها مصطفى كمال.

ووصل إلى «يافا» متنكراً وقابل «أحمد بك» الذى ساعده فى السفر إلى سالونيك سرا، وهناك اتصل برفاقه من الثوريين لدراسة عمل انقلاب عسكرى إلا أن جواسيس السلطان اكتشفوا تواجده هناك ورفعوا بذلك تقاريرهم.

وصدرت الأوامر إلى الشرطة فى سالونيك بالقبض عليه، لكن قائد الشرطة فى سالونيك كان أحد أعضاء جمعية «وطن» فقام بتهريبه إلى اليونان ومن هناك سافر إلى «يافا» حيث «أحمد بك» قائد الحامية هناك الذى وصلته الأوامر أيضاً باعتقال مصطفى كمال، فنصحه بالفرار إلى غزة حيث صديقه «مفيد لطفى» الذى ساعده فى العودة إلى دمشق وكتب إلى رؤسائه فى استانبول مؤكداً لهم أن مصطفى كمال لم يغادر «غزة» إلى سالونيك ونفى عنه شبهة التآمر على السلطان وأن التقارير الصادرة فى حقه من البوليس السرى غير صحيحة وبذلك نجا مصطفى كمال من الاعتقال والمحاكمة.

وعاد مصطفى كمال إلى عمله فى دمشق وانقطع مؤقتاً عن العمل السياسى حتى يحظى بثقة رؤسائه كما نصحه أصدقاؤه وأعوانه فى التنظيم السرى.

وبالفعل رفعت التقارير إلى القيادة فى العاصمة أن مصطفى كمال قد عاد إلى رشده ويؤدى واجباته العسكرية، وتم نقله إلى فرقة أركان حرب الجيش الثالث فى سالونيك وهو ما كان يسعى إليه مصطفى كمال ورفاقه.

ورغم فشل أول محاولة انقلابية فكر فيها مصطفى كمال إلا أنه نجح فى العودة إلى سالونيك ثائراً ومخططاً لمؤامرات أخرى أكثر فعالية وقوة ضد السلطان عبد الحميد الثانى[1].

(١) انظر المصدر السابق بتصرف.

جمعية «الوطن والحرية» في وعاء الاتحاد والترقى

«مُجْبَر أخوك لا بطل» هذا المثل ينطبق على مصطفى كمال حين انتقل إلى «سالونيك» معقل اليهود أجداده، ومارس عمله فى فرقة أركان الجيش الثالث، وحين أراد استعادة جماعة «الوطن» التى كان يترأسها لم يجد أنصاراً له كما توقع لأنه فى تلك الفترة قد ظهرت جماعة أخرى هى الاتحاد والترقى والتى ضمت كل المنظمات الثورية السرية من الضباط والمثقفين ولم يجد مصطفى بداً من الانضمام إليها مضطراً.

والتحق بأحد فروعها وخلاياها وقد نشطت تلك الجماعة عقب رفض السلطان عبد الحميد طلب زعيم الصهاينة هرتزل من إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين مقابل تسديد الصهاينة لديون الدولة العثمانية فكانت جماعة الاتحاد والترقى ردا عمليا على هذا الموقف الحازم الوطنى من السلطان العثمانى[1].

قبل مصطفى أن يكون عضواً عاديا فى تلك الجماعة بعد أن كان رئيساً لجماعة الوطن، فهو يحب الزعامة ولا يرضى بسواها.

لقد توقف طموحه مؤقتاً أمام أطماع اليهود فى إزاحة السلطان لتحقيق أحلامهم الاستعمارية لفلسطين، وحين علم بتلك الأطماع الصهيونية وافق عليها مقابل اعتلائه السلطة والحكم فى تركيا فلا مانع لديه من بيع فلسطين لليهود أو للشيطان نفسه وهو ما تحقق له فى نهاية الأمر.

فقد أدرك منذ البداية أن جماعة الاتحاد والترقى ليست إلا خلية صهيونية ومحفلا من محافل الماسونية اليهودية العالمية، ونظراً لكونه عضواً عادياً فى تلك الجماعة لم يطل انضمامه فيها طويلاً فهو يحب الزعامة والقيادة ولا يرضى أن

(١) اقرأ كتابنا «السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين المحترمين» الناشر دار الكتاب العربى.

يكون عضواً عادياً، وهذا ما أكده رجل المخابرات الانجليزية أرمسترنج وكاتب سيرة مصطفى كمال فى كتابه «الذئب الأغبر».

فقد كانت اجتماعات «الاتحاد والترقى» تعقد فى بيوت بعض اليهود المنتمين للجنسية الريطالية والجمعيات الماسونية، إذ دأب أعضاء الاتحاد والترقى على الاحتماء بحضانة هؤلاء اليهود من القبض عليهم أو محاكمتهم أمام المحاكم التركية بحكم معاهدات الامتيازات الأجنبية، كما أن بعض أعضاء «الاتحاد والترقى»، قد انضم إلى جماعة «الماسون» واستعانوا على تأليف جمعيتهم الثورية وتنظيمها باقتباس أساليب المنظمات الماسونية.

وحين انضم مصطفى كمال إلى إحدى خلايا جمعية «الاتحاد والترقى»، وجد غالبية الأحاديث تدور حول اضطهاد اليهود فى روسيا وفى سواها من الدول الأوروبية، فأدرك أنه قد تورط فى الانضمام لمنظمة دولية سرية هدامة، وهو الذى لم تكن تعنيه فى شىء طقوس الماسونية أو اضطهاد اليهود، كما أن جمعية «الاتحاد والترقى» لم تعهد إليه بما يتفق مع طبيعته القيادية الآمرة الناهية، بل كان عضواً عليه تنفيذ الأوامر خلف نقاب الطقوس الماسونية المعقدة.

ولهذا ثارت ثائرته على جمعية «الاتحاد والترقى»، وتشاجر مع زعمائها «أنور، وجمال، ويافيد، ونيازى، وطلعت»، واعتبر أن قادتها وزعماءها ليسوا سوى «خونة» أو «مغفلين» مغرورين هدفهم الوصول إلى السلطة بأى ثمن، وبدأ يبتعد عن الجمعية ويوجه لها نقداً لاذعاً وإن ظل على عضويته بها، لأنه لم يجد بديلاً عنها رغم محاولاته من إعادة جماعته «الوطن والحرية».

وحاول تجديد ما كان قد بدأه فى دمشق من إنشاء خلايا جديدة لجمعية «وطن والحرية»، فكان يعقد اجتماعات سرية مع الضباط الصغار والجنود ليشرح لهم الأخطار التى تحيط بالبلاد وضرورة القيام بالثورة. غير أن الثورة اندلعت، ليس على يد مصطفى كمال، وإنما على أيدى زعماء جمعية الاتحاد والترقى.

فقد قام «نيازى» بحفنة من الرجال فى الزحف عبر جبال مقدونيا الجنوبية متحدياً الحكومة، وفى الوقت نفسه، أصدر «أنور» بياناً أعلن فيه الثورة وزحف هو

الآخر بفيلق من الجنود من شرق مقدونيا.

وكانت حسابات مصطفى كمال أن ثورة نيازى وأنور ليست إلا مغامرة جنونية، لأن أعضاء جمعية الاتحاد والترقى لا يزيدون على ثلاثمائة شخص ما بين عسكريين ومدنيين.

إلا أن الثورة خيبت حساباته، فالجنود الذين أرسلهم عبد الحميد على جناح السرعة من استانبول إلى مقدونيا لسحق الثورة ما لبثوا أن انضموا إلى القائمين بها، إذ أقنعهم الثوار أن الثورة قامت لمصلحتهم ونجحت الخطة الماسونية اليهودية، وزاد الأمر تعقيداً عندما أصدر عبد الحميد أوامره إلى إحدى الفرق المرابطة بالعاصمة، بالتوجه إلى مقدونيا للقضاء على حركة التمرد بها، رفضت الفرقة تنفيذ الأوامر، مما رفع معنويات الثوار فقرروا الزحف على العاصمة.

وشعر السلطان عبد الحميد بأن العرش يهتز من تحته، فأعلن تأليف حكومة دستورية وعودة الدستور، وترحيبه باستقبال زعماء الثوار، فعاد نيازى وأنور على رأس قواتهما إلى سالونيك، واستقبلتهم هناك الجموع الحاشدة، وهناك أعلن أنور دستور الحكم الجديد من شرفة فندق «أوليمب بالاس»، كل هذه الانتصارات لا فضل لمصطفى كمال فيها.

وفى الأيام التالية، تدفقت على المدينة جموع من المنفيين السياسيين الذين أبعدهم عبد الحميد، وبينهم الأمراء ورؤساء الوزارات والوزراء السابقون وغيرهم، وانضم أكثرهم إلى الضباط الشبان الثائرين، واشتركوا فى جمعية «الاتحاد والترقى»، ثم هرعوا إلى استانبول ينشدون الظفر بنصيب من الغنيمة ويتآمرون للاستئثار بالحكم، وأصبحت الأمور مهيَّأة لتولى الاتحاد والترقى الحكم بالكلية عام ١٩٠٩ م.

وبعد نجاح الثورة العسكرية فى إحداث انقلاب دستورى وإجبار السلطان عبد الحميد الثانى بالعودة إلى دستور مدحت باشا الذى أوقف العمل به منذ عام ١٨٧٦ م حتى دبت الخلافات بين زعماء الثورة أنور ونيازى وغيرهما لكونهم شبابا لا خبرة لهم بالسياسة وأيضاً بالعسكرية.

فقد دب الخلاف بين الضباط الثوار الشباب وتم إبعاد نيازى إلى ألبانيا ثم دبروا هم أنفسهم اغتياله، وتم تعيين أنور ملحقاً عسكريا فى برلين، وأرسل مصطفى كمال الذى حسب على التنظيم العسكرى أو الاتحاديين فى مهمة عسكرية إلى «طرابلس الغرب» - ليبيا - وتم تعيين الضباط الآخرين فى وظائف لا تشكل خطراً على السلطان.

وكان نتيجة هذا الخلاف بين قادة الاتحاد والترقى واستهانة السلطان بهم لأنهم فى حد ذاته لا يشكلون خطراً فأعدادهم قليلة وهو ما اعترف به السلطان نفسه فى مذكراته، إلا أن القوة المحركة لهم كانت أقوى مما يتخيل ويتصور السلطان رغم معرفته بذلك، فقد كان يدرك أن الماسونية والصهيونية تقف وراء تنظيم الاتحاد والترقى.

وأراد السلطان القضاء على الاتحاديين بثورة مضادة مؤيدة له عام ١٩٠٩ م، واستغلت الماسونية الصهيونية تلك الثورة المضادة لصالحها، فقد تمرد جنود العاصمة على ضباطهم من الاتحاد والترقى وقتلوا بعضهم وسجنوا الآخرين وقام بالزحف على السراى وطرد أعضاء الجمعية ورفعوا شعارات التأييد للسلطان عبد الحميد الثانى بوصفه خليفة للمسلمين وكان ذلك فى أبريل ١٩٠٩ وعرفت تلك الثورة المضادة بأحداث «٩ مارس».

وكاد الأمر ينتهى بضباط الاتحاد والترقى ويقضى عليهم بالفعل، إلا أن الماسونية الصيونية قد أمرت أحد زعمائها فى العاصمة التركية ويشغل منصب القائد الأعلى للقوات التركية فى مقدونيا ويدعى «محمود شوكت باشا» بالتحرك لنصرة ضباط الاتحاد والترقى.

فقام محمود شوكت باشا - العراقى الأصل - بالوقوف بجانب الثوار الاتحاديين وأصدر أوامره إلى الجيشين الثانى والثالث التركى المعسكرين فى مقدونيا تحت قيادته بالتحرك والزحف على العاصمة استانبول وعين مصطفى كمال رئيساً لأركان حربه وسلم قيادة الفرسان «لأنور» الذى عاد من برلين.

واستطاع محمود شوكت من القضاء على الثورة المضادة وعزل السطان

عبد الحميد وخلعه، بعد أن رفض السلطان أن تقوم قوات الجيش التابعة له بالتصدى لقوات محمود شوكت كما جاء ذكر ذلك فى مذكرات السلطان.

وعاد ضباط الاتحاد والترقى بقيادة «أنور» إلى الحكم مرة أخرى وتولى السلطان محمد الخامس أحو السلطان عبد الحميد منصب السلطان الذى أصبح منصباً شرفيا.

ونظر لأن دور مصطفى كمال فى هذه الثورة العسكرية وعزل السلطان غير مؤثر فقد عاد إلى عمله العسكرى وأصبح قائد أركان الحرب للجيش التركى فى مقدونيا عام ١٩٠٩ م.

ثم عين مشرفاً على مدرسة الضباط فى سالونيك.

ثم عاد لانتقاد قادة الاتحاد والترقى لحبه فى القيادة وشعوره فى أنه أفضل منهم لقيادة تركيا، فتم انتدابه للعمل فى ديوان الوزارة فى العاصمة لذلك رأى أن هذا الانتداب كان عقاباً له على انتقاداته لقادة ثورة الاتحاد والترقى.

وقد وجهت تهمة الخيانة وقيادة تنظيم يهدف إلى قلب نظام الحكم له، إلا أن محمود شوكت باشا الذى عمل وزيراً للحربية فى وزارة الاتحاديين ولكونه ماسونيا استدعى مصطفى كمال وقد عفا عنه وأسقط التهمة ونقله إلى وزارة الحربية فى العاصمة حتى يكون تحت المراقبة الدائمة منه.

أما قادة الاتحاد والترقى فقد أغرقوا البلاد فى الديون والقروض حتى إن «جاويد اليهودى» وزير المالية استدان ٥٠٠ مليون جنيه استرلينى من بريطانيا وفرنسا وباع سكة حديد بغداد للألمان وأدت تصرفات القادة الجدد إلى احتلال إيطاليا لطرابلس الليبية فى أكتوبر عام ١٩١١ م فتم ارسال مصطفى إلى هناك، واستطاع منع القوات الإيطالية من التوغل فى الأراضى الليبية، ثم عقدت اتفاقية صلح بين تركيا وإيطاليا عام ١٩١٢م وعاد مصطفى كمال إلى العاصمة إستانبول.

الحرب الإيطالية التركية
(الحرب الليبية) ومصطفى كمال

الحرب الإيطالية ـ التركية أو كما يطلق عليها الحرب الليبية تشير إلى العمليات الحربية بين القوات الإيطالية وبين الإمبراطورية العثمانية (الأتراك) ما بين ٢٨ سبتمبر ١٩١١ وحتى ١٨ أكتوبر ١٩١٢ لاحتلال ليبيا (طرابلس وبرقة) وانتهت الحرب باحتلال ليبيا لسنوات طويلة من الإيطاليين.

فقد دفعت المطامع الاستعمارية الإيطالية أن تستولى على ليبيا بأقاليمها طرابلس وبرقة التابعة للسلطنة العثمانية.

على الرغم من امتلاك الدولة العثمانية أسطولا بحريا، شعر بخطورة الموقف خوفاً من فشل قواته أمام القوات الإيطالية التى تمتلك الطيران الجوى والأسلحة العصرية الحديثة، وفى نفس الوقت لم يكن لدى استانبول القدرة لإرسال التعزيزات لأقاليم ما وراء البحار.

وكانت الحرب خطوة مهمة نحو الحرب العالمية الأولى، فلقد قامت ببعث النزعة الوطنية لدى المواطنين، كذلك نجح الإيطاليون بهزيمة الأتراك العثمانيين، فى أن يشعلوا النزعة الوطنية فى البلقان ضد العثمانيين، الأمر الذى أدى إلى إعلان البلقانيين الحرب على الدولة العثمانية قبل انتهاء حربها مع إيطاليا.

وشهدت الحرب الإيطالية ـ التركية ظهور التقدم التكنولوجى فى العمليات العسكرية وخاصة العمليات الجوية فى ٢٣ أكتوبر ١٩١١ حلق الطيار الإيطالى (كابتن كارلو ماريا بياتزا) فوق الخطوط الجوية التركية فى مهمة استكشاف.

وفى ١ نوفمبر قامت القوات الجوية الإيطالية بإسقاط قنبلة (كبيرة) عن طريق الجو على القوات التركية فى ليبيا مما أدى إلى مصرع عدد كبير من

الأتراك، وكان لهذا التفوق العسكرى الإيطالى الأثر فى هزيمة الأتراك وعقد معاهدة للصلح رغم محاولة الاتحاديين الأتراك كسب تلك الحرب وحضور قادة الاتحاد والترقى معاركها بما فيهم مصطفى كمال الذى أرسل إلى هناك كما ذكرنا من قبل.

وصل الأسطول الإيطالى إلى طرابلس عصر يوم ٢٨ سبتمبر ولكن لم يبدأ بقصف الميناء إلا فى ٣ أكتوبر وبالفعل وقعت المدينة تحت يد ١٥٠٠ جندى الشىء الذى رفع معنويات الأقليات الإيطالية الداعية للحرب.

ولقد رفضت القوات الريطالية مبدأ الأرض مقابل السلام التى عرض من قبل القوات العثمانية فلقد صممت أن يكملوا الحرب وأن يدافعوا عن الأقاليم التى احتلوها حتى النهاية.

وفى ١٠ أكتوبر نزل ٢٠ ألفا من القوات الإيطالية إلى البر وتم الاستيلاء بسهولة على كل من (طبرق، درنة، الخمس)، بينما لم تنجح فى الاستيلاء على بنغازى.

تعرضت القوات الإيطالية فى ٢٣ أكتوبر إلى مقاومة حقيقية من قبل المجاهدين وذلك عندما أحاط بهم مجموعة من الفرسان العرب فى مدينة طرابلس الذين كانوا مدعمين من بعض الوحدات التركية.

انتهت معركة طبرق ٢٢ نوفمبر ١٩١١ بانتصار الأتراك بقيادة مصطفى كمال.

وصفت الصحف الإيطالية الهجوم بأنها مظاهرة إلا أنها قضت تقريباً على جانب كبير من الهيكل الإيطالى، نتيجة للأحداث الأخيرة قامت القوات الإيطالية بتوسيع عدد قواتها إلى ١٠٠ ألف لمواجهة ٢٠ ألف ليبى و ٨ آلاف تركى غير مسلحين بأسلحة عصرية وتحولت المعركة إلى حرب جوية وحرب مواقع.

وفى ٥ نوفمبر أعلنت إيطاليا سيادتها على ليبيا وعلى بعض الأقاليم البحرية ما عدا طرابلس، ولقد اتخذت القوات الإيطالية بعض الإجراءات الجذرية ضد المجاهدين مثل تنفيذ حكم الإعدام علناً فى الميادين كما حدث بعد ذلك

للمجاهد عمر المختار.

وبذلك أصبح لإيطاليا السيادة البحرية الكلية، فى الفترة ما بين شهر إبريل وأغسطس ١٩١٢ استطاعت إيطاليا أن تمد سيادتها إلى ٢,٠٠٠ كم طول الساحل الليبى.

وبعد أن توصلت إيطاليا إلى الحصول على موافقة القوات الأوروبية الأخرى قامت بتجهيز والقيام ببعض الهجمات ضد الممتلكات التركية فى بحر إيجة وذلك خوفاً من أن تنتهى الحرب التى استمرت أكثر من الفترة المتوقعة. نجح الإيطاليون بالاستيلاء على أرخبيل دوديكاليزو، التى ظلت تحت سيطرتهم حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

ومن العمليات التى قامت بها القوات الإيطالية خلال حرب بحر إيجة أنه ما بين ليلة ١٨ و ١٩ يوليو ١٩١٢ نجحت الكتيبة البحرية ٣ (شينتوارو، بيرسايو، أسترو، كليسينا) بأمر من الكابتن فاشيللو اينريكو ميللو بقصف استانبول والعودة مرة أخرى وذلك دون حدوث أى خسائر وهم تحت نيران الدفاع التركى.

أدى الغزو الإيطالى على ليبيا إلى تعرض إيطاليا إلى خسائر مادية طائلة، فلقد كانت التقديرات المادية الأولية للحرب ٢٠ مليون ليرة فى الشهر ولكن ارتفعت المصروفات حتى وصلت إلى ٨٠ مليون للشهر الواحد مما أدى إلى خلل فى خزانة الدولة الإيطالية لكن الاحتلال ظل مستمراً نحو ٣٥ عاماً.

لكن المقاومة الليبية الشعبية ظلت مستمرة حتى جلاء المستعمر الإيطالى بعد الحرب العالمية الثانية بهزيمة إيطاليا فى تلك الحرب.

وتركت حكومة الاتحاد والترقى الشعب الليبى يواجه الاحتلال حتى نال استقلاله بعد سنوات طويلة ومريرة حتى الحرب العالمية الثانية لم يقدم خلالها الأحرار العثمانيون ولا مصطفى كمال شيئاً للشعب الليبى المجاهد كما سنوضح من خلال تلك السطور.

فبداية المقاومة الشعبية الليبية كانت مستمرة قبل وبعد انسحاب الأتراك من الحرب.

ولم تكن اتفاقية إنهاء الحرب التركية الإيطالية ملزمة الشعب الليبى بإلقاء السلاح، لأنها لم تعبر عن إرادته ومشيئته، لذلك استأنف الشعب الليبى نضاله ضد الاحتلال الإيطالى على جبهتين:

الجبهة الشرقية:

وقاد الطلائع الثائرة فيها البطل عمر المختار الذى ظل يقاوم الإيطاليين فى تلك الجبهة حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤.

الجبهة الغربية:

تزعم حركة المقاومة فى طرابلس الشيخ سليمان البارونى، واستناداً إلى قرار السلطان العثمانى بمنح ليبيا استقلالها الداخلى شكل البارونى بتكليف من الزعماء الوطنيين (الجمهورية الطرابلسية فى عام ١٩١٣) بذل مساعيه للحصول على اعتراف دولى بها.

ولكن زحف القوات الإيطالية على الجبل الأخضر أجبر البارونى على اللجوء إلى تونس ومنها إلى الأستانة (استانبول).

واستمر كفاح الشعب الليبى أثناء الحرب العالمية الأولى حيث لعبت التحالفات العسكرية الأوربية فى الحرب العالمية الأولى دوراً كبيراً فى أسلوب العمل المسلح الليبى.

فقد كان تحالف إنكلترا ضد تركيا فى هذه الحرب، دافعاً قويا لدخول الليبيين غمارها إلى جانب الأتراك ضد العدو المشترك على جبهتين أيضاً حيث الجبهة الليبية: وفيها استطلع الشعب الليبى خلال معاركها من إحراز انتصارات عديدة على الإيطاليين الذين اضطروا أمام تفوق الليبيين وخاصة بعد انضمام رمضان السويحلى إلى فصائل المقاومة إلى ترك الكثير من مراكزهم وتحصيناتهم وانسحابهم حيث الشريط الساحلى.

وعلى الجبهة المصرية شاركت القوات الليبية بقيادة السنوسيين فى الهجوم العثمانى على المواقع البريطانية فى مصر، لإيمان الليبيين بأن أى هزيمة

للبريطانيين فى مصر تعنى إضعاف وهزيمة لحلفائهم الإيطاليين.

ولكن هزيمة الأتراك فى هذه الجبهة وتمكن الإنكليز من استعادة المواقع التى احتلها السنوسيون داخل الأراضى المصرية، حملت الشريف أحمد السنوسى على الانسحاب ومغادرة ليبيا إلى الأستانة فى عام ١٩١٨ م تاركاً الزعامة السنوسية من بعده إلى الشريف إدريس السنوسى.

خرجت إيطاليا منهكة من جراء الحرب العالمية الأولى ولذلك اضطرت إلى مهادنة الليبيين الذين كانوا يمرون أيضاً بظروف صعبة، وذلك بعد أن أصبحوا محصورين بين عدوين، البريطانيين والإيطاليين.

وقد أسفرت سياسة المهادنة المؤقتة التى سعت إيطاليا نحوها بعد الحرب عن ظهور حادثتين بارزتين على مسرح القضية الليبية.

اتفاقية عكرمة ١٦ إبريل ١٩١٧ والتى أبرمها السنوسيون والحكومة الإيطالية على إيقاف العمليات العسكرية بين الطرفين وتحديد مناطق النفوذ لكل من السنوسيين والإيطاليين.

ودخول واحة الجغبوب تحت الإدارة السنوسية بعد أن كانت تدار من قبل المحتلين.

واحترام القضاء الشرعى الإسلامى وإعادة فتح الزوايا السنوسية.

وقد استفاد الزعيم السنوسى الجديد (إدريس) من تطبيق هذه الاتفاقية فى التغلب على الأزمات الاقتصادية وإيجاد نواة للدولة السنوسية المستقلة فى برقة.

وبعد قيام إمارة سنوسية مستقلة فى برقة اجتمع الزعماء الوطنيون فى طرابلس وقرروا إقامة جمهورية طرابلسية فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٨ م تمارس صلاحياتها من خلال المجالس التالية:

١ ـ المجلس الجمهورى ويتألف من أربعة أعضاء هم سليمان البارونى، رمضان السويلحى، أحمد المريض، عبد النبى بلخير.

٢ ـ مجلس الشورى.

٣ ـ مجلس الإدارة المالية.

وقد اعترفت الحكومة الإيطالية بالاستقلال الداخلى لهذه الجمهورية شريطة إقرارها بالسيادة الإيطالية، أى إقرارها بالاحتلال الإيطالى.

لم تستطع الجمهورية الطرابلسية العيش طويلاً إذ ساهم فى تقويض دعائمها عاملان بارزان:

١ ـ عدم جدية إيطاليا فى اعترافها الرسمى بالجمهورية ومماطلتها فى تطبيق الدستور.

٢ ـ ظهور الانقسامات بين زعماء الجمهورية بتشجيع من الإيطاليين ووقوع البلاد فى الفتنة التى أعد الإيطاليون لها، دعا المخلصون من الزعماء الوطنيين فى كل من برقة وطرابلس إلى عقد مؤتمر وطنى لاتخاذ موقف موحد لصالح البلاد بعد سقوط الجمهورية.

نتيجة لهذا الاجتماع الذى انعقد فى (غريان) صبيحة الثانى من أكتوبر لعام ١٩٢٢ قرر الزعماء الوطنيون توحيد طرابلس وبرقة فى إمارة واحدة بزعامة السيد إدريس السنوسى.

وقد رافق الإعلان عن قيام الإمارة السنوسية الموحدة وقوع الانقلاب الفاشستى فى إيطاليا بزعامة موسولينى فى أكتوبر ١٩٢٢ م.

ولما كانت الفاشية حركة استعمارية عنصرية فإن النظام الفاشستى الإيطالى لم يشعر بالارتياح تجاه تأسيس الإمارة السنوسية الموحدة وقرر القضاء عليها وتنفيذ سياسة القبضة الحديدية الاستعمارية فى ليبيا.

وأدى ذلك إلى تصعيد المقاومة الليبية الشعبية من جديد وظهور المجاهد البطل عمر المختار.

وبدأت القوات الإيطالية منذ عام ١٩٢٣ بشن حرب استعمارية همجية

جديدة ضد الشعب الليبى، أملاً فى استغلال الانتصارات العسكرية كمادة دعائية للنظام الفاشستى ولتوطيد سيطرتها على ليبيا بشكل محكم.

ولكنها واجهت أثناء هذه العمليات الحربية التى تحللت من كل القيم الإنسانية استماتة وبسالة نادرتين من طرف المجاهدين الذين تزعمهم البطل عمر المختار الذى تعد حياته سجلا نضاليا.

وبعد أن تمكن الإيطاليون من احتلال فزان والقسم الغربى من البلاد نقلوا عملياتهم العسكرية إلى القسم الشرقى، حيث شهدت مرتفعات الجبل الأخضر ملاحم بطولية انتهت بأسر زعيم المجاهدين عمر المختار عام ١٩٣١.

ولم تحترم السلطة الفاشية الإيطالية مكانة هذا الزعيم الروحية وشيخوخته وقامت بإعدامه شنقاً.

ودخل اسم عمر المختار سجل الشهداء من أجل الحرية فى السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٣١ م وقد تابع رفاقه النضال من بعده إلى أمد قصير لم يلبث أن تجدد بقوة عام ١٩٤٠.

فقد دخلت القضية الليبية بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) طوراً جديداً تميز بتحالف السنوسيين مع الإنكليز ضد الإيطاليين شريطة الاعتراف باستقلال ليبيا بعد انتهاء الحرب حيث نالت ليبيا استقلالها بهزيمة إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية.

وبعد نجاح قوات الطرفين فى طرد قوات المحور (ألمانيا، اليابان، إيطاليا) من المغرب العربى فشهد وفى عام ١٩٤٣ خرج آخر جندى إيطالى من ليبيا.

وبعد انسحاب الإيطاليين من ليبيا ماطل الحلفاء فى الاعتراف بالاستقلال للكيان الليبى وقامت فى برقة وطرابلس إدارة عسكرية بريطانية، بينما وضعت فزان تحت الإدارة العسكرية الفرنسية، بيد أن الشعب الليبى أصر إصراراً قاطعاً على وحدة البلاد واستقلالها فتأسست داخل البلاد وخارجها هيئات وجمعيات مارست النضال السياسى من أجل استقلال ليبيا ووحدة أراضيها مثل نادى عمر

المختار فى بنغازى، والجبهة الوطنية فى برقة، والحزب الوطنى.

كما تشكلت فى القاهرة عام ١٩٤٧ هيئة تحرير ليبيا التى انتقل مركز نشاطها فى العام التالى إلى طرابلس الغرب بالذات.

وبعد أن فشل مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية (روسيا، أمريكا، بريطانيا وفرنسا) فى التوصل إلى اتفاق حول مصير المستعمرات الإيطالية، تقرر عرض القضية على الأمم المتحدة وبعد التصويت صدر قرار بالموافقة على استقلال ليبيا كدولة اتحادية تحت حكم الملك محمد إدريس السنوسى اعتباراً من ٢٤ ديسمبر ١٩٥١.

وانضمت ليبيا إلى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة كدولة مستقلة.

واستمر النظام الملكى فى ليبيا حتى قيام ثورة الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩ م التى ألغت النظام الملكى السنوسى وقيام النظام الجمهورى بزعامة العقيد معمر القذافى الذى يحكم البلاد حتى الآن.

وما حدث فى ليبيا حدث فى باقى الدول العربية الأخرى التى عانت من الاستعمار الانجليزى والفرنسى وكيف تركت الدولة العثمانية تلك الدول تواجه الاستعمار بنفسها والسبب أن العثمانيين قد انسحبوا من الحياة السياسية تدريجيا بعد تقسيم تركتها من الدول العربية فى آسيا وإفريقيا.

وظلت حركات التحرر الوطنية تقاوم الاستعمار حتى نالت استقلالها كما فعلت ليبيا، أما تركيا فقد وقعت فى قبضة الاستعمار هى الأخرى بعد سيطرة جماعة الاتحاد والترقى على مقاليد الحكم وخاصة بعد عزل السلطان عبد الحميد الثانى ثم تورطها فى الحرب العالمية الأولى ثم إلغاء الحكم الملكى والخلافة العثمانية للمسلمين وابتعاد تركيا بالكلية عن الإسلام فى عهد مصطفى كمال أتاتورك.



الحرب العالمية وخطوات مصطفى كمال نحو الهدف

- الحرب العالمية الأولى.. الأسباب والنتائج.
- الجيش التركى ودور مصطفى كمال فى هزيمة تركيا فى الحرب.

5

الحرب العالمية الأولى
الأسباب والنتائج

الحرب العالمية الأولى تسمى الحرب العظمى التى أنهت جميع الحروب الأخري وهي حرب قامت فى أوربا ثم امتدت لباقى دول العالم خلال الأعوام بين ١٩١٤ و ١٩١٨.

بدأت الحرب حينما قامت إمبراطورية النمسا والمجر بغزو مملكة صربيا فأعلنت روسيا الحرب على النمسا فدخلت ألمانيا الحرب كحليف للنمسا ودخلت فرنسا وبريطانيا كحلفاء لروسيا، فقد كان الوفاق الثلاثى هو روسيا وفرنسا والمملكة المتحدة والحلف الثلاثى هو إمبراطورية النمسا والمجر وألمانيا وإيطاليا استعملت لأول مرة الأسلحة الكيميائية فى الحرب العالمية الأولى كما تم قصف المدنيين من السماء لأول مرة فى التاريخ.

وشهدت الحرب ضحايا بشرية لم يشهدها التاريخ من قبل وسقطت السلالات الحاكمة المهيمنة على أوروبا والتى يعود منشأها إلى الحملات الصليبية، وتم تغيير الخارطة السياسية لأوروبا وتعد الحرب العالمية الأولى البذرة للحركات الإيديولوجية كالشيوعية وصراعات مستقبلية كالحرب العالمية الثانية.

شكلت الحرب البداية للعالم الجديد ونهاية الاستقراطيات والملكيات الأوروبية، وكانت المؤجج للثورة البلشفية فى روسيا التى بدورها أحدثت تغيراً فى السياسة الصينية والكوبية كما مهدت الطريق للحرب الباردة بين العملاقين، الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة. وترك الكثير من الأمور معلقة حتى بعد الحرب.

وقد أخذت الحرب شكلاً جديداً فى أساليبها بتدخل التكنولوجيا بشكل كبير فى الأمور الحربية ودخول أطراف لا علاقة لها بالحروب ولا جمل وهى شريحة

المدنيين، بعدما كانت الحروب تخاض بتقابل جيشين متنازعين فى ساحة المعركة بعيداً عن المدنيين، فقد كانت المدن المأهولة بالسكان ساحات للمعركة مما نتج عن سقوط ملايين الضحايا.

وهكذا أصبحت كل المدن ساحات للمعارك العنيفة وملايين القتلى من المدنيين.

كانت شرارة الحرب فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ حين اغتيل وريث العرش النمساوى «فرانز فرديناند» على يد الماسونى الصربى «جافريلو برينسيب» مما اشعل نار النقم النمساوى على الصرب وأشعل فتيل الحرب العالمية الأولى.

وكانت كل من إنجلترا وفرنسا تبعاً للوفاق الودى عام ١٩٠٤ قد تحالفتا وبذلك تكون العداء بين كل منهما وبين ألمانيا نظراً لرغبة ألمانيا فى إقامة إمبراطورية لها ورفضها أن تضع فرنسا المغرب تحت سيطرتها وتم عقد مؤتمر لإنهاء الأزمة انتهى بأن خرجت ألمانيا صفر اليدين وتأكدت من ضرورة مواجه التحالف الفرنسى الإنجليزى الذي كان السبب فيما حدث كما يذكر أن النمسا بعد حادث قتل ولى العهد أرسلت إلى ألمانيا تطلب تأييدها ووافقت ألمانيا انتقاماً من الروس وبدأ فتيل الحرب فى الاشتعال.

نتيجة حرب البلقان، وقلقها من مساندة روسيا لصربيا للاستيلاء على الأراضى السلافية من النمسا، ووصلت النمسا إلى قناعة الهجوم على صربيا كضربة وقائية لتفادى شر الصرب.

كما نظر النمساويون للضربة الخاطفة لصربيا حلا للمشاكل الداخلية للإمبراطورية النمساوية الهنغارية المتمثلة بوجود حكومتين المخاوف النمساوية على وحدة أراضيها من الجارة صربيا وخصوصاً أن الأخيرة اتسعت وقعتها (نمساوية وهنغارية) تحت النظام الملكى النمساوى.

فكان النمساويون مسؤولين عن السياسة الخارجية للإمبراطورية التى تدعو لتسليح الإمبراطورية إلا أن الهنغاريين عارضوا الإنفاق اللازم للتسليح، وبدعم

المانى، أرسلت الحكومة النمساوية رسالة ذات ١٠ نقاط للحكومة الصربية بمثابة تهديد وقبل الصرب الشروط باستثناء شرط واحد.

وكانت روسيا قد تعهدت عام ١٩٠٩ بالدفاع عن السيادة الصربية مقابل السكوت عن الاحتلال الروسى للبوسنة، فقامت روسيا بتحريك قواتها نتيجة ضغوط الجنرالات الروس للدفاع عن الصرب.

وطالبت ألمانيا من روسيا عدم تحريك القوات وأن تتراجع القوات الروسية عن حالة الاستعداد، ولما لم تمتثل روسيا للمطالب الألمانية، أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا فى ١ أغسطس ١٩١٤ ولحقتها بإعلان آخر ضد فرنسا فى ٣ أغسطس.

وكانت الماسونية العالمية من وراء تلك الحرب وهى التى دبرت حادثة اغتيال ولى العهد النمساوى[١].

وازداد سباق التسلح الذى اندلع بين القوى الأوروبية وسعت ألمانيا إلى تدشين إمبراطورية لها فى ما وراء البحار فزادت حجم أسطولها وقامت بريطانيا بإطلاق السفينة الحربية HMS Dreadnought عام ١٩٠٦ السفينة التى ألغت كل ما كان قبلها من سفن.

أدى تقدم الثورة الصناعية إلى تطور النزعة الاستعمارية تطوراً حادا جعل من تصريف البضائع والحصول على المواد الأولية وتوظيف رؤوس الأموال قضية من القضايا الأوروبية الملحة التى لم يجد رجال السياسة حلا لها إلا عن طريق امتلاك المستعمرات فكان لا بد من التصادم والنزاع بين القوى المستعمرة ذاتها.

وكذلك برز النزاع حول السيطرة على البحار خاصة بين بريطانيا التى تعتبر نفسها سيدة البحار وألمانيا الموحدة التى طورت أسطولها بسرعة فائقة.

كما اشتدت الخلافات بين ألمانيا وفرنسا حول مقاطعتى الألزاس واللورين

---

(١) انظر كتابنا «حروب ومؤامرات صنعتها الماسونية» الناشر دار الكتاب العربى، ففيه المزيد والمفيد عن تلك المؤامرات الماسونية اليهودية العالمية.

التين ضمتهما ألمانيا إليها بعد حرب ١٨٧٠ ولم تتفق الدولتان أيضاً حول أسبقية كل منهما فى احتلال المغرب الأقصى. لذلك أحدث النزاع بينهما حول هذا البلد أزمتين حدثت الأولى فى ١٩٠٥ و ١٩٠٦ وعبرت خلالهما ألمانيا عن تمسكها بمصالحها التجارية فى هذا البلد.

أما الأزمة الثانية فقد وقعت فى سنة ١٩١١ وذلك إثر دخول القوات الألمانية إلى أغادير وتهديد فرنسا باللجوء إلى استعمال القوة أيضاً الأمر الذى اضطر فرنسا إلى التنازل عن جزء من مستعمرة الكونغو لألمانيا مقابل إطلاق يدها فى المغرب الأقصى.

أدى التنافس الشديد بين القوى الأوروبية من أجل توسيع مجالها الاستعمارى إلى عقد اتفاقيات سرية وإقامة أحلاف عسكرية فقام الحلف الثلاثى بين ألمانيا وإمبراطورية النمسا المجر وإيطاليا وهى حليف غير ثابت سرعان ما خرجت منه إيطاليا وأخذت مكانها الدولة العثمانية وفى المقابل برز الوفاق الودى الثلاثى وقد ضم كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا.

وبدأت الحرب بإعلان النمسا الحرب على الصرب بعد حادثة الاغتيال لولى عهدها عام ١٩١٤ يوم ٢٨ من يوليو.

وبهذا الإعلان بدأت آلية التحالفات الأوروبية فى العمل حيث سارعت روسيا إلى نصرة صربيا وإعلان الحرب على النمسا فقامت ألمانيا بإعلان الحرب على روسيا.

وبذلك تعتبر حادثة سراييفو الفتيل الذى أشعل نار الحرب العالمية الأولى وعندما بدأت روسيا بالتعبئة ضد النمسا - هنغاريا، أعلنت ألمانيا الحرب ضد روسيا غير أنها أعلنت الحرب كذلك على فرنسا، وبدأت بغزوها عبر بلجيكا، وسرعان ما أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا كما أعلنت النمسا - هنغاريا الحرب على روسيا.

وبقيت إيطاليا لفترة على الحياد، فى رغبة منها لعدم الإنجرار للوقوف مع أحد الأطراف قبل أن تتضح حقيقة الموقف.

كما كانت الولايات المتحدة فى عزلة وراء البحار، أما الدولة العثمانية المعادية تاريخيا لروسيا، والتى تنامت ارتباطاتها بألمانيا، فلم تدخل الحرب حتى ٢٩ أكتوبر حين قام أسطولها بقصف الموانئ الروسية على البحر الأسود.

واستمرت الحرب أربع سنوات تحولت خلالها من حرب أوروبية إلى حرب عالمية وشهدت هذه المرحلة فترتين عرفت الأولى بحرب الحركة والثانية بحرب الخنادق.

وامتازت التحركات العسكرية فى خلال هذه الفترة بسرعة الحركة على كل الجبهات وكانت الانتصارات الأولى لفائدة دول التحالف الثلاثى بزعامة المانيا غير أن دول الوفاق تمكنت من وضع حد لتقدم قوات التحالف بعد معارك حاسمة أهمها معركة فردان ومعركة السوم بفرنسا سنة ١٩١٦.

دخول الدولة العثمانية الحرب

اتخذت الحرب على الجبهتين الغربية والروسية خاصة طابع الثبات فى المواقع وقامت الجيوش المتقابلة على الجبهات بحفر الخنادق وتحصينها وتجهيزها مستخدمة فى مواجهاتها أسلحة جديدة مثل الدبابات والطائرات.

وقد دخلت أطراف أخرى الحرب مثل إيطاليا والدولة العثمانية التى انضمت إلى الوفاق الثلاثى.

أقامت دول الوفاق الثلاثى حصاراً بحريا ضد دول التحالف الثلاثى بهدف خنقها اقتصاديا فرد الألمان بحرب غواصات استهدفت كل السفن حتى المحايدة منها بهدف منعها من الوصول إلى بريطانيا وكان من بين السفن التى تم إغراقها عدد من السفن الأمريكية الأمر الذى دفع بالولايات المتحدة الأمريكية الدخول فى الحرب إلى جانب دول الوفاق فأصبحت الحرب عالمية.

كان لخروج روسيا من الحرب بعد نجاح الثورة البلشفية أكتوبر ١٩١٧ وتوقيع زعيمها لينين معاهدة سلام منفصلة مع ألمانيا (معاهدة بريست ليتوفسك ١٩١٨) دور حاسم فى دفع ألمانيا إلى شن هجوم مكثف على فرنسا بغية احتلالها قبل وصول الدعم الأمريكى غير أن توحد القوات البريطانية والفرنسية بقيادة الجنرال الفرنسى فوش مكن من إيقاف زحف الألمان والانتصار عليهم فى معركة المارن فى شمال شرق فرنسا.

شكل وصول القوات الأمريكية إلى فرنسا فى يوليو ١٩١٧ تحولاً هاما فى مسار الحرب لأنها ساعدت جيوش الوفاق على شن هجوم مضاد على الألمان فتراجع هؤلاء مئات الكيلو مترات وفى الوقت الذى كانت جيوش الوفاق قد قضت على قوات العثمانيين فى سوريا ومصر وتقدمت نحو آسيا الصغرى نفسها.

وفى البلقان أجبرت قوات الوفاق بلغاريا على الاستسلام فى سبتمبر ١٩١٨ فطلبت الدولة العثمانية الصلح فى أكتوبر من نفس السنة وكذلك فعلت النمسا فى بداية نوفمبر. فلم تجد ألمانيا بدا من الاستسلام ووقعت الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ بعد أن فشلت فى مواجهة تكتل الوفاق الثلاثى بمفردها.

استطاع الألمان ١٩١٥ م. تحقيق مزيد من الانتصارات على الحلفاء، فألحقوا الهزيمة بالروس فى معركة «جورليس تارناو» فى مايو ١٩١٥ م، واحتلوا بولندا ومعظم مدن لتوانيا، وحاولوا قطع خطوط الاتصال بين الجيوش الروسية وقواعدها للقضاء عليها، إلا أن الروس حققوا بعض الانتصارات الجزئية على الألمان، كلفتهم ٣٢٥ ألف أسير روسى، الأمر الذى لم يتمكن بعده الجيش الروسى من استرداد قواه.

وأدى النجاح الألمانى على الروس إلى إخضاع البلقان، وعبرت القوات النمساوية والألمانية نهر الدانوب لقتال الصرب وألحقوا بهم هزيمة قاسية.

واستطاع الألمان فى ذلك العام أن يحققوا انتصارات رائعة على بعض الجبهات، فى حين وقفت الجبهة الألمانية ثابتة القدم أمام هجمات الجيشين الفرنسى والبريطانى، رغم ظهور انزعاج فى الرأى العام الإنجليزى من نقص ذخائر الجيش البريطانى ومطالبته بتكوين وزارة ائتلافية، وحدثت تغييرات فى القيادة العسكرية الروسية.

وفى عام ١٩١٦ حدثت معركتان كبيرتان نشبتا على أرض فرنسا دامت إحداهما سبعة أشهر، والأخرى أربعة أشهر، وهما معركة «فردان» و «السوم»، خسر الألمان فى المعركة الأولى (٢٤٠) ألف قتيل وجريح، أما الفرنسيون فخسروا ٢٧٥ ألفا، أما معركة السوم فقد استطاع خلالها الحلفاء إجبار الألمان على التقهقر

مائة ميل مربع، وقضت هذه المعركة على الجيش الألمانى القديم، وأصبح الاعتماد على المجندين من صغار السن، وخسر الجيش البريطانى فى هذه المعركة ستين ألف قتيل وجريح فى اليوم الأول.

وظهرت فى هذه المعارك الدبابة لأول مرة فى ميادين القتال، وقد استطاع الروس خلال كذلك العام القيام بحملة على النمسا بقيادة الجنرال بروسيلوف، وأسروا ٤٥٠ ألف أسير من القوات النمساوية والمجرية؛ فشجع هذا الانتصار رومانيا على إعلان الحرب على النمسا والمجر، فردت ألمانيا بإعلان الحرب عليهما، واكتسح الألمان الرومانيين فى ستة أسابيع ودخلوا بوخارست.

وخلال عام ١٩١٦ وقعت حرب بحرية فى بحر الشمال بين الأسطول الألمانى والإنجليزى عرفت باسم «جاتلاند»، خرج خلالها الأسطول الألمانى من موانيه لمقاتلة الأسطول الإنجليزى على أمل رفع الحصار البحرى المفروض على ألمانيا، ولم تكن المعركة حاسمة إذ انسحب الألمان على الرغم من أنهم قد ألحقوا بالأسطول الإنجليزى خسائر كبيرة.

ولجأ الألمان فى تلك الفترة إلى «حرب الغواصات» بهدف إغراق أية سفينة تجارية دون سابق إنذار، لتجويع بريطانيا وإجبارها على الاستسلام، غير أن هذه الحرب استفزت الولايات المتحدة، ودفعتها لدخول الحرب فى إبريل ١٩١٧، خصوصاً بعد أن علمت أن الألمان قاموا بمحاولة لإغراء المكسيك لكى تهاجم الولايات المتحدة فى مقابل ضم ثلاث ولايات أمريكية إليها.

وقد استفاد الحلفاء من الإمكانات والإمدادات الأمريكية الهائلة فى تقوية مجهودهم الحربى، واستطاعوا تضييق الحصار على ألمانيا على نحو أدى إلى إضعافها.

ومن الأحداث الهامة التى شهدها عام ١٩١٧ م قيام ونجاح الثورة البلشفية فى روسيا، وتوقيع البلاشفة صلح برست ليتوفسك مع الألمان فى (جمادى الآخرة ١٣٣٦ هـ - ١٩١٨ م)، وخرجت روسيا من الحرب.

وشهد ذلك العالم أيضاً قيام الفرنسيين بهجوم كبير على القوات الألمانية

بمساعدة القوات الإنجليزية، غير أن هذا الهجوم فشل وتكبد الفرنسيون خسائر مروعة سببت تمرداً فى صفوفهم، فأجريت تغييرات فى صفوف القيادة الفرنسية.

ورأى البريطانيون تحويل اهتمام الألمان إلى الجبهة البريطانية، فجرت معركة «باشنديل» التى خسر فيها البريطانيون ٣٠٠ ألف جندى بين قتيل وجريح، ونزلت نكبات متعددة فى صفوف الحلفاء فى الجبهات الروسية والفرنسية والبريطانية، رغم ما حققه الحلفاء من انتصارات على الأتراك ودخولهم العراق وفلسطين.

وشجع خروج روسيا من الحرب القيادة الألمانية على الاستفادة من ٤٠٠ ألف جندى ألمانى كانوا على الجبهة الروسية وتوجيههم لقتال الإنجليز والفرنسيين، واستطاع الألمان تحطيم الجيش البريطانى الخامس فى مارس ١٩١٨ م، وتوالت معارك الجانبين العنيفة التى تسببت فى خسائر فادحة فى الأرواح، والأموال، وقدرت كلفة الحرب فى ذلك العام بحوالى عشرة ملايين دولار كل ساعة.

وبدأ الحلفاء يستعيدون قوتهم وشن هجمات عظيمة على الألمان أنهت الحرب، وقد عرفت باسم «معركة المارن الثانية» وكان يوم ٨ أغسطس ١٩١٨ م يوماً أسود فى تاريخ الألمان؛ إذ تعرضوا لهزائم شنيعة أمام البريطانيين والحلفاء، وبدأت ألمانيا فى الانهيار وأسر حوالى ربع مليون ألمانى فى ثلاثة شهور، ودخلت القوات البريطانية كل خطوط الألمان، ووصلت إلى شمال فرنسا، ووصلت بقية قوات الحلفاء إلى فرنسا.

واجتاحت ألمانيا أزمة سياسية عنيفة تصاعدت مع توالى الهزائم العسكرية فى ساحات القتال، فطلبت ألمانيا إبرام هدنة دون قيد أو شرط، فرفض الحلفاء التفاوض مع الحكومة الإمبراطورية القائمة، وتسبب ذلك فى قيام الجمهورية فى ألمانيا بعد استقالة الإمبراطور الألمانى، ووقعت الهدنة التى أنهت الحرب فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ م بعد أربع سنوات ونصف من القتال الذى راح ضحيته عشرة ملايين من العسكريين، وجرح ٢١ مليون آخرين.

أسفرت الحرب العالمية الأولى عن خسائر مادية وبشرية جسيمة وعن تراجع الدور الرائد لأوروبا فى توجيه سياسة العالم.

أما أهم نتيجة لهذه الحرب فقد تمثلت فى قيام سلام منقوص يحتوى على جميع العناصر التى من شأنها إشعال حرب عالمية ثانية، وهذا ما حدث بعد عقد معاهدة فرساى بعشرين عاماً.

وكانت نتيجة هذه الحرب العالمية انتهاء ممالك ودول على رأسها الإمبراطورية العثمانية وسقوط تسعة ملايين قتيل وعدد أكبر بكثير من الجرحى والمشوهين، وقد أتت خسائر روسيا فى رأس قائمة الخسائر البشرية تلتها خسائر كل من ألمانيا والنمسا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية وتركيا.

أما أهم الخسائر المادية فقد وقعت فى الأراضى التى دارت فيها المعارك حيث أتلفت المحاصيل الزراعية وقضى على المواشى ودمرت مئات آلاف المنازل وآلاف المصانع إضافة إلى الأضرار التى لحقت بالسكك الحديدية وبمناجم الفحم التى غمرها هذا الطرف أو ذاك بالماء لمنع استغلالها من قبل العدو.

ولذلك كان على الدول المتحاربة فى مرحلة السلام إعادة بناء ما دمرته الحرب وتحويل الصناعات الحربية إلى صناعات مدنية.

لكن قلة الأموال واليد العاملة التى قضت عليها الحرب عرقلت إلى حد كبير عملية إعادة الإعمار المرجوة.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية المستفيدة الأولى من هذه الحرب على أساس أنها الدائنة الأولى لأوروبا قبل الحرب وخلالها، فقد جمعت الولايات المتحدة بعد الحرب نتيجة تسديد أوروبا لديونها ٤٥٪ من احتياطى الذهب فى العالم فأصبحت بذلك أول دائن فى العالم.

أما الدول الأوروبية الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا فقد اضطرت خلال الحرب إلى تكثيف استغلال مستعمراتها إما لجهة المواد الأولية أو لجهة اليد العاملة والمقاتلين، لذلك رأت شعوب هذه المستعمرات أن النصر قد تحقق بفضلها وأن مكافئتها على هذا الفضل لا يمكن أن تكون أقل من الاستقلال.

ووافقت ألمانيا على توقيع الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ على أساس مبادئ

ويلسون، وقد اعتقدت فى حينه أن مؤتمر السلام الموعود سوف يصدر مقرراته واتفقاياته مستلهماً الأفكار السامية التى تضمنتها هذه المبادئ ولكن شيئاً من هذا لم يحصل فمؤتمر السلام الذى عقد أولى جلساته فى باريس ١٨ يناير ١٩١٩ حضره ممثلون عن ٣٢ دولة حليفة واستبعدت منه الدول المهزومة وروسيا والدول المحايدة.

ولذلك كان هذا المؤتمر عبارة عن اجتماع عقدته الدول المنتصرة لتتقاسم المغانم فيما بينها وتفرض إرادتها على فريق مهزوم مسلوب الإرادة.

وبالإضافة إلى ذلك فرض ممثلو ثلاث دول هى فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة رأيهم على جميع رؤساء الوفود المشاركة فى المؤتمر.

أظهر المؤتمر رغبة فرنسا وبريطانيا فى توسيع حدودهما واكتساب مستعمرات جديدة.

فالفرنسيون لم يكتفوا بالمطالبة باستعادة منطقتى الألزاس واللورين من الألمان بل بالحصول أيضاً على الضفة اليسرى لنهر الراين كمنطقة دفاعية وعلى منطقة السار الألمانية كمصدر للتزود بالفحم الحجرى.

وبالنسبة للمستعمرات اعتبر جورج كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسى الذى كان رئيساً لوفد بلاده أن محافظة فرنسا على مستعمراتها فى شمال إفريقيا ووسطها وفى جنوب شرق آسيا بالإضافة إلى الانتداب الفرنسى على سوريا ولبنان أموراً غير قابلة للنقاش.

أما رئيس وزراء بريطانيا رئيس وفد بلاده إلى المؤتمر لويد جورج الذى اعترض على مطالب فرنسا الحدودية فقد طالب لبلاده بوراثة المستعمرات الألمانية فى إفريقيا وشرق آسيا وبالانتداب على مصر والسودان وفلسطين والعراق متناسياً الوعد البريطانى باستقلال المشرق العربى تحت راية الشريف حسين بن على.

أما رئيس الوزراء الإيطالى أورلاندو فقد طالب باستعادة منطقتى ترانتان وتريستا إلى إيطاليا.

وانفرد الرئيس الأمريكي ويلسون من بين رؤساء وفود الدول الكبرى بالمطالبة بإقامة عصبة الأمم.

وقرر مؤتمر باريس تفكيك الإمبراطوريات الألمانية والنمساوية بإجراء تعديلات على الحدود السياسية لدول أوروبا فظهرت على الخريطة الأوروبية دول جديدة مثل المجر وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وأجريت تغييرات جذرية فى أنظمة حكم العديد من الدول.

فاعتمدت كل من تركيا وألمانيا النظام الجمهورى وتحولت النمسا إلى جمهورية صغيرة.

أما روسيا فكانت قد تحولت من النظام القيصرى إلى النظام الشيوعى وذلك بعد ثورة ١٩١٧ البلشفية التى قادها فلاديمير لينين.

كانت هذه المعاهدة أقسى مقررات مؤتمر باريس ومن أكثرها إذلالاً للشعب الألمانى فقد استدعى وفد ألمانى إلى فرساى فى ضواحى باريس وأجبر على التوقيع على هذه المعاهدة التى تضمنت شروطاً قاسية أهمها اقتطاع ما يقارب ٢٥ ألف ميل مربع من الأراضى الألمانية وضمها إلى كل من بولندا والدانمارك وتشيكوسلوفاكيا وتحميل ألمانيا وحدها مسئولية الحرب وتسريح جيشها ولدى قراءة بنود هذه المعاهدة يمكن معرفة السبب الذى جعل الشعب الألمانى يرفضها جملة وتفصيلا ويتحين الفرص لإلغائها والانتقام من الذين فرضوها عليه.

ووافق المؤتمر على المطالب الاستعمارية لكل من بريطانيا وفرنسا وأقر بشرعية انتدابها على دول المشرق العربى بالرغم من اعتراض الأمير فيصل بن الحسين الذى حضر المؤتمر بصفة مراقب.

وافق رؤساء الوفود المشاركة فى مؤتمر الصلح بالإجماع على قيام منظمة عصبة الأمم التى أصر عليها الرئيس الأمريكى ويلسون وأدخلها كبند أساسى فى جميع المعاهدات التى وقعها المنتصرون مع المهزومين.

وقد كان الهدف الأول للعصبة التى اتخذت مدينة جنيف فى سويسرا مقرا

لها حل الخلافات بين الدول بالوسائل السلمية وذلك للمساعدة على خلق جو من التفاهم والثقة بين الشعوب.

وكان أثر الحرب العالمية الأولى على الوطن العربى هو استقرار الاحتلال الأجنبى لها فقد كان الوطن لعربى حتى عشية الحرب العالمية الأولى يحاول جاهداً مشاركة العثمانيين فى تسيير شؤون السلطنة وفى إيجاد توافق لحفظ وحدتها لكن تمسك العثمانيين بسياسة الاستبداد وسوء الإدارة وعدم تجاوبهم مع العرب أدى إلى تدهور العلاقات العربية العثمانية ففتح الباب أمام دول الوفاق الثلاثى للتقرب من العرب والحصول على مساندتهم خصوصاً بعدما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا.

ومن جانب آخر، وجد العرب أنفسهم أمام وعود بريطانية كاذبة بإقامة دولة عربية مستقلة، وعوضاً عنها قامت كلا من بريطانيا وفرنسا بتطبيق معاهدة سايكس بيكو التى نصت على تقسيم الشرق الأوسط وتحييد فلسطين تمهيداً لإقامة الدولة الصهيونية عليها.

وبقى الاستعمار الأوربى فى الوطن العربى تحت اسم الانتداب.

كانت البلدان العربية موزعة بين القوى العظمى فسيطر فرنسا على كل من الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا والصومال وجيبوتى وكان الإنجليز يبسطون نفوذهم على مصر وجنوب الجزيرة العربية وشرقها وعدن وعمان والبحرين والكويت بينما احتل الإيطاليون ليبيا وسيطر العثمانيون على ما تبقى من المشرق العربى.

وكان العرب قد التفوا حول الشريف الحسين بن على شريف مكة وقد كان بينه وبين الخلافة العثمانية جفاء وكانت تراوده هو وأبناؤه آمال فى إنشاء دولة عربية كبرى ولما كانت بريطانيا حريصة على اجتذاب العرب إلى جانبها فقد دخلت فى مفاوضات سرية مع الشريف حسين وتم تبادل رسائل بين الشريف حسين

ممثلاً للعرب وسير هنرى مكماهون مندوب بريطانيا فى مصر والسودان عرفت بمراسلات حسين مكماهون وأوضح فيها الشريف ما يشترطه العرب لدخول الحرب إلى جانب بريطانيا.

وهذه الشروط تتلخص فى استقلال البلدان العربية القائمة على الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط وإقامة دولة عربية كبرى تشمل مختلف أرجاء الوطن العربى باستثناء مصر والشمال الإفريقى وعلى الرغم من الاختلاف مع مكماهون حول حدود الدولة العربية الموعودة دخل العرب الحرب إلى جانب بريطانيا.

وكانت الثورة العربية الكبرى وقد بدأت فى ١٠ يونيو ١٩١٦ م بإعلان الشريف حسين الجهاد المقدس والثورة على العثمانيين بمساعدة ضابط الاستخبارات البريطانية لورنس الشهير بلورنس العرب.

وعلى الرغم من تعهدات بريطانيا للعرب بقيام دولة عربية كبرى فقد أجرت هذه الدولة مفاوضات واتفاقيات سرية مع فرنسا وروسيا تناولت اقتسام الأملاك العثمانية بما فيها البلاد العربية ثم انفردت بريطانيا وفرنسا فى اتفاقية سرية عرفت باتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ نسبة إلى كل من المندوب البريطانى مارك سايكس والمندوب الفرنسى فرانسوا جورج بيكو.

وقد قاما بهذه المفاوضات التى فُضح أمرها بعد الثورة البلشفية فى روسيا سنة ١٩١٧ وفى السنة نفسها غدرت بريطانيا بالعرب مرة أخرى إذا وعد العرب بتحرر ووعد لزعماء الصهاينة بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين من خلال ما عرف بوعد بلفور الصادر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ م.

وبدأ التطبيق الفعلى لمضمون اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٨ والمعارك لم تنته بعد وذلك حين قسم الجنرال اللنبى قائد الجيوش الحليفة فى الشرق المناطق العربية إلى ثلاث: واحدة إدارة فرنسية الساحل وواحدة بإدارة عربية الداخل

والأخيرة بإدارة بريطانية لكن التغطية الدولية لهذه الاتفاقية جاءت عبر مؤتمر الصلح فى باريس سنة ١٩١٩.

فقد طرح المؤتمر مفهوماً جديداً للاستعمار هو الانتداب الذى اقترحه الرئيس الأمريكى ويلسون ورئيس وزراء جنوب إفريقيا الجنرال سمطس وهو ينص على تولى دولة كبرى شئون الدولة التى لا عهد لها بالحكم والتى خضعت لفترة طويلة لإحدى الإمبراطوريات المتداعية كالدولة العثمانية فتساعدها الدولة المنتدبة حتى تصبح قادرة على إدارة شئونها بنفسها.

لكن المؤتمر السورى العام رفض اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور وأعلن قيام المملكة السورية ونصب الأمير فيصل ملكاً عليها فانعقد المجلس الأعلى للحلفاء فى مدينة سان ريمو الإيطالية فى إبريل ١٩٢٠ وقرر رداً على المؤتمر السورى تطبيق اتفاقية سايكس بيكو التى تقضى بوضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى والعراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزى وتعهد مؤتمر سان ريمو كذلك بالعمل على تطبيق وعد بلفور.

كما أعلنت بريطانيا حمايتها للإمارات العربية الواقعة على سواحل الخليج العربى كذلك تكرست السيطرة الأجنبية على شمال إفريقيا حيث فرضت بريطانيا حمايتها على مصر والسودان وسيطرت إيطاليا على ليبيا واحتلت فرنسا ما تبقى من المغرب العربى وكرست سيطرتها على كل من تونس والمغرب والجزائر وموريتانيا والصومال.

وعرف العالم الرأسمالى أزمات سياسية ساهمت فى توسع نفوذ النظم الديكتاتورية النازية والفاشية.

فقد شهدت الدول الليبرالية تراجعاً لصالح التنظيمات اليمينية المتطرفة:

تزايدت بأوربا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى الأنظمة الديمقراطية البرلمانية (تعميم الاقتراع العام، تقليص سن الناخب، مشاركة المرأة)، واسترجعت البرلمانات سلطاتها التشريعية، غير أن تعرض الدول الرأسمالية للأزمات

الاقتصادية جعلها تعرف عدم استقرار سياسى بسبب تعرض الحكومات لسحب الثقة من طرف البرلمانات، واصطدمت الأحزاب فى الغالب بعدم القدرة على تشكيل أغلبية برلمانية منسجمة لممارسة الحكم فى ظروف مريحة، وتكونت أغلبيات «غير منسجمة تحالف العمال والمحافظين فى بريطانيا، وتحالف الراديكاليين والوسط المعتدل واليمين فى فرنسا».

ساهم عدم الاستقرار السياسى فى ظهور حركات وتنظيمات معادية للديمقراطية الليبرالية، فقد شجع نجاح الثورة البلشفية الروسية فى تصاعد دور النقابات والأحزاب المتبنية للفكر الماركسى، وانشقت مجموعة من الأحزاب الشيوعية عن الأحزاب الاشتراكية، ونهج بعضها سياسة العنف لمواجهة الأنظمة الرأسمالية وخاصة فى ألمانيا أحداث ١٩١٩، ١٩٢١، ١٩٢٣ .

وتمكن الشيوعيون من رفع عدد مقاعدهم في البرلمان فى ألمانيا سنة ١٩٣٢ ـ وساهم تدهور الوضعية الاجتماعية فى توسع نفوذ التنظيمات اليمينية المتطرفة، ففى إيطاليا تأسس الحزب الوطنى الفاشى بزعامة موسولينى الذى استخدم العنف للوصول إلى السلطة بالاعتماد على القوات الفاشية، وعينه الملك الإيطالى إيمانويل رئيساً للحكومة سنة ١٩٢٢، وحول حكمه بعد ذلك إلى نظام فاشى.

وفى ألمانيا أسس أدولف هتلر الحزب الوطنى الاشتراكى الألمانى NAZI، وكون فرقاً مسلحة لفرض برنامجه، واستغل ظروف الأزمة السياسية والاقتصادية ليكتسب شعبية واسعة، وعينه الرئيس هندنبورغ مستشاراً للرايخ الألمانى سنة ١٩٣٣.

صعود الأنظمة الديكتاتورية والفاشية في أوروبا للحكم

لم تستطع دول أوربا الشرقية والجنوبية الحفاظ على أنظمتها الديمقراطية إذ صعدت إلى الحكم أنظمة ديكتاتورية فى:

(هنغاريا ١٩٢٠، بلغاريا ١٩٢٣، إسبانيا ١٩٢٣، البرتغال ١٩٢٦، بولونيا ١٩٢٦، النمسا ١٩٣٢، يوغسلافيا ١٩٣٥ واليونان ١٩٣٦ وهى دول ليس لها تقاليد

ديمقراطية وضعيفة التصنيع، وسهل على الفئات المحافظة إلغاء المؤسسات الديمقراطية. وبالنسبة للديكتاتورية الفاشية بإيطاليا وألمانيا فقد ظهرت فى مجتمعات صناعية، وجدت مساندة من الشعب، وتميزت بطابعها المذهبى وخاصة فى ألمانيا.

وتمكن هتلر بعد وفاة رئيس ألمانيا هندنبورغ Hindenburg أن ينصب نفسه رئيساً فى ١٩٣٤، واتخذ لقب الفوهور (قائد الرايخ) Reichs Fuhrer وتحكم فى كافة السلطات التنفيذية والتشريعية، وأحاط نفسه بهالة من التقديس، وأسس فرق الأمن العسكرية (SS) والشرطة السرية الجستابو Gestapo التى تخصصت فى متابعة المعارضين وقتلهم. وأصبحت الدولة تتدخل فى كل المجالات وفى شؤون المواطنين، واعتبر هتلر أن الألمان (الجرمان) هم عرق الأسياد، ورأى ضرورة توفير المجال الحيوى للألمان بالتوسع.

وانتهى الأمر فى النهاية إلى نشوب الحرب العالمية الثانية.



الجيش التركى فى الحرب العالمية الأولى ودور مصطفى كمال فيها

أولاً القوات البرية:

كانت القوات البرية للجيش العثمانى تتكون من عدة جيوش وتنقسم تلك الجيوش إلى مجموعة من الفيالق وكل فيلق يتكون من عدة فرق على النحو التالى:

١ ـ الجيش الثالث العثمانى:

جيش عثمانى ميدانى تم تشكيله فى البلقان ومقره الرئيسى بمدينة سالونيكا، تشكل من العسكريين الذين قاموا بالثورة عام ١٩٠٨ من بينهم مصطفى كمال وإسماعيل أنور اللذان اشتهرا فيما بعد، وخلال الحرب العالمية الأولى حارب الجيش فى الأجزاء الشمالية والشرقية للإمبراطورية العثمانية، وخاض هذا الجيش خلال حملة القوقاز معركة سيراكماس التى عانى فيها هزيمة ساحقة!

وكان التشكيل القتالى للجيش الثالث العثمانى فى شهر ديسمبر ١٩١٤ يتكون من ٩٥٠٠٠ جندى وينتظم فى ٣ فيالق على النحو التالى.

الفيلق IX يتولى قيادته أحمد فوزى باشا ويتشكل من ٣ فرق هى (الفرقة ١٧ + الفرقة ١٩ + الفرقة ٢٩).

الفيلق X ويتولى قيادته حافظ حقى باشا ويتشكل من فرقتين هما (الفرقة ٣٠ + الفرقة ٣١).

الفيلق XI ويتولى قيادته عبد الكريم باشا.

وعانى هذا الجيش خلال معركة سيراكماس حيث نقص عدد جنوده بنحو ٢٠ ألفاً مع خسارة كل الرشاشات والأسلحة الثقيلة!

٢ ـ الجيش الخامس العثماني:

تم تشكيله فى ٢٤ مارس عام ١٩١٥ لتولى مسئولية الدفاع عن الدردنيل بعد دخول الإمبراطورية العثمانية الحرب، وكان يتولى قيادة ذلك الجيش فى الأساس المستشار العسكرى الألمانى (لدى الإمبراطورية العثمانية) ويدعى أوتو ليمان فرنساندرز الذى كان يقود الجيش الأول التركى خلال حملة كونستنتابلى، وخلال الحملة ذاتها، تولى القائد Vehip Pasha المسئولية الذى أصبح بذلك مسئولاً عن جبهة Helles.

بداية عام ١٩١٥ عندما كان يتم التخطيط للاستيلاء على الدردنيل من قبل الحلفاء كان الجيش الخامس يتكون من فيلقين، الفيلق الثالث يتولى مهمة الدفاع عن شبه جزيرة غاليبولى، الفيلق الخامس عشر يتولى مهمة الدفاع عن الشواطئ الآسيوية للإمبراطورية، ولمساعدة الفيلق ١٥ فى القيام بمهامه تم وضع الفرقة الخامسة شمال شبه جزيرة غاليبولى.

الفيلق الثالث يتكون من ٣ فرق وهي (الفرقة ٧ + الفرقة ٩ + الفرقة ١٩ ويتولى قيادته إساد باشا الفيلق الخامس عشر يتكون من فرقتين وهما الفرقة ٣ + الفرقة ١١).

واشتمل الجيش أيضاً على قيادة حصن Canakkale مع سرب واحد للدعم الجوى.

عندما أطلق الحلفاء ما يسمى (هجوم أغسطس) فى محاولة مستميتة للاستيلاء على الجزيرة، زادت عدد الفرق التركية المشتركة فى القتال فى الدفاع عن الجزيرة لتصبح ١٠ فرق (٦ فرق فى جبهة Helles و ٤ فرق بجبهة Anzac بالإضافة إلى كتائب مشاة إضافية + لواء فرسان، ومن فرق جبهة Anzac تم تشكيل الفيلق الثالث.

٣ ـ الجيش الثانى العثمانى:

كانت مهمة الجيش الثانى متمثلة فى حماية الأجزاء الجنوبية الشرقية

للإمبراطورية العثمانية، وتم تنشيط الجيش الثانى مع بداية الحرب العالمية الأولى فى أكتوبر ١٩١٤ تحت قيادة الجنرال Vehip Pasha، وتم استنفاره تجاه منطقة الشرق الأوسط حيث سيواجه بريطانيا وحلفاءها من دول الكومنولث.

فى ذلك الوقت كانت قوات الجيش الثانى متمركزة فى حلب بسوريا بالقرب من الخطوط الأمامية لميدان المعارك فى العراق وفلسطين، ولم تكن المعركة ذات أهمية خاصة وأن بريطانيا كانت توجه معظم قوتها فى حملة كاليبولى.

وفى عام ١٩١٧ تولى مصطفى كمال أتاتورك قيادة الجيش الثانى إلا أنه استقال فى أكتوبر ١٩١٧ للتعبير عن احتجاجه على تصرفات إساعيل أنور.

٤ ـ وهناك جيش الإسلام العثمانى

جيش ميدانى تم تأسيسه فى الفترة ما بين مارس ١٩١٨ حتى أغسطس ١٩١٨، وتم تشكيل ذلك الجيش بناء على تعليمات وزير الحربية إسماعيل أنور، وكان الغرض من إنشائه هو العمل على استعادة ما فقد فى جنوب القوقاز.

وخلال عام ١٩١٧، وبعد قيام الثورة البلشفية بروسيا، لم يعد للجيش الروسى وجود فى منطقة القوقاز، واستغل حزب الاتحاد والترقى الفرصة ليربح صداقة البلاشفة الجدد، فقاموا بتوقيع معاهدة الصداقة العثمانية/ الروسية فى ١ يناير ١٩١٨.

وكان وزير الحربية أنور باشا يتطلع لضم الأراضى التى تركها الروس بالقوقاز، وعندما ناقش تلك الخطط مع حلفاء العثمانيين ولكن الألمان أخبروه بالابتعاد عن ذلك، على الرغم من ذلك قام أنور بتشكيل قوة جديدة هى جيش الإسلام يتراوح قوامها بين ١٤٠٠٠ و ٢٥٠٠٠ جندى، وتم اختيار الضباط الألمان للعمل بالقوة الجديدة.

وتحرك جيش الإسلام واستولى على أرمينيا وأذربيجان وخاضت خلالها مناوشات صغيرة، فقام البريطانيون بإرسال قوة عسكرية صغيرة تحت قيادة الجنرال Lionel Charles Dunsterville إلى مدينة باكوا Baku فى ٤ أغسطس ١٩١٨.

وبعد شهر من وصولهم، قرر البريطانيون الانسحاب بعد هزيمتهم فى معركة باكو على أيدى العثمانيين وحلفائهم الأذربيجانيين.

وبعد الهدنة التى أنهت الحرب فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٨، تم حل جيش الإسلام.

كان الهدف الرئيسى للأسطول العثمانى مطلع عام ١٩١٥ يتمثل فى أن يبقى على قدر المواجهة مع الأسطول اليونانى نظراً للعلاقات السيئة التى ترجع إلى ما قبل بداية الحرب العالمية الأولى، وغضب الأتراك أشد الغضب لعدم تنفيذ بريطانيا بإمداد الأسطول العثمانى بعدد سفينتين مدرعتين و ٢ طراد للكشافة و ٤ مدمرات.

ولكن بالنظر إلى واقع الأحداث نجد أن عدم تسلم السفينتين البحريتين المدرعتين، ساهم فى دعم انضمام تركيا إلى جانب ألمانيا والنمسا وهنغاريا خلال الحرب.

وقامت البحرية التركية بأعمال كثيرة ضد الأساطيل البريطانية والفرنسية والروسية فى بحر إيجه وبحر مرمرة، والعملية الكبرى للأسطول التركى تتمثل فى المعركة البحرية خلال حملة غاليبولى.

ثانياً: المدرعات البحرية والطرادات البحرية:

كان لدى البحرية التركية مدرعتان بحريتان وهما ريزى دايا وسلطان عثمان ١، طلبتهم تركيا من بريطانيا، ولم يتم بناؤهما فى الأساس لهم، فتم بناء سلطان عثمان ١ من قبل مؤسسة Armstrong Whitworth لصالح البحرية البرازيلية عام ١٩١١ تحت اسم ريودى جانيرو Rio de Jineiro لصراعها هى الأخرى مع الأرجنتين ولكن الصراع تم حله عام ١٩١٣، وبالتالى لم يعد للمدرعة البحرية حاجة عند البرازيل.

إلا أن مؤسسة ويتورث لم تلغ مشروع بناء المدرعة لوجود احتمال بيعها إلى زبائن محتملة كتركيا، ولكن فى ١ أغسطس ١٩١٥ تم تحويلهما لصالح البحرية الملكية البريطانية تحت أسماء HMS Erin و HMS Aguncourt.

كان لدى البحرية طراد صناعة ألمانية اسمه SMS Goeben اسمه التركى

TCG Yavuz Sultan Selim، حصلت عليه البحرية التركية فى نوفمبر ١٩١٤.

وخلال الفترة من ٢٩ أكتوبر ١٩١٤ كان الطراد يقوم بقصف الموانئ الروسية على البحر الأسود خلال الحرب العالمية الأولى، وبعد الحرب رجع إلى ألمانيا وتم تغيير اسم الطراد Yavuz عام ١٩٣٦، وتم عمل تجهيزات إضافية عليه فى عامى ١٩٣٨ و ١٩٤١.

وكان هناك سفينتان حربيتان كان يعول عليهما الكثير فى القيام بالمهام البحرية وهما Hayreddin Barbarossa و Turgut Reis، حيث لعب كل منهما دوراً فى الدفاع عن الدردنيل خلال حملة كاليبولى، السفينة البحرية Hayreddin Barbarossa هيدين باباروسا تم إغراقها بواسطة الغواصة البريطانية HMS EII عندما كانت تقوم بمهامها الدورية مع مدمرتين أخريين.

وكان لدى الأتراك سفينة دفاع ساحلية وحيدة وهى Mesudiye وتم إغراقها بواسطة الغواصة البريطانية HMS BII التى يقودها Lt Norman Holbrook بمضيق الدردنيل يوم ١٣ ديسمبر ١٩١٤، ومنح لذلك صليب فيكتوريا Victoria Cross.

وأيضاً طرادان للحماية وهما medjidiye و Hamadiye ويعتبران من أقدم السفن بالأسطول العثمانى.

غرق الطراد Medjidiye فى أوديسا بالبحر الأسود بينما كان برفقة الطراد Hamadiye و ٤ زوارق طوربيد تركية.

وحصلت البحرية التركية على الطراد Midilli الألمانى سابقاً SMS Breslau واشترك مع الطارد SMS Goeben فى القيام بإغارات ضد الموانئ الروسية أواخر شهر أكتوبر ١٩١٤.

غرق الطراد Midilli بخمس ألغام للحلفاء فى بحر إيجه Aegean Sea فى ٢٠ يناير ١٩١٨ عندما كان برفقة الطراد SMS Goeben.

وكان لدى تركيا خلال فترة الحرب قرابة الـ ٨ مدمرات.

وكان لدى تركيا غواصة وحيدة صناعة فرنسية تدعى Mustecip Onbasi جنحت فى مضيق الدردنيل يوم ٣٠ أكتوبر ١٩١٥ وتم أسرها من قبل الحلفاء.

وأغرقت البحرية التركية سفينة فرنسية تسمى Bouvet، كان مجال عملها بمضيق الدردنيل التركى بوسائل زرع الألغام.

وهناك سفينة شهيرة تدعى Nusret، حيث قامت فى ١٨ مارس ١٩١٥ بإغراق ٣ سفن للحلفاء فى حقل ألغام صغير (٢٠ لغماً فقط) وسفن الحلفاء هي المدرعة البحرية البريطانية HMS Irresistible و HMS Ocean بالإضافة إلى السفينة الفرنسية Bouvet، وتعرض طراد بريطانى آخر HMS Inflexible إلى التعرض لإصابات جسيمة.

سلاح الطيران التركى

تأسس سلاح الجو العثمانى فى يونيو ١٩٠٩، وبداية ذلك، أن أرسلت الامبراطورية العثمانية اثنين من الضباط الأتراك إلى معرض الطيران الدولى بباريس، ليكون بذلك نواة سلاح الجو العثمانى التركى الحالى.

وبعد تزايد أهية وجود دعم جوى للقوات البرية، رأت الحكومة العثمانية ضرورة إنشاء فرع الطيران العسكرى، ولذلك تم إرسال ضباط إلى باريس نهاية عام ١٩١٠ لدراسة فنون الطيران، وبسبب ظروف المعيشة السيئة، لم ينجح برنامج التدريب وعاد الضباط إلى تركيا ربيع عام ١٩١١.

بدأت الإمبراطورية العثمانية بتهيئة أولى طياريها وطائرتها بتأسيس (Hava Okulu الأكاديمية الجوية) فى مدينة استانبول فى ٣ يوليو ١٩١٢ وابتدأت بالتدريس والتأهيل لضباط طيرانها.

وقد أدى تأسيس الأكاديمية الجوية إلى تسريع عملية إنشاء الذراع الجوية لتركيا، حيث زاد عديد المتقدمين إلى الأكاديمية، وفى نفس العام ١٩١٢، تم شراء ٣ طائرات فرنسية نوع (Deperdussin اثنتان منها بمقعدين وواحدة ذات مقعد واحد)، ووصلت استانبول فى مارس ١٩١٢، وقد تم الحصول على عدد طائرتين

من طراز Bleriot XI - b ذات المقعدين.

وتم تقديم الطائرة الأولى من قبل القائد الأعلى رضا باشا Riza Pasha، و٣ طائرات بمقعدين بموديلات مختلفة وتم تسميتهما XI - 2، و ٣ من النسخة ذات المقعد الوحيد وتم تسميتهما Penqouin والتى تم نشرها أيضاً على فروع القوات المسلحة التركية وبموجب اتفاقية بين الدولة العثمانية والمنتج تم شراء ٧ طائرات من نوع Robert Esnault - Pelteir، وكان التخطيط لكى تدخل أولى تلك الطائرات الخدمة فى ١٥ مارس ١٩١٢ فى ذكرى تتويج السلطان العثمانى، وبنهاية عام ١٩١٢، أمكن لسلاح الجو العثمانى الوليد الحصول على عدد ١٥ طائرة، معظمها تم عن طريق التبرع.

وفى مايو ١٩١٣ تم تنشيط برنامج الاستطلاع التدريبى المتخصص (الأول فى العالم بالأكاديمية الجوية، وتم إنشاء فرع الاستطلاع بالقوات الجوية التركية).

فى عام ١٩١١، قامت إيطاليا بغزو ليبيا إحدى ولايات الدولة العثمانية، واستعلمت إيطاليا خلال غزوها، الطائرات للقيام بعملية القصف، ولأول مرة فى التاريخ، كان العثمانيون أول الذين يسقطون طائرة حربية ويأسرون طيارها، وفى عام ١٩١٢، عمل قسم من القوات الجوية العثمانية على الجبهة الأخرى بالبلقان ضد دول بلغاريا والجبل الأسود واليونان.

وتم استخدام ١٧ طائرة عثمانية للقيام بمهام الاستطلاع فى الفترة من سبتمبر ١٩١٢ إلى أكتوبر ١٩١٣، وفقد العثمانيون عدة طائرات نتيجة قلة الخبرة، ولكن مع الوقت قاموا بأداء أفضل.

وبالرغم من قوة الجيش التركى، ربحت الدول البلقانية الحرب ضد الدولة العثمانية، وبعد فترة وجيزة، قامت بلغاريا بمهاجمة صربيا لتبدأ بذلك حرب البلقان الثانية، واشتركت الدولة العثمانية خلال تلك الحرب إلى جانب الصرب.

وبنهاية الحرب البلقانية، خاض سلاح الجو العثمانى عدة معارك بها واكتسب خبرة منها، وبدأت عملية اقتناء الطائرات الحديثة تتزايد، ولكن ذلك

توقف بداية الحرب العالمية الأولى وبداية الصراع على السلطة من جانب الاتحاد والترقى والكماليين.

وبدأت الحرب وسلاح الجو العثمانى تحت السيطرة المباشرة للقيادة العسكرية العليا وذلك لعوامل تكلفة الطائرة، ولتعقد أمر السيطرة والقيادة، تم تأسيس أكاديمية مستقلة لطيران البحرية فى استانبول عام ١٩١٤ م.

وفى عام ١٩١٥ قدم بعض الطيارين الألمان إلى تركيا وتم إرسال الضباط الأتراك للتدريب على الطيران، وبنهاية عام ١٩١٥، تم تأسيس مكتبين للسيطرة على الطيران، الفرع الثالث عشر ويتبع الأركان العامة التركية، الفرع التاسع يتبع وزير الخارجية.

بحلول عام ١٩١٦، كانت قوة سلاح الجو العثمانى تتزايد، فكان لديها ٨١ طياراً وملاحظاً و ٩٠ طائرة، وفى النهاية تقوم ألمانيا بتحويل قرابة الـ ٤٦٠ طائرة إلى تركيا، وبالفعل ذهبت ٢٦٠ طائرة إلى سلاح الجو العثمانى والباقى بالوحدات الألمانية، وخدم حوالى ٤٠٠ موظف طيران ألمانى خلال فترة الحرب بتركيا.

وبنهاية الحرب، كان لدى سلاح الجو العثمانى حوالى ٢٠٠ طائرة مجهزة تم شراؤها، وأسرت عدة طائرات من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا.

ورغم قوة الجيش التركى إلا أنه خسر فى الحرب العالمية الأولى بسبب خيانةمصطفى كمال فى الجبهات التى اشترك فيها كقائد للجيش ورعونة قادة الاتحاد والترقى وخاصة وزير الحربية الاتحادى الدموى أنور باشا.

وبعد انتهاء الحرب وهزيمة تركيا وألمانيا هرب قادة الاتحاد والترقى إلى دول أوربية حيث قتل معظمهم بعد أن قاموا بأداء دورهم الماسونى ليكمل مصطفى كمال دوره هو الآخر فى إنهاء الخلافة العثمانية وعصر السلاطين العثمانيين.



مصطفى كمال والإنجليز
وصناعة البطل

- ظهور مصطفى كمال كبطل قومى بالاتفاق مع الإنجليز كخطوة أولى نحو كرسى الزعامة وإلغاء الخلافة الإسلامية.
- الخطوة الثانية بظهور مصطفى كمال كبطل قومى فى معركة «الدردنيل» عام ١٩١٥ م.
- محاولات فاشلة لمصطفى كمال للوصول إلى كرسى الحكم تبدأ بمحاولة اغتيال «أنور باشا» ودوره فى هزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى.



الإنجليز وصناعة مصطفى كمال
ليكون بطلاً قومياً

كان تدمير تركيا شغل أوروبا الشاغل وبخاصة العناصر اليهودية المبثوثة فى كل مكان تحرك بأصابعها الخفية الدوائر السياسية فى العالم الغربى من خلال رؤوس الأموال المملوكة بين أيدى اليهود وفى مصارفهم خاصة عائلة (روتشيلد).

ولذا فقد كانت ممتلكات تركيا هى الصيد الذى ترنو إليه كل العيون الغربية، ثم الإسلام الذى كانت القلوب تقطر عليه حقداً وسماً، وتتربص به الدوائر وتنتظر الفرصة المناسبة للانقضاض فوقه والإجهاز عليه، وقد رأت أوربا أن أسهل الطرق للإجهاز عليه أن تأتى الضربة القاصمة بيد أبنائه الذين يتسمون باسم المسلمين، وعليه فقد جاء مصطفى كمال ليحقق ما لم تحلم أوروبا به فى يوم من الأيام.

لقد كان رجل مثل مصطفى كمال حلماً يداعب خيال أوروبا، ثم أصبح الحلم واقعاً أغرب من الخيال، ولذا حرصت أوروبا على رفعه فوق مستوى البشر فى أعين الناس ليصبح معبود الجماهير يعتبر نقده جريمة يؤاخذ عليها.

ثم حرصت أوروبا على الحفاظ على مكاسب التدمير الأتاتوركى، وحاولت أن تكرر التجربة من خلال النموذج الفذ الرائد الفريد، وذلك عن طريق الانقلابات العسكرية المتكررة والتى تقف حائطاً دفاعيا عنيدا أمام أى محاولات لتغيير مسار العلمانية التى جاء بها مصطفى كمال.

وقد تم تجهيزه ليكون زعيماً قوميا على مدار السنوات الأخيرة فى حياة الدولة العثمانية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثانى مباشرة وبعد أن أدت جمعية الاتحاد والترقى دورها فى خراب الدولة بدخولها الحرب العالمية الأولى واحتلال أراضيها بعد احتلال الدول التابعة لها.

وكان موقف مصطفى مع الإنجليز جواز مروره إلى كرسى الحكم فى تركيا وذلك حين أرسل إلى فلسطين.

ففى سنة ١٩١٠ م أرسل مصطفى كمال إلى فرنسا لحضور مناورات عسكرية، وبعد أن رجع من فرنسا عين مشرفاً على مدرسة الضباط فامتلأ حقداً على الاتحاديين لتجاهله فنقلوه قائداً لفرقة المشاة الثامنة والثلاثين فى سلانيك.

ثم غارت إيطاليا على ليبيا فأرسل مصطفى كمال إلى ليبيا ورقى إلى درجة بكباشي ثم حصلت حرب البلقان، فوضع أنور خطة لسحق البلغار.

ولكن مصطفى كمال خالف أمر أنور، ففشلت خطته فسبب للأتراك كارثة، حقداً منه على أنور لئلا ينال شرف النصر وسقطت (أورنة) نتيجة لخيانته.

ثم رقى بعد فترة إلى رتبة قائمقام، ولكن أخرج بعيداً عن مسرح السياسة والتوجيه لأنه كان مكروهاً من الاتحاديين فيما عدا صلته بجمال باشا الذى يجمعه به كراهيتهما للألمان، ولما كثر نقده للاتحاديين أبعدوه ملحقاً عسكرياً فى صوفيا.

ولما اندلعت الحرب الأولى طلب أتاتورك من أنور أن يوليه قيادة إحدى الجبهات، وبعد طلبه عدة مرات تولى قيادة القطاع الجنوبى فى شبه جزيرة (غاليبولى)[1] فأبدى شجاعة فائقة وانتصاراً كبيراً، وبعد انسحاب الحلفاء من (غاليبولى) رجع مزهواً بالنصر منتفخاً بالغرور إلا أن أنور تجاهله، فلجأ إلى الدس والمؤامرة على الاتحاديين فألقى القبض عليه وعلى المتآمرين وشنق أنور مجموعة منهم إلا أنه لم يشنق مصطفى وأبعده إلى بلاد القوقاز حيث الجيش السادس ثم إلى ديار بكر حيث الجيش الثانى، ولم يكن له هناك شأن يذكر لانسحاب الروس إثر الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ م.

ثم أرسلوه إلى الشام سنة ١٩١٧ م وكان قد وصل إلى رتبة لواء أى باشا وصار مساعداً لقائد الجيش الثانى.

ثم عين قائداً لجبهة فلسطين وفى فلسطين تمت الصفقة مع اللنبى القائد

(١) الذئب الأغبر.

الإنجليزى واتفق الإنجليز مع مصطفى كمال، على الانسحاب ليدخل اللنبى برداً وسلاماً وليضرب الجيوش التركية الأربعة ضربة قاصمة بعد أن ارتد اللنبى خائباً من أبواب السلط بعد أن هزمه جمال باشا قائد الجيش الرابع(١).

وكانت نتيجة هذه الخيانة تحطيم تركيا إلى الأبد، وأما نتيجة المعركة فكانت كارثة: كان عدد الأسرى يقرب من مائة ألف جندى عدا القتلى برصاص الدروز والأرمن)؟.

والأدلة على خيانة مصطفى كمال واتفاقه مع الإنجليز كثيرة:

منها انسحاب مصطفى كمال من موقع حصين وهو شرق نابلس الوعرة، وقد تم الانسحاب فى نفس الليلة التى دخل فيها اللنبى وهى ليلة ١٩/ ٩/ ١٩١٧، وقد تم الانسحاب من نابلس إلى شرق الأردن فدمشق فحلب فجبال طوروس، وقد كان الانسحاب فجائياً بسرعة البرق.

ولم يكن وضع اللنبى العسكرى بحالة تمكنه من هذا النصر الساحق.

يقول لورانس: لقد قال لى أللنبى فى ٥ أيار سنة ١٩١٧ م: إن كلانا مرغم على البقاء حيث هو والدفاع عن هذا البقاء بأى ثمن، إن مصيرنا كله على كف عفريت.

جاء كتاب الرجل الصنم: وهنا يتفق مصطفى كمال مع القائد الإنجليزى الجنرال اللنبى سرّاً وبانسحاب فجائى يحرم الجيش التركى من ذراعى (ركنى) الاستناد؛ ويؤدى بذلك إلى وقوع الجيش بيد الأعداء يقول ضابط تركى معاصر: كان رفقائى فى السلاح فى جبهة فلسطين يذكرون أن الخيالة الإنجليز قاموا باختراق جبهة الجيش الذى كان تحت إمرة مصطفى كمال، وأنهم بذلك وصلوا إلى مؤخرة أربعة جيوش حيث تمت الكارثة التى لا يتحملها العقل والخيال(٢).

وكان قائد الجيش الرابع جمال باشا يرى على الدوام أن مصطفى كمال هو المسؤول عن الهزيمة.

---

(١) آرمسترنج ـ الذئب الأغبر.

(٢) انظر الرجل الصنم.

ويقول الدكتور على حسون: وفى سنة ١٣٣٧ هـ عين مصطفى كمال قائداً لأحد الجيوش فى فلسطين حيث قام بإنهاء القتال مع الانجليز فوراً وبصورة تامة وسمح للعدو بالتقدم شمالاً دون مقاومة، وسحب قواته شمالاً لما بعد حلب حسب مخطط متفق عليه.

اتصل الانجليز بمصطفى كمال يوم أن كان قائداً فى فلسطين وطلبوا إليه أن يقوم بثورة على السلطنة، ووعدوه أن يساعدوه على ذلك، فاتصل مصطفى كمال بقائدين عثمانيين من زملائه كانا يتوليان قيادة جيشين قريبين منه وطلب وفاقهما فى الأمر، فلما سمعا الخبر استعظماه واستنكراه وقالا له: بما أنك لم تحاول العصيان الذى يوجب الإعدام فإننا سنكتم الأمر وننصحك أن تعتبره منسيّاً.

وبعد اندحار أللنبى أمام جمال باشا فى السلط أرسل جمال إلى الأمير فيصل ابن الحسين قائد القوات العربية يعرض الصلح بين الأتراك والعرب، وهذا الصلح لو تم لأصبح من شبه المستحيل على النبى أن ينتصر على العرب والترك معاً.

قال لورانس: وما أن وصلت هذه الأخبار إلى مصطفى كمال الثائر على السلطات التركية فإذا بمصطفى يرجو الأمير فيصل عدم الانصياع لرغبات جمال باشا ويعد بالمساندة فى حالة نجاحه فى إخلاء دمشق لإقامة دولة عربية مستقلة.

لقد أعلم الإنجليز مصطفى كمال بتلك المراسلات السرية مع الوفد فى حالة نجاحه فى إتمام مهمته بالمساعدة إلى تولى السلطة والحكم بعد التخلص من حكومة الاتحادوالترقى.

وكانت المكافأة بعد هزيمة تركيا، وبعد انتصار أللنبى حضر إلى استانبول فطلب من الدولة التركية المهزومة أن تعين مصطفى كمال قائداً للجيش السادس قرب الموصل حيث النفوذ الإنجليزى ومنطقة البترول لحماية مصالح الإنجليز وأمنهم هناك.

وكان مصطفى كمال بعد الهزيمة الكبرى التى كبدها تركيا، وبعد رجوعه كان على صلة بالقس المشهور (FRID) الذى كان رئيساً للاستخبارات الإنجليزية فى

تركيا، كما كان على صلة برجل المخابرات أرمسترونج.

وكان على صلة وثيقة بالسلطان وحيد الدين (محمد السادس)، وذلك لأنه عين فى ربيع سنة ١٩١٨ م مرافقاً عسكرياً له، وكان آنذاك وليّاً للعهد، وأظهر مصطفى كمال آنذاك لوحيد الدين كراهيته للاتحاد والترقى، وأبدى صلاحاً وحرصاً على مصلحة تركيا، وسرعان ما أصبح الاثنان صديقين حميمين، وغدا مصطفى جنديّاً للأمير وأميناً لسره.

وفى أثناء الحرب مات السلطان محمد رشاد الخامس وتولى وحيد الدين الخلافة، فقرب مصطفى كمال ورفع من مكانته، وأرسله وحيد الدين ليتولى مكافحة المستعمرين فى الأناضول، وأعطاه مبلغاً كبيراً من الذهب (عشرين ألف ليرة ذهبية).

وفى هذا يقول الشيخ مصطفى صبرى: لقد شاعت كلمة سمعتها على لسان أحد الإنجليز أن السلطان أراد أن يكيد الإنجليز بمصطفى كمال، فكاد الإنجليز به السلطان.

وفى الأناضول اتفق مصطفى كمال على أن يتولى الدفاع عن غربى الأناضول، وأما القائد (كاظم قره بكر) فيتولى الدفاع عن شرقى الأناضول.

قال كاظم: ولكن بعد أن مر ١٨ يوماً على تثبيت هذه الخطة أى فى ٣ شباط سنة ١٩٢٠ م تلقيت رسالة بالشفرة من سيادة مصطفى كمال يقول فيها: ليس هناك مجال للمقاومة المسلحة ضد شروط الصلح الفاسدة إلا فى القفقاس.

أما فى الجهات الأخرى فليس فى الإمكان عمل أى شىء فإذا ساعدت تركيا البلاشفة فى الاستيلاء على قفقاسيا، ووحدت جهودها معهم فإن الأناضول من الغرب إلى الشرق وكذلك العراق وإيران وأبواب الهند تكون قد فتحت على مصاريعها.

فجاء خليل باشا عم أنور باشا إلى أهل أذربيجان قفقاسيا وقال لهم: إن تركيا ترغب منكم السماح للجيش الروسى بالعبور لتقديم المساعدة إلى تركيا،

فقال أهل أذربيجان: وقد خدعنا بهذا القول وأدخل الروس علينا دون أن نبدى أى مقاومة، مع أننا كنا نملك جيشاً وكنا على استعداد للدفاع، ولكن لم يدعنا ندافع وهكذا دخلنا مرة أخرى تحت السيطرة الروسية.

وكانت هذه خطة إنجليزية ليظهر مصطفى كمال أنه عدو لبريطانيا، ولقد جاء (راولنسوون ـ شقيق اللورد كيرزون) وزير خارجية بريطانيا واجتمع مع كاظم وعرض عليه نفس الخطة، فذهل كاظم للتوافق العجيب والفجائى بين رغبة مصطفى كمال الذى تظاهر بعداوة الإنجليز وبين رغبة الإنجليز أنفسهم لقد خطط راولنسون وبصفقة متبادلة مع روسيا لذبح الشعب القفقاسى المسلم وألقوا خطتهم إلى عميلهم مصطفى كمال، ونفذها كاظم باشا وخليل باشا ووقعت القفقاس المسلمة فى قبضة الشيوعيين ليذبح أهلها فى مفارم اللحم (البلوبيف)، وليساموا سوء العذاب إلى يومنا هذا منذ نيف وستين سنة، وليمسح الإسلام من أراضيها نهائياً ويجتث منها اجتثاثاً.

وقد ثبت أن العقيد راولنسون قد اجتمع مع مصطفى كمال فى بيت فى أرضوم اجتماعاً فى غاية السرية والأهمية دام حتى الصباح[1].

يقول اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا: لا يمكن لأى فرد تركى بعد هذا الاحتلال المنحوس لأزمير من قبل اليونان إلا أن يتعاطف بعمق مع القضية الوطنية التى عليها الآن مصطفى كمال.

ويقول رئيس الأركان سير هنرى ولسون: ليس أمام الدبلوماسية الإنجليزية إلا أن تعقد الصداقة مع مصطفى كمال.

ثم كانت مسرحيات الانتصار الساحقة فى الأناضول وخاصة فى سقاريا أفيون، أزمير التى جعلت من مصطفى كمال من الخوارق تغنى بمدحها الشعراء حتى قال أحمد شوقى:

الله أكبر كم فى الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب

---

(١) انظر الرجل الصنم ـ مصدر سابق.

يقول الشيخ مصطفى صبرى: لقد أبلغنا لجنة الحلفاء العليا المقيمة فى باريس والمؤلفة من رؤساء وزارات كل من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان فى مساء ١٤ مايو سنة ١٩١٩ قراراً يقضى بنزول الجيوش اليونانية فى أزمير ومقدونية، ويحذرنا من المقاومة التى يعتبرونها نقضا للهدنة، فى اليوم الثانى أى فى ١٥ مايو سنة ١٩١٩ م نزل اليونان فى أزمير.

لقد تمت صناعة مصطفى كمال بإتقان شديد من جانب الإنجليز وكأن شكسبير مؤلف هاملت هو أيضاً مؤلف رواية أتاتورك.

وظهر مصطفى كمال أيضاً فى معارك أخرى كبطل يشار إليه بالبنان والبطولة ففى معركة سقاريا شد الحلفاء من جهة على السلطان وهيئوا فرصة انتصار مصطفى فى سقاريا، فقد أوعزت قوات الحلفاء لليونان أن يتقدموا فى الأناضول، وفى منتصف الطريق تلقت الأوامر من الحلفاء أن تتوقف بين الجبال حيث لا طرقات تربط بين أجزائها ولم تستطع أن تقيم خطا دفاعيا حصيناً، فقد توقف الهجوم اليونانى فجأة فى الساعة الثامنة صباحاً، ثم بدأ الانسحاب فتحول الأتراك إلى الهجوم، وتقهقر اليونان وانتصر البطل فى معركة سقاريا الحاسمة الفاصلة.

وفرحت الجماهير فى أنقره، واحتفوا بزعيمهم الظافر مصطفى كمال وخلعوا عليه لقب الغازى وجاءته برقيات التهنئة تترى من روسيا وأفغانستان والهند وأمريكا وحتى من فرنسا وإيطاليا[1].

وبعد رجوعه من سقاريا ظافراً طلب من مجلس النواب التركى منحه لقب الغازى وأربعة ملايين ليرة مكافأة.

وهنا ثار النواب فأعطوه لقب الغازى أى المجاهد، ولم يعطوه المال الذى طلبه وما حدث فى معركة سقاريا حدث فى معركة أفيون وأزمير فقد كانت مسرحية كذلك، إذ ترك قائد الجيش اليونانى (هاجيانستس) جنده دون طعام أو شراب

(١) انظر الذئب الأغبر.

يتسكع بين مقاهى أزمير ليتذمر الجنود وتتبدد منهم روح الحماسة، وليدخل مصطفى كمال وينتصر عليهم بسرعة البرق الخاطف فى الجانب الآسيوى.

وفى الجانب الآسيوى فقد كانت أزمير فى أيدى اليونان ومركزهم فيها كان قوياً، ومع ذلك انسحبوا وأخلوها لمصطفى كمال دون أن يطلقوا طلقة واحدة.

ودخل مصطفى كمال أزمير ومر ببوارج الحلفاء الرابضة فى الميناء بمدافعها الضخمة، ولكنها صامتة صمت القبور، بل يدعى آرمسترنج أنها كانت عاجزة عن التدخل[1].

واقتحم مصطفى كمال منطقة البسفور والدردنيل التى تربض وتحتشد فيها القوات البريطانية، ويخترق جنوده الأسلاك الشائكة حول المواقع العسكرية البريطانية دون أن يطلق الإنجليز طلقة أو الأتراك طلقة واحدة كما سيأتى ذكره.

وكانت الأسلحة التى يحارب بها مصطفى كمال قد جاءت من روسيا عبر الخطوط الإنجليزية فى البسفور والبحر الأسود وتظاهر الحلفاء بالعطف على الخليفة والسخط على مصطفى كمال.

فقد احتل الإنجليز القسطنطينية فى ١٦ مار سنة ١٩٢٠، وطلب الحلفاء من الأهلين إطاعة الأوامر التى تصدر إليهم من الخليفة مما أدى إلى ازدياد النقمة عليه، وفى المقابل تم الجلاء عن (أسكى شهر) والمحاصرة من قبل مصطفى كمال وعن (قونيه) بدون حصول أدنى اشتباكات وتنظف الأناضول من القوات الحليفة، والناس مبهورون بهذه الانتصارات.

وفى نفس المدة صدرت فتوى من شيخ الإسلام تصف مصطفى كمال وجماعته بالكفر، فيزداد سخط الناس على السلطان والمفتى لصالح مصطفى كمال وأعوانه.

وأنقذ الإنجليز مصطفى كمال بعد ذلك بمعاهدة سيفر التى قسمت الولايات التركية وأصبحت استانبول دولة وألحقت تركيا الأوروبية والجزر الأيجية وغيرها بإدارة اليونان، وتصبح أرمينيا دولة مستقلة وتعطى كردستان حكماً ذاتيا، وتوضع المضايق تحت إشراف الدولة ويحدد عدد الجيش بعد إخضاعه لتوجيهات الحلفاء

---

(١) انظر الذئب الأغبر.

الذين أعطوا السيطرة المالية واحتفظوا بالامتيازات القديمة، وأعطيت الأقليات النصرانية حقوقاً خاصة إضافية.

ثم نشرت نصوص معاهدة سيفر على أوسع نطاق فهاج الرأى العام ضد الخليفة ورئيس وزرائه وصبت النقمة على الإنجليز.

فى حين كانت أخبار الانتصارات عن مصطفى كمال متوالية وقد تعلقت به آمال الشعب التركى والعربى حتى تم إيقاف الزحف اليونانى وأخمدوا الثورات المتفرقة التى أشعلها أعوان السلطان، وحرروا أنقرة من الخطر المحدق بها، ثم هاجموا (مرعش) وأبادوا حاميتها الفرنسية والأرمن الذين جندتهم، ثم حطموا شوكة الأكراد، واكتسحوا القوات الرابضة على طول السكة الحديدية فى قونية وهاجموا الحامية الإنجليزية عند السكة الحديدية فى (أسكى شهر).

ثم طاردوها إلى البحر، واعتقلوا جميع ضباط مراقبة الحلفاء الذين استطاعوا أن يضعوا أيديهم عليهم فى الداخل، واحتفظوا بهم كرهائن مقابل النواب المعتقلين فى مالطة.

وبمعاهدات سرية واتفاقات خفية مع أتاتورك يقرر الحلفاء الجلاء عن استانبول، وكان جيش الحلفاء فى قسطنطينية قد خفض إلى بضعة آلاف، فرسم القائد العام خطته وأعد جميع المعدات على أساس الجلاء العاجل، فأحرقت المستندات ودمرت المخازن وأتلفت الذخائر، ولغمت القناطر كى تنسف عند الاقتضاء وربضت سفن الأسطول فى الخليج (خليج القرن الذهبى) على تمام الأهبة للرحيل.

ثم قرر الحلفاء طرد اليونانيين مع أنهم حلفاؤهم من تراقيا (الجزء الأوروبى من تركيا)، وقرروا الرحيل من تركيا نهائيا وذلك ليقوم البطل بأضعاف أضعاف ما تستطيع أوروبا كلها أن تعمله لو بقيت، هكذا تم صناعة البطل الوهمى المزيف الذى خدع الأتراك والمسلمين فى بداية ظهوره بأنه منقذ الإسلام وهو فى الحقيقة ألد أعدائه.

ومن مقدمات الخيانة التى قدمها مصطفى كمال للإنجليز حتى يختاروه

ويراهنوا عليه ما حدث فى معركة «جاليبولى»، بعد عودته من ليبيا بعد دخول حزب الاتحاد والترقى فى حرب البلقان وكانت البلاد فى اضطراب شديد.

وقد هزمت الجيوش التركية مع جميع الجبهات البلقانية واحتلت «دوراز» و«موناشيد» و «سالونيك» وغيرها من البلدان.

ووصل مصطفى كمال إلى «جاليبولى» وحالة الجيش التركى على شفا الانهيار واستمرار الحال يؤدى إلى سيطرة الأعداء على «الدردنيل» والعاصمة التركية واستطاع صد هجمات البلغار أكثر من خمس مرات وطالبت الدول البلقانية تركيا بتسليم البلاد الأوربية التى احتلتها منذ مئات السنين باستثناءالعاصمة استانبول وأصرت بلغاريا على ضم «أدرنة» المحاصرة من البلغار وتدخلت الدول الكبرى لعقد هدنة واتفاقية لإيقاف الحرب وانقسم الأتراك على أنفسهم فمنهم من أراد القبول بتلك الشروط ولكن الضباط الأحرار أو الضباط الشبان فى الجيش رفضوا الإذعان لتلك المطالب وحدثت الفوضى التى هددت البلاد بالحرب الأهلية.

وقام إسماعيل أنور الذى عاد من ليبيا وكان أحد قادة الاتحاد والترقى بانقلاب عسكرى وقد حشد الضباط الشبان واقتحم القصر الملكى وقتل وزير الحربية «ناظم باشا» وأعلن تأليف حكومة جديدة أصبح فيها وزيراً للحربية برئاسة محمود شوكت باشا وأعلنوا رفض تركيا شروط الدول البلقانية لعقد الصلح.

وفى ظل هذه الأجواء لم يكن لمصطفى كمال دور، فقد كان مكروهاً من قادة الاتحاد والترقى وخاصة إسماعيل أنور باشا الذى أصبح وزيراً للحربية وقائدا للجيش التركى وهو من الذين اشتركوا فى المؤامرة على السلطان عبد الحميد الثانى(1).

وكان أنور باشا قائداً عسكريا كبيراً فى حروب عديدة وقاد الجيش التركى فى العراق ونجح فى صد هجوم الإنجليز ومنعهم من احتلال بغداد عام ١٩١٦ ثم انهزم أمامهم عام ١٩١٧ م.

(١) عرف إسماعيل أنور الزين باسم أنور باشا ـ ولد فى عام ١٨٨١ م ـ وقتل خلال حرب الاستقلال عام ١٩٢٢ م.

وقاد الجيش التركى فى الحرب العالمية الأولى وقاده إلى الهزيمة، فقد كان ماسونيا يؤدى دوره بإتقان وانتهى دوره بهزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى واستسلامها ثم ظهور مصطفى كمال كبطل قومى وتم قتل أنور باشا عام ١٩٢٢ م بعد أداء دوره كعادة الماسون فى التخلص من عملائهم.

ونعود إلى مصطفى كمال حيث رفض خطة أنور باشا فى معركة «جاليبولى» عام ١٩١٣ م وأدت خيانة مصطفى كمال إلى أن استطاع البلغار إبادة الفيلق التركى العاشر وسقطت «أدرنة» فى أيدى القوات البلغارية ثم قبول أنور باشا شروط الصلح التى رفضها من قبل وقام بانقلاب عسكرى أعدم فيه الكثيرين من الضباط وقتل فيه وزير الحربية كما ذكرنا.

لكن الظروف السياسية خدمت أنور باشا حيث حدث اختلاف بين بلغاريا والصرب بعد عقد معاهدة الصلح مع تركيا وأعلنت بلغاريا الحرب على الصرب واليونان.

استطاع أنور باشا من استعادة «أدرنة» بهجوم خاطف وأباد القوات البلغارية وارتفع نجمة مما زاد حقد مصطفى كمال عليه وجعله يدبر المؤامرات لإيقاعه فى الهزائم المتتالية فيما بعد فى الحرب العالمية الأولى التى أطاحت به وبكل رفاقه من أعضاء الاتحاد والترقى وهروبهم خارج البلاد بعد هزيمتهم.

فقد كان أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا ومحمود شوكت وغيرهم من قادة الاتحاد والترقى من الماسون المخلصين للماسونية واليهودية الصهيونية وقد خططت لهم الماسونية أدوارهم بدقة حيث تنتهى بأن تهزم تركيا فى الحرب العالمية الأولى التى كانت صناعة ماسونية.

وبعد هزيمتهم فى الحرب ثم تهريب هؤلاء القادة إلى الدول الأوروبية المختلفة حيث تم القضاء عليهم هناك.

فقد تم التخلص من محمود شوكت باشا بواسطة أنور باشا كى ينفرد بالسلطة المطلقة ولكى يضمن السيطرة على الجيش والحكم والسلطان القابع فى القصر الملكى لا حول له ولا قوة.

الخطوة الأولى إلى كرسى الزعامة وإلغاء الخلافة الإسلامية

الأبطال الأسطوريون يظهرون دوماً عقب الأزمات الطاحنة بالأمم ليقودها نحو الانتصار بعد الهزيمة، فإذا تحول هؤلاء الأبطال إلى الديكتاتورية يكونون وبالاً على أممهم وشعوبهم، ومن هؤلاء مصطفى كمال أتاتورك الذى يضارع وينافس شخصيات دموية تاريخية مثل جنكيزخان وتيمورلنك وهولاكو فى العصور الغابرة ومثلهم الكثير أيضاً فى العصور الحديثة المعاصرة.

فأما مصطفى كمال فقد ظهر كشخصية قومية انخدع فيه الكثيرون من بنى قومه الترك وأيضاً من العرب والمسلمين بعد هزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى واحتلال أراضيها حتى إن البلغار قد حاصروا «أدرنة» كبرى المدن التركية ودخلت قوات الحلفاء العاصمة وأصبح السلطان العثمانى أسيراً فى قصره لا حول له ولا قوة.

وقبل الحرب العالمية الأولى تم تعيين مصطفى كمال رئيساً لأركان الفيلق المرابط فى شبه جزيرة «جاليبولى» المواجه لمضيق الدردنيل، فاستطاع صد هجوم البلغار تسع مرات فكان لهذه المعركة الأثر فى ارتفاع نجمه حيث عين ملحقاً عسكريا فى صوفيا حتى اشتعال الحرب العالمية الأولى.

قام الإنجليز بصناعة بطل قومى لتركيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى وقبل الحرب وقع الاختيار على مصطفى كمال بواسطة المخابرات الإنجليزية، وجعل بطلاً ومنقذاً لتركيا من الحلفاء واليونان الذين احتلوا «أزمير» بمساعدة الإنجليز.

فقام مصطفى كمال باستثارة روح الجهاد باسم الدين فى الأتراك حتى إنه رفع القرآن الكريم فى مواجهته لليونانيين حتى إن القوات الإنجليزية تراجعت

أمامه فى مسرحية هزلية لإظهاره كقائد منتصر وحتى أطلق عليه الأتراك لقب الغازى ومدحه الشعراء فى العالم الإسلامى.

وتمت المقارنة بينه وبين السلطان العثمانى وقتها محمد السادس «وحيد الدين».

وكانت العلاقة بين مصطفى كمال والمخابرات الإنجليزية واضحة ومثبتة وكانت عن طريق رجل المخابرات الإنجليزى «ارمسترونج» الذى تعرف عليها أثناء تواجده فى فلسطين والشام(١).

وقد أظهر «أرمسترونج» فى كتابه «الذئب الأغبر» عن شخصية أتاتورك وأوضح مدى العقد النفسية التى عان منها بسبب أمه وزواجها بعد موت أبيه ولجوئه إلى الرهبان المقدونيين.

وعرف أرمسترونج كيف يختار مرشحه لرئاسة تركيا العلمانية ووجد ضالته المنشودة فى مصطفى كمال الذى تعززت علاقته به فى فلسطين وسورية يوم أن كان أرمسترونج نفسه فى أسره ورعايته.

وقد كشف أرمسترونج، كضابط الاستخبارات كل العقد النفسية لفريسته، ولمس نزوعه الشديد للرئاسة، تعويضاً عن نشأته الوضيعة وأصله المشكوك فيه، فأغرقه بسيل متواتر من البطولات الوهمية، التى صنعتها له الاستخبارات البريطانية، لتنسج من حوله هالة تقربه إلى السلطان وتفرضه على المتربعين فى الحكم من رجال الباب العالى، ممن لم يكن يفوتهم ملاحظة طموحات مصطفى كمال غير العادية.

حتى إن أنور باشا كان يحتفظ بجيبه بقرار ترقية مصطفى كمال إلى رتبة باشا، وقد أخر صدوره فترة لأنه موقن أن حصوله على الباشوية سيثير شهيته للتطلع إلى الصدارة العظمى ثم السلطنه وربما الخلافة(٢).

(١) انظر الذئب - هـ. س. أرمسترونج وانظر كتاب الرجل الصنم - مؤلفه جنرال تركى لم يذكر اسمه - ترجمة عبد الله عبد الرحمن. مؤسسة الرسالة عام ١٩٧٧ م.

(٢) انظر مذكرات د. رضا نور (١٨٧٩ - ١٩٤٣) طبيب ومؤرخ وسياسى تركى - شغل منصب نائب وزير خارجية فى عهد مصطفى كمال كتب مذكراته وأودعها فرنسا وبريطانيا مشترطاً عدم نشرها قبل عام ١٩٦٠ م ونشرت بتركيا عام ١٩٦٨ م فأحدثت ضجة كبيرة لما حوته =

وأدرك أرمسترونج بعقله المهنى المخابراتى بشخصية مصطفى كمال وأهليتها لما سيوكل إليها من مهمات، ليس من خلال فحشه وتهتكه الفاضح وجرأته فى خرق التقاليد والآداب ولكن فى نقمته على الجنس التركى نفسه باعتباره يشعر بدمائه السلافية نتيجة لسلوك والدته خلال وجودها فى سالونيك بين الدونمة والصربيين والمقدونيين والسلافيين.

وذكر أرمسترونج فى كتابه عن مصطفى كمال أنه تعلق بكتب المفكرين الفرنسيين فولتير وجاك روسو وستيوارت ميل وغيرها من الكتب الممنوعة حتى أصبح ينظم الشعر الملتهب بمشاعر القومية، ويخطب فى زملائه بالكلية السكرية، فيحدثهم عن فساد السلطان، قبل أن يتجاوز العشرين من العمر، ثم انتقل إلى استانبول وانغمس فى ملاهيها وحاناتها، وراح يشرب ويقامر ويغازل، قبل أن يسجن لانضمامه إلى جمعية الوطن والحرية.

ويستشهد أرمسترونج بعلاقة «الاتحاد والترقى» بالدونمة والماسونية فيذكر كيف دعى حضور أحد اجتماعاتها فى بيوت بعض اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية، والجمعيات الماسونية الإيطالية إذ أن جنسيتهم هذه تحميهم بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية، وقد دأب الاتحاديون على الاحتماء بحصانة اليهود، فكانوا يجتمعون فى بيوتهم آمنين من كل خطر، وكان بعضهم كفتحى المقدونى صديق مصطفى كمال القديم، قد انضم إلى جماعة الماسون (البنائين الأحرار).

وبعد أن تحول مصطفى كمال من مجرد ضابط صغير ثائر على الأوضاع إلى قائد عسكرى يملك رصيداً من الأمجاد والانتصارات لقب بـ (الغازى) بفضل نفوذ رجال الاستخبارات البريطانية.

ويذكر لنا أرمسترونج صفحة جديدة من حاله الخاصة بعد كشفه عن مجونه وفسقه، وأهليته لنسف الخلافة الإسلامية، فيتطرق إلى زواجه الأسطورى

= من فضائح عن شخصية مصطفى كمال، وهو مؤلف (التاريخ التركى المفصل والمصور) فى ١٤ جزءاً، وفى مذكراته الكثير عن مصطفى كمال أتاتورك وخيانته لتركيا والعالم الإسلامى.

من «لطيفة» تلك الفتاة الأزميرية الموسرة التى عادت لتوها من باريس لتقدم خبراتها الإدارية وثقافتها العصرية وإجادتها لعدة لغات فضلاً عن أنوثتها وسحرها مع قصر أبيها الفاخر فى أزمير إلى الغازى مصطفى كمال الذى أوقعته فى حبائلها بتمنعها ودلالها فتخلص من «فكرية» التى أرسلها إلى ميونيخ للعلاج من المرض الذى نقله إليها، ثم دبر أمر انتحارها.

كما تخلص من «صالحة» ليقوم بزواج خاطف من «لطيفة» بعد أن أفسد حياة «سعادات» وعشرات البنات والنساء والغلمان، كما تؤكد ذلك بعض الوثائق التى تركها أحد زملائه من الضباط المتقاعدين[1].

وقد كانت لطيفة نفسها ضحية من ضحاياه، فيما بعد، حيث طلقها بقرار وزارى، وتركها فريسة للأمراض والأوجاع، بعد تحذيرها للصمت عن كل شذوذه، ولم تبق بجانبه إلا «عفت»، تلك الفنانة التى كانت له معلمة ومؤرخة، حتى استطاعت أن تقوده بأسلوب الخضوع والعبودية له[2].

ولكن «لطيفة» هانم شاكى كيل لم يمنعها قانون حماية مصطفى كمال من أى هجوم أو نقد من التلميح بين سطور مذكراتها التى نشرتها صحيفة «الحرية» التركية فى حزيران يونيو عام ١٩٧٣ م من تسليط بعض الأضواء على حياة أتاتورك الخاصة وإفراطه فى الشرب، محاولة إلقاء المسئولية على أصحابه وزملائه أمثال: «قلج على» و «نورى جنكر» و «رجب هدى» الذين كانوا يتعمدون أهدار وقته وهم مجموعة من القتلة والأشقياء المعروفين الذين ضمهم إلى حاشيته لحراسته وأصبح بعضهم يرفع الكلفة معه إلى أبعد الحدود بعد تنفيذهم للعديد من المهمات الإجرامية التى كلفهم بها للتخلص من بعض خصومه[3].

وذكر أرمسترونج أيضاً علاقة مصطفى كمال بالاتحاد والترقى ويهود الدونمة والماسونية، وكيف أن الاتحاديين كانوا يعقدون اجتماعاتهم فى بيوت اليهود والماسون الإيطاليين لكونهم حماية بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية فى الدولة العثمانية.

---

(١) انظر الرجل الصنم - مصدر سابق.

(٢)، (٣) انظر صحوة الرجل المريض - موفق بنى المرجة.

وذكر أيضاً أن جماعة الاتحاد والترقى أسست على نفس نظام المحافل الماسونية.

وذكر كذلك أن المخابرات الإنجليزية اختارت مصطفى كمال لأن طبيعته كانت تميل إلى أن يكون الآمر الناهى، فلم يظهر أى احترام لزعماء الاتحاديين وتشاجر مع: أنور وجمال وجاويد اليهودى الأصل، ونيازى الألمانى المتوحش وطلعت الدب الكبير الذى كان موظفاً صغيراً فى مصلحة البريد[١].

وقد جاء فى دائرة المعارف اليهودية عن مصطفى كمال: «لقد أكد الكثير من يهود سلانيك أن كمال أتاتورك كان أصله من الدونمة، وهذا هو أيضاً رأى الإسلاميين المعارضين لكمال أتاتورك ولكن الحكومة ـ التركية ـ تنكر ذلك[٢].

ومن المعلوم أن سالونيك هى مهبط اليهود اللاجئين للدولة العثمانية هرباً من الاضطهاد المسيحى فى بلاد الأندلس بعد سقوطها فى أيدى الأسبان.

وقد أظهر مصطفى كمال نسبه وانتماءه لليهود وكرهه للإسلام حين تمكن من كرسى الحكم وزعامة تركيا كما سيأتى بيانه.

ونعود إلى الخطوات التى اتخذها الإنجليز نحو صناعة مصطفى كمال كبطل قومى مزيف من ورق وقد بدأت صناعته منذ عام ١٩١٢ م فى حرب البلقان وظهور خيانته للجيش التركى وحقده على زعماء الاتحاد والترقى.

ففى عام ١٩١٢ م هاجم البلغار شبه جزيرة جاليبورى وأراد العثمانيون قطع الطريق عليهم حتى لا يصلوا إلى هناك فمالوا إلى المضيق وذلك بتوجيه بعض القوة العسكرية إلى شواطئ مرمرة وبذلك يجعلون البلغاريين بين نارين حيث يستطيعون القضاء عليهم وإفناءهم، فماذا كان دور مصطفى كمال فى هذه الخطة.

يذكر د. رضا نور فى مذكراته ما يلى: «فى المرحلة الأخيرة لحرب البلقان كان الجيش موجوداً فى (تكير داغ) وحواليها، وقد أرسل جيش من قبلنا للدفاع عن شبه جزيرة (غاليبولى)، وقد كان هذا الجيش تحت قيادة (على فتحى) و (مصطفى كمال).

---

(١) انظر الذئب الأغبر ـ هـ. س. أرمسترونج.

(٢) انظر يهود الدونمة ـ د. النعيمى.

وبحسب الخطة التى وضعها أنور فقد كان على الجيش أيضاً مهاجمة الجيش البلغارى لدحره، وقد تم التفاهم على الخطة، ولكن مصطفى كمال بدأ بالهجوم دون أن ينتظر هجوم أنور باشا فاندحر وهرب، فاضطروا إلى إرسال جيش أنور باشا إلى شبه جزيرة (غاليبولى) خوفاً من هجوم البلغار واستيلائهم عليها، وقد أرسل الميرالاى صادق صبرى للتحقيق، وما أن وصل إلى هناك حتى التقى مع (على إحسان باشا) فى الميناء حيث أخبره هذا بأن هذه الكارثة حدثت نتيجة خيانة مصطفى كمال.

ثم كانت مسرحيات النصر الزائف كما ذكرنا فى الأناضول وخاصة فى سقاريا أفيون، أزمير التى جعلت من مصطفى كمال بطلاً تغنى له الشعراء حتى قال أحمد شوقى.

الله أكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب!

ثم يجعله فى مصاف صلاح الدين الأيوبى يقول:

حذوت حرب الصلاحيين فى زمن فيه القتال بلا شرع ولا أدب

هكذا تمت المسرحية بهذا الإخراج الساحر الذى يأخذ بالألباب، وشدد الإنجليز فى فرض الشروط على الخليفة ليبدو عاجزاً ضعيفاً وتساهلت مع مصطفى كمال ليظهر بطلاً فريداً.

يقول الشيخ مصطفى صبرى: لقد أبلغتنا لجنة الحلفاء العليا المقيمة فى باريس والمؤلفة من رؤساء وزارات كل من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان فى مساء ١٤ مايو سنة ١٩١٩ قراراً يقضى بنزول الجيوش اليونانية فى أزمير ومقدونية، ويحذرنا من المقاومة التى يعتبرونها نقضاً للهدنة، فى اليوم الثانى أى فى ١٥ مايو سنة ١٩١٩ م نزل اليونان فى أزمير.

بعد إلغاء السلطنة فى ١ تشرين ثانى ١٩٢٢ م، رحل السلطان محمد وحيد الدين على سفينة إنكليزية إلى مالطا واختار المجلس الوطنى عبد المجيد الثانى خليفة فقط.

وقام مصطفى كمال بإعلان الدستور الجديد الذى نص على أن تركيا أصبحت جمهورية، وانتخب مصطفى كمال أول رئيس لها، وعصمت أينونو أول رئيس وزراء.

وعندما التفت المعارضة التركية لمصطفى كمال حول الخليفة عبد المجيد. فخشى من الإطاحة به، وكذلك شعر مصطفى كمال أن هذا الخليفة، قد يصبح نقطة لتجمع المسلمين، والتفاف المسلمين جميعاً حوله بصفته أعلى رجل دين فى الإسلام، وكان مصطفى كمال لا يريد منافساً، ويريد قطع الجذور العميقة بالإسلام والماضى، فاستصدر قراراً من الجمعية الوطنية فى ٣ آذار ١٩٢٤ م بإلغاء الخلافة وإخراج الخليفة من البلاد، وصدر بذلك صيغة جديدة للدستور فى ٢٠ إبريل، وفى هذا التاريخ، تاريخ إلغاء الخلافة يخلو العالم الإسلامى من منصب خليفة منذ وفاة الرسول ﷺ وخلافة أبى بكر.

وعندما طرح مصطفى كمال على الجمعية مشروع قرار بإلغاء الخلافة التى أسماها «هذا الورم من القرون الوسطى»، أجيز القرار الذى شمل نفى الخليفة فى اليوم التالى دون مناقشة، وانطفأت على يد مصطفى كمال شعلة الخلافة التى كان المسلمون طيلة القرون يستمدون من بقائها رمز وحدتهم واستمرار كيانهم.

لقد كان مصطفى كمال ينفذ مخططاً مرسوماً له فى المعاهدات التى عقدت مع الدول الغربية، فقد فرضت معاهدة لوزان سنة ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢٣ م على تركيا فقبلت شروط الصلح والمعروفة بشروط كرزون الأربع «وهو رئيس الوفد الإنجليزى فى مؤتمر لوزان» وهى:

١ ـ قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

٢ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاما.

٣ ـ إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد ومصادرة أموال الخليفة.

٤ ـ اتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم.

وعمَّ الاستياء الشديد العالم الإسلامى فأحمد شوقى الذى مدحه سابقاً بكى الخلافة فقال:

عـــادت أغـــانى الـعــرس رجع نـواح ونعـــيت بين مــعـــالم الأفـــراح
كـــفنت فى ليل الـزفـــاف بثـــوبه ودفنت عند تبلج الإصـــبــــاح
ضـــجت عليك مـــآذن ومنـابر وبـكـت عـلـيـك ممـالـك ونـواح
الهند والهـــة، ومــصــر حــزينة تبكى عليك بمدمع ســحـــاح
والشـــام تســأل والعـــراق وفـــارس مــحـــا من الأرض الخـــلافـــة مـــاح

ثم انبرى شوقى يوجه التقريع والنقد الشديد إلى أتاتورك الذى يريد بجرة قلم وبالحـــديد والنار أن ينقل الأتراك رغم أنوفـهم من آسـيـا إلى أوروبا، ومن جذورهم العميقة فى الشرق إلى الانتظار على أبواب الغرب:

بكت الصـــلاة وتلك فـــتـنة عـــابث بالشــرع عـــربيـد الـقــضـاء وقـاح
أفـــتى خــزعـــبلة وقـــال ضـــلالة وأتى بكفـــــر فـى البـــــلاد بواح
إن الـذين جـرى عليــهم فـقـهـه خلقــوا لفـقــه كـتـيـبـة وسـلاح
نقل الشـــرائع والعـقـــائد والقـــرى والناس نقل كـتـــائب فى الســـاح
تركـتـــه كـــالشــبح المؤله أمـــه لم تسل بعـــد عـبـــادة الأشـبـــاح
غـــرته طاعـــات الجـــمـــوع ودولة وجـــد الســــواد لهــــا هوى المرتاح

وقال أيضاً:

مـــجـــد الأمـــور زواله فى زلة لا ترج لاســـمك بـالأمـــور خلودا
خلعـتـــه دون المسلمــين عـصــابة لم يجـــعلوا للمـــسلمين وجـــودا
يقـضـــون ذلك عن ســواد غـــافل خلق الســـواد مـــضللاً ومـــسودا
إنى نظرت إلى الشـعـوب فلم أجـد كـــالجـهل داء للشـعـوب مـبـيـنا
وإذا سـبى الفـرد المسلط مجلسـاً ألـقـيت أحـرار الرجـال عـبـيـدا

منذ لحظة إعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م برئاسة مصطفى كمال

أتاتورك اتخاذ الترتيبات نحو الاتجاه للغرب وقد وصف كمال قانون العلمانية وفصل الدين عن الدولة، بأنه: «انتصار للكفاح فى سبيل المدنية، وأن تصفية الدستور بإخراج المادة القائلة أن الإسلام هو بمثابة لبس التاج فى مراسيم الانتصار دعاوينا الأساسية».



الخطوة الثانية بظهور كمال أتاتورك كبطل قومى فى معركة« الدردنيل » فى الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٥م

واستكمالاً لمشروع إيجاد بطل قومى لتركيا يستطيع إلغاء الخلافة الإسلامية والإجهاز على ما تبقى من الدولة العثمانية، كان ظهور مصطفى كمال كقائد عسكرى فى معركة الدردنيل وقد منيت تركيا بهزيمة ساحقة فى الحرب العالمية الأولى وقد ساعد مصطفى كمال بخيانته لبلاد فى تلك الانتصارات، لكن الإنجليز أرادوا إظهار مصطفى كمال كبطل القومى يحقق لهم الانتصارات بينما السلطان وحكومة الاتحاد والترقى قد حققوا له الهزيمة.

ثم فكانت معركة «الدردنيل» التى ظهر فيها كمخلص لتركيا من الهزيمة ومحقق النصر لها ومحررها من الاحتلال الأجنبى.

والدردنيل هو مضيق بحرى واقع بين شبه جزيرة غاليبولى وشاطئ آسيا الصغرى وهو مضيق يبلغ طوله ٧٠ كيلو متراً وعرضه يتراوح بين ١٧٠٠ و ١٨٠٠ متر ويصل عمقه إلى ٦٠ متراً وقد اعتنت الدولة العثمانية بعد امتلاكها للقسطنطينية بتحصينه فبنت القلاع على جانبيه حتى أصبح منيعاً يستحيل على أكبر أسطول أن يقتحمه بدون أن يتعرض لأكبر الأخطار.

من تاريخ هذا المضيق أن أسطولاً انجليزيا مؤلفاً من اثنتى عشرة بارجة وعدد كبير من المدفعيات والحراقات اقتحم الدردنيل فى ٢٠ شباط ـ فبراير سنة ١٨٠٧م تحت قيادة الأميرال دوكودث ووقف أمام الأستانة فرآها قد استعدت حصونها لمقابلته فاضطر للرجوع فكان الترك قد أسرعوا إلى تحصين جزء منه فلما هم الأسطول الإنجليزى بالرجوع ومر بتلك الحصون أصيب بأضرار عظيمة ولما صار الأميرال الإنجليزى ببحر إيجه قابله أسطول روسى فعرض عليه أميراله

أن يتحدا معاً على اقتحام الدردنيل وألزام تركيا بالشروط المطلوبة فأبى الأميرال الإنجليزى لتحققه من الخطر.

فى سنة ١٨٠٩م أى بعد هذه الحادثة بسنتين اتفقت انجلترا وتركيا على ضرورة إقفال الدردنيل فى وجه السفن الحربية الأجنبية. وفى سنة ١٨٢٣م اتفقت روسيا مع تركيا على إقفال الدردنيل فى وجه كل دولة تطلب روسيا إقفاله فى وجهها وكان ذلك فى مقابل مساعدة روسيا للباب العالى فى صد هجمات إبراهيم باشا ابن محمد على باشا عن الأناضول.

هذا الاتفاق شغل بال إنجلترا شغلاً كبيراً فتوصلت لحمل روسيا وبروسيا والنمسا على الاتفاق معها على وجوب إقفال تركيا للدردنيل فى وجه جميع الدول على السواء وكان ذلك سنة ١٨٤٠م.

ثم انضمت إليها فرنسا سنة ١٨١٥م وأبدل هذا الاتفاق باتفاق البوغازات ونص فيه على هذا الإقفال فى مادتيه الأوليين.

ولما عقدت معاهدة باريس سنة ١٨٥٦م نص على هاتين المادتين فيها.

وجاءت معاهدة سنة ١٨٧١م ناصة على ذلك الإقفال أيضاً ولما انتصرت روسيا على تركيا سنة ١٨٧٦م وعقدت معها الصلح جعلت لنفسها حقا ممتازاً فى الدردنيل فلما التأم مؤتمر برلين لتنقيح شروط الصلح ألغى هذا الحق الممتاز وأيد مبدأ الإقفال.

وفى سنة ١٩٠٢م طلبت روسيا من تركيا أن تسمح بمرور أربع سفن حربية إلى البحر الأسود لتنضم إلى أسطول البحر الأسود وعند عرضه على القيصر وتلطفت روسيا فى هذا الطلب حتى رضيت أن تجرد هذه السفن من سلاحها وأن ترفع العلم التجارى عند مرورها.

فلما سمح لها الباب العالى احتجت إنجلترا على ذلك وقالت إنها تعتبر هذا المرور سابقة تستفيد منها هى فى المستقبل.

وفى سنة ١٩٠٤م طلبت روسيا من الباب العالى أن تمر من الدردنيل أربع

سفن من الأسطول المتطوع محملة فحماً فاحتجت انجلترا ثم انتهى الأمر بقبول الباب العالى.

وقد مارست الدولة العثمانية سيادتها على مضيقي البوسفور والدردنيل، وبحر مرمرة، وكانت هذه المضايق تصل بين البحر الأسود وبحر أيجه الذى هو جزء من البحر المتوسط، ولم يكن للبحر الأسود مخرج يتصل عن طريقه بالبحار العامة إلا عبر هذه المضايق.

وقد نجحت الدولة العثمانية فى فرض سيادتها على هذه المضايق إذ كانت قوية شامخة وكان لها حرية التصرف كاملة بخصوص الملاحة فى البحر الأسود والمرور منه وإليه.

وبلغ من هيبة الدولة العثمانية فى فترة قوتها أن الرعايا الروس إذا أرادوا ممارسة التجارة بين موانى البحر الأسود كان عليهم أن ينقلوا بضائعهم إلى سفن عثمانية تحمل العالم العثمانى، وكان حرص الدولة العثمانية على بسط سيادتها فى منطقة المضايق والبحر الأسود لا يقبل التفريط أو المهادنة باعتبار هذه السيادة عنصراً جوهريا من عناصر السياسة العليا للدولة.

ولم يكن لروسيا طريق إلى المياه الدافئة إلا عبر المضايق التى تسيطر الدولة العثمانية عليها، وظل حلم السيطرة على هذه المضايق يراود روسيا أزماناً طويلة، لكن هذا الحلم لم يتحقق أبداً، بسبب يقظة الدولة العثمانية واستماتتها فى المحافظة على أمنها القومى، أو لوقوف الدول الأوروبية أمام مطامع الدب الروسى.

وقبل اشتعال الحرب العالمية الأولى ببضعة أشهر حاولت روسيا أن تحتل البوسفور والدردنيل، ولم يكن أمامها سوى افتعال أزمة سياسية مع الدولة العثمانية، ثم تصعيدها حتى تنقلب إلى حرب أوروبية تتخذها روسيا ذريعة لإرسال قواتها المسلحة لاحتلال البوسفور والدردنيل فى وقت مبكر، ولوضع العثمانيين والأوروبيين أمام الأمر الواقع، لكن هذا المخطط لم يكتب له النجاح، لمعارضة بريطانيا له ورغبتها آنذاك فى حل المشكلات الأوروبية بالدبلوماسية لا بالحروب.

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى أغسطس ١٩١٤ انضمت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والنمسا والمجر فى مواجهة إنجلترا وفرنسا وروسيا وإيطاليا، وكان رجال حزب الاتحاد والترقى هم الذين يحكمون فعليا الدولة العثمانية.

ولم يكن للخليفة العثمانى محمد رشاد معهم حول ولا قوة، وكانت النكبات العثمانية قد بدأت تتوالى منذ أن تولى هؤلاء مقاليد الحكم، وخلعوا السلطان عبدالحميد الثانى من عرش الخلافة العثمانية، ولم يكن لهم من حصافة الرأى ودهاء السياسة ما يجعلهم يدفعون بالدولة العثمانية إلى بر الأمان، فخسرت الدولة على أيديهم فى سنوات قليلة ما بنته فى قرون مديدة.

وكان قرار دخول الحرب إلى جانب ألمانيا دون تبصر بالعواقب إحدى المآسى الكبرى التى لحقت بالدولة العثمانية.

حيث ترتب على دخول الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا أن قامت بريطانيا وحليفاتها بهجوم على الدردنيل والبوسفور، وسعت لاحتلال مدينة اسطانبول مقر الخلافة، فقامت ببث حقول خفية من الألغام البحرية فى مياه المضايق.

كان موقف روسيا فى بدايات الحرب حرجاً للغاية بعد الهزائم التى أنزلتها بها القوات الألمانية، وأرادت بريطانيا أن تفتح الطريق أمام الأساطيل البريطانية والفرنسية إلى البحر الأسود.

وكانت منطقة المضايق هى التى تفصل بريطانيا وفرنسا عن روسيا وتحول دون إمدادها بالذخائر والأسلحة التى كانت فى أشد الحاجة إليها بعد أن استنفدت احتياطيها من الذخائر، وانعدمت قدرة مصانعها على تلبية أكثر من ثلث حاجتها من الذخائر.

وكانت بريطانيا غير راغبة فى خروج روسيا من الحرب وتخشى ذلك، ولم يكن أمامها هى وحلفاتها سوى بسط السيطرة العسكرية على منطقة المضايق، ضماناً لإرسال الذخائر والأسلحة إلى روسيا وحثها على مواصلة الحرب.

وفى الوقت نفسه كان الاستيلاء على المضايق بشد من أزر الجيش الروسى

ويرفع من معنوياته التى انهارت أمام شجاعة القوات الألمانية وانتصاراتها المتتالية.

وعدت بريطانيا روسيا فى حالة سيطرتها على منطقة المضايق بأنها ستهدى إليها مدينة اسطانبول لحثها على الثبات والصمود.

ونجاح حملة الدردنيل يجعل فى متناول بريطانيا وحلفائها المحاصيل الوافرة من القمح التى تنتجها أقاليم روسيا الجنوبية، وإن رسو الأسطول البريطانى أمام اسطانبول يشطر الجيش العثمانى شطرين، ويفتح الطريق إلى نهر الدانوب.

وفى نوفمبر ١٩١٤م اقترب الأسطول البريطانى من مياه الدردنيل وهو يمنى نفسه بانتصار حاسم وسريع، والمعروف أن مضيق الدردنيل هو أول ما تقابله السفن القادمة من البحر المتوسط والمتجهة نحو البحر الأسود وخلال ذلك تمر بالدردنيل ثم بحر مرمرة ثم البوسفور ثم مدخل البحر الأسود.

وكان قائد القوات التركية هو مصطفى كمال الذى وجد فرصته فى تلك المعركة وقبل أن تتوغل بعض السفن البريطانية فى مياه مضيق الدردنيل، ألقت بعض المدمرات قنابلها على الاستحكامات العسكرية العثمانية، ولم تتحرك هذه القوات للرد على هذا الهجوم ووقفت دون مقاومة، الأمر الذى بث الثقة فى رجال الأسطول البريطانى، وأيقنوا بضعف القوات العثمانية وعجزها عن التصدى لهم، وتهيئوا لاستكمال حلمتهم البحرية.

وبعد مضى شهرين أو أكثر من هذه العملية توجهت قطع عظيمة من الأسطول البريطانى إلى الدردنيل وهى لا تشك لحظة فى سهولة مهمتها، واستأنفت ضرب الاستحكامات العسكرية الأمامية مرة أخرى، ثم اقتحم الأسطول البريطانى المضيق فى جسارة.

وكانت المفاجأة مروعة له، حين اصطدم بحقل خفى من الألغام فى مياه الدردنيل، وأصيب بأضرار بالغة بسبب ذلك، وكان لهذا الإخفاق دوى هائل وصدى واسع فى جميع أنحاء العالم، ولم تحاول بريطانيا اقتحام الدردنيل بحريّاً مرة ثانية.

لم تسكت بريطانيا وحلفاؤها على هذا النصر العثمانى الذى قام على استدراج وحدات الأسطول البريطانى إلى مياه المضيق واصطيادها بسهولة وسط حقل الألغام البحرية، فرأت تعزيز الهجوم البحرى على الدردنيل بهجوم برى، على أن يكون دور القوات البرية هو الدور الأساسى.

فى حين يقتصر دور القوات البحرية على إمداد القوات البرية بما تحتاج إليه من أسلحة وذخائر ومواد تموينية، ومساعدتها على النزول إلى البر، وحماية المواقع البرية التى تنزل بها.

وكانت القوات البريطانية البرية تتألف فى معظمها من جنود استراليين ونيوزلنديين وهم معروفون بالبأس الشديد فى القتال، ويقود هذه القوات سير إيان هاملتون، وكانت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال جورو تعزز البريطانيين.

بدأت هذه القوات تصل إلى بعض المناطق فى شبه جزيرة غاليبولى فى شهر أبريل ١٩١٥م حتى إذا اكتمل عددها بدأت هجومها على منطقة المضايق، ونزلت بعض قواتها فى بعض المناطق لكن خانها التوفيق فى اختيار الأماكن الصالحة، إذ نزلت فى أرض تنحدر تدريجيا نحو ساحل البحر واشتركت فى الإنزال كتيبة يهودية وأخرى يونانية.

وقد انتهز الأتراك العثمانيون هذه الفرصة واصطادوا القوات البريطانية والفرنسية المهاجمة، وكانوا قد أكملوا استعدادهم لمواجهة هذا النزول المتوقع، واظهروا بسالة فائقة وشجاعة نادرة أعادت إلى الأذهان أمجاد العسكرية العثمانية.

وبينما كان القتال بدرو فى أشده أحرز الجنود المهاجمون نصراً على الأتراك فى ٦ من أغسطس ١٩١٥م بعد أن وصلت إليهم إمدادات كثيرة، ونجحوا فى أخذ الأتراك على غرة غير أن قائد القوات المهاجمة لم يستثمر هذا النصر الخاطف بأن يبدأ فى التوغل نحو شبه جزيرة غاليبولى، وظل متباطئاً دون تطوير هجومه، الأمر الذى جعل القوات العثمانية تنجح فى صد المهاجمين واسترداد ما تحت أيديهم وتكبيدهم خسائر فادحة بعدما وصلتهم إمدادات سريعة.

وقد أدى هذا النصر العثمانى إلى إنقاذ استانبول عاصمة الخلافة من السقوط فى أيدى قوات الاحتلال الأجنبى وفى الوقت نفسه جعل القوات البريطانية والفرنسية تفكر فى الانسحاب من شبه جزيرة غاليبولى بعد أن فقدت الأمل فى الاستيلاء على منطقة المضايق وبدأت بالفعل الانسحاب فى ١٨ من ديسمبر ١٩١٥م بعد أن كلفت الحملة بريطانيا وحليفاتها مائة وعشرين ألفاً من القتلى والجرحى، وأخفقت فى تحقيق هدفها الرئيسى وهو الاستيلاء على المضايق، وكان الفشل مزدوجاً فى البر والبحر.

وعلا نجم مصطفى كمال بعد تلك المعركة حتى اعتبره البعض صلاح الدين الأيوبى الجديد وانتهت الحرب العالمية الأولى دون أن تنجح القوات البريطانية والفرنسية أو غيرهما فى اقتحام المضايق وإن كان ذلك لم يمنع هزيمة الدولة العثمانية فى تلك الحرب.

وقد توصلت تركيا عام ١٩٣٧م فى مؤتمر مونترو من بسط سلطانها على مضيق الدردنيل الهام.

وعن هذه المعركة ودور مصطفى كمال يقول ضابط المخابرات الإنجيليزى ويرويها فى كتابه «الذئب الأغبر»:

بعد أن وصلت أنباء تأهب الإنجليز للهجوم على الدردنيل بجيش قوامه ثمانون ألف مقاتل عدا الأسطول الجرار المعد للاشتراك فى القتال، واجهت «ليمان فون ساندرز» مشكلة عسيرة، إذ أن شاطئ شبه جزيرة غاليبولى، الذى سيتم عليه الإنزال البريطانى، يبلغ طوله نحو اثنين وخمسين ميلاً.

وكانت الجبال والمرتفعات المحيطة بالشاطئ تشرف وتهيمن على الموقف كله، لذلك كان من السهل على البريطانيين أن ينزلوا قواتهم فى أى نقطة على هذا الشاطئ الكبير.

(١) انظر: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها - د. عبدالعزيز محمد الشناوى، وهربرت فيشر - تاريخ أوروبا فى العصر الحديث - ترجمة أحمد نجيب هاشم، ووديع وعلى حسون - تاريخ الدولة العثمانية - المكتب الإسلامى - بيروت، ويلمازا أوزتوما - تاريخ الدولة العثمانية - منشورات مؤسسة فيصل - اسطانبول ١٩٩٠م.

وكان يكفى أن يتمكنوا من الاستيلاء على أحد المرتفعات المحيطة به حتى يستولوا على مضيق الدردنيل ومن هناك يتجهون بأسطولهم إلى اسطنبول، لذلك وزع «فون ساندروز» قواته وعددها ستون ألفاً على ثلاث مجموعات تتألف كل منها من عشرين ألف جندى.

وفى يوم الأحد ٢٥ أبريل وقع الهجوم البريطانى المنتظر فبرز خلال الضباب المخيم على الشاطئ عدد هائل من السفن البحرية البريطانية المدرعة من بوارج ومدمرات وناقلات.

وهجم بعضها على القطاع الشمالى من شبه الجزيرة عند «بولير» وكان الهجوم خدعة انطلت على «فون ساندروز» وهجم بعضها الآخر على القطاع الأوسط وكان الهدف من إنزال قوات استرالية إلى البر فى منطقة منخفضة عند «حابا تيب» ثم احتياز وادى «مايدوس».

ومن هناك تلتف هذه القوات وتستولى على منطقة تلال «شوتك بير» المجاورة لمعسكر مصطفى كمال والتى تعد المفتاح الرئيسى للموقف كله.

إلا أن تياراً بحريا قويا جرف السفن والحاملة للجنود الاستراليين إلى أبعد من المنطقة المحددة لنزولهم إلى البر فهبطوا خطأ فى «أرى بورنو» وما أن وجدوا أنفسهم عند حافة منطقة التلال حتى اتجهوا رأساً نحو مرتفعات «شونك بير».

ولم يعرف مصطفى كمال شيئاً عن عملية الإنزال!!

إلا أنه قد أمر أقوى فرقة وهى الفرقة السابعة والخمسون بالخروج فى العراء فى الساعة الخامسة والنصف صباحاً لإجراء المناورات العادية عند سفح أحد تلال «شونك بير» وفى أثناء تسلقه التل شاهد طابوراً تركياً منحدراً من القمة فعلم من قائده أن البريطانيين قد نزلوا البر عند «أرى بورنو» واضطره إلى الانسحاب مع قواته بينما كان يقوم بمهمة الاستكشاف على الساحل.

وما أن وقف مصطفى كمال على هذه التفاصيل حتى انحدر من السفح وأصدر أوامره لقواته بالتحرك بعد دقائق طلب من الفرقة التاسعة بمعسكره إلى

جانبه بإسعافها بطابور من جنوده لتغطية جناحها الأيسر.

عندها فكر مصطفى كمال مليا بالأمر ورجع أن تكون «شونك بير» هى المنطقة التى يعتزم البريطانيون مهاجمتها فقرر وجوب إنقاذ هذه المنطقة دون إبطاء، وبأى ثمن دون انتظار أوامر القيادة العليا وتعليماتها.

وكان مصطفى كمال كثيراً ما يردد فى هذا الصدد شعار نابليون: «السرعة، السرعة، والسرعة دائماً» ومن ثم أصدر أوامره إلى قواته بالتقدم فوراً وبأقصى السرعة نحو «شونك بير» ولم يكن فى حوزته لدى بدء المعركة سوى خريطة صغيرة غير موضح فيها حتى موقع «أرى بورنو» الذى هبط فيه الإنجليز.

فأمسك الخريطة بيد وأمسك «بوصلة باليد الأخرى واصطحب معه مئتين من جنوده ودليلاً يرشده إلى الطريق، وسار فى المقدمة لاستكشاف مراكز العدو.

كان الطريق وعراً تعترضه الصخور والوديان والخنادق فعجز أكثر الجنود عن مواصلة السير ولم يبق معه لدى وصوله إلى قمة المرتفع سوى عدد قليل منهم.

وكان رأى مصطفى كمال طلائع القوات الاسترالية وقد بدأت تتسلق السفح، عندها صرخ بأقرب معاونيه.

«عد بأقصى السرعة وأجمع كل من تستطيع جمعه من قواتنا لمهاجمة العدو فوراً».

وبعد قليل وصلت وحدات الفرقة السابعة والخمسين وقد أرهقتها مشقة تسلق المرتفع، فأعاد مصطفى كمال تنظيمها على عجل ودفع بجنودها إلى الأمام «ثم وصلت بطارية من المدفعية فى المركز الملائم، ومضى تحت وابل رصاص الأعداء المنهمر على قواته لتركيز الهجوم هنا وهناك، ثم استدعى فرقته الثانية وألقى بها فى المعركة على مسئوليته الخاصة أيضاً دون أن يتلقى أمراً بذلك من «ليمان فون ساندرز»(١) ولما وجد أن ذلك كله ليس كافياً لصد الهجوم، سارع إلى استقدام الفرقة الثالثة والأخيرة وألقى بها هى الأخرى فى آتون المعركة لاعتقاده بأنه يواجه الهجوم الرئيسى للعدو(٢).

---

(١) ليمان فون ساندرز هو أحد القواد الألمان الذى استعان بهم أنور باشا وزير الحربية فى قيادة الجيش التركى.

(٢) انظر ذئب الأناضول ـ مصدر سابق.

ولم يكن خافياً على مصطفى كمال مدى الخطر الشديد على الجبهة كلها فيما إذا أخطأ فى تقديره للموقف وكان الهجوم الرئيسى فى موضع آخر، إلا أنه تبين بعد قليل أن تقديره كان فى محله.

واحتدم القتال طيلة ذاك النهار، وكان الاستراليون قد قطعوا ثلثى السفح عندما اشتبك مصطفى كمال معهم، فلم يتمكنوا بعد ذلك من التقدم خطوة واحدة وإن كانوا قد تمكنوا من القضاء على الفرقة التركية التاسعة والخمسين قضاء تاماً إلا أن خسائرهم أيضاً لم تكن لتقل عن خسائر الأتراك، مما جعل ميزان المعركة معلقاً على وصول المدد إلى أحد الفريقين لكى ترجح كفته.

وهبط الظلام والتل لا يزال فى يد الأتراك، بينما الاستراليون متشبثون بالسفح، إلا أن مصطفى كمال لم يشأ «تجميد» الموقف عند هذا الحد، فاتخذ من مخبأ يقع خلف كومة من الأحجار مركزاً لقيادته، وظل طيلة تلك الليلة واليوم التالى بكامله يواصل العمل فى نشاط عجيب، ويشن الهجوم تلو الآخر لدحر الاستراليين ودفعهم نحو البحر قبل أن يوطدوا أقدامهم ويحتلوا قمة التل. وكان كلما فشل هجوم يشن غيره فوراً دون يأس أو كلل، ذلك أن تقديره للموقف أن مرتفع «شونك بير» هو مفتاح الطريق إلى الدردنيل، والدردنيل مفتاح الطريق إلى اسطنبول، فإذا لم ينجح فى صد الإستراليين عن هذا الموقع فإن تركيا سوف تعزل عن حليفتها ألمانيا وعندها قد تقف اليونان ورومانيا وبلغاريا إلى جانب بريطانيا وكانت الدول الثلاث حتى ذلك التاريخ ملتزمة الحياد وتتحالف معها ضد تركيا الأمر الذى سيؤدى إلى انتزاع أوروبا الشرقية بكاملها من تركيا، ويفتح الطريق أمام روسيا كى تتزود بالسلاح والمؤن. ويهجم الجميع على ألمانيا فتخسر الحرب وتستسلم مع حليفتها تركيا.

لذلك احتدم المعركة بين الإستراليين المهاجمين لتحقيق هذه المطامع الواسعة، وبين مصطفى كمال الذى صمد أمامهم بوجهه الأغبر وعزيمته الجبارة ليذود عن هذا المرتفع الضيق الذى قد يقرر سقوطه مصير الحرب برمتها، معتمداً على شخصيته القوية المسيطرة[1]، والقادة البريطانيين من الماسون المتعاونين معه.

---

(١) المصدر السابق.

وعجز كل من الفريقين عن قهر الآخر ودحره، فبدأ كل منهما يحفر الخنادق فى مكانه ويتحصن وراءها، وقد استقر عزم الاستراليين على الثبات فى المركز الذى بلغوه إلى أن تتاح لهم الفرصة لمواصلة التقدم.

ومضت الأسابيع والفريقان يعانيان الإرهاق الشديد من حرب الخنادق وما يكتنفها من متاعب وأخطار وأهوال وقلق مثير للأعصاب، فانفجار القنابل وصفير الرصاص لا ينقطعان، وإصلاح الأسلاك المقطوعة فى المنطقة الفاصلة بين الطرفين تحت جنح الظلام يبعث فى الأوصال الرعب القاتل.

ويتخلل تلك الأوقات العصيبة هجوم مفاجئ بالسلاح الأبيض والحراب الحادة، وتسمع أصوات الحشرجة الأليمة المنبعثة من الجرحى فى الخنادق الضيقة تحت سطح الأرض، والمذابح الوحشية التى تتناثر فيها أشلاء الأجساد الممزقة وتختلط فيها الدماء الحارة المتدفقة بشظايا القنابل المتفجرة.

ومع كل هذه الأهوال أقبل الصيف بما يلازمه من نقص فى الماء، وتلسط حرارة الشمس الملتهبة فوق التلال الصخرية حتى لتكاد تصهرها، وكانت جثث القتلى بين صفوف الطرفين تتعفن فيمتلئ الجو بأسراب الطيور الجارحة، كما امتلأت الأرض بالحشرات والهوام الناقلة للأوبئة والحميات(١).

وهكذا بلغت حدة المقاومة لدى كل من الفريقين وطاقته على الاحتمال حدا يهدد بالانهيار فى أى لحظة.

وفى وسط هذا الجحيم الحقيقى ظل مصطفى كمال سعيداً يمارس هوايته المفضلة، هواية القتال(٢).

وأدهشت كفاءته الجنرال الألمانى «كانينجيسير» قائد الفرقة التاسعة التى تقاتل إلى ميمنته، فكتب إلى القائد الألمانى «ليمان فون ساندرز» تقريراً قال فيه:

«إن مصطفى كمال ضابط فى غاية النشاط وصفاء الذهن. يقرر كل شىء

(١) انظر الذئب الأغبر ـ ارمسترنج ـ ونقله عنه مصطفى الزين فى كتابه ذئب الأناضول.

(٢) انظر ذئب الأناضول ـ مصدر سابق.

معتمداً على نفسه ويعرف بالضبط ماذا يريده.

وخلال هدنة قصيرة فى شهر مايو، تنكر مصطفى كمال فى زى «جاويش» واشترك فى أعمال إحدى الفرق المخصصة لدفن الموتى مستفيداً من وقف إطلاق النار لكى يتجسس بنفسه على خنادق الأعداء ويكتشف مواقعها.

وما أن انتهت فترة الهدنة لدفن القتلى حتى قام بسلسلة هجمات متواصلة لإضعاف العدو وكى يضاعف من حماس جنوده فى استمرار القتال.

وفى شهر يوليو اكتشف مصطفى كمال مركزاً ضعيفاً فى خطوط الاستراليين فدبر خطة سريعة محكمة للهجوم على ذلك المركز وإشاعة الاضطراب فى صفوفهم وإرغامهم على الانسحاب، وكان هذا مدبراً من القادة البريطان الذين سعوا لصناعة مصطفى كمال ليكون بطلاً.

وكان موعد ذلك الهجوم فى الثامن والعشرين من الشهر وأعد للقيام به طابوراً كان قد وصل حديثاً لنجدته على أن تقوم فرقته بأكملها بمساندته.

وقبل موعد الهجوم بيومين زار أنور باشا وزير الحربية جبهة القتال فى غاليبولى، فلما علم بأمر هذا الهجوم عارضه قائلاً:

«على مصطفى كمال أن يستشير السلطات العليا قبل أن يزهق أرواح جنوده فى هجوم خاسر».

وكان مصطفى كمال قد أعلن استيلاءه على مدفعين رشاشين للعدو، فأبدى أنور شكه فى هذا الادعاء وطلب منه أن يريه المدفعين ليتأكد بنفسه من صدق أقواله، فما كان من مصطفى كمال إلا أن ثارت ثائرته لهذه الإهانة التى نفذت إلى صميم كرامته فقدم استقالته على الفور[1]، وكان أنور باشا على حق فى تشككه فيما وصل إليه مصطفى كمال من انتصارات وهمية.

وما كادت استقالة مصطفى كمال تصل إلى «ليمان فون ساندرز» حتى سارع إلى إقناعه بسحبها.

---

(١) انظر المصدر السابق.

وإزاء هذا الإصرار من مصطفى كمال على تنفيذ خطته ووقوف «ليمان فون ساندرز» إلى جانبه، لم يسع «أنور» إلا أن يعدل عن معارضته للهجوم المرسوم الذى تم فى موعده.

إلا أن الهجوم انتهى بفشل كامل وأبيد الطابور الذى قام به عن بكرة أبيه بسبب سوء تخطيط مصطفى كمال فاستغل أنور فرصة هذا الفشل للنيل من مصطفى كمال، وقام بزيارة خاطفة للفرقة التاسعة عشرة حيث وجه إليه اللوم علناً على تلك النتيجة.

ومرة جديدة انتفض مصطفى كمال لكرامته وقدم استقالته للمرة الثانية، وعبثاً حاول «ليمان فون ساندرز» هذه المرة أن يحمله على سحب استقالته إلا أنه ظل مصرا عليها.

على أن عودة «أنور» للعاصمة بعد ذلك هيأت الفرصة لإصلاح ما أفسده بموقفه من مصطفى كمال، فأفلح «ليمان فون ساندرز» فى إقناعه بالعدول عن استقالته الثانية التى كان يقدمها لإضعاف موقف الجيش التركى.

وفى أوائل أغسطس بدا واضحاً أن الإنجليز يدبرون خطة للقيام بهجوم كبير، فقد شوهدت فى الموانئ المصرية والجزر اليونانية ناقلات تحمل فرقاً جديدة وإمدادات كبيرة، عندها عمد الأتراك إلى تعزيز جيشهم فى شبه جزيرة غاليبولى.

ووقع الهجوم المنتظر ليلة ١٦ أغسطس وكان هدفه قمة جبل يعرف باسم «حاجى شيمين» ويقع شمال منطقة «شونك بير» ويتصل بها بواسطة معبر جبلى يقع خلف الجناح الأيمن لخط القتال الذى يشرف عليه مصطفى كمال.

وكان الإنجليز يأملون من وراء الاستيلاء على هذه القمة أن يلتفوا حول منطقة «شونك بير» وبذلك يطوقون القوات التركية بكاملها ويسيطرون على شبه الجزيرة.

لذلك قرروا أن يخرج طابور واحد من يسار خط الاستراليين متجهاً إلى «حاجى شيمين» فى حين ينزل طابور آخر قوامه خمسة وعشرون ألف جندى على

بعد خمسة أميال من ساحل خليج «سوفلا» ثم يزحف إلى الداخل حتى ينضم إلى الطابور الأول، وعندها يهجم الطابوران معاً للاستيلاء على «عنق» شبه الجزيرة، وبذلك يفتح الطريق أمامهم إلى الدردنيل فاسطنبول.

وقبل وقوع الهجوم بأسبوع، كان الإنجليز قد أخذوا ينزلون إلى البر كل ليلة قوات جديدة على الساحل الواقع فى أسفل خط الأستراليين المواجه لمصطفى كمال، وبالتالى علم مصطفى بأمرهم واستعد له!!

وكانت ليلة السادس من شهر أغسطس شديدة الظلمة، فانتهزوا هذه الفرصة وبعثوا من خلف خطوط الاستراليين بطابور مؤلف من ستة عشر ألف مقاتل ساروا مسافة حوالى الميل فى محاذاة الشاطئ، ثم توغلوا إلى الداخل متجهين رأساً إلى «حاجى شيمين» لكى يبلغوا قمة التل عند طلوع الفجر، وما كادت هذه الأنباء تصل إلى «فون ساندرز» حتى أصدر أمره إلى الجنرال «كاننجيسير» بأن يقود الفرقة التاسعة المعسكرة عند ميمنة فرقة مصطفى كمال كى يصد الهجوم الجديد المنتظر والمتوقع والمشاهد للعيان[1].

وهرع «كاننجيسير» عبر الأودية الوعرة قاصداً قمة «حاجى شيمين» فبلغها ومن هناك رأى فى ضوء نور الفجر الباهت وعلى بعد ثلاثة كيلومترات تقريباً طليعة طابور العدو الذى كان يتسلق ببطء ومشقة.

ولم يكن مع القائد الألمانى سوى عشرين جندياً فقط، إلا أنه لم يشأ أن يضيع الوقت فى انتظار وصول بقية جنوده، فأمر من معه بإطلاق النار على طليعة العدو الزاحفة.

وخيل إلى الانجليز أنهم أمام مقدمة مقاومة منظمة فتوقفوا وبدأوا يحفرون الخنادق استعداداً لقتال طويل الأمد.

وكان القناصة الأتراك قد قاوموهم لدى نزولهم إلى البر مقاومة عنيفة أنهكت قواهم واضطرتهم إلى تلمس النجاة فى الظلام عبر الوديان المليئة بالصخور الحادة المدببة، بالإضافة إلى أن الحر كان شديداً والماء شحيحاً، فكان

(١) المصدر السابق.

من الطبيعى أن يرحب الإنجليز بالتوقف التماساً للراحة من كل هذا العناء.

كان الخطر الأكبر على الأتراك يتمثل فى ذلك الطابور الإنجليزى الآخر المؤلف من خمسة وعشرين ألف جندى فقد استطاع هذا الطابور النزول إلى البر فى خليج «سفلا» دون أن يلقى مقاومة تذكر، ثم حط رحاله فى أقرب موضع ليأخذ أفراده قسطاً من الراحة.

ولم يخف هذا الخطر على ليمان فون ساندرز فسارع إلى الاستعداد لمواجهته بأن جلب من «مايدوس» على عجل فرقتيه الاحتياطيتين، كما استقدم من «بولير» ومن تركيا الآسيوية كل الجنود الذين فى متناوله، على أن عدد قواته ذلك الحين لم تزد على ألف وخمسمائة جندى مما جعل الصمود فى وجه الهجوم البريطانى صعباً.

وبقى الإنجليز طيلة اليوم السابع من شهر أغسطس خالدين إلى الراحة أمام خليج «سفلا»، فى حين كان فى مقدورهم أن يتقدموا بسهولة ويسحقوا القوات التركية الضئيلة فيربحوا المعركة كلها، وهذا يؤكد المزاعم من تعمدهم الهزيمة أمام مصطفى كمال لرفع شأنه بعد الاتفاق معه على خططهم المستقبلية بعد وصوله للحكم.

وفى فجر اليوم التالى بدأ الإنجليز هجومهم على جبهة «حاجى شيمين» موجهين جناحهم الرئيسى نحو القمة، وجناحهم الأيمن نحو «حاجى شيمين» وجناحهم الأيسر نحو «شونك بير» التى يدافع عنها مصطفى كمال.

واشتد القتال بقوة ووحشية واستطاع الجنود النيوزيلنديون أن يثبتوا أقدامهم فوق قمة «شونك بير» فكر عليها مصطفى كمال فى هجوم ضعيف استطاعوا صده، فساد الارتباك فى صفوف فرقة مصطفى كمال وتوقع ضباطها الهزيمة والانسحاب من ذلك الموقع الحربى الهام وهو ما أراده مصطفى إلا أن الإنجليز لم يتقدموا خطوة أخرى نحو القمة الوسطى أو نحو «حاجى شيمين» وظلوا متشبثين بالمركز الذى بلغوه فى «شونك بير» فليس ثمة ما يمنع الإنجليز من التقدم والاستيلاء على شبه جزيرة غاليبولى، وهذا دليل آخر على تآمر الإنجليز مع

مصطفى كمال إضافة إلى أن جنودهم لم يكونوا من الانجليز أنفسهم.

واستكمالاً لدوره قام مصطفى كمال بالهجوم على القوات الإنجليزية، واستمر القتال سجالاً بين الفريقين فثبت الأتراك فى مواقعهم ولم يتمكن الإنجليز من الاستيلاء إلا على قمة «شونك بير» ثم اندفع طابور من الهنود والإنجليز إلى قمة هذا الموقع حيث هاجموا الأتراك بالحراب وطردوهم إلى أسفل السفح وكادوا يبيدونهم.

وكان النيوزيلانديون قد تمكنوا من الاستيلاء على موقع فى «شونك بير» وأخذوا يصلون الخطوط التركية بنيرانهم الحامية، وفشلت جميع الهجمات المضادة فى زحزحتهم عن ذلك الموقع.

وهكذا يئس ضباط الفرقة التاسعة عشرة من الحالة، فاتصلوا هاتفيا بمصطفى كمال وأبلغوه أن التعب والوهن قد دبا فى نفوس جنودهم وأصبحوا عاجزين عن مواصلة الهجوم، وإن مدفعية العدو الرهيبة تواصل الفتك بهم وقد تفشى الذعر بين صفوفهم، فأجابهم مصطفى كمال بصوت هادئ.

«لا تنزعجوا.. اثبتوا فى أماكنكم أربعاً وعشرين ساعة أخرى حتى أتدبر الموقف فى جبهتى وعندئذ ألحق بكم وأضع الأمور فى نصابها[1].

فقد أراد الاتصال بأصدقائه من الإنجليز لإنهاء المعركة لصالحه.

وفى الساعة الثامنة مساء كان مصطفى كمال قد عاد إلى «شونك بير» فخرج بنفسه للاستطلاع، وكان فى استطاعة القناصة الإنجليز أن يصيبوه مرتين ولكنهم لم يفعلوا ثم عاد إلى موقعه وبعد أن أنهى جولته الاستطلاعية هذه، تبين له أنه ما لم يرغم النيوزيلنديين على التخلى عن قمة «شونك بير» فلا مفر من الهزيمة المحققة.

وقضى تلك الليلة بكاملها يفكر ويدبر الخطط، وكان «فون ساندرز» قد أرسل لنجدته الفرقة الثامنة من تركيا الآسيوية، بينما عزز هو الفرقة التاسعة

---

(١) المصدر السابق.

عشرة بما يعادل ثلاثة فيالق وحشد جنوده فى الخنادق بقدر ما استطاع.

وقبل الفجر بدأت المدافع التركية إطلاق نيرانها على مواقع الأعداء ورد عليها هؤلاء بالمثل وحينما توقفت نيران المدفعية وقف مصطفى كمال فى العراء وقفة القائد الواثق من النصر ثم رفع يده صائحاً بجنوده: «إلى الأمام» وسرعان ما اندفع سائر الجنود من خنادقهم وراءه وبأيديهم الحراب المشرعة، ثم اشتبكوا مع الفرقتين الانجليزيتين فأبادوهما وواصلوا التقدم نحو السفح المواجه للبحر، وعندئذ أطلق الأسطول البريطانى المرابط على الشاطئ نيرانه عليهم، فأحدث فى جموعهم ثغرات كبيرة اضطرته إلى التراجع وحفر الخنادق للاحتماء فيها، لكنهم كانوا قد حرروا قمة «شونك بير» من الأعداء، وأنقذوا الموقف بتلك المؤامرة التى صنعها مصطفى كمال والتى رقى على أثرها إلى رتبة «جنرال» فأصبح يعرف منذ ذلك الحين بمصطفى كمال باشا.

وفى ديسمبر ١٩١٥ انسحب الإنجليز من أرض المعركة، وقد صنعوا لمصطفى كمال نصراً زائفاً، وعاد هو وجنوده إلى العاصمة فرحين بالنصر الذى مهد له الطريق بعد هزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى إلى الاستيلاء على الحكم وتنفيذ ما اتفق عليه مع الإنجليز من إلغاء الخلافة الإسلامية كما سيأتى بيانه.



محاولات فاشلة لمصطفى كمال للوصول إلى كرسى الحكم تبدأ بمحاولة اغتيال «أنور باشا»

بعد عودته من معركة الدردنيل مغترا بما حققه من نصر زائف على الإنجليز وقد حصل على ترقية جديدة ولقب جديد «الجنرال» الغازى ولكنه أراد القفز على مقعد رئاسة الوزراء تمهيداً لإلغاء منصب السلطان والخليفة كما يحلم فخطط لإعادة تنظيمه السرى «الوطن» وشن حملات على «أنور» الزعيم الاتحادى والمسيطر على مقاليد الجيش والحكم فعليا.

وخطط مصطفى كمال لاغتيال أنور بانقلاب عسكرى كما فعل أنور نفسه حين قاد الضباط الشبان واقتحم القصر السلطانى وقتل وزير الحربية وكل الضباط الذين قاوموا حركته العسكرية.

لكن خطة الاغتيال التى خطط لها مصطفى كمال تم كشفها والقبض على أعضاء الجمعية السرية التى يتزعمها واعترف أعضاؤها فى التحقيقات بالمخطط وأن مصطفى كمال أراد اغتيال أنور باشا واستلامه دفة الحكم من بعده.

فقام «أنور» بإعدام الضباط المتآمرين عدا مصطفى كمال فاكتفى بنفيه إلى القفقاس وكانت تلك تعليمات الماسونية والإنجليز الذين أرادوا الاحتفاظ بمصطفى كمال رغم خروجه عن السيناريو المعد له لكنهم أعجبوا بشجاعته وتهوره.

وفى القفقاس دبر له الإنجليز والماسون بطولات وهمية فى مواجهة قيصر روسيا كما فعلوا فى «الدردنيل» ذل من رصيده لدى الجماهير التركية حيث انتقل من الجبهة الروسية إلى السورية بقيادة الجيش التركى السابع.

وظلت الماسونية تذيع على أسماع الجماهير العربية والتركية أن مصطفى

كمال هو بطل «الدردنيل» والقفقاس» و«غاليبولى» وهكذا استطاعت الماسونية إنقاذ مصطفى كمال من الإعدام على أيدى «أنور باشا» وإعادته إلى المسرحية الهزلية التى تم تأليفها لوضعه على كرسى الحكم فى تركيا.

وكان فى هذا الوقت قد تحالف قادة الاتحاد والترقى بزعامة أنور باشا مع الألمان لحرب الإنجليز.

لكن مصطفى كمال كان رجل الإنجليز فى الجيش التركى وبالتالى فقد أفسد كل خطط أنور والألمان فى مواجهة الإنجليز فى بلاد الشام أثناء الحرب العالمية الأولى.

وفى حلب اجتمع أنور باشا وجمال باشا مع القائد الألمانى الجنرال فالكنهاين لمواجهة الجيش البريطانى وكانت الخطة المشتركة لإحباط الهجوم البريطانى بأن تقوم القوات التركية والألمانية بالهجوم البرى على بغداد لاستعادتها من الإنجليز، وتشن هجوماً آخر من الجو على قناة السويس لوقف زحف القوات التى يقودها الجنرال اللنبى على فلسطين.

لكن مصطفى كمال رفض الاشتراك فى تنفيذ تلك الخطة، وخشى أنور باشا من خيانته فأرسله إلى العاصمة التركية حتى تحين الفرصة للتخلص منه.

وعقب عودته إلى العاصمة قام مصطفى كمال بالاتصال بولى العهد محمد وحيد الدين الذى أصبح فيما بعد آخر السلاطين العثمانيين ولقب بالسلطان محمد السادس[1]، وأصبح أحد مستشاريه وأظهر مصطفى لولى العهد مدى كراهيته لأعضاء الاتحاد والترقى وأنه مع بقاء نظام السلطنة والخلافة العثمانية للعالم الإسلامى.

وصاحب مصطفى كمال ولى العهد وحيد الدين فى رحلته إلى ألمانيا كمستشار عسكرى له.

(١) كان السلطان محمد وحيد الدين آخر السلاطين العثمانيين وقد أراد مصطفى كمال قتله هرب بواسطة الإنجليز إلى النمسا وألغى مصطفى كمال النظام الملكى وعين عبدالمجيد الثانى خليفة فقط عام ١٩٢٢م حتى ألغى الخلافة ١٩٢٤م.

وأدرك مصطفى كمال بذكائه الذى تميز به وهو ذكاء شيطانى أن أوراق اللعب سوف تكون فى أيدى ولى العهد الذى أصبح قريباً من كرسى السلطنة حيث إن السلطان محمد رشاد رجل طاعن فى السن وأن وحيد الدين سوف يخلفه عما قريب، ولهذا تودد إليه وأظهر له حرصه على مصلحته وخوفه من أعضاء الاتحاد والترقى وأنه يجب التخلص منهم ومن التحالف مع الألمان وأن ذلك يصب فى مصلحة الدولة العثمانية العليا.

وكان ولى العهد وحيد الدين يكره أنور باشا وأعضاء الاتحاد والترقى الذين عزلوا السلطان عبدالحميد الثانى وجعلوا السلطان العثمانى دمية فى أيديهم تحكم ولا تملك ولهذا سعد وحيد الدين بمصطفى كمال.

وبعد أن اطمأن مصطفى كمال بأن ولى العهد أصبح خاتماً فى يده عرض عليه خطة للقضاء على أنور باشا وجماعته والألمان أيضاً وذلك بأن يطلب ولى العهد من القيادة الألمانية وضعه على رئاسة أحد الجيوش التركية وحدد له الجيش الخامس على وجه الخصوص.

وأدرك ولى العهد وحيد الدين أن مصطفى كمال يريد القيام بانقلاب عسكرى حيث أن الجيش الخامس كان مرابطاً فى العاصمة التركية، ولهذا فقد وافقه على خطته وأن ينفذ له طلبه عقب عودته إلى اسطنبول.

وما أن عاد ولى العهد وحيد الدين إلى العاصمة التركية قادماً من ألمانيا حتى توفى السلطان محمد السادس وتولى هو منصب السلطان ولقب بالسلطان محمد السادس.

وتولى «عزت باشا» منصب مستشار السلطان وكان صديقاً لمصطفى كمال مما ساعده على دخول القصر السلطانى والتواجد بجوار السلطان الجديد والصديق الحميم محمد السادس.

وكرر مصطفى كمال عرضه على السلطان بشأن طرد أعضاء الاتحاد والترقى والقادة الألمان من كل المناصب فى الجيش بعد أن يعهد إليه بقيادة الجيش.

وأوهم مصطفى كمال السلطان الجديد أن الكثيرين من الضباط يوافقونه الرأى فى الانقلاب على قادة الاتحاد والترقى.

لكن السلطان استمع إليه ولم يجبه إلى طلبه لخوفه من بطش جماعة الاتحاد والترقى الذى يستطيعون عزله بسهولة كما فعلوا مع السلطان عبدالحميد الثانى ولكنه نجح فى تولية مصطفى كمال قائداً للجيش التركى فى الجبهة السورية.

وأدرك مصطفى كمال أن إرساله إلى الجبهة السورية هذه المرة لإبعاده عن العاصمة التركية والسلطان.

وبالفعل استلم مصطفى كمال عمله فى قيادة الجيش التركى السابع فى نابلس عام ١٩١٨م وكان القائد الألمانى «ليمان فون ساندرز» الذى عمل معه فى حرب الدردنيل هناك.

وكان الجيش البريطانى يخطط لطرد الأتراك من فلسطين والشام كلها، فقامت خطتهم على قيام مصطفى أتاتورك بخيانة الجيش التركى كعادته وهم يساعدونه فيما بعد فى تحقيق أحلامه لتولى زعامة تركيا.

وقام الجيش البريطانى بهجوم شامل على القوات التركية ممهدين ذلك الهجوم بقصف مدفعى ثقيل، وكان الهجوم الإنجليزى مركزاً على الجيش الثامن التركى وتقدموا نحو الشاطئ وأبادوا الجيش الثامن واستطاع القائد الألمانى «ليمان فون ساندرز» الفرار بنفسه.

وانسحب مصطفى كمال بجيشه جاعلاً نهر الأردن خلفه، واستمر القتال خمسة أيام ثم عبر نهر الأردن بمن تبقى معه من جنود وانسحب الجيش التركى بمحاذاة خط سكة حديد الحجاز حتى وصل الجيش إلى دمشق. وتم إعادة الصفوف وتكون خط دفاعى آخر بعد سقوط بيروت فى أيدى القوات البريطانية، وأمر مصطفى كمال قواته بالانسحاب من أمام الجيش البريطانى والعودة إلى دمشق.

وأراد مصطفى كمال الاستفادة من هزيمة الجيش التركى والانقلاب على قادة الاتحاد والترقى بتنحية وزير الحربية أنور باشا فأرسل إلى السلطان محمد وحيد الدين بعزلهم وتوليته هو قيادة الجيش ومنصب وزير الحربية.

لكن الأنباء وردت إليه من اسطنبول بفرار قادة الاتحاد والترقى وتأليف حكومة جديدة برئاسة «عزت باشا» والجنرال «فوزى شاقماق» وذلك بعد هزيمة تركيا واحتلال أراضيها ونتيجة ما فعله مصطفى كمال فى فلسطين من انسحابه أمام القوات البريطانية اتصل لورانس العميل الإنجليزى المعروف ومن معه الموالين للإنجليز وعرضوا على مصطفى كمال عقد صلح مع الإنجليز لاسيما أن أعضاء الحكومة الجديدة أصدقاء.

واستكمل مصطفى كمال خطته مع الإنجليز فقام بالإنسحاب من حلب وتركها للقوات الإنجليزية وأمام تلك الهزائم التى صنعها مصطفى كمال وقعت تركيا هدنة وصلح مع الحلفاء عام ١٩١٨م وتسلم مصطفى كمال قيادة الجيوش التركية الجنوبية.

ثم أرسل له «عزت باشا» يطلب منه العودة إلى العاصمة حيث أنه ينوى تقديم استقالته من رئاسة الحكومة، وقد وقعت تركيا معاهدة «مودروس» مع الحلفاء.

وخلف «عزت باشا» فى رئاسة الحكومة «توفيق باشا» والذى فاز وحكومته بثقة مجلس النواب التركى رغم محاولات مصطفى كمال من حجب الثقة عن حكومته.



خطوات حاسمة نحو إلغاء الخلافة والسلطنة العثمانية

- الخلافة في الإسلام وأهميتها للمسلمين.
- ظهور الكمالية للانقضاض على ما تبقى من الخلافة والدولة العثمانية.



الخلافة وأهميتها فى الإسلام

الخلافة الإسلامية هى نظام الحكم فى الإسلام الذى يقوم على استخلاف قائد مسلم على الدولة الإسلامية ليحكمها بالشريعة الإسلامية، وسميت بالخلافة لأن القائد (الخليفة) يخلف الرسول ﷺ لتولى قيادة المسلمين والدولة الإسلامية.

بينما الخلافة عند أغلب فرق الشيعة موضوع أوسع من الحكومة بعد الرسول فالخلافة عندهم يمكن اختصارها بأنها امتداد للنبوة، فكلام الخليفة وفعله وإقراره حجة ويجب الأخذ به.

والخليفة عند السنة يصير خليفة إذا عين حاكما بينما يرى الشيعة أن الحكومة مجرد ثمرة من ثمار الخلافة، أى أنه من حسن حظ الناس أن يعين الإمام حاكماً ولكن عندما لا يعين فهو لا يزال خليفة أو إماما.

والخلافة كلمة مشتقة من الفعل خَلَفَ أى اتبع فى الحكم، ومصطلح الاستخلاف فى العقيدة الإسلامية هو سبب من الأسباب الرئيسية التى وضع الله بنى البشر على الأرض من أجلها، كى يعبدوه ويطبقوا أحكامه التى أرسلها إلى الأنبياء والرسل على مر الزمن.

ويقال باللغة العربية «خلف فلان أباه فى إدارة المتجر»، أى أخذ الولد مقام والده فى إدارة المتجر بعد أن طعن الوالد بالسن على سبيل المثال.

وأما ذكر الخلافة والاستخلاف فى القرءان الكريم فقد جاء ذكرها فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠).

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (ص: ٢٦).

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

ودلت الأحاديث النبوية أن الخلافة الراشدة فى قريش وأنها استمرت بعد رسول الله ﷺ لفترة ٣٠ عاماً وهى فترة حكم الخلفاء الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى واستكملت بشهور خلافة الحسن بن على رضى الله عنهم، ثم تحولت لملك عضوض وهى فترة تعاقب الدول الأموية والعباسية وهم من قريش أيضاً، ثم جاءت الخلافة العثمانية، ثم ستصبح حكماً جبريا، ثم ستعود مرة أخرى خلافة على منهاج النبوة آخر الزمان.

قال ﷺ: «الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك» رواه الترمذى وأحمد فى المسند.

وقال أيضاً: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها ثم تكون ملكاً عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت» رواه أحمد فى المسند.

وقال أيضاً: «الخلافة فى قريش والحكم فى الأنصار والدعوة فى الحبشة.... الحديث» رواه أحمد فى المسند.

وقال أيضاً: «الملك فى قريش والقضاء فى الأنصار والأذان فى الحبشة والأمانة فى الأزد (يعنى اليمن)(١).

(١) رواه الترمذى.

وقـال أيضـاً: فى رواية: «قـريش ولاة الناس فى الخـيـر والشـر إلى يوم القيامة»(١).

وتختلف نظرة الفرق الإسلامية للخلافة، فتفسرها كل فرقة وفقاً لمعتقاداتها وما صح عندهم من أحاديث.

فأهل السنة والجماعة: الخلافة هى رئاسة عامة للمسلمين جميعاً فى الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامى وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم، وهى عينها الإمامة، فإن الخلافة فى الاصطلاح الإسلامى تعنى القيادة الإسلامية أو الإمامة ومن هنا يُعلم أن مصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة.

ويقول أبو الحسن الماوردى: «الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا»، وسمّيت خلافة لأن الذى يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين ويخلف النبىَّ فى إدارة شؤونهم، وتسمى الإمامة لأن الخليفة كان يسمى إماماً، ولأن طاعته واجبة ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم فى الصلاة.

وفى التاريخ الإسلامى أول من أطلق عليه أمير المؤمنين الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب، وهو لقب يُطلق على الحكام المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين ابتداءً من عمر بن الخطاب حتى نهاية العهد العباسى.

ولم يكن هذا اللقب على أساس التزكية دائماً وإنما لقب لمن يتقلد منصب الخليفة وذلك كما هو الحال اليوم للألقاب التى تطلق على حكام ورؤساء الدول.

تم اختيار الخليفة الأول بعد النبى ﷺ وهو أبو بكر الصديق عن طريق البيعة بعد نقاش دار فى سقيفة بنى ساعدة بين الأنصار والمهاجرين، وكانت أسبقية أبى بكر فى الإسلام ومكانته عند الرسول وخصوصا اختياره لإمامة المسلمين فى الصلاة من قبل الرسول أثناء مرضه إحدي الإشارات التى اعتمد عليها جمع من الصحابة لتأكيد أفضلية أبى بكر وتمت البيعة له وظل فى الحكم عامين.

(١) رواه الترمذى.

الخليفة الثانى عمر بن الخطاب: عُين الخليفة الثانى عمر بن الخطاب عن طريق وصية مباشرة من أبى بكر الصديق، استمر فى حكمه مدة عشرة أعوام.

الخليفة الثالث عثمان بن عفان: قام عمر بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسى وإحساسه بدنو أجله بتشكيل مجلس مؤلف من ستة أشخاص مرضيين من قبل رسول الله ﷺ، على أن يتم الاختيار من بينهم بالشورى، وتمت أول ما يمكن تسميته بانتخابات ضمن المجتمع الإسلامى الوليد للاختيار بين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب، وأسفرت النتائج كما تقول المصادر عن العملية الاستفتائية عن تسمية عثمان بن عفان خليفة للمسلمين، واستمر فى الحكم ١٢ عاما.

الخليفة الرابع على بن أبى طالب رضي الله عنه: بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان فى أول فتنة تشهدها الدولة الإسلامية استلم على بن أبى طالب الخلافة بمبايعته من قبل جمع من الصحابة ليستلم بذلك دولة فى حالة اضطراب شديد اضطر فيها لنقل مركز الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة، ورفض والى الشام وقتها معاوية ابن أبى سفيان مبايعة على بن أبى طالب تذرعا بضرورة القصاص أولا من قتلة الخليفة عثمان مما أدى إلى فتنة بين المسلمين ومعارك بين الجانبين، واستمر على فى الحكم خمسة أعوام.

بعد استشهاد الخليفة على بن أبى طالب على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم تمت البيعة لابنه الحسن بن على الذى قضى ما يقارب السبعة أشهر فى الحكم قبل أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية محققا بذلك ما يؤمن المسلمون بكونها نبوءة للرسول ﷺ بأنه سيد وسيصلح الله تعالى به بين فئتين عظيمتين.

بعد تقلد معاوية بن أبى سفيان للخلافة فى دمشق عمل على التوصية بالخلافة ـ خلال حياته ـ لابنه يزيد بن معاوية، وبعد وفاة معاوية أصبح ابنه يزيد هو الحاكم الجديد مما أدى إلى رفض بعض الصحابة من ضمنهم الحسين بن على وعبدالله بين الزبير وغيرهما لذلك الأمر.

فقرر الحسين الدعوة لنفسه رافضا أن تتحول الخلافة إلى حكم وراثى، مما أدى إلى وقوع كارثة كربلاء التى استشهد فيها الحسين على يد عبيد الله بن زياد بأمر من يزيد بقتله وقطع رأسه.

وبعد وفاة يزيد تولى ابنه معاوية بن يزيد مقاليد الحكم وراثيا ولكنه أعلن رفضه الأمر وقرر الانعزال وترك الأمر شورى بين المسلمين وفى تلك الأثناء كانت البيعة قد تمت لعبد الله بن الزبير فى العراق وأصبح بذلك الخليفة الشرعى وبشكل تمرد على الدولة الأموية(١).

إلا أن مروان بن الحكم وقف فى وجه هذا التمرد وتم اختياره من قبل الأغلبية في الشام خليفة للمسلمين ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان والذى خرج على الخليفة فى الحجاز عبد الله بن الزبير ونشبت معارك قادها رجل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى انتهت باستشهاد الخليفة عبد الله بن الزبير بجوار الكعبة لينتهى بذلك الأمل فى عودة الخلافة إلى شورى بين المسلمين.

وبهذا يكون بداية الحكم العضوضى منذ عهد معاوية حتى انتهاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م على يد مصطفى كمال أتاتورك وتحت تأثير الحرب العالمية الأولى وحركات الانفصال العربية مثل تلك التى قادها الشريف حسين فى الحجاز وعرفت بالثورة العربية على الأتراك والخلافة العثمانية.

وأهل الكفر والضلال يعرفون فضل الخلافة وأهميتها ويدركون أنها قادمة، وقصار النظر يوهمون أنفسهم ويخادعون شعوبهم بأنهم يعدون العدة لسحقها، فمخططاتهم ومؤامراتهم ستذوب أمام الحدث الكبير إذا زلزلت الأرض زلزالها وقامت الخلافة ورفرفت راية العقاب، فسيرتد كيدهم إلى نحورهم ومكرهم إلى صدورهم وتلهب ظهورهم نيران الحسرة وذل الهزيمة ويصدق فيهم قول الله عز وجل:

---

(١) توفى معاوية بن يزيد بن معاوية بن سفيان بعد مبايعته بالخلافة بأيام لم يغادر فيها قصر الإمارة لمرضه ولم يوصِ لأحد من بعده بالخلافة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٣).

إنهم مع كفرهم وكيدهم وتآمر العملاء معهم وإن تركوا الأرض هامدة والنبت هشيماً فإنما هم كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه.

وهم لا يدرون أن النار تحت الرماد، وأن الماء فى مساربه ليبلغ منتهاه يسقى به الزرع وتخضر منه الأرض وأن الخلافة الراشدة قادمة بإذن الله تعالى ومعها العدل والقسط يحيى بها الله الأرض بعد موتها، والخير لديها ينبت به الزرع ويدر به الضرع، سيستبدل وجه الأرض بعد جدبها وستثبت الرجال وتحتضن القادة وتعلو راية العقاب خفاقة على الروابى، تظلل الجيوش الزاحفة نحو المشارق فتعيدها إلى حضن أمها، إلى دمشق أو بغداد أو استانبول بل إلى القدس عقر دارها، وإلى المغارب فتزدهى بلبوس العزة والسيادة وتنفتح أبواب أوربا ليدخلها المهدى آخر الخلفاء الراشدين(١).

وتأتى الخلافة الأرض تنقص أرض الكفر من أطرافها ويصدق وعد الله وتتحقق بشارة رسول الله وستبدو مواقف كبيرة ويسجل التاريخ ما سجله بالأمس عندما تسلم قيصر الروم هرقل كتاب محمد ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام، قرأه فأقر بالهزيمة قائلاً: والله ليملكن ما تحت قدمى هاتين، وغادر وهو يردد (سلام عليك يا سوريا سلام لا لقاء بعده).

لقد اخترقت الخلافة العثمانية أوربا وأدخلت الإسلام إليها من بابها الشرقى إلى بلغاريا واليونان وصربيا وألبانيا وهنجاريا ورومانيا، وحاصرت فينا، وطرقت أبواب روما، وأقامت المساجد والمكتبات ومعالم إسلامية كثيرة، وبسطت سيادتها على بقية ربوع أوربا، حتى كان الملوك فيها يستنجدون بالخلافة لحمايتهم.

(١) اقرأ كتابنا «المهدى المنتظر آخر الخلفاء الراشدين» الناشر مكتبة التوفيقية بالأزهر، وكتابنا «المهدى في مواجهة الدجال» الناشر دار الكتاب العربى.

لهذا دبر الكفار المؤمرات وأثاروا الحروب على مرور السنوات الطوال لإلغاء الخلافة، وتوصلوا إلى مكامن الفتن، فحركت المشاعر القومية، وأثارت النعرات الطائفية، وبرزت الجمعيات والتكتلات داخل دولة الخلافة تنادى بسيادة الطورانية، واستقلال الشعوب العربية والكردية.

وتعاون المتآمرون مع بريطانيا، وأعلنوها حرباً على الخلافة وتقطعت أوصالها، وتسابقوا على ترسيم الحدود لتمزيقها نتفاً صغيرة وسموا كل ذلك وطنية.

فلما غاب الإسلام عن الحياة فغابت الفضائل، وتعطلت الحدود فتفشت المنكرات، وتوقف الجهاد فلبست الأمة الإسلامية لبوس الذلة والمهانة وانسلخ عنها ثوب العزة والكرامة وهانت على الله فهانت على الناس.

عندما نتحدث عن الخلافة زمن الراشدين، فإنما نتحدث عن دولة ناشئة كانت تقاتل على جبهتين وانتصرت على أكبر دولتين، وإذا تحدثنا عنها زمن الأمويين فإنما نتحدث عن دولة كانت تقاتل على أربع جبهات على امتداد المشرق حتى الصين وإلى مدى المغرب حتى الأطلسى. وإذا تحدثنا عن زمن الخلفاء العباسيين، فإنما نتحدث عن دولة مترامية الأطراف ملكت الأرض من أطرافها، واستقرت لها الأمور فلا دولة على وجه الأرض غيرها، إنها دولة العلم والعلماء والفقه والفقهاء، آتت العلوم والمعارف ثمارها وانتشرت المكتبات وأصبحت واحة علم وساحة معرفة، ناهيك عن المفكرين السياسيين والقادة العظام المبدعين.

وإذا تحدثنا عن الخلافة فى استانبول، فإنما نتحدث عن قوة لا تضاهى بذت جميع القوى، واخترقت أوربا ونشرت الإسلام فى ربوعها، وأما المماليك فقد طهروا الأرض من رجس الصليبيين وأجهزوا على فلول التتار، فكانوا رجال حرب وقادة معارك.

وظلت الخلافة ثلاثة عشر قرناً قائمة شامخة وبيضة الإسلام فى حمى، والنساء فى مأمن، والرعاية متوفرة، والكفرة الأعداء يحيكون المؤامرات ويحضرون للغارات فيرتد كيدهم إلى نحورهم، ويبقى النصر حليف جند الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧).

لقد أعلن الرئيس الأمريكى السابق منذ سنوات حرباً صليبية على الإسلام وتوجهت جيوشه زاحفة نحو المشرق، لغزو بلاد الإسلام بدءاً بالعراق فتعرقلت جيوشه هناك وسقطت وهى الآن تحاول العودة مهزومة إلى ديارها وقد أصيب بالهزائم واعتراه الفشل.

والخلافة ليست مناصب وجاهة، ولا مقاعد حكم، وإنما هى مسؤولية أمانة، وهى حمل ثقيل إنها رعاية (الإمام راع وهو مسؤول عن رعيته).

فالخليفة يعنى بأمر الأمة بمشاكلها وحمياة مصالحها، برعايتها وتأمين حوائجها، وتفقدها وتتبع كافة شؤونها فى الحياة: الرعاية والحماية والقيادة والبناء والتثقيف والتوجيه وإحقاق الحقوق ورد المظالم ودرء الأخطار كل ذلك وما يتفرع عنه من جزئيات، وما يكمن وراءه من أخطار ضمن مسؤوليته وفى إطار سلطانه.



ظهور الكمالية للانقضاض على ما تبقى من الخلافة العثمانية وحكم السلاطين العثمانيين

كانت المرحلة الأخيرة من المؤامرة الماسونية اليهودية للانقضاض على الدولة العثمانية والخلافة العثمانية هو ما قام به مصطفى كمال وأعوانه ممن أطلق عليهم بالحركة الكمالية نسبة إليه.

فقد بدأت المراحل الأولى للمؤامرة بعد رفض السلطان عبد الحميد الثانى بيع فلسطين لهرتزل كى يسكنها اليهود مقابل سداد ديون الدولة العثمانية[1]، فتم تفعيل جماعة الاتحاد والترقى وتنشيطها وإثارة النزعات القومية وظهور النزعات التغريبية حتى تم خلع السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٩٠٩ م واستيلاء جماعة الاتحاد والترقى على الحكم الفعلى فى تركيا مع وجود سلطان عثمانى لا حول له ولا قوة هو السلطان محمد رشاد (محمد الخامس) ثم السلطان محمد وحيد الدين (محمد السادس).

وقام الاتحاديون بجر تركيا فى الحرب العالمية الأولى ورغم أنها كانت تملك جيشاً قويا لا بأس به إلا أنها منيت بهزيمة ثقيلة أتت على ما تبقى من الدولة العثمانية بل واحتُلت أراضيها وعاصمتها، وكان ذلك بمساعدة مصطفى كمال الذى أعده الماسون والإنجليز كى يجهز على ما تبقى من مظاهر الخلافة العثمانية للمسلمين حيث انسحب مصطفى كمال فى تلك الحرب من فلسطين وبلاد الشام أمام الجيوش البريطانية ثم هروب زعماء الاتحاد والترقى أنور وطلعت وغيرهما إلى خارج البلاد ثم مقتل جمال باشا السفاح على أيدى الأرمن انتقاماً لما فعله

(١) اقرأ كتابنا السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين المحترمين، الناشر دار الكتاب العربى.

معهم من مذابح أثناء حكمه لسوريا عامى ١٩١٥ م، ١٩١٦ م.

ومع هزيمة الاتحاديين وحلفائهم الألمان فى الحرب العالمية الأولى بدأت تبرز المؤامرات الاستعمارية الفرنسية والإنكليزية، وبرزت الخيوط والأصابع الأجنبية وتكشفت أوراق العديد من الجواسيس والعملاء، الذين حالفوا الأجنبى على دولتهم الإسلامية وأخذوا يطالبون بحصصهم من الغنائم والمناصب الموعودة.

وظهرت «الكمالية» فى تركيا وغيرها من «الكماليات» فى الولايات العربية وهى المرحلة الأخيرة الاجهاز على الدولة الإسلامية، فى حين اتخذ «مصطفى كمال» موقفاً صريحاً من الخلافة إلى حد رفضه «للبيعة»، وتفضيله للتغريب والعلمانية، وطمس كل ما يمكن أن يربط تركيا بالإسلام واللغة العربية.

وهذه المرحلة كان العقل المدبر فيها الاستخبارات البريطانية ورجالاتها من الانكليز والأتراك والعرب، وفيها استكمل تنفيذ المخططات والأهداف البريطانية، فقد وصل (اللنبى) إلى القدس وخاطب العالم بقوله: (الآن انتهت الحروب الصليبية)، وكان من حوله بضع مئات من بدو الحويطات، لم يفقهوا ما قاله ذلك الضابط الإنكليزى بلكنته الأجنبية.

كما دخل الجنرال الفرنسى (غورو) بعده إلى دمشق وركل ضريح صلاح الدين بقدمه صائحاً بكل «فروسية» (ها قد عدنا يا صلاح الدين.. فأين أحفادك منك).

أما مصطفى كمال فقد خضع لشروط كرزون المذلة وعلى رأسها إلغاء الخلافة الإسلامية وقدم من عنده هدية فوقها، حينما حول «أيا صوفيا» من مسجد جامع إلى متحف للمأثورات العثمانية!!

لقد قامت بريطانيا بالتخطيط وتنفيذ مختلف المراحل التى رسمتها للإطاحة بالخلافة الإسلامية مستخدمة بذلك: الصهيونية، والماسونية، والدونمة، والكمالية التركية والعربية.

---

(١) رواه الترمذى.

ولعب الكابتن هـ. س أرمسترونج ملحقها الحربى فى الجيش الهندى دوراً خطيراً منذ إلحاقه بقيادة (سير تشارلز ميللز) حيث ساعده أسره مع باقى فرقته من قبل الجيش العثمانى فى العراق على معرفة البلدان العربية التى مشيها على قدميه، من أقصى الجنوب حتى استانبول، كما أفاد من محاولة هربه، وفشله وضبطه، فى التعرف على عدد من الضباط العثمانيين، الذين أهلتهم معرفته لهم للصعود والبروز، وتخطى زملائهم، فى الترقيات والمناصب القيادية، بدعم من نفوذ الاستخبارات البريطانية، التى صنعت لهم بعض الانتصارات والبطولات الوهمية، تعزيزاً لمكانتهم، وتهيئة لهم لما ستوكله إليم من أدوار، فى المرحلة التى تلى الحرب العالمية.

حيث عاد أرمسترونج الأسير ليتولى الإشراف على جميع أسرى الحرب الآخرين، ثم أختير ممثلاً للاتهام فى المحاكمات العسكرية الكمالية، التى أجريت لقادة معسكرات الحرب بتهمة تهجمهم على الأسرى الموضوعين فى حراستهم.

كما تولى أرمسترونج بعد ذلك مهمة ضابط الاتصال بين بريطانيا ومصطفى كمال، وعين عام ١٩٢٧ م، ولمدة ثلاث سنوات ملحقاً بلجنة التعويضات البريطانية لتركيا الكمالية العلمانية[١].

هكذا فعل أرمسترونج مثلما فعل لورنس فى العائلة الهاشمية، وتنصيبه لفيصل ملكاً على سورية، ثم تعويضه عنها بملكية العراق، وكأنها جزء من الممتلكات البريطانية، حتى إن المفاوضات دارت بين روسيا (القيصرية) وإنجلترا وفرنسا فى مارس ١٩١٥ أثناء الحرب الأولى، وفى مذكرة جوابية رفعتها فرنسا وإنكلترا لروسيا عرضتا ما يلى: (صيانة الأماكن المقدسة فى البلاد الإسلامية والبلاد العربية تحت حكم دولة إسلامية مستقلة).

وكان الرد الروسى (إن اتخاذ قرار حاسم فى مستقبل العلاقات بين الدول

(١) وقد ألف أرمسترونج كتاباً عن مصطفى كمال أسماه «الذئب الأغبر» يحكى فيه سيرة هذا الذئب الأناضولى.

الإسلامية المقرر تأليفها على أنقاض الدولة العثمانية وفصلها عن دولة الخلافة ليهم حكومة صاحب الجلالة القيصر وترغب من كل قلبها فى نزع الخلافة من الترك إلا أنها فى الوقت نفسه ترغب من كل قلبها فى تأمين حرية الحج وعدم التعرض له بأقل ما يسوء المسلمين).

وعقب قيام الحلفاء بالانسحاب من الدردنيل فى ديسمبر ١٩١٥ حاولوا الاتصال بجمال باشا ومفاوضته للثورة على الخلافة، وحصلت بينهما مفاوضات فعلية قدم فيها شروطه، وبتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩١٥ أرسلت وزارة الخارجية الروسية إلى سفارتيها فى باريس وروما برقية رقمها (٣٦٩١) جاء فيها: أن الأخبار الواردة إلينا من الدوائر الأرمنية فى استانبول تفيد أن جمال باشا يرغب القيام بحركة عداء لحكومة استانبول إذا حققت الشروط التالية:

أولاً: أن تتعهد الدول المتحالفة بالاعتراف بسياسة الدولة العثمانية برئاسة السلطان على اتحاد السلطنة المؤلف من: سورية، فلسطين، العراق، عربستان، كبليكية، أرمينية، وكردستان.

ثانياً: أن يتولى السلطنة أحمد جمال باشا، وأن يتولى السلطنة من بعده أولاده وأحفاده.

ثالثاً: يتعهد أحمد جمال باشا أن ينادى بأن السلطان الحالى وحكومته أسرى بيد الألمان ويعلن الحرب عليهم.

رابعاً: فى حال إعلان جمال باشا ثورته هذه وزحفه لمقاتلة الحكومة يتعهد الحلفاء بتقديم السلاح والغذاء والعتاد الحربى اللازم لجيوشه.

خامساً: أن تقدم الدول إلى جمال باشا المساعدات المالية اللازمة إلى نهاية الحرب.

سادساً: يرضى جمال باشا بترك المضايق واستانبول للحلفاء.

سابعاً: يتعهد جمال باشا أن يترك الطريق حرة لمساعدة الأرمن.

ويبدو أن روسيا فاوضت الإنكليز والفرنسيين فلم يقبلوا شروط جمال باشا فى

حين أن روسيا قبلتها وبتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩١٥ أرسل مستشار الشعبة الثانية فى الخارجية الروسية برقية إلى شعب روسيا فى بخارست رقمها (٦١٣٠) جاء فيها:

(وفى الإمكان تقديم أى وعد بما يقترحه جمال باشا وإذا اقتضى الأمر ففى مقدورنا الحصول على وعود من الحلفاء بتحقيق ما يريده).

ولكن يبدو أن الحلفاء لم يوافقوا، وبتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩١٥ أرسل سفير روسيا فى باريس برقية إلى حكومته جاء فيها:

(أخذنا برقيتكم ٦٣٩١، أبلغت نسخة من محتوياتها للمسيو بريان فأظهر اهتماماً كبيراً بهذه الأخبار وصرح أنه سيعرضها غداً على مجلس الوزراء قبل أن يفوت الوقت وقد قال لى فى هذه المناسبة إن هذه الشروط وإن كانت موافقة لنا إلا أنها على كل حال لا تتفق مع مطامع الانجليز الذين لا يقبلونها).

ثم عاد الفرنسيون فرجعوا عن قبول الشروط فبتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩١٥ م أرسل السفير برقية ملحقة ببرقيته الأولى جاء فيها: (الذى علمته أن الوزراء الفرنسيين عارضوا هذا الاتفاق بكل شدة حتى إنهم لم يحجموا عن المجاهرة بمعارضتهم هذه).

ثم قال: (والمؤكد هو أن الفرنسيين هنا يقدرون بعض اقتراحكم وليسوا فى حالة يجهلون معها أهمية أحداث ثورة فى السلطنة العثمانية بل هم يعتقدون أن هذه الثورة مفيدة جداً لهم فى الحرب العالمية، إلا أنهم لا يرون فى الاقتراحات المقدمة لمفاوضة جمال باشا إلا تحقيقاً لأمانيكم فى الاستيلاء على استانبول والمضايق دون أقل ضمان للسيادة الفرنسية على الشرق).

وبعد ذلك رفض الإنكليز دخول هذه المفاوضات، وبتاريخ ٢٧ يناير ١٩١٦ أرسل سفير روسيا فى لندن برقية إلى وزير خارجيته جاء فيها: (أجابنى «نيكولسن أن الحكومة البريطانية بعد فحصها القضية من جديد وتقليبها على سائر وجوهها ترى من الضرورى عدم اشتراكها فى هذه المفاوضات والتنازل عنها بصورة نهائية).

ويبدو أن حرص جمال باشا على وحدة البلاد الإسلامية أدى إلى رفض

الحلفاء لشروطه رغم رغبتهم فى تمزيق الدولة وإلغاء الخلافة.. فضلاً عن مراسلات حسين ـ مكماهون ومؤامرات الحلفاء مع عارف باشا، وصلات الإنكليز بالداماد فريد عن طريق ملحقهم الحربى: هـ. س أرمسترونج(١).

وحتى ربيع ١٩١٥ م كان مصطفى كمال مجرد ضابط عثمانى صغير مغمور يجاهر بأفكاره الغربية وثورته على الفكر الإسلامى وميله للإنكليز وكرهه للألمان، وفجأة أصبح ضابطاً شهيراً بعد الدعاية التى كسبها عقب معركة (أنافورطة) ضد الإنكليز، ولم يلبث أن عاد من الدردنيل إلى استانبول ليبدأ معركة داخلية مع الدولة ليجعلها تترك الألمان وتسير مع الإنكليز، وأخذ يبث أفكاره بين الناس بل إنه خاطب الوزراء علناً بآرائه هذه، بمن فيهم وزير الخارجية نسيم باشا، الذى اضطر إلى السعى لاستصدار قرار بإبعاده إلى القفقاس، بعد أن جرؤ على تهديده علناً، ثم بدأت الحوادث تسير لتصنع من مصطفى كمال شخصية غير عادية وكى يكون قائداً للبلاد وأصبح بديلاً لجمال باشا(٢).

وأدى مصطفى كمال دوره لصالح الإنجليز فى الحرب العالمية الأولى، فبعد هزيمة العثمانيين فى أرضروم وسقوط بغداد بيد الإنكليز (مارس ١٩١٧) أخذ يطالب الحكومة علناً بالانسحاب من الحرب. فتم ترقيته إلى رتبة جنرال وعين فى إحدى قيادات الجيش الرابع تحت إمرة فولنكهاين وكان دائم المعارضة لخططه ويدعمه فى معارضة جمال باشا الذى استمر معه حتى بعد وصوله للحكم.

وبعد وفاة السلطان محمد رشاد الخامس وخلفه محمد وحيد الدين فى ٣ يوليو ١٩١٨ م، سعى لمقابلته محاولاً استغلال صحبته له خلال زيارتهما لألمانيا عندما كان ما يزال وليا للعهد كما ذكرنا وتم تعيينه قائداً للجبهة السورية كى يسلم فلسطين للإنجليز الذين سلموها فيما بعد لليهود.

ولهذا أصدر أوامره للجيش التركى بالانسحاب من نابلس ثم دمشق وحلب

(١) هـ . س أرمسترونج «الذئب الأغبر مصطفى كمال» ص ٥ كتاب الهلال ١٩٥٢ م ـ وأيضاً صحوة الرجل المريض.

(٢) المصدر السابق.

والانسحاب إلى الأناضول رغم معارضة القائد العام الألمانى فون ساندروز.

وقام لورنس بتحريض الزعماء العرب فطلبوا منه استخدام نفوذه لاقناع الحكومة بعقد صلح منفرد مع الحلفاء كما كثرت حركات سفر الإنكليز فى خليج الإسكندرونة وفى ١٤ نوفمبر دخلت ثلاث نسافات وأنزلت إحداها قارباً نقل ضباطاً إنكليز وفرنسيين للبر قابلوا قائد الموقع التركى ثم عادوا من حيث أتوا.

وبعدها أرسل إلى السلطان طالباً تولية عزت باشا لرئاسة الوزارة، واستلامه هو لوزارة الحربية ومقترحاً أسماء عدد من الوزراء الآخرين، وقد عين عزت باشا بعدها رئيساً للوزراء كما عين الذين طلبهم وقد أجابه عزت على برقيته بقوله: (آمل أن نلتقى كرفيقين بعد عقد شروط الهدنة).

واضطر أنور للاستسلام وطلب الهدنة واحتل الحلفاء الدولة العثمانية ثم هرب أنور باشا من البلاد.

ففى عام ١٩١٦ اتفق الإنجليز والفرنسيين على تقسيم الدولة العثمانية فى معاهدة عرفت باتفاقية (سايكس ـ بيكو) وكذلك اتفق الإنجليز مع اليهود بإعطاء اليهود أرض فلسطين وإعطاء إيطاليا إقليم أزمير وغربى الأناضول حتى قونية.

ولهذا وعندما انتهت الحرب سارعت انكلترا لاحتلال استانبول والبلاد الإسلامية، بينما سارعت فرنسا لاحتلال لبنان وحاولت إنكلترا صدها عن سوريا لكنها احتلها عام ١٩٢٠ م، بينما احتلت إيطاليا فى إبريل ١٩١٩ م مدينة أضاليا وما جاورها، وعارضتها إنكلترا فى احتلال أزمير والساحل الغربى للأناضول باعتبار أن روسيا لم توقع تلك المعاهدة، مما يجعلها باطلة وطالب الإنجليز من السلطان الجديد تولية رجلهم توفيق رئاسة الوزراء بدلاً من عزت باشا.

بعد أن انفرد الإنكليز بعقد الهدنة عن الحلفاء مع العثمانيين فى ٣٠ نوفمبر ١٩١٨، ثم أخبروا حلفاءهم بعد احتلالهم الفعلى لأهم البلاد التركية.

ثم أرادوا حل مجلس النواب ولأنه يمثل وحدة الدولة بإيجاد فراغ سياسى وقد حله السلطان فجأة، دون تعيين موعد لانتخابات جديدة، وحل الداماد فريد باشا

محل توفيق باشا وكان الداماد أيضاً رجل الانجليز.

وكان السلطان والداماد يسعيان لارضاء الانكليز بمختلف الوسائل رغم كراهية الشعب والجيش لهما، وصار الجنرال هارنجتون القائد العام لجيوش الحلفاء، والمندوب السامى لبريطانيا فى استانبول، يمليان إرادتهما على السلطنة.

.وأخذ الإنكليز يشيرون إلى فكرة استقلال تركيا كدولة حديثة عصرية، ونمت النعرة القومية والنزعة الانفصالية تحت شعار الاستقلال، وتحرك مصطفى كمال بحذر وسرية بوصفه صديقاً للسلطان وبدأ مؤامراته للقضاء نهائيا على الخلافة وإقامة جمهورية تركية علمانية.

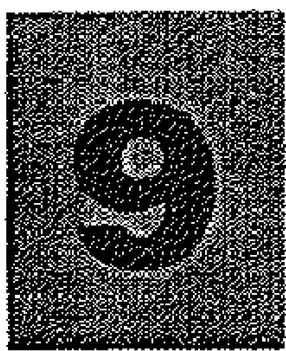
ورأت بريطانيا أن تحقيق مطامعها بالانفراد عن حلفائها يقتضى الاستعانة بجهود فئة من الأتراك أنفسهم، بعد أن تحركت حليفتها إيطاليا لاحتلال أزمير، وأصرت حليفتها فرنسا على أخذ سيليسيا، كما احتل الطليان أضاليا وما جاورها وبعض أجزاء من يوغسلافيا كما استعانت باليونان لاحتلال أزمير ودفعت بمصطفى كمال إلى الأناضول مزوداً بسلطات واسعة بحجة ضرب العابثين بالأمن والدفاع عن وحدة تركيا والخلافة الإسلامية!!



مصطفى كمال والسلطان

محمد وحيد الدين

- ثورة مصطفى كمال على السلطان وحيد الدين (محمد السادس).
- تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لصالح مصطفى كمال وثورته.
- صحوة السلطان وثورة الصنم.



ثورة مصطفى كمال
على السلطان العثمانى محمد وحيد الدين
(محمد السادس)

بعد أن أتم مصطفى كمال هزيمة الجيش التركى فى فلسطين وبلاد الشام بالانسحاب من أمام القوات البريطانية وحلت الهزيمة بالدولة العثمانية حتى احتُلت عاصمتها استانبول وعاد مصطفى كمال إلى العاصمة وقد أدى مهمته على خير وجه وأصبح يرنو للوثوب إلى السلطة وقد هرب أعضاء الاتحاد والترقى كما ذكرنا وألقى قادة الجيش السلاح والسلطان العثمانى الجديد محمد وحيد الدين[1] لا حول ولا قوة وقد أسند رئاسة الوزراء إلى توفيق باشا المعروف بولائه للانجليز.

لقد انتهت تلك الحرب بمأساة مفجعة إذ استيقظ المسلمون كلهم على كابوس مزعج انطوى على أعظم فاجعة أصيبوا بها وأكبر مصيبة نزلت بهم، منذ ظهور الإسلام وإلى تلك الساعة، فقصمت ظهورهم وكبلتهم بحبلى الخيبة والخسران، إذ رأوا بنيان دولة الخلافة ينهار كما تنهار بيوت الكرتون، وقد أصبحت هذه الدولة ذات العز الباذخ والشأن الرفيع الشامخ، التى كانت ملء عين الزمان وسمعه، أثراً

---

(١) السلطان محمد وحيد الدين بن السلطان عبد المجيد الأول ولد فى ١٤ يناير عام ١٨٦١ م وهو آخر السلاطين العثمانيين وتولى السلطنة عقب وفاة محمد رشاد (محمد الخامس) وهزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى مباشرة فى ٤ تموز يوليو عام ١٩١٨ واستمر فى الحكم حتى عزل بواسطة مصطفى كمال فى شهر تشرين الثانى نوفمبر عام ١٩٢٢ وألغى منصب السلطان وبقى منصب الخليفة الذى تولاه ابن عمه عبد المجيد الثانى بن عبد العزيز حتى ألغيت الخلافة عام ١٩٢٤ م.

غادر السلطان وحيد الدين استانبول على بارحة بريطانيا بعد عزله ومحاولة قتله بواسطة مصطفى كمال إلى إيطاليا وتوفى عام ١٩٢٦ م ودفن فى السلمانية بدمشق.

بعد عين وكأنها لم تغن بالأمس وأصبحت أرضها موطناً لأعدائها أو موطئاً لأقدامهم.

كان من البديهى بعد أن اندحرت الدولة فى ميادين الحرب أن تستقيل الوزارة العثمانية القائمة، وزارة الاتحاد والترقى، التى كان يرأسها طلعت باشا وتألفت وزارة جديدة برئاسة أحمد عزت باشا الأرناؤوط وأرسلت هذه الوزارة وفداً وزاريا إلى مدينة مودروس فى جزيرة ليمنوس، الكائنة فى بحر إيجة، بين البرين التركى واليونانى، لمفاوضة الانكليز على شروط الهدنة، وهى لم تكن هدنة بالمعنى الصحيح بل كانت إملاءً واستسلاماً.

وكان هذا الوفد برئاسة وزير البحرية، رؤوف بك بطل الغواصة الحميدية المشهور.

وبعدما اندحرت الدولة فى الحرب رأى حكامها، زعماء حزب الاتحاد والترقى، أنهم خسروا المعركة نهائيا وأنه لا سبيل للمكابرة بل لا بد لهم من أن ينهجوا نهجاً جديداً وأن الخطوة الأولى هى أن يتواروا عن الأنظار، فعقدوا اجتماعاً قرر فيه ثمانية منهم مغادرة البلاد على اعتبار أنهم هم المسئولون الأوائل عن الحرب وعما أصاب الدولة من انهيار وأنهم إذا سلموا من أيدى أعدائهم فقد لا يسلمون من أيدى أبناء البلاد أنفسهم لأن الناس فى مثل هذه الحالات يحكمون بالعواطف وتسيطر عليهم الغوغائية.

وهؤلاء الثمانية هم: طلعت باشا رئيس الوزارة، أنور باشا وزير الحربية، أحمد جمال باشا وزير البحرية وقائد الحملة العثمانية على الجبهة المصرية والحاكم بأمره فى سوريا الكبري الممتدة من جبال طوروس إلى قناة السويس، عزمى بك وإلى بيروت، بدرى بك مدير شرطة استانبول، الدكتور ناظم بك والدكتور بهاء الدين بك من كبار رجالات الحزب ومدحت باشا أمين سر حزب الاتحاد والترقى.

فلما رأى طلعت باشا أن مدحت بك لا يرغب بالهجرة إلا مسايرة له قال له: إذا كنت لا ترغب بمغادرة البلاد فابق حيث أنت وأنا راض عنك فبقى وركب السبعة المذكورون، فى أوائل نوفمبر ١٩١٨، سفينة حربية ألمانية حملتهم إلى جزيرة

القرم التى كانت تحت السيطرة الألمانية، آنذاك، وهناك استقبلتهم السلطات الألمانية بالترحاب ووضعت تحت تصرفهم قطاراً يحملهم إلى برلين التى اختاروها داراً لهروبهم.

وكان هؤلاء الفارون، منذ أن غادروا استانبول، يتحدثون فيما بينهم بما يجب عليهم فعله، فكان طلعت باشا يرى أن حياتهم السياسية قد انتهت وأن المنطق يقضى عليهم بأن يعتزلوا السياسة ويعيشوا فى عالم المجهول فقد عملوا ما فيه الكفاية وأخطأوا من حيث أرادوا الخير والصواب.

وكان من رفاقه، ولا سيما المدنيين، من يرون رأيه وأما العسكريون وخاصة أنور باشا الذى كان مملوءاً شباباً وحماسة فإنه كان يرى غير ذلك ويفضل أن يغتنم ما بين روسيا والدول الغربية من عداء وأن يستثمر هذا العداء ويستمر فى القتال حتى تستطيع الدولة العثمانية أن تحتفظ بأكبر جزء ممكن من البلاد وأن تعقد صلحاً مشرفاً مع الأعداء.

ولما لم ير استعداداً من رفاقه للسير فى خطته فر خلسة من القطار، وهم فى طريقهم إلى برلين، وذهب إلى القفقاس حيث كان أخوه نورى بك يقاتل الروس، وكان يأمل إثارة مسلمى داغستان وأذربيجان وأن يقيم إمارة إسلامية فى تلك الربوع.

وبعد أن درس الوضع هناك ذهب إلى موسكو فاستقبله الروس استقبالاً حسناً وأنزلوه قصراً فخماً واتفق معهم على محاربة الإنكليز وحلفائهم ثم لحق به كل من أحمد جمال باشا وبدرى بك ولكنهما عادا إلى برلين، وجاء هو مرتين إلى برلين ليقنع رفاقه بالتعاون مع الروس ولكنهم أبوا ونصحوه باجتناب الشيوعيين لأنهم خداعون غدارون ولكنه لم يسمع لهم.

وأدرك أنور باشا بعد أن اختلط بالروس أنهم يخدعونه وأن الهوة بينه وبينهم عميقة جدا، فهو يريد أن يعيد إلى تركيا شأنها وإسلامها وهم يريدون أن يقضوا على هذه الدولة التى أزعجتهم كثيراً أو أن يبعدوها عن الإسلام على أقل تقدير وأنهم باستضافته والمفاوضة معه إنما أرادوا حجره فى روسيا لكى لا يزعج خطط مصطفى كمال الذى كان على اتفاق معهم واشترط عليهم ألا يمدوا أنور باشا

بالسلاح.

وكان الروس يدركون من ماضى الرجلين أن مصلحتهم مع مصطفى كمال وليست مع أنور باشا لا سيما وأن الإنكليز أيضاً كانوا يؤيدون مصطفى كمال.

بعد أن استيقن أنور باشا أن صداقة الروس كانت خداعاً وملقاً وأنه وقع فى شركهم، وقد تم قتله على أيديهم فى عام ١٩٢٢ م فى «الجوال» شرقى بخارى.

وحاول السلطان الجديد إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وعهد إلى الجنرال أحمد عزت باشا بالاتصال ببريطانيا وحليفاتها لعقد هدنة بين الطرفين، وأبرمت بينهما معاهدة مدروس فى (٣٠ من تشرين الأول ١٩١٨ م) وقد حققت بريطانيا فى هذه المعاهدة ما عجزت عن تحقيقه فى ساحات القتال أثناء الحرب العالمية الأولى.

فسيطرت بموجب بنود المعاهدة الجائرة على منطقة المضايق فى الدردنيل والبوسفور، وأمنت دخولها إلى البحر الأسود والخروج منه، وكانت هذه المناطق تحت سيطرة الدولة العثمانية، ولا تسمح بالتهاون فى شأنها أيام قوتها ومجدها كما ذكرنا من قبل.

وقبل أن ينقضى أسبوعان على توقيع المعاهدة كانت الأساطيل الحربية لبريطانيا وحلفائها تبحر مزهوة فى منطقة المضايق، واجتازت ستون سفينة حربية مضيق الدردنيل ثم بحر مرمرة ثم البوسفور أمام بصر القوات العثمانية التى التزمت بالصمت، فى حين أن العثمانيين كانوا قبل هذه المعاهدة قد ألحقوا هزائم مدوية بالأسطول البريطانى حين حاول اقتحام منطقة المضايق.

وألقت بعض القطع البحرية الغازية مراسيها فى ميناء استانبول فى (١٣ من تشرين الثانى ١٩١٨ م)، واحتلت القوات الأجنبية أحياء العاصمة العتيدة، وفرضت رقابة عسكرية صارمة على الميناء، وخضعت قوات الشرطة ومرافق العاصمة لسلطات الاحتلال.

وبدأ مصطفى كمال يعمل لنفسه وبدأ نجمه يلمع، بعد أن قاد الثورة ضد اليونانيين فى منطقة الأناضول وهى منطقة منيعة محصنة بالهضاب الوعرة،

واكتسبت حركة مقاومة الاحتلال اليونانى أنصاراً لها فى طول البلاد وعرضها.

ولما أجريت انتخابات جديدة فاز بالأغلبية أنصاره والمتعاطفون معه، ولم تلبث الحالة طويلاً حتى أن أقر هذا البرلمان الجديد الميثاق الوطنى الذى صاغه أنصار أتاتورك، ويتمثل فى الموافقة على أن تتسلخ عن جسم الدولة العثمانية الولايات غير التركية، والحفاظ على الأناضول متحرراً من كل نفوذ أجنبى باعتباره الموطن الأصلى للأتراك العثمانيين، وعلى إقليم تراقيا الشرقية، وعلى بقاء استانبول مقر الخلافة وعاصمة السلطنة.

ولم يكن أحد يعلم ما تنطوى عليه نفس أتاتورك من أفكار تسلطية، وكان حريصاً على ألا يظهر بمظهر الثائر على حكومة دولة الخلافة فى العاصمة فالتف الناس حوله باعتباره بطلاً قوميا ومخلصاً لهم من الاحتلال الجاثم على الصدور.

فكيف وصل مصطفى كمال إلى أهدافه؟

فقد كانت البداية أن أرسله السلطان وحيد الدين لقمع الثورة الشعبية فى الأناضول بعد الاحتلال البريطانى للدولة العثمانية وغضب الشعب من هذا الاحتلال، وأراد السلطان أن يكيد الإنجليز بمصطفى كمال فحدث عكس ما أراد لأن مصطفى كمال كان صنيعة الانجليز.

على إثر الاحتلال البريطانى لتركيا نشأت أحزاب وجمعيات كثيرة، لكن الساحة خالية من زعيم قوى يقود البلاد مما أعطى الفرصة لظهور مصطفى كمال بطل الدردنيل المزيف.

ذهب مصطفى كمال إلى «عزت باشا» يقنعه بتولى الحكومة على أن يكون هو وزيراً للحربية فيها بزعم قيادته لحركة المقاومة وطرد المحتل الأجنبى، وجمع حوله بعض النواب للمطالبة بحجب الثقة عن وزارة توفيق باشا التى قبلت معاهدة «مودروس» المهينة لتركيا ولكنه لم ينجح فى حجب الثقة عن الحكومة.

غضب مصطفى كمال من موقف النواب وتوعدهم بالقتل إذا صار الأمر إليه، وذهب إلى قصر السلطان وحيد الدين فاستقبله السلطان وعرض مصطفى كمال

عليه إقالة وزارة توفيق باشا وتأليف حكومة جديدة تستطيع التفاوض مع العدو مع توليتـه منصب وزارة الدفـاع فى تلك الوزارة الجـديدة، وطلب أيضـاً حل مـجلس النواب لأن نصف أعضائه من جماعة الاتحاد والترقى والنصف الآخر من الجبناء الذين يسعون لإنقاذ أنفسهم.

لكن السلطان رد عليه قائلاً:

- أنا أعرف أنك تتمتع بنفوذ قوى وشعبية واسعة فى الجيش، فهل تعتقد أن الجيش ما زال مخلصاً لى؟

فرد عليه مصطفى كمال قائلاً:

- إنى لم أعد إلى العاصمة إلا منذ فترة قصيرة ولم تتح لى الفرصة للاطلاع على حقيقة الموقف.

ثم أضاف: هل لدى جلالتكم أى دلائل على عدم ولاء الجيش؟

فرد عليه السلطان: على كل حال إنى أعتمد عليك من أجل استخدام نفوذك للإبقاء على هذا الولاء.

فـرد عليـه: نعم تسـتطيع الاعتـمـاد علىَّ فى هـذا السـبـيل، ولكننى ألح على عظمتك بأن تغير اهتمامك لما ابتديته بشأن هذه الحكومة.

واستجاب السلطان لمطلب مصطفى كمال وأصدر فرماناً بإقالة الوزارة وحل البرلمان[1]!!

وقام السلطان بإسناد رئاسة الوزارة الجديدة لصهره «الداماد فريد» وهو رجل الإنجليـز أيضـاً لكنه من أنصـار مـصـطفى كـمـال ودخل الوزارة الجـديدة ثـلاثة من أصدقاء مصطفى كمال هم عصمت وفوزى ورؤوف.

لكن مـصـطفى كمـال غـضب على هـذه الوزارة لأنه لم يكن وزيراً للدفـاع فيـها كما أراد، فقد كـان هدفه الأسمى الوصول إلى كـرسى الوزارة ثم رئاسـتها ثم حكم البلاد، ولهذا غضب حين أعلنت تشكيل الوزارة بدونه.

(١) انظر ذئب الأناضول - مصطفى الزين بتصرف واختصار.

وكان السبب الرئيسى فى عدم وجوده فيها خوف السلطان منه، فقد أيقن السلطان منذ مرافقة مصطفى كمال له فى رحلته لألمانيا قبل جلوسه على العرش أنه رجل طموح وخطر جداً وإذا تولى أى منصب وزارى سوف يصل إلى كرسى العرش.

وفى بداية عام ١٩١٩ م نشبت الخلافات بين الحلفاء المنتصرين أثناء تحضيرهم لمؤتمر الصلح فى باريس «فرساى»، فالكل يتصارع للحصول على أكبر قدر من المكاسب من تركة الرجل المريض (الدولة العثمانية)، وأدى ذلك إلى ظهور جمعيات سرية لمقاومة الاحتلال الأجنبى لأراضى الدولة التركية.

وبالفعل ظهرت حركات مقاومة فى الجبهة الشرقية فى جبهة القفقاس، واعتقل الإنجليز الكثير من هؤلاء المقاومين.

وقام مصطفى كمال بتشجيع تلك الجمعيات الثورية المقاومة للاحتلال وذلك لإحراج الحكومة والسلطان مع الانجليز.

ومع تعاظم حركة المقاومة الشعبية فى داخل تركيا وخاصة فى الأناضول، قرر الإنجليز وقف حد لهذه المقاومة وثم عقد اجتماع فى قصر «يلدز» ضم السلطان والمندوب السامى البريطانى ورئيس الوزراء «الداماد فريد» لاتخاذ اللازم لوقف حد هذه المقاومة الشعبية المسلحة.

وفى هذا الاجتماع عرض رئيس الوزراء وصديق مصطفى كمال اسم صديقه مصطفى كمال لتولى قيادة القوات الحكومية التى تتصدى لهذه المقاومة الشعبية التى ثارت ضد المحتل الإنجليزى.

لكن السلطان رفض تولى مصطفى كمال هذه المهمة بوصفه رجلاً طموحاً يسعى إلى السلطة لكن رئيس الوزراء أصر على تعيين مصطفى كمال وقال له: إن مصطفى كمال هو الرجل الوحيد فى كل تركيا القادر على القيام بهذا الدور، فلا يستطيع إخضاع الملحد سوى الشيطان(١).

وكان رأى رئيس الوزراء فى اختيار مصطفى كمال لهذه المهمة كونه عدواً

---

(١) المصدر السابق.

لدوداً لجماعة الاتحاد والترقى، وأن الاضطرابات والثورات الناشئة عن وجود قوات احتلال فى تلك المناطق وراؤها رجال الاتحاد والترقى، وأنه القادر على قمع الثوار مع تمتعه بشعبية فى أوساط الجماهير والجيش.

وبالفعل وافق السلطان على إرسال مصطفى كمال إلى المنطقة الشمالية حاكماً مطلق الصلاحية على الولايات الشرقية وأعطاه المال اللازم لأداء مهمته مع المحافظة على السلطنة والخلافة أى أن عمله لصالح السلطان والخلافة العثمانية.

وشعر مصطفى كمال أن الفرصة التى ينتظرها قد حصل عليها فأبحر إلى المنطقة الشرقية فور وصول الأمر السلطانى مصطحباً معه صديقين «عارف» و«رأفت» وكانت خطته قائمة على إقناع أهل الأناضول أنه قادم كمندوب من السلطان لإنقاذهم من المحتلين الكفار وتنظيم مقاومتهم لهم.

وأما ما كان يضمره فقد صرح به لصديقيه قائلاً:

إن وحيد الدين لم يعد يهمه سوى أمر واحد وهو إنقاذ حياته وتأمين راحته الشخصية وكذلك رئيس حكومته، وأن الشعب متلهف لبروز قائد ينقذه من هذه المحنة التى تلف البلاد بليلها الحالك الدامس[1].

ووصل مصطفى كمال إلى «سامسون» الواقعة تحت الاحتلال البريطانى، وكانت القوات اليونانية بإيعاز من الاحتلال الإنجليزى قد قامت بالهجوم على «أزمير» واحتلوها والقرى الصغيرة المجاورة لها حتى إنهم استولوا على «مانيزيا» و«إيدين» وارتكبوا المذابح الرهيبة الذى ذهب حينها الآلاف من الأهالى المدنيين.

وشعر مصطفى كمال أن الفرصة قد لاحت له لإظهار بطولة كما حدث في الدردنيل، وكان الإنجليز من وراء جزّ اليونان لتلك المعارك لتلميع البطل وإعداده للحكم، وكان قد انتقل من «سامسون» إلى «أماسيا» واتصل بأصدقائه من القادة العسكريين للتصدى للقوات اليونانية، وتلقى ردّاً على برقياته التب بعثها إلى القواد العسكريين من الجنرال «كاظم قرة بكير» قائد جيش القفقاس والجنرال جعفر الطيار قائد جيش «أدرنة» والجنرال عدنان قائد جيش قونية وهؤلاء هم كبار القادة.

(١) المصدر السابق.

وأخذ مصطفى كمال يدعو الشعب إلى الجهاد المقدس ضد قوات الاحتلال باسم السلطان العثمانى وتم تأليف جمعية مقاومة فى كل مدينة وقرية على نظام حرب العصابات تتلقى أوامرها من القيادة العليا للجيش الوطنى.

وجن جنون السلطان وأرسل إليه يطلب منه العودة فجاء الرد منه فى برقية أرسلها إليه نصها:

«لن أذهب إلى اسطنبول وسأبقى فى الأناضول حتى تتحرر البلاد من الاحتلال ويستعيد الشعب حريته وكرامته».

فأصدر السلطان فرماناً بعزله من القيادة والحكم عليه بالإعدام لعصيانه الأوامر السلطانية العسكرية.

لكن مصطفى كمال استمر فى ثورته واجتمع بالقادة الأربعة فى «أماسيا» وخلص الاجتماع إلى دعوة الشعب إلى حمل السلاح وإعلان الجهاد وخوض حرب العصابات لطرد المحتلين مع تكوين حكومة مستقلة داخل الأناضول تقود هذه الثورة الشعبية وتقرر عقد المؤتمر الوطنى فى مدينة «سيواس».

لكن مصطفى كمال اجتمع بمناصريه العسكريين وعرض عليهم الأمر وطلب منهم إطاعته دون اعتراض أو مناقشة والاستمرار فى الثورة التى دعا إليها وحمل السلاح فى وجه العدو، فاشترط الحاضرون عليه ألا يقدم على أمر يؤذى السلطان وأن يكون كفاحهم تحت راية السلطان وحماية للدولة العثمانية وخلافتها الإسلامية فوافق مصطفى كمال على شروطهم.

وتم انتخابه قائداً وزعيماً للثورة فى الأناضول وهو يضمر فى نفسه أن يقضى على الحكومة فى استانبول وكذلك على السلطان الذى عزله وحكم عليه بالإعدام.

وأبرق إلى قادة الثورة فى جميع المناطق لعقد اجتماع عام فى «ارزروم» فى ٢٣ يونيو عام ١٩١٩ م وفى هذا المؤتمر شرح فيه خطة عمله وانتهى المؤتمر على تكوين حكومة مؤقتة يكون على عاتقها تحرير الأراضى التركية المحتلة وأن الإرادة الشعبية هى المصدر الأساسى للسلطة العليا المحركة للثورة، وعدم منح الأقليات

غير العثمانية أى امتيازات أو حقوق تضر بسيادة الأمة التركية ورفض الوصاية والحماية الأجنبية.

ورغم صدور «فرمان» بالقبض على مصطفى كمال وإرساله إلى اسطنبول إلا أن قادة الجيش وعلى رأسهم «كاظم قره بكير» لم ينفذوا هذا القرار السلطانى وتعاطفوا معه بوصفه قائد الثورة والمنقذ للبلاد.

واستطاع مصطفى كمال أن يصل إلى «سيواس» لحضور المؤتمر الوطنى العام فى ٤ سبتمبر عام ١٩١٩ رغم محاولات السلطة والشرطة من إلقاء القبض عليه واعتقاله.

وألقى كلمة الافتتاح فى هذا المؤتمر وتم انتخابه رئيساً للمؤتمر.

وحاولت الحكومة فى اسطنبول إلقاء القبض على مصطفى وأعوانه بواسطة الأكراد إلا أن تلك المحاولة فشلت حيث هاجم مصطفى كمال وفرقة من الجيش المنضمة إليه بقتال الأكراد وهزيمتهم، مما رفع من أسهمه كقائد وزعيم وتم تشكيل حكومة وطنية مستقلة تم انتخابه رئيساً لها وأرسلوا إلى السلطان برقية يطلبون فيها عزل رئيس الحكومة «الداماد فريد» لكونه المحرض للأكراد على الإغارة على المؤتمر وطالبوا من السلطان إجراء انتخابات برلمانية حرة.

وعلم مصطفى كمال أن برقيته للسلطان لم تصل إليه حيث حجبها عنه وزير الداخلية «عادل بك» فأرسل برقية أخرى إلى وزير الداخلية يتوعده بالانتقام منه حيث جاء فيها:

«أيها المجرمون الجبناء لقد منعتم الشعب من إيصال صوته إلى السلطان، فإلى متى ستمضون فى التآمر مع العدو ضد الوطن؟ إننى أعلم جيداً أنكم عاجزون عن فهم قوة الأمة وإرادتها، ولكننى لم أكن أتصور أن تصل بكم النذالة إلى حد أن تصبحوا خونة وجلادين للشعب.

فكروا جيداً بتصرفاتكم الدنيئة، واعلموا بأن الشعب سيحاسبكم حساباً عسيراً على خيانتكم وتآمركم وعندما ستسمعون قريباً أن عملاءكم هنا قد بدأوا

يرفعون رؤوسهم ثمناً لأوامركم المجرمة فاعلموا أن حياتكم قد اقتربت أيضاً من نهايتها»(١).

ويتضح من الرسالة مدى ثورته على نظام الحكم والدولة وإن وضع فى حساباته قتل أعدائه حين يتمكن منهم وقد بدأ فى تنفيذ ذلك بالقضاء على الأكراد الذين ظن أن رئيس الوزراء كلفه بالقبض عليه وعلى أعضاء المؤتمر.

وأصدر مصطفى كمال أوامره بعزل الأناضول عن العاصمة وقطع المواصلات السلكية واللا سلكية معها وبالتالى تحصيل الضرائب والإيرادات وغيرها إلى «سيوارس» وطرد جميع الموظفين الحكوميين منها وبالتالى إعلان ثورة مسلحة على السلطان نفسه.

وأمام هذا التمرد والعصيان الذى أعلنه مصطفى كمال ومعه بعض من قواد الجيش والجماهير التى تريد المقاومة وطرد الاحتلال الانجليزى لبلادهم أرسل السلطان وحيد الدين أحد قادة الجيش السابقين «كريم باشا» للتفاوض مع مصطفى كمال.

ولم تفلح محاولات السلطان من إيقاف ثورة مصطفى كمال وفشل كريم باشا وهو أستاذ سابق لمصطفى كمال فى المدرسة العسكرية أن يجعله يعدل عن خططه الثورية على السلطان.



(١) المصدر السابق.

تدخل الولايات المتحدة لصالح مصطفى كمال وثورته

وكان مصطفى كمال وأعوانه قد رأوا أن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تكون وسيلة ضغط على القصر والإنجليز وأنها القوة السياسية والعسكرية العالمية القادمة ولا سيما أن تدخلها فى الحرب العالمية الأولى لصالح الحلفاء رجح ميزان الحرب لصالح الإنجليز وحلفائها، فتم الاتصال بالأمريكان الذين وجدوا أن ثورة مصطفى كمال فرصة سانحة للتدخل وإيجاد موضع قدم لهم فى تلك المنطقة الهامة فى العالم.

وأرسلت الحكومة الأمريكية لجنة برئاسة الجنرال «هاربورد» إلى «سيواس» للتفاوض مع مصطفى كمال ورفاقه.

وبالفعل قابل «هاربورد» مصطفى كمال وجرت بينهما مفاوضات واتفاقات على أن تساعد أمريكا الثورة الكمالية والمقابل بالطبع سوف يتضح فيما بعد وهو إلغاء الخلافة الإسلامية والنظام الملكى فى الدولة ورسم حدود جديدة للدولة التركية العلمانية.

وعاد «هاربورد» إلى اسطنبول ليقابل السلطان وحيد الدين وطلب منه الاستجابة لمطالب الثورة وأول هذه المطالب إقالة رئيس الوزراء «الداماد فريد» وحكومته، فاستجاب السلطان وأقال الحكومة فى ٢ أكتوبر عام ١٩١٩ م.

وتم تشكيل حكومة برئاسة على رضا وتم الإعلان على إجراء انتخابات جديدة وبذلك حقق مصطفى كمال ما أراد وكان ذلك انتصاراً جديداً له نحو كرسى الحكم.

وفى الوقت نفسه وضعت بريطانيا المدن التركية المحتلة تحت الانتداب كما

فعلت فى الدول العربية والإسلامية التى كانت محتلة من قبلها وذلك لإشعال الثورة فى تركيا ومساعدة مصطفى كمال لإيجاد مبرر قوى لثورته.

لقد اقتضت سياسة صناعة البطل أن يكون مصطفى كمال فى هذا الوقت هو البطل صنيعة الاستعمار الجديد وهو الاستعمار الأمريكى الناشئ، أما الاستعمار الإنجليزى فقد دأب على إيجاد بطل قومى من ورق لا يستمر طويلاً كما فعلوا من قادة الاتحاد والترقى الذين ظنوا أنهم ملكوا البلاد والعباد بالفعل ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فحطمت أحلامهم من إعادة تكوين الإمبراطورية العثمانية على أسس جديدة.

وفى الحقيقة أن الذى حطم أحلام أنور وطلعت وجمال وغيرهم من قادة الاتحاد والترقى هو مصطفى كمال ومن ورائه الحكومة الأمريكية فى ذلك الوقت.

فقد دأب الأمريكان منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين على إزاحة الإنجليز من على الساحة الدولية كزعيمة تقليدية استعمارية، وفكانت بريطانيا تختار زعامات تقليدية تقوم بتمويلها وتشجيعها ثم تقوم المخابرات الأمريكية فى المقابل فى إيجاد زعماء آخرين حتى أصبحت الولايات المتحدة هى زعيم العالم(١).

وما يحدث قديماً من صناعة زعيم أو بطل قومى من المخابرات الأمريكية وغيرها يحدث الآن فى بلادنا من إيجاد زعيم يضطهده الحاكم أو الملك وقد يتم سجنه فيصبح فى نظر وأعين الناس أو الشعب بطلاً كى يحل محل الحاكم المستبد ثم ينفذ المخطط الذى رسم له ويصبح هو حاكماً مستبداً آخر، لأن الدول الكبرى قد حكمت على الدول الصغرى بألا ترى الديمقراطية والحرية(٢).

هكذا بدأت الخطوة الأخيرة نحو كرسى الزعامة فى تركيا لمصطفى كمال حين تدخلت أمريكا لحمايته من بطش السلطان والإنجليز ووضعه تحت حمايتهم وإجبار السلطان على تنفيذ مطالبه وأطلق على ثورته الثورة الكمالية وأتباعه فى

(١) اقرأ كتابنا من يحكم العالم سرّاً؟ ففيه المزيد والمفيد عن هذا الموضوع، الناشر دار الكتاب العربى.

(٢) اقرأ كتابنا «أصحاب البروج فى مواجهة أصحاب الكهوف» الناشر دار الكتاب العربى.

تركيا والوطن العربى بالكماليين.

فقد أدى الإنجليز دورهم فى صناعة مصطفى كمال وتقديمه إلى الشعب التركى والعربى أيضاً وجاء الدور الأمريكى ليحصد ما زرعه الإنجليز والغرب الصليبى فالكل مستفيد من سقوط الدولة العثمانية كإمبراطورية إسلامية لكن وجودها كدولة تفصل بين الدولة الشيوعية الروسية الجديدة أمر لا بد منه شريطة أن تكون الدولة علمانية تحارب الإسلام وهو ما حدث حين تولى مصطفى كمال الحكم فيما بعد.

فقد كانت اللعبة السياسية للقضاء على الخلافة العثمانية الإسلامية لبلاد المسلمين تستدعى صناعة زعيم يلتف حوله الناس ويستوجب وجود هذا الزعيم أعوان من المثقفين مستغربين بثقافة غير إسلامية يرجون لأفكار الغرب وبفصل الدين عن الدولة وعن السياسة بكل الوسائل والحجج، وحين وقع اختيارهم على مصطفى كمال لكون أصله غير تركى بل يهودى مشكوك فى نسبه كما ذكرنا وذكر أيضاً كل من أرخ سيرته وعاصره مثل رجل المخابرات الانجليزى وصديقه «أرمسترونج» وكذلك حب مصطفى كمال للزعامة والرئاسة وميله للعنف والقتل.

أما قادة الاتحاد والترقى فكان فيهم بعض النخوة التركية والإسلامية فكان دورهم هو جرُّ الدولة التركية لحرب طاحنة عالمية يقوم فيها مصطفى كمال بتسليم فلسطين وبلاد الشام للإنجليز، إضافة إلى دورهم الهام والأول وهو عزل السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٩٠٩ م.

وصناعة الزعيم ابتدعها وأوجدها الغرب الصليبى كى يصل إلى أهدافه دون احتلال أراضي الغير فى حالة عدم استطاعته الاستعمار العسكرى أو بعد الاحتلال العسكرى كما حدث فى كل الدول التى وقعت تحت الاحتلال الأجنبى العربية وغيرها، حيث أوجد الاستعمار زعماء موالين له يعملون لحسابه يحاربون الإسلام بالتغريب والعلمانية.

وكان من تجارب الاستعمار القديم فى صناعة الزعيم حين أوجد الإنجليز زعيماً لمصر عقب الاحتلال الفرنسى فأوجدوا محمد على وجعلوه والياً حارب

الدولة العثمانية وحارب المسلمين فى الجزيرة العربية وكل مكان واستمر حكمه وحكم أولاده لمصر سنوات طويلة.

فلما قامت الثورة الشعبية بقيادة أحمد عرابى قام الإنجليز باحتلال مصر لمساعدة الوالى الخائن ومن جاء بعده من حكم البلاد حتى انتهى حكمه.

وللمخابرات الأمريكية قدرة عجيبة فى معرفة الرجال الذين يصلحون ليكونوا زعماء من ورق يدينون للولاء للغرب الصليبى ويكونوا طغاة أكثر طغياناً من الاستعمار نفسه.

فصناعة الطاغية تشترك فيها أجهزة الاستخبارات الغربية الصليبية والقابلة للطغيان من الزعماء الطغاة ومشاعر الدونية لدى هذا الطاغية كما هو الحال لهؤلاء الزعماء صنيعة المخابرات الأمريكية والغربية أمثال مصطفى كمال وثورته الكمالية ذلك الصنم الذى ما زال يحكم تركيا حتى الآن رغم هلاكه عام ١٩٣٨ م، ولأنه صنم سوف يأتى اليوم الذى يتحطم فيه وتلقى بتعاليمه التى يحرسها العسكر فى سلة مهملات التاريخ.

وقد بدأت مبشرات اندحار العلمانية الغربية الكافرة فى تركيا فى السنوات الأخيرة رغم المعارضة من أنصار أتاتورك من العسكر والسياسيين لها.

المهم أن التدخل الأمريكى أتى ثماره بإجراء انتخابات برلمانية نجح أنصار مصطفى كمال (الكماليون) ونجح هو بعضوية البرلمان عن «أرزوم» وافتتح البرلمان بأغلبية الكماليين فى ١٩ يناير عام ١٩٢٠ م واقترح مصطفى كمال على النواب أنصاره أن يتم اتخاذ قرار بفصل مقر البرلمان من اسطنبول إلى أنقرة كى يبتعدوا عن السلطان إلا أنهم لم يوافقوه على ذلك حتى لا يدخلوا فى صدام مبكر مع السلطان.

فقد أراد مصطفى كمال هذا الصدام المبكر مع السلطان مستعجلاً الأحداث للوثوب إلى الحكم وعزل السلطان وتنفيذ المخطط الغربى بإلغاء الخلافة والسلطنة العثمانية التى أوشكت على النهاية.

وأراد نواب البرلمان الالتفاف حول السلطان بوصفه القائد الشرعى للبلاد لمواجهة الأزمة التى تمر بها البلاد من احتلال وسوء الأحوال الاقتصادية ما أثار غضب مصطفى كمال عليهم ولم يحضر جلسة انعقاد البرلمان وأراد من النواب أنصاره أن يتم انتخابه رئيساً للبرلمان غيابيا فلم يوافقوه أيضاً وبقى هو فى أنقرة ثائراً يحشد الحشود لاستكمال أهدافه نحو الحكم.

وفى تلك الأثناء قام اليونانيون بإيعاز من الإنجليز بمهاجمة واحتلال «أزمير» التركية فقدم رئيس الوزراء على رضا استقالته فى مارس عام ١٩٢٠ م وتألفت وزارة جديدة برئاسة صالح باشا وزير الحربية الأسبق.

ولكنَّ النواب الكماليين بإيعاز منه حجبوا الثقة عن الحكومة الجديدة فقامت قوات الاحتلال الإنجليزى باحتلال العاصمة اسطنبول ومحاصرة مجلس النواب واعتقال معظم أعضائه، وعاد الصراع من جديد يتزعمه البطل الوهمى ومواجهة مع القوات اليونانية فى أزمير ثم مع السلطان الذى أعاد صهره «الداماد فريد» لرئاسة الوزراء.



صحوة السلطان وثورة الصنم

أصبح للذئب أنياب حادة واحتدم الصراع الدموى بينه وبين السلطان الذى لم يجد له أنصاراً أو قوة تدافع عنه فى الجيش العثمانى، وتكررت أحداث خلع السلطان عبد الحميد الثانى فى عام ١٩٠٩ م وتكرر ما حدث من فتنة أهلية بين أبناء الشعب الواحد عام ١٩٢٠، فلم يدم الصلح بين السلطان ومصطفى كمال وأعوانه طويلاً تماماً كما حدث مع السلطان عبد الحميد الثانى وأعضاء الاتحاد والترقى.

قامت ثورة مضادة من السلطان وأعوانه من الشعب التركى والقادة السياسيين ضد ثورة مصطفى كمال التى أطلق عليها الثورة الكمالية وصدرت الفتوى من شيخ الإسلام باعتبارهم خارجين على الدين أى كفرة وقام الأهالى بإشعال ثورة شعبية عارمة ضدهم وقاموا بإعدام بعض الضباط الموالين لمصطفى كمال بواسطة الأهالى كما حدث فى «قونية»(١).

وكون الخليفة جيشاً عرف بجيش الخليفة لمواجهة جيش الكماليين واستطاع هذا الجيش تحرير عدد كبير من المدن والقرى.

وتوقف زحف الجيش السلطانى على أنقرة للقضاء على مصطفى كمال واتجه الجميع للدفاع عن البلاد ضد الغزو اليونانى.

وكما حدث فى «الدردنيل» من صناعة البطل بواسطة الإنجليز، تكرر فى معركة تحرير أزمير من اليونان حيث ترك الانجليز اليونانيين يواجهون الهزيمة بمفردهم فى مواجهة مصطفى كمال والجيش الذى التف حوله.

فقد استطاع مصطفى كمال من وقف زحف جيش السلطان، وهاجم بعض قوات فرنسية وإنجليزية لا قيمة لها من أهمية الموقع الذى يحتلونه أو عددهم،

---

(١) انظر الذئب الأغبر ـ مصدر سابق.

واحتفظ ببعض الرهائن منهم لتحرير أعوانه النواب المعتقلين لدى السلطان والإنجليز، فحقق انتصارات وهمية استطاع الاستفادة منها وتقوية مركزه وشعبيته حيث رأت الجماهير فيه البطل المنتصر.

وانتشرت أنباء انتصاراته بسرعة البرق، وقامت التظاهرات الشعبية العارمة فى كل مدينة وقرية تهتف بحياة «منقذ الوطن» فما كان منه إلا أن اغتنم فرصة هذا التأييد الكاسح قبل أن تخبو جذوته، فأصدر منشوراً بالدعوة إلى انتخاب برلمان جديد يكون مركزه هذه المرة «أنقرة» ويطلق عليه اسم «الجمعية الوطنية الكبرى» وأصدر بياناً جاء فيه:

«إلى جميع الولايات والأقضية المستقلة.

إلى جميع القادة العسكريين الذين يحكمونها.

إن احتلال العاصمة من قبل قوات الحلفاء قد زعزع أسس الدولة وشل سلطاتها التشريعية والقضائية والتنفيذية. كما أن مجلس النواب المنحل قد وجه إنذاراً إلى الحكومة يحملها فيه جميع المسؤوليات الناتجة عن تصرف قوات الاحتلال.

أمام هذا الوضع، ومن أجل البحث فى الوسائل الكفيلة بصيانة سلامة العاصمة واستقلال الأمة وإنقاذ الوطن، فقد أصبح من الضرورى إجراء انتخابات نيابية جديدة، ودعوة ممثلى الأمة الذين سيفوزون فى هذه الانتخابات إلى عقد اجتماع فى أنقرة يتخذ صفة «الجمعية الوطنية الكبرى».

وذلك وفقاً للمبادئ التالية:

١ ـ إن «الجمعية الوطنية الكبرىٰ» التى ستلتئم فى أنقرة ستكون مزودة بالصلاحيات المطلقة لإدارة مصالح البلاد والإشراف عليها.

٢ ـ إن المرشحين لعضوية هذه الجمعية يجب أن تتوافر فيهم الشروط اللازمة لاكتساب صفة النائب.

٣ ـ إن الانتخابات ستجرى بحسب نظام الألوية، وسيتمثل كل لواء بخمسة نواب.

٤ ـ إن الانتخابات ستجرى فى يوم واحد فى جميع المناطق.

٥ ـ من حق جميع المنظمات الوطنية أن تقدم مرشحين عنها. كما يحق لكل من يأنس من نفسه الجرأة على مجابهة الموقف أن يرشح نفسه انفراديا.

٦ ـ تجرى الانتخابات تحت إشراف أرفع الموظفين رتبة فى كل لواء.

٧ ـ تجرى الانتخابات بواسطة الاقتراع السرى، ويعتبر فائزاً كل من يفوز بالأكثرية المطلقة من الأصوات.

٨ ـ على النواب الفائزين أن يتوجهوا فوراً إلى أنقرة بعد إعلان النتائج.

(أنقرة فى ١٩ آذار (مارس) ١٩٢٠)

التوقيع

مصطفى كمال(١)

وجرت الانتخابات وفقاً للمبادئ المحددة فى المنشور أعلاه، وبعد إعلان النتائج أخذ النواب الفائزون يتدفقون على أنقرة، فعقد معهم مصطفى كمال اجتماعاً تمهيديّا تقرر فيه أن تلتئم «الجمعية الوطنية الكبرى» فى أول اجتماع لها يوم الجمعة فى الثالث والعشرين من شهر مايو. وعلى الأثر توجه مصطفى كمال إلى مركز التلغراف وأرسل البرقية التالية:

«إلى جميع القادة العسكريين وحكام المناطق والأقضية ورؤساء البلديات ولجان المقاومة:

١ ـ فى الثالث والعشرين من شهر أيار (مايو) الجارى، وبعد صلاة الجمعة، تعقد «الجمعية الوطنية الكبرى»، بعون الله أول اجتماع لها فى أنقرة.

٢ ـ بما أن افتتاح «الجمعية الوطنية الكبرى» يصادف يوم الجمعة، فعلى جميع النواب والشخصيات الوطنية أن يحضروا إلى المسجد الكبير فى أنقرة حيث ستتلى آيات القرآن الكريم وتقام الصلاة فى هذا اليوم المقدس.

(١) انظر ذئب الأناضول ـ مصدر السابق.

وبعد الصلاة يتوجه النواب إلى مبنى «الجمعية الوطنية الكبرى» حيث يرفع العلم فوق ساريته وتذبح الخراف وفقاً لتقاليد الأضحى الإسلامية.

٣ ـ تأكيداً لعظمة هذا اليوم المقدس يتوجب على جميع حكام الأقضية والألوية أن يدعوا الناس للصلاة فى المساجد، حيث تتلى السيرة النبوية وتتلى آيات الذكر الحكيم.

٤ ـ على جميع أئمة المساجد أن يضمنوا خطبة الجمعة دعوة المواطنين إلى حمل السلاح من أجل تحرير الوطن من الأعداء الغاصبين وقواتهم المحتلة، والتقيد بأوامر «الجمعية الوطنية الكبرى» عندما تدعوهم لتلبية نداء الواجب.

وبعد انتهاء الصلاة تتلى سيرة المولد النبوى.

٥ ـ حال تسلمكم هذه البرقية عليكم أن تبادروا فوراً إلى تعميمها على جميع المدن والقرى التابعة لإداراتكم مهما كانت نائية وبعيدة...

٦ ـ نرجو الله أن يوفقنا جميعاً إلى ما نصبو إليه إليه من عزة وكرامة ومجد.

أنقرة فى ٢١ (أبريل) ١٩٢٠

التوقيع

مصطفى كمال[١]

وفى الثانى والعشرين من شهر مايو وعشية افتتاح «الجمعية الوطنية الكبرى» وجه مصطفى كمال البرقية التالية:

«أنقرة فى ٢٢/ ٥/ ١٩٢٠

برقيةغير قابلة للتأخير دقيقة واحدة تحت طائلة المسؤولية الكبرى.

إلى جميع الولايات والأقضية المستقلة.

إلى جميع أفراد القوات المسلحة.

إلى الكولونيل «رأفت بك».

(١) المصدر السابق.

إلى صاحب السعادة الجنرال «على فؤاد باشا» قائد الجيش العشرين.

إلى الكولونيل «بكر سامى بك» قائد الفرقة السادسة والخمسين.

إلى الكولونيل «كاظم بك» قائد الفرقة الواحدة والستين.

بما أن «الجمعية الوطنية الكبرى» ستفتتح، بعون الله، غداً الجمعة فى ٢٣ أيار (مايو) الجارى، وتبدأ مباشرة صلاحياتها اعتباراً من هذا التاريخ، فعليكم أن تأخذوا علماً بذلك، وأن تعلموا الشعب بأسره أن جميع السلطات العسكرية والمدنية تعتبر خاضعة منذ هذا اليوم لأحكام «الجمعية الوطنية»، وأن جميع شؤون البلاد قد أصبحت منوطة بها.

التوقيع

مصطفى كمال(١)

وفى الثالث والعشرين من شهر مايو، افتتحت «الجمعية الوطنية الكبرى» فى أنقرة وفقاً للمراسم التى حددها مصطفى كمال، وعقد النواب أول اجتماع فانتخبوا لجنة تنفيذية أطلقوا عليا اسم «الحكومة الوطنية المؤقتة»، وانتخب مصطفى كمال بالإجماع رئيساً لـ «الجمعية الوطنية الكبرى والحكومة المؤقتة». وعلى الفور وجه مصطفى كمال البرقية التالية إلى سفراء الدول الكبرى فى اسطنبول، وإلى ممثلى قوات الاحتلال، وإلى رؤساء وفود مؤتمر الصلح فى باريس:

«إن الجمعية الوطنية الكبرى الملتئمة فى أنقرة قد قررت فى بدء دورتها الحالية أنها وحدها السلطة الشرعية التى لها حق الإشراف على شؤون البلاد طالما أن العاصمة واقعة فى قبضة الاحتلال. وهى لا تعترف بأى سلطة فوق سلطتها.

وقد انتخبت لجنة تنفيذية اتخذت صفة الحكومة المؤقتة لإدارة شؤون الدولة. وبما أن السلطان والحكومة المركزية هما الآن سجينا قوات الاحتلال، فإن جميع الأوامر الصادرة عنهما ليس لها أى صفة شرعية بأنها لا تمثل إرادة الشعب الذى

---

(١) المصدر السابق.

انتهك حريته وسلامة وطنه.

إن الأمة التركية، رغم تذرعها بالصبر والروية، فهى مصممة على التمسك بحقوقها، ولن ترضى بغير السيادة والاستقلال والتأمين.

وهى ترغب فى عقد صلح عادل ومشرف مع «الحلفاء»، ولكنها لن تقوى إلا بواسطة ممثليها الشرعيين الذين تنتدبهم لهذه الغاية.

التوقيع

مصطفى كمال

رئيس الحكومة التركية المؤقتة

وما أن وصلت برقية مصطفى كمال إلى وفود مؤتمر الصلح فى باريس، حتى أعلن «اللورد كورزون»، وزير الخارجية البريطانية، أن حكومته ترفض التفاوض مع ممثلى «رئيس عصابة من قطاع الطرق يدعى مصطفى كمال[1]».

هكذا تلاحقت الأحداث جميعاً لصالح مصطفى كمال حتى إن المسرحية الإنجليزية من رفض التفاوض مع مصطفى كمال انتهت بالتفاوض معه بعد أن أصبح رئيساً رسمياً للبلاد وحصل الإنجليز منه على ما يريدونه كما سيأتى بيانه إن شاء الله.

■■■

(١) المصدر السابق.

الخطوات الأخيرة لإلغاء السلطنة وحكم السلاطين العثمانيين

- مصطفى كمال وحرب الاستقلال خطوة أخيرة نحو إلغاء الملكية.
- إلغاء السلطنة وهروب السلطان وعقد معاهدة «لوزان».
- موقف الدول الغربية والدول العربية والإسلامية من الثورة الكمالية.

10

مصطفى كمال يقود حرب الاستقلال كخطوة أخيرة لإلغاء الحكم الملكى العثمانى

بعد الانتصارات الوهمية التى حققها مصطفى كمال على اليونان واستطاع إيقاف الجيش من القضاء عليه وثوراته، وأصبح له حكومة يتزعمها ومجلس نواب فى أنقرة، لم يمكن له رسميا من التحدث أمام العالم ومؤتمر الصلح باسم تركيا، فقد كان للبلاد حكومة أخرى معترف بها رسميا ودوليا فى اسطنبول وهناك أيضاً السلطان العثمانى.

فالبلاد ما زالت منقسمة بين أنصار السلطان ومصطفى كمال وثورته.

وما كان للاستعمار الغربى أن يحقق ما يريد إلا إذا استطاع مصطفى كمال من القضاء على السلطان الذى يتمتع بالتأييد الشعبى بوصفه خليفة وسلطاناً للمسلمين.

وكان لزاما على الإنجليز والأمريكان أن يدعموا البطل الوهمى الذى صنعوه بثورة أخرى يطالب فيها بالاستقلال وإجلاء المحتلين حتى يحوز حب الجماهير ويلتف حوله الجيش وهذا ما حدث بالفعل.

فقد قام رؤساء الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى من وضع خريطة لدولة تركيا ثم انتقاص مدن كثيرة منها، حيث انتزع القسم الشرقى وإعلانه دولة مستقلة للأرمن ثم جزء آخر من الدولة التركية أكراد جنود الدولة الأرمنية، وأعطيت مدينة كيليكا لفرنسا وأعطيت إيطاليا المناطق الواقعة جنوب غرب الأناضول.

وأعطيت اليونان أزمير وغرب الأناضول وأخضع الدردنيل والبوسفور للرقابة

الدولية، أى أن تركيا أصبحت لا وجود لها ولم يبق لها سوى قطعة أرض صغيرة تبلغ مائة وعشرين ألف كيلومتر مربع لا أهمية لها.

وتم صياغة ما توصل إليه الدول الكبرى فى معاهدة سيفر فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ فى مدينة سبيفر قرب باريس.

معاهدة سيفر وتسمى أيضاً معاهدة الصلح قبلت بها تركيا العثمانية فى ١٠ أغسطس عام ١٩٢٠ عقب الحرب العالمية الأولى بين الدولة العثمانية وقوات الحلفاء وبعدها رفضت تركيا ما جاء فى هذه المعاهدة، واعتبرت أن بنودها تمثل ظلماً وإجحافاً بها وذلك لأنها أجبرت على التنازل عن مساحات شاسعة من الأراضى التى كانت واقعة تحت نفوذها، وقد نصت هذه المعاهدة على:

١ ـ منح تراقيا والجزر التركية الواقعة فى بحر إيجه لليونان.

٢ ـ الاعتراف بكل من سوريا والعراق كمناطق خاضعة للامتداد.

٣ ـ الاعتراف باستقلال شبه الجزيرة العربية.

٤ ـ الاعتراف باستقلال أرمينيا.

٥ ـ اعتبار مضائق البسفور والدردنيل مناطق مجردة من السلاح وتحت إدارة عصبة الأمم (أى تدويل المنطقة).

وفيما يتعلق ببنود المعاهدة الخاصة بالشأن الكردى فقد نصت على:

٦ ـ حصول كردستان على الاستقلال حسب البندين ٦٢ و٦٣ من الفقرة الثالثة، والسماح لولاية الموصل بالانضمام إلى كردستان استناداً إلى البند ٦٢ وكان نص هذا البند كالتالى:

«إذا حدث خلال سنة من تصديق هذه الاتفاقية أن تقدم الكرد القاطنون فى بالمنطقة التى حددتها المادة ٦٢ إلى عصبة الأمم قائلين إن غالبية سكان هذه المنطقة ينشدون الاستقلال عن تركيا، وفى حالة اعتراف عصبة الأمم بأن هؤلاء السكان أكفاء للعيش فى حياة مستقلة وتوصياتها بمنح هذا الاستقلال، فإن تركيا

تتعهد بقبول هذه التوصية وتتخلى عن كل حق فى هذه المنطقة.

وستكون الإجراءات التفصيلية لتخلى تركيا عن هذه الحقوق موضوعاً لاتفاقية منفصلة تعقد بين كبار الحلفاء وبين تركيا».

وكان من بين بنودها أيضاً:

المادة: ١٤٠

(حماية الأقليات): حيث تلتزم تركيا باعتبار الشروط الواردة فى المواد ١٤١ و١٤٥ و١٤٧ قوانين أساسية وبأن لا يتعارض معها أو يتدخل فيها أى تشريع أو قانون مدنى أو عسكرى أو إرداة شهانية أو إجراء رسمى وبأن لا يتقدم عليها أى قانون أو تشريع أو إرادة شهانية أو إجراء رسمى.

المادة: ١٤٨

فى المدن والأقضية حيث تقيم نسبة كبيرة من الرعايا الأتراك الذين ينتمون إلى أقليات عرقية أو لغوية أو دينية، يجب أن تؤمن بهذه الأقليات حصة عادلة فى التمتع واستعمال أية مبالغ تخصص من الأموال العامة فى ميزانيات الدولة أو البلديات أو غيرها لأغراض تعليمية أو خيرية.

وتدفع هذه المبالغ للمندوبين المعتمدين للطوائف المعنية.

وما إن نشرت نصوص تلك المعاهدة حتى ثار الشعب التركى عليها وهذا ما أراده الإنجليز والأمريكان، ومما يدعو إلى السخرية أن المناطق التى يسيطر عليها مصطفى كمال وحكومته لم تتعرض للاحتلال الإنجليزى، وأما المناطق التى يسيطر عليها السلطان وحكومته فهى خاضعة للاحتلال والسيطرة الإنجليزية!!

وأصبحت الفرصة مواتية لمصطفى كمال لإكمال مخططه والسيطرة على الحكم وخلع السلطان وإلغاء حكم السلاطين حيث أعلن ثورة الاستقلال والتمرد، فالتف حوله الناس، وأما السلطان فلا حول له ولا قوة، فقد كان أسيراً فى قصره.

وأعلن مصطفى كمال تشكيل حكومة جديدة برئاسته وأن خطته تبدأ بالقضاء

على السلطان وأعوانه من القوات الموالية له والحكومة الرسمية للبلاد والقضاء على حركات التمرد من الأرمن والأكراد.

وقام مصطفى كمال بإرسال القوات التى انضمت إليه فى حرب إبادة لقوات الجيش التابعة للسلطان فى المدن والقرى التى تسيطر عليها، وأبادها تماماً وكانت مجازر كبرى حيث سالت الدماء أنهاراً من أجل مصطفى كمال.

ثم توجهت الجيوش الكمالية بعد أن انضم إليها الكثيرون من الجنود الموالية للسلطان خوفاً من أن ينالهم ما نال غيرهم من الجنود الذى قتلهم مصطفى كمال.

توجهت قوات مصطفى كمال بقيادة الجنرال جعفر الطيار أحد أعوان مصطفى كمال لمحاصرة العاصمة التركية اسطنبول حيث يتواجد السلطان العثمانى وأمام هذا الزحف من القوات الكمالية قام الإنجليز بالانسحاب من العاصمة بحركة تمثيلية كى يحققوا له انتصاراً وهمياً آخر.

واستكمالاً للدور الذى وضعوه لمصطفى كمال أعلن الإنجليز رضاءهم عن مصطفى كمال رسميا وأنهم على استعداد لحضوره مؤتمر يعقد فى لندن لمناقشة تقسيم تركيا وإلغاء معاهدة «سيفر».

وبالفعل أرسل رئيس الحكومة التركية التابعة للسلطان «توفيق باشا» برقية إلى مصطفى كمال بوصفه رئيس الجمعية الوطنية الكبرى فى يناير ١٩٢١م بالدعوة لحضور مؤتمر لندن.

وبالفعل حضر وفد ممثل مصطفى كمال بجانب وفد السلطان العثمانى مؤتمر لندن فى ٢٥ فبراير ١٩٢١، وظهر الوفد الكمالى بمظهر المدافع عن استقلال تركيا بكامل أراضيها ولم تصل المفاوضات إلى نتائج حتى أعلنت اليونان الحرب مرة أخرى على تركيا فى مارس ١٩٢١ واحتلوا مدينتى بورصة وأوشاك واستطاعت القوات التركية بقيادة «الجنرال عصمت باشا» من التصدى للقوات اليونانية وهزيمتها بعد معارك ضارية عرفت بمعركة «إينونو»، وكان الإنجليز وحلفاؤهم يريدون الحصول من تركيا على أكبر قدر من المكاسب السياسية والجغرافية

وأيضاً تدعيم بطلهم الوهمى الذى يريدون منه الوثوب إلى كرسى الحكم.

فعاود اليونانيون الهجوم على الأراضى التركية مرة أخرى فهاجموا «اسكيشهير» بالطائرات والمدفعية الثقيلة واستولوا على «أفيون» «وكوتاهيا» وحاصروا «اسكيشهير».

فما كان من مصطفى كمال إلا أن أمر الجيش التركى بالانسحاب من اسكيشهير» وتركها لليونانيين وجعل سكانها عرضة للإبادة من الجيش اليونانى.

وانسحب مصطفى كمال وجيشه نحو ثلاثمائة كيلومتر حتى نهر «السخاريا» لحماية «أنقرة» وهى مقر حكمه.

ومع تلك الهزائم للقوات التركية بقيادة مصطفى كمال عاد هو إلى أنقرة ليحقق نصراً آخر وهو إعلانه حاكماً ديكتاتوريا كى يواجه الغزو اليونانى!!

فقد عقد اجتماعاً للجمعية الوطنية برئاسته وقد سقط فى أيدى النواب، وصاح البعض منهم يطالب بالقضاء على مصطفى كمال وتنحيته عن قيادة الجيش.

لكن الرأى الغالب فى الجمعية الوطنية وكان من أنصاره ويرى أنه القادر على التصدى للغزو اليونانى، وبإرهاب وبطش مصطفى كمال استطاع انتزاع الموافقة من المجلس على إعطائه كل الصلاحيات المطلقة بأن تتخلى الجمعية الوطنية له عن كل صلاحيتها وسلطاتها حتى يقوم بوقف الغزو اليونانى فى البلاد.

وذلك بعد أن وقف «صلاح الدين بك» نائب مرسين، فذكر اسم مصطفى كمال صراحة ودعاه إلى تسلم قيادة الجيش مباشرة وصد الزحف اليونانى إذا كان يعتقد نفسه قادراً على ذلك.

فوقف مصطفى كمال وراء منصة الرئاسة وخاطب النواب قائلاً:

«مرة أخرى تواجه تركيا خطر الموت والفناء.. ومرة أخرى تعود الأهمية للأفعال لا للخطابات الفارغة! إننى أنا الذى أطلب منكم تعيينى قائداً عامّاً للجيش شرط أن تتخلى لى «الجمعية الوطنية» عن كل سلطاتها وصلاحياتها، بحيث لا

يتوجب على مراجعتها فى كل صغيرة وكبيرة وفى كل عمل أريد القيام به.

إننى أطلب سلطة دكتاتورية مطلقة لإنقاذ البلاد! وأنا أؤكد لكم أننى سوف أنقذها هذه المرة كما أنقذتها فى السابق! إننى أقطع هذا العهد على نفسى أمامكم وأمام الأمة وأمام العالم بأسره».

ولم يكد النواب يسمعون لفظة «دكتاتورية» تخرج من فم مصطفى كمال حتى تكهربت أجسادهم، فقد كانوا يعلمون ماذا يعنى إطلاق يده وتركه يتصرف كما يشاء.

إلا إن أحداً منهم لم يجرؤ على التلفظ بكلمة «لا»! وأخيراً استجمع أحد النواب قواه وشجاعته فسأله:

وماذا ستفعل إذا منحناك هذه السلطات الدكتاتورية؟

فصرخ فيه مصطفى كمال:

إننى لم أسألكم أن «تمنحونى» هذه الصلاحيات بل قلت لكم إننى أطلبها.

عندها أدرك الجميع ماذا يعنى مصطفى كمال بهذا الكلام، فبدأت فرائصهم ترتعد من الخوف، إلا أن النائب ظل محتفظاً بشجاعته فسأله من جديد:

وإذا فرضنا إعطاءك هذه الصلاحيات؟

فأجابه مصطفى كمال بنبرة مليئة بالغضب والتهديد:

عندها سيكون لى معك ومع سائر الجبناء من أمثالك حساب آخر!

فما كان من النائب إلا أن سقط فوق كرسيه مغشيا عليه، بينما راح بقية النواب يتحسسون أعناقهم بأصابع مرتجفة! فقد أدركوا أن مصطفى كمال لن يتورع عن شنقهم جميعاً إذا رفضوا طلبه(١).

وتحت هذا الإرهاب الكمالى وافق النواب على جعله حاكماً ديكتاتوريا بالإجماع كعادة كل الحكام الطغاة.

وبوضعه حاكماً مطلقاً ديكتاتوريا أصدر قرارات وإعلان الحكم بما يعرف

بقانون الطوارئ على النحو التالى:

قرار رقم ١:

تتألف فى كل منطقة «لجنة مصادرة وطنية» تتولى تنظيم التموين العسكرى.

قرار رقم ٢:

على كل أسرة فى البلاد أن تقدم ثياباً داخلية وزوجاً من الكلسات وزوج أحذية لتوزيعها على الجنود فى الجبهة.

قرار رقم ٣:

يصادر ٤٠٪ من البضائع التالية الموجودة لدى التجار والأهالى:

الأقمشة الصالحة للثياب العسكرى الشتوية والصيفية، الجلود الصالحة لصنع الأحذية، الأحذية الجاهزة، المسامير الخاصة بالأحذية، النعال البيطرية للخيول، السروج الخاصة بالخيول، الأحزمة الجلدية.

قرار رقم ٤:

يصادر ٤٠٪ أيضاً على المواد التالية:

القمح، التبن، الطحين، الشعير، الفاصوليا، العدس، المواشى الصالحة للأكل، السكر، البنزين، الأرز، الصابون، الزبدة، الملح، الزيت، الشاى.

قرار رقم ٥:

على جميع السكان أن ينقلوا مجاناً، مرة فى الشهر، وبالوسائل المتوفرة لديهم، المؤن العسكرية اللازمة للجبهة. أما وسائل النقل الأخرى الضرورية للاستخدام الدائم فتصادر.

قرار رقم ٦:

تصادر جميع المواد المتروكة التى تكون ذات نفع للتموين العسكرى.

---

(١) انظر الذئب الأغبر ـ مصدر سابق.

قرار رقم ٧:

على كل مواطن فى حوزته قطعة سلاح أو ذخيرة حربية أن يسلمها لـ «لجنة المصادرة الوطنية» ضمن مهلة ثلاثة أيام اعتباراً من صدور هذا القرار.

قرار رقم ٨:

توضع قوائم بجميع معامل الحديد والنجارة والصلب والمشاغل التى تصنع فيها الجلود والسروج، وعربات النقل والمحلات التى تتولى تصليح وسائل النقل، مع أسماء جميع أصحاب هذه المهن والعمال والمستخدمين لديهم.

كما توضع قوائم بأسماء جميع الذين يمتهنون صناعة الأسلحة من سيوف وحراب وخناجر وسواها.

قرار رقم ٩:

تصادر جميع السيارات والشاحنات الصالحة للنقل العسكرى، كما تصادر الطنابر والعجلات والقاطرات وسائر وسائل النقل التى تستطيع نقل المدافع والذخيرة.

وبعد أن فرغ من إصدار هذه القرارات عقد بضعة اجتماعات عاجلة مع قادة أركان حربه، ثم غادر أنقرة إلى مركز القيادة فى الجبهة مصطحباً مع «فوزى باشا» رئيس الأركان العامة.

أصبح مركز قيادة الجبهة التركية الجديدة فى «بولاتلى» وراء نهر «السخاريا» بعد أن أتم «عصمت باشا» عملية الانسحاب وفقاً للخطة التى رسمها مصطفى كمال.

وكان النهر بحد ذاته يشكل خطا دفاعيا مهما، فهو نهر كبير ينساب نحو الشمال مخترقاً القسم الأكبر من سهول الأناضول، فأقام «عصمت» تحصيناته إلى الجبهة الشرقية منه.

وما أن وصل مصطفى كمال إلى «بولاتلى» فى ١٢ أغسطس حتى تسلم قيادة

الجبهة على الفور، وعقد مع «عصمت» و«فوزى» اجتماعاً مطولاً استمع خلاله إلى آخر تطورات الموقف، ثم ألقى نظرة فاحصة على خريطة المعركة. وبعد أن استعرض مواقع قوات العدو رجح أن الهجوم اليونانى سوف يقع على الجناح الأيسر من قواته، فطلب من «عصمت» و«فوزى» اتخاذ جميع التدابير اللازمة لصد الهجوم فى هذا القطاع.

وفى الثالث والعشرين من شهر أغسطس شن اليونانيون هجومهم الكبير المنتظر من الجهة نفسها التى توقعها. فتصدت لهم القوات التركية وصمدت فى وجههم صموداً بطوليا بادئ الأمر، إلا أن تفوق القوات اليونانية فى العدد جعل القتال يمتد على جبهة بلغ طولها حوالى مئة كيلو متر، مما سهل عليها اختراق خط دفاع الأتراك فى عدة أماكن.

فما كان من مصطفى كمال إلا أن حول بسرعة فائقة «أرض المعركة» فأمر الجناح الأيسر من قواته بالانسحاب إلى مسافة خمسين كيلومتراً جنوب أنقرة، بينما أمر القواب المرابطة فى القطاع الغربى بالتحول فوراً إلى الجنوب، أما القوات القادمة بالقطار من أنقرة فقد تلقت أمراً بالتحول نحو الشمال.

وكان مصطفى كمال على علم بما سيفلعه اليونانيون فى المعركة!!

واستطاعت القوات التركية صد هجوم القوات اليونانية وإرغامها على التراجع بعد قتال مرير سقط فيه آلاف القتلى من الطرفين، إلا أن اليونانيين ما لبثوا أن عادوا للهجوم بعنف وحماس كبيرين، فالتحموا مع الأتراك فى معركة من أشد معارك التاريخ هولاً وضراوة، مما يذكر بمعارك بايزيد وتيمورلنك.

وبلغ من حماس إحدى الفرق اليونانية أن أفرادها رفضوا الاحتماء وراء الخنادق وانقضوا على القوات التركية فى العراء، فما كان من المدافع التركية الرشاشة إلا أن حصدتهم جميعاً.

كما اشتد الضغط على إحدى الفرق التركية فأمر قائدها جنوده بالتراجع، فما كان من قائد القطاع إلا أن خرج من خندقه وأمسك القائد التركى بقبة

---

(١) المصدر سابق.

معطفه من الخلف وأطلق عليه رصاصة فى رأسه فأرداه قتيلاً ثم أعاد الفرقة إلى موقعها، إلا أنه ما لبث أن سقط قتيلاً هو الآخر، فقد كان مكشوفاً أمام قوات العدو.

وأبيدت فرقة تركية عن بكرة أبيها، بينما فقدت فرقة أخرى أكثر من ثمانين بالمئة من أفرادها.

وظلت رحى المعارك دائرة طيلة اثنين وعشرين يوماً، قتل فيها سبعة ضباط أتراك برتبة «جنرال».

وتنازع فيها الفريقان راية النصر أكثر من مرة، إلا أن الهجمات والهجمات المعاكسة كانت تجعل الانتصار النهائى مستحيلاً. فبقى آتون المعارك مستعراً دون أن يفتر دقيقة واحدة.

فى هذه الأثناء كان مصطفى كمال قد نقل مقر قيادته إلى قرية «الأغوز» خلف الخطوط التركية الجديدة حتى يكون بعيداً عن أماكن الخطر!!

ويدير المعركة عن بعد فلا تكاد تنهار فرقة من فرقه حتى ينتشلها ويلقى بها فى المعركة من جديد بكل ما عرف عنه من عناد وجبروت لأن مصير المعركة يتوقف مصيره فى تحقيق أحلامه وأيضاً ستسقط أنقرة فى يد العدو كما سقطت اسطنبول.

وانتهت الحرب بهزيمة الجيش اليونانى بعد أن تخلى الدول الكبرى عنها وتركتها لمصطفى كمال يحقق نصراً يجعله بطلاً ويحقق ما تريده.

ولهذا صفقت تلك الدول لمصطفى كمال بعد هذا النصر المدعوم منهم وهى التى كانت لبضعة أشهر خلت حرباً عليها، فإذا برؤساء حكومات فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى يرسلون إليه أيضاً برقيات التهنئة والتأييد، بعد أن وجدوا أن مصالحهم باتت تقضى بالتفاهم مع «بطل السخاريا» الذى أصبح الحاكم الفعلى لتركيا الغد.

وكان الفرنسيون أسبق الجميع إلى الاعتراف بهذا الواقع الجديد من أجل

إنقاذ مصالحهم فأوفدوا إلى أنقرة «فرانكلان بويون» الذى عقد مع مصطفى كمال معاهدة سرية فى ١٠ أكتوبر ١٩٢١ انسحبت فرنسا بموجبها من مجموعة «الدول الحليفة» واعترفت فيها بعدم شرعية معاهدة «سيفر» وكرست اتفاق الهدنة الذى عقد بينها وبين «الكماليين» فى «بوزانطى» والذى تعهدت بموجبه بالجلاء عن «كيليكيا» فأفرجت عن ٨٠٠٠٠٠ جندى تركى كانوا محاصرين فى هذه المنطقة، كما تعهدت بتقديم المساعدات اللازمة لتسليح ٤٠٠٠٠ جندى من «القوات الكمالية».

وهكذا حصل «الغازى» من فرنسا على أمرين مهمين:

أولاً: الاعتراف بحكومته فى أنقرة كحكومة شرعية.

ثانياً: تقوية جيشه بمقاتلين جدد وبسلاح جديد.

وقد كان الأمر الأخير ذا أهمية بالغة بالنسبة إلى مصطفى كمال، فهو لم يؤخذ بموجة الهتاف والتصفيق التى انهالت عليه من الداخل والخارج، بل ظل محتفظاً بنظرته الواقعية للأمور، فلم يعتبر انتصاره فى معركة «السخاريا» انتصاراً نهائيا على اليونانيين، إذ أن هؤلاء ما زالوا يحتفظون داخل تركيا بقوات كبيرة فى «أفيون» و«اسكى شهير» والساحل الغربى من الأناضول.

لذلك ما أن فرغ من التهانى والاحتفالات بالنصر حتى عمل من أجل إنشاء «جيش جديد» يستطيع مواصلة المعارك لتطهير البلاد بأسرها من الاحتلال اليونانى.

وبعد جهود تمكن بمعاونة «عصمت» و«فوزى» من إعادة تنظيم قواته، فاستدعى للخدمة العسكرية جميع الذين هم فوق الثامنة عشرة.

واستبدل جميع قادة الفرق والوحدات بقادة جدد من الضباط الشبان، كما جمع كل ما تبقى لديه من أسلحة وذخيرة ومدفعية معطلة وأعاد إصلاحها.

وقام بشراء أسلحة جديدة من إيطاليا وفرنسا وأمريكا بأموال اقترضها من روسيا.

وفى سبتمبر ١٩٢٢ قرر أن يضرب ضربته القاضية، فاستنفر جميع قواته

وأرسل طلائعها سرا إلى «دوملو بونار» التى تتحكم بأفيون وجميع مراكز العدو وتجمعاته، وفى الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم، ضرب الحصار حول القوات اليونانية فالتحم معها فى معركة ضارية، ولم يكد يحين وقت الظهيرة حتى تمكن من شطرها إلى شطرين ودمر جميع مواقعها الخلفية.

ووجد اليونانيون أنفسهم مطوقين من جميع الجهات، فانهارت جبهتهم انهياراً كاملاً وأخذ ضباطهم يفرون والقوات التركية تلاحق تلك الفلول الهاربة حتى قضت عليها وتحقق لها النصر الكامل(١).

وكان النصر الذى حققه مصطفى كمال على اليونان حين تدخلت القوى العظمى لوقف الحرب وطلبت من اليونان الانسحاب وأعقب ذلك انسحاب الحامية الفرنسية ثم الإيطالية فكان الانسحاب اليونانى فى ٧ سبتمبر ١٩٢٢م فثأر الأتراك من اليونانيين وأعملوا فيهم القتل حتى أن الجمعية الوطنية «البرلمان» منح مصطفى كمال لقب الغازى وهو لقب لم ينله إلا القادة الفاتحون المجاهدون.

وفى ١١ أكتوبر ١٩٢٢ وقعت اليونان هدنة مودانية مع مصطفى كمال تخلت بموجبها عن تراقيا حتى مريج.

وبهذا النصر حقق مصطفى كمال شعبية كبرى فى أواسط الشعب التركى والإسلام وأصبحت ثورته مثلاً فى البلاد الواقعة تحت الاحتلال الإنجليزى والفرنسى.

فقد قامت ثورة ١٩١٩ فى مصر تطالب بالاستقلال وجلاء الاحتلال الإنجليزى وكذلك تفجرت الثورات فى كل البلاد الأخرى التى كانت تابعة للحكم العثمانى.

ولا ننسى أن مصطفى كمال حين قام بثورته المزعومة من الأناضول بعد أخذ الدعم المادى والمعنوى من السلطان وحيد الدين كانت تلك الثورة على أسس إسلامية أهمها المحافظة على نظام السلطنة والخلافة الإسلامية ورفع مصطفى كمال المصحف تحت راية الجهاد المقدس ضد الاحتلال وفى حروبه ضد اليونانيين.

(١) المصدر سابق.

عندما اجتاح اليونانيون منطقة أزمير رفع سكان الأناضول راية الجهاد ضد المحتلين وتشكلت القوات الأهلية لتقف فى وجه اليونانيين بأحقادهم الصليبية، وكانت الحكومة فى اسطنبول قد أرسلت مصطفى كمال المعروف بتمرسه الشديد فى الحروب التى خاضها فى فلسطين وضواحى حلب وأنافورطه ضد الحلفاء لإقرار النظام والقضاء على حركة الجهاد التى أعلنها أتراك الأناضول ضد المحتلين.

وعندما وصل إلى الأناضول، ورأى حماس الناس للمقاومة، ركب موجة الحماس هذه وأظهر تدينه وحبه للإسلام وبغضه لأعدائه فالتف هؤلاء من حوله وبدأ يستخدمهم للضغط على الحكومة التركية فى اسطنبول لتستجيب لمطالبه، وقام بافتتاح مؤتمر أرضروم فى ٢٣ يوليو ١٩٣٠م الذى أصدر قراراً بالمحافظة على سلامة الأناضول التركى ودعوة القوات التركية للدفاع عنه. ثم عقد مؤتمر سيواس فى ٤ سبتمبر وشهده مندوبون على الروملى أيضاً وصدق على مقررات المؤتمر السابق.

وفى الثالث والعشرين من مارس ١٩٣٠م زحفت القوات اليونانية إلى إسكى شهر وأفيون قره حصار للاستيلاء على الأناضول الغربى.. فى الوقت الذى كان كمال يحشد القوات التركية وينظمها.

وفى ٢٣ أبريل ١٩٢٠م عقدت الجمعية الوطنية الكبرى جلساتها فى أنقرة وانتخبت مصطفى كمال رئيساً لها، كما اختارته رئيساً للجنتها التنفيذية ومجلسها الوزارى.

الانتصار فى سقارية وأثره

وفى الرابع والعشرين من أغسطس هاجم اليونانيون قيسارية بعد أن حققوا هدفهم فى احتلال اسكى شهر وأفيون قرة حصار، ولكنه تمكن من إجبارهم على التراجع فى السادس عشر من سبتمبر.

إن هذا الانتصار الذى أحرزه مصطفى كمال انتصاراً هيأ الإسلام أسبابه حيث

استطاع أن يعبئ بروح الدين نفوس الشعب التركى فخاض معركة حاسمة وفاصلة.

لقد كان مصطفى كمال يقتحم صفوف الأتراك وفي يده مصحف يناشدهم بحماس شديد يقول: «أيها الأتراك هل تعلمون ما هذا الكتاب الذى بيدى؟» فيجيبونه إنه المصحف الشريف.

فيقول لهم: «إنكم إذا لم تخرجوا معى للحرب ضد اليونان فلن يكون لهذا الكتاب بقاء فى هذه الأرض».

لكن أوروبا التى قبلت هذا النصر، حيث سارعت فرنسا فى العشرين من أكتوبر إلى عقد معاهدة أنقرة مع مصطفى كمال تخلت فيها عن كليكلية مقابل حصولها على امتياز لاستثمار الحديد والفضة فى وادى نهر خرشوط الذى يصب فى البحر الأسود، وتخلت إيطاليا فى يناير ١٩٢١م عن آطاليا.

وفى ١٦ مارس عقدت روسيا السوفيتية معاهدة مع أتاتورك، فإنها «أى أوروبا» استطاعت أن تسخر أتاتورك بعد ذلك، وهى التى هيأت له من قبل ومنحته الفرصة، كما يقول بروكلمان فى كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية»: «عند ذلك هيأت الدول الحليفة نفسها الفرصة السانحة للرجل الذى قدر له أن ينشئ تركيا الحديثة».

استطاعت هذه الدول الحليفة أن تسخره بعد ذلك فيما تريد من إزالة الخلافة والقضاء على الدولة العثمانية وانتهاب مخلفاتها من شعوب وأقطار وكنوز.

وفى السادس والعشرين من أغسطس ١٩٢٢م تمكن الأتراك من استرداد أفيون قره حصار التى حسب اليونانيون أنهم حصنوها حتى ليستحيل سقوطها بيد العدو، وبعد ذلك أصيب اليونانيون بهزيمة أخرى من دوملوبينا وفروا بعدها منهزمين.

وفى ٩ سبتمبر حرر الأتراك أزمير من الاحتلال اليونانى وأصبح بعدها مصطفى كمال بطلاً قومياً ورئيساً للبلاد.



إلغاء السلطنة وهروب السلطان وعقد معهدة الصلح فى لوزان بين مصطفى كمال والدول الكبرى

بعد هزيمة اليونانيين وفرارهم وتقهقرهم أمام القوات التركية صوب البحر المتوسط ودخول مصفى كمال أزمير بعد تحريرها منتصراً ثم عاد إلى أنقرة حيث قرر المجلس الوطنى الكبير فى أكتوبر عام ١٩٢١، منحه رتبة «مارشال» مع تسميته بلقب «الغازى» الذى ينفرد به سلاطين آل عثمان الفاتحون.

وفى ١٢ من أكتوبر عام ١٩٢١، عقدت هدنة «مودانيا» التى اعترفت بمقتضاها حكومات الحلفاء بعودة السيادة التركية إلى اسطنبول وبوغازين وتراقيا الشرقية «لواء الإسكندرونة».

وكانت الحاجة ملحة لعقد معاهدة جديدة بعد انتفاء الحاجة لمعاهدة سيفر، ووجهت الدعوة لحضور مؤتمر لوزان إلى حكومتى تركيا العثمانية «اسطنبول الشرقية وأنقرة الوطنية»، فاجتمعت الجمعية الوطنية فى أنقرة وأكد النواب أن لتركيا حكومة واحدة فقط هى حكومة أنقرة.

وأدرك مصطفى كمال أنه قد حان الوقت ليضرب ضربته، بأن يقنع النواب بخلع السلطان وحيد الدين خان وإلغاء السلطنة.

وصعد إلى المنصة واقترح على النواب أن يفصل بين السلطنة والخلافة فتلغى السطنة ويخلع وحيد الدين، وتشكلت لجنة قانونية لدراسة الاقتراح ولما وجد «الغازى» معارضة، قطع مناقشات المجتمعين صائحاً: أيها السادة، لقد اغتصب السلطان العثمانى السيادة من الشعب بالقسوة، وبالقوة اعتزم الشعب أن يستردها منه، إن السلطنة يجب أن تفصل عن الخلافة وتلغى، وسواء وافقتم أم لم توافقوا فسوف

يحدث هذا، كل ما فى الأمر أن بعض رءوسكم سوف تسقط فى غضون ذلك!

وكان يتكلم بسلطان الديكتاتور الذى يصدر أمراً واجب التنفيذ، وفرض أمره على المجلس الوطنى الكبير وهكذا كان خطابه للنواب والوزراء والشعب بعد أن اعتلى الحكم والسلطة.

وبعد أن استتب الأمر لمصطفى كمال وهنأته دول أوروبا والعالم ثم الاستعداد لمؤتمر الصلح فى لوزان، وأرسلت الدعوة لحكومتى أنقرة واسطنبول كما فعلوا فى مؤتمر لندن عام ١٩٢١ من أجل إعادة النظر فى شروط معاهدة «سيفر».

فسارع «توفيق باشا» إلى قبول الدعوة باسم السلطان ووجه إلى مصطفى كمال رسالة مماثلة لتلك التى كان قد وجهها إليه على إثر الدعوة لعقد مؤتمر لندن، من أجل توحيد ممثلى حكومتى أنقرة واسطنبول فى وفد واحد لمفاوضات لوزان.

إلا أن ردة فعل مصطفى كمال هذه المرة كانت أعنف وأشد.

وبدأت الرسائل والبرقيات تنهال على «الجمعية الوطنية الكبرى» فى أنقرة من جميع أنحاء البلاد، رافضة أن يمثل الشعب التركى فى مفاوضات لوزان بأحد من أعضاء حكومة العاصمة المتحالفة مع أعداء الوطن والأمة.

وانعقدت «الجمعية الوطنية الكبرى» فى جلسة عاصفة فى التاسع والعشرين من شهر أكتوبر، وأخذ النواب يصرخون ويتصايحون بغضب وانفعال كبيرين: ماذا فعلت حكومة اسطنبول من أجل إنقاذ تركيا حتى تدعى إلى مفاوضات الصلح؟ وأى حق لتوفيق باشا بقبول الدعوة؟! إنه وجميع وزرائه «كلاب» و«خونة، وخنازير» إن لتركيا حكومة واحدة فقط هى حكومة أنقرة المنبثقة من «الجمعية الوطنية الكبرى»(١).

وكان ذلك الغضب من تدبير مصطفى كمال كى يعلن إلغاء عصر السلطنة والسلاطين العثمانيين.

وأنه سيطلب من النواب إلغاء السلطنة، وبذلك يسقط نفوذ «وحيد الدين»

---

(١) انظر ذئب الأناضول ـ مصدر سابق.

المدنى وتسقط بالتالى معه حكومة «توفيق باشا»، فتتخلص البلاد نهائيا من ازدواجية الحكم، وعندها لن يعود من الممكن أن تتمثل تركيا فى مؤتمر لوزان إلا بمندوبى حكومة أنقرة!

واستدعى مصطفى كمال باشا «رؤوف باشا» و «كاظم قره بكير» إلى مكتبه فعرض عليهما خطته، وطلب من «رؤوف» أن يرتقى المنصة ويتقدم من النواب باقتراح يدعوهم فيه إلى إلغاء السلطنة، على أن يقف «كاظم» بعد انتهاء «رؤوف» من كلمته فيؤيد الاقتراح.

إلا أن «رؤوف» تخوف من تحمل هذه التبعة، وصارح مصطفى كمال بأنه يخشى أن يقدم «الغازى» على طلب إلغاء الخلافة أيضاً، الأمر الذى سيؤدى إلى حرب أهلية جديدة، وأن النواب سيرفضون حتماً مثل هذا الاقتراح.

فأجابه مصطفى كمال:

ـ تقدم الآن بهذا الاقتراح وسأتكفل أنا بالباقى(١)!

وجمع مصطفى كمال حوالى ثمانين نائباً من أنصاره وأمرهم أن يتبعوه إلى بيته ثم شرح لهم خطته بكامل تفاصيلها، وطلب منهم أن يحضروا فى اليوم التالى إلى «الجمعية الوطنية» لمتابعة المناقشة، على أن تكون مسدساتهم فى وسطهم لإخماد أصوات المعارضين إلى الأبد إذا اقتضى الأمر!

وفى اليوم التالى، التأمت «الجمعية الوطنية» من جديد، وأخذ النواب يتبارون فى شتم «توفيق باشا» وحكومته، ومرة أخرى ارتفعت قبضات الأيدى فى الهواء مهددة بالويل والثبور وعظائم الأمور، فما كان من «رؤوف» إلا أن ارتقى المنصة وقدم الاقتراح المتفق عليه بإلغاء السلطنة وفصلها عن الخلافة.

فهدأ الضجيج، وساد القاعة صمت مطبق ملىء بالخوف والرهبة، فقد تنبه النواب إلى خطورة القرار الذى يريد مصطفى كمال منهم اتخاذه، وراحوا يتهامسون فيما يجب أن يفعلوه؟

---

(١) المصدر السابق.

وقطع عليهم «الغازى» حبل الصمت، فطالب بالتصويت على الاقتراح فوراً! إلا أن بعض النواب عارضوا التسرع فى اتخاذ مثل هذا القرار الخطير، وطالبوا بإحالته إلى لجنة الشؤون القانونية للتعمق فى بحثه.

فوافق مصطفى كمال على الاقتراح، لأنه كان متأكداً من أن هذا القرار سوف يتخذ فى النهاية مهما كلف الأمر!

وفى اليوم الأول من شهر نوفمبر عام ١٩٢٢، اجتمعت اللجنة برئاسة أحد النواب من رجال الدين المدعو «الشيخ وحيد أفندى» وبحضور مصطفى كمال. فراح النواب يناقشون الساعات تلو الساعات فى المحاكمات القانونية والفقهية، والاستشهادات المستمدة من تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين.

بينما ظل مصطفى كمال محتفظاً بهدوئه وصمته، دون أن يتدخل فى أمور هذا الجدل إلا أن غضبه بدأ يتفاقم ويهدد بالانفجار بعد أن وجد أن أكثرية أعضاء اللجنة تميل إلى رفض اقتراحه!

وفجأة فقد أعصابه فقفز غاضباً من مقعده وقاطعهم قائلاً كعادته:

«أيها السادة: إن السلطة لا يمكن أن تُعْطَى لمن ليسوا أهلاً لها. إنها تؤخذ عنوة وبالقوة. فهل سنعود من جديد إلى قصة على ومعاوية؟! إن آل عثمان قد تربعوا على عرش السلطنة بهذه الوسيلة. لذلك حكموا العالم طيلة ستة قرون.. والآن جاء دور الشعب ليسترد حقه من الغاصبين ويمارس حريته وسيادته.. إن هذا أمر مفروغ منه وسينفذ شئتم ذلك أم أبيتم! ولكن حذار! فإذا ما تماديتم فى معارضتكم فإن رؤوسكم ستسقط»!

أمام هذا التهديد السافر ـ والذى كان الجميع يدركون أنه سينفذ حتماً ـ وقف رئيس اللجنة وفرائصه ترتعد من الخوف فقال بصوت مختنق:

«أيها السادة، لقد أوضح لنا «الغازى» المسألة بصورة لم نكن ندركها من قبل! لذلك، فإننى أرجو منكم جميعاً الموافقة على الاقتراح»!

ووقع جميع أعضاء اللجنة بأنامل مرتجفة على قبول الاقتراح ثم دخلوا قاعة

«الجمعية الوطنية» وهم لا يكادون يصدقون بأنهم قد نجوا من الموت.

وبعد أن استمع النواب إلى قرار الموافقة، عاد الصخب والضجيج والهرج والمرج إلى القاعة.

فما كان من مصطفى كمال إلا أن طلب التصويت على الاقتراح بالتصفيق، إلا أن بعض النواب اعترضوا على هذا الإجراء الغريب، وطلبوا التصويت عليه بالمناداة بالاسم.

عندها صرخ مصطفى كمال فيهم بلهجة التهديد (وكان أنصاره قد سحبوا مسدساتهم ووضعوها أمامهم على المقاعد):

«أنا واثق من أن المجلس سيقبل الاقتراح بالإجماع. لذلك يكفى أخذ الأصوات برفع الأيدى»!

إلا أنه لم ترتفع سوى أيدى أنصاره المسلحين وعدد قليل من النواب الخائفين! فما كان من مصطفى كمال إلا أن أعلن بأن الاقتراح قد أُقر بالاجماع(١).

ثم غادر القاعة محاطاً بأنصاره بينما بقى النواب الآخرون يتصايحون فوق مقاعدهم: هذا لا يجوز! هذا مخالف للديمقراطية! نحن لم نوافق.. هذه ديكتاتورية!

وصل نبأ قرار «الجمعية الوطنية» فى أنقرة بإلغاء السلطنة إلى العاصمة، قدم «توفيق باشا» استقالة حكومته، وبعد خمسة أيام وصل «رأفت» إلى اسطنبول بتكليف من مصطفى كمال، فاحتلها بانقلاب مفاجئ واستولى على زمام الأمور.

عندها وجد «وحيد الدين» أنه لم يعد لوجوده فى البلاد أى معنى، فما كان منه إلا أن استدعى «قائد جوقة الموسيقى فى القصر السلطانى» ـ وكان الشخص الوحيد الذى بقى إلى جانبه فى محنته ـ وحمله رسالة إلى السير «تشارلز هارنغتون» يلتمس فيها من القائد البريطانى وحكومته حماية حياته التى أصبحت محفوفة بالخطر.

وفى السابع عشر من شهر تشرين نوفمبر عام ١٩٢٢، وصلت سيارة إسعاف بريطانية إلى «قصر يلدز»، فخرج «وحيد الدين» من الباب الخلفى للقصر ووراءه

(١) المصدر السابق.

أحد الخدم يحمل له متاعه الشخصى، فاستقل السيارة وفى يده مظلته التقليدية التى لم تكن لتفارقه أبداً.

ثم انطلقت به السيارة إلى حيث استقل زورقاً بخارياً حمله إلى بارجة بريطانية كانت راسية فى المرفأ، فاستقبله قبطانها بالاحترام اللائق، وأدت له فرقة من البحارة السلام الملكى، ثم اتجهت به البارحة إلى «سان ريمو»! وهكذا طويت برحيل «وحيد الدين» (محمد السادس) آخر صفحة من تاريخ إمبراطورية، ظل الشرق والغرب يرتجف خوفاً وهلعاً من سطوتها طيلة مئات السنين!

وفى اليوم نفسه أرسل السير «تشارلز هارنغتون» البرقية التالية إلى مصطفى كمال.

«أحيط سعادتكم علماً أن صاحب الجلالة السلطان محمد السادس الذى طلب الحماية البريطانية قد غادر اليوم اسطنبول نهائيّاً على متن إحدى بوارجنا الحربية.

إسطنبول فى ١٧ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٢.

التوقيع

هارنغتون»

وفى اليوم التالى لتلقيه برقية «هارنغتون»، دعا مصطفى كمال «الجمعية الوطنية» لانتخاب خليفة جديد مكان الخليفة الهارب! فانتخب النواب بالإجماع - بناء على اقتراح «الغازى» - «عبد المجيد» ابن السلطان عبد العزيز خلفاً لوحيد الدين(١).

وبعد انتهاء عملية الانتخاب، أرسل مصطفى كمال البرقية التالية إلى «رأفت» فى اسطنبول.

«انتخبت الجمعية الوطنية التركية الكبرى فى اجتماعها الطارئ المنعقد اليوم بتاريخ ١٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٢ «عبد المجيد» خليفة مكان محمد السادس لذلك، أطلب منكم أن تتوجهوا إليه وتبلغوه هذا القرار.

كما يتوجب عليكم أيضاً إبلاغه بأن لقبه الرسمى هو «خليفة المسلمين» دون أى صفة أو لقب آخر.

(١) المصدر السابق.

وعليكم أن تبلغوه أيضاً بأنه يتوجب عليه أن يبلغنا برقيا نص الرسالة التى سيوجهها إلى العالم الإسلامى بهذه المناسبة.

وبعد أن تتم موافقتنا عليها يمكنه عند ذلك أن يذيعها رسميا. كما أطلب منكم إبلاغه أن رسالته هذه يجب أن تتضمن النقاط التالية:

أولاً: أن يعلن صراحة، وبوضوح تام، عن «سروره البالغ» لانتخابه خليفة من قبل «الجمعية الوطنية التركية الكبرى».

ثانياً: عليه أن يندد علناً، وبشكل مطول، بسياسة سلفه «وحيد الدين» وتصرفاته غير الوطنية.

ثالثاً: أن يعلن تأييده المطلق لـ «الجمعية الوطنية التركية الكبرى» فى أنقرة وللدستور والحكومة المنبثقين عنها، وأن يعترف أمام العالم الإسلامى بأسره بأن ما قامت به الحركة الوطنية فى تركيا هو لمصلحة تركيا والمسلمين فى جميع أقطارهم.

رابعاً: أن يمتدح فى رسالته الأعمال التى قامت بها الحكومة الوطنية فى أنقرة والجهود التى بذلتها.

خامساً: ما عدا النقاط المذكورة أعلاه، يجب ألا تتطرق الرسالة إلى أى اعتبارات أخرى قد تنطوى على مغاز سياسية».

وقام «رأفت» بإبلاغ مضمون برقية مصطفى كمال إلى عبدالمجيد، فقبل هذا جميع الشروط باستثناء الشرط الثانى منها، إذ لا يقدر أن يلعن علناً أحد أسلافه مهما كانت الأعمال والتصرفات التى صدرت عنه.

كما طلب أن يسمح له بإضافة «خادم الأعتاب المقدسة» إلى لقب «خليفة المسلمين».

وأن يسمح له بارتداء عمامة رأس كتلك التى كان يرتديها السلطان محمد الفاتح.

وأبلغ «رأفت» مصطفى كمال «شروط» الخليفة الجديد، وأبرق إلى «رأفت» بالموافقة على تطلبات عبدالمجيد.

وهكذا انتهت عصر الحكم للسلاطين العثمانيين الذى استمر ستة قرون من الزمان وأعقب ذلك بعام وأشهر قليلة إلغاء الخلافة وطرد السلطان أيضاً وأصبحت تركيا بعد إلغاء السلطنة جمهورية علمانية.

بعد إلغاء السلطنة والانتهاء من ازدواجية الحكم بين أنقرة واسطنبول، وأخيراً قرر أن يرأس الوفد التركى «عصمت» بعد أن لمس مدى مقدرته وبراعته فى مؤتمر الهدنة الذى عقد فى «مودانيا» على أن ينضم إليه «حسن بك» نائب «ترابزون»، ورضا نور بك» وزير الصحة، إضافة إلى عدد من المستشارين وطلب من وزير خارجيته «يوسف كمال بك» أن يقدم استقالته لكى يحل «عصمت» محله.

وفى نوفمبر ١٩٢٢م سافر الوفد التركى برئاسة «عصمت» إلى «لوزان» وفى العشرين من نوفمبر ١٩٢٣م افتتح مؤتمر الصلح فى مدينة لوزان للبحث فى تعديل معاهدة سيفر، وكان المندوب التركى إليه عصمت إينونو وقد انفض المؤتمر فى الرابع من فبراير ١٩٢٣م من غير أن يسفر عن نتيجة ما.

وكان الوزير البريطانى كرزون قد قال لعصمت وبكل صراحة: «إننا لا نستطيع أن ندعكم مستقلين، لأنكم تكونون حينئذ نواة يجتمع حولها المسلمون مرة أخرى، فنعود المسألة الشرقية التى عانينا منها طويلاً».

وعاد المندوب التركى إلى أنقرة مقر حكومة أتاتورك ليبلغه ما سمع من الوزير الإنجليزى وللمشاورة قبل أن يعود المؤتمر إلى الانعقاد مرة أخرى.

وفى الثالث والعشرين من أبريل ١٩٢٣م اجتمع المندوبون مرة أخرى، وبعد أن تعهد أتاتورك للإنجليز عن طريق مندوبه إينونو بالموافقة على شروطهم لإزالة مخاوفهم من أن يتجمع المسلمون كرة أخرى، قام الإنجليز بإملاء شروطهم والتى عرفت بشروط كرزون الأربعة وهى:

١ ـ أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

٢ ـ أن تقوم بإلغاء الخلافة.

٣ ـ أن تتعهد بالقضاء على كل حركة يمكن أن تقوم لإحياء الخلافة.

٤ ـ أن تستبدل تركيا القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية، وأن تضع لنفسها دستوراً مدنيا بدلاً من الدستور العثمانى المستمد من قواعد الإسلام.

عند ذلك وفق المجتمعون إلى إنجاز معاهدة الصلح فى الرابع والعشرين من يوليو ١٩٢٣م والتى عرفت باسم معاهدة لوزان وبموجبها: بسطت تركيا سلطانها من جديد على آسيا الصغرى كلها وعلى اسطنبول وتراقيه الشرقية، وبدأ الأتراك الذى كانوا لا يزالون فى دول البلقان يعودون إلى الأناضول.

وكان وزير خارجية بريطانيا، وهو من ثعالب الدبلوماسية البريطانية، جلس إلى طاولة المفاوضات فى مواجهة «عصمت» وهو واثق سلفاً من النصر.

فأخذ يخاطب خصمه بكثير من العنجهية والاستعلاء.

وتم الصلح بين تركيا والحلفاء فى الرابع والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٢٣ وقد حصلت تركيا بموجب هذه الاتفاقية على ما منحته لهم الدول مثل الاعتراف باستقلال تركيا وسيادتها على جميع الأراضى والممتلكات بما فيها منطقتا «تراقيا» و «كليكيا»، كما اعتبرت جميع «الامتيازات» التى كان الحلفاء يتمتعون بها فى الإمبراطورية العثمانية لاغية (المادة ٢٨ من الاتفاقية).

وفى إحدى مراحل هذه المفاوضات، سأل مندوبو الحلفاء «عصمت أينونو» عن مطالب تركيا فى البلدان العربية باعتبارها من تركات الإمبراطورية العثمانية.

فأبرق إلى مصطفى كمال سائلاً عن الجواب الذى يمكن أن يعطيه على هذا السؤال؟ فرد عليه مصطفى كمال:

«أبلغ مندوبى الحلفاء أنه ليس لتركيا أى مطامع فى مخلفات الإمبراطورية العثمانية، وأن كل ما نطلبه بالنسبة إلى الدول العربية هو أن تصبح دولاً مستقلة، وأن تجلو جميع القوات الأجنبية المحتلة عنها».

وهكذا أوضح أنه لا علاقة له بالعرب وأمثالهم باعتبار تركيا دولة مستقلة.

وكان التوقيع على معاهدة لوزان فى ٢٤ تموز ١٩٢٣، بعد مساومات بين تركيا والدول الحليفة ونصت الفقرة الثانية من المادة الثالثة فيها على تعيين الحدود بين

تركيا والعراق بترتيب ودى بين تركيا وبريطانيا خلال تسعة أشهر.

وفى حالة عدم التوصل إلى اتفاق نهائى، ترفع القضية إلى مجلس الأمم.

وقد ضربت بريطانيا عصفورين بحجر فى هذه المسألة.

فإنها أخرت إبرام معاهدة لوزان إلى ما بعد تصديق المعاهدة المفروضة على العراق عام ١٩٢٢ والتى لاقت معارضة شديدة فى المجلس التأسيسى العراقى ومن شعب العراق، لجعل ورقة «ولاية الموصل» ورقة للضغط على العراق للرضوخ لنصوص المعاهدة من جهة، ولتضمن الجهة التى ستلحق بها الولاية من جهة أخرى.

فشلت المفاوضات بين بريطانيا وتركيا، فتحول النزاع إلى عصبة الأمم. ناقش مجلس عصبة الأمم القضية وقرر المجلس فى ٣٠ أيلول عام ١٩٢٤ أن يؤلف لجنة من ثلاثة أعضاء لدراسة الموضوع وتقديم تقرير بشأنه متضمناً المعلومات والاقتراحات لغرض اتخاذ القرار. وكان أعضاء اللجنة هم الكولونيل باوليس من بلجيكا، والكونت تيكيلى رئيس وزراء هنغاريا السابق، وفيرسن السويدى الذى ترأس اللجنة. وصلت اللجنة إلى مدينة الموصل فى كانون الثانى عام ١٩٢٥.

اقترحت تركيا إجراء استفتاء، لكن بريطانيا رفضت الاقتراح باعتبار أن النزاع على الحدود وليس على منطقة من المناطق. وتقدمت بريطانيا وتركيا بمعلومات وأرقام مختلفة عن القوميات القاطنة فى المنطقة.

وأكدت بريطانيا أن الأكراد آريون وليس لهم أية علاقة بتركيا فى حين أن تركيا أعلنت بأنه ليس هناك فرق بين الترك والأكراد وأنهما أمتان عاشتا جنباً إلى جنب طيلة قرون عديدة.

واجتمعت اللجنة المؤلفة ـ بعد أن أمضت أكثر من شهرين فى (ولاية الموصل) وأعدت تقريراً من تسعين صفحة، وجاء فى الخلاصة النهائية للتقرير لو نظرنا فى المسألة كلها معتبرين فى ذلك مصالح الأهلين الذين يخصهم الأمر، فمن رأى اللجنة، أنه من المستحسن عدم تقسيم المنطقة المتنازع عليها وأن اللجنة، استناداً إلى هذه االبواعث وتقديرها كل حقيقة من الحقائق التى ذكرتها، ترى أن هناك

حجـجاً مهمة تساعد على ارتباط كل المنطقة بعضها بالبعض الآخر، من جنوب خط بروكسل فى العراق، وأوصت اللجنة بما يلى:

١ ـ أن تبقى المنطقة تحت انتداب عصبة الأمم لمدة ٢٥ سنة.

٢ ـ يجب مراعاة رغبات الأكراد فيما يخص تعيين موظفين كورد لإدارة بلادهم وترتيب الأمور العدلية والتعليم فى المدارس وأن تكون اللغة الكوردية اللغة الرسمية فى هذه الأمور.

ولم تخف اللجنة مخاوفها من حدوث مشاكل سياسية خطيرة عند إلحاق المنطقة بالعراق حيث قالت: «إن اللجنة مقتنعة أيضاً من أن المنافع الناجمة عن ارتباط المنطقة المتنازع عليها بالعراق تؤدى إلى مشاكل سياسية خطيرة». وواضح تماماً أن اللجنة قد شكلت أصلاً لتحديد الجهة التى ستلحق بها كوردستان الجنوبية، مقسمة أو موحدة، دون الالتفات إلى الإدارة الحرة لسكان المنطقة، وقد لمست تلك اللجنة الإرادة لدى هؤلاء السكان.

فأشارت إليها قائلة: «وفى حالة اعتماد النواحى العنصرية وحدها أساساً للاستنتاج، فإنها تقودنا إلى القول بوجوب إنشاء دولة كوردية مستقلة، فالأكراد يشكلون خمسة أثمان السكان، وإذا صار الالتجاء إلى هذا الحل، فإن اليزيديين وهم عنصر مشابه للأكراد يجب أن يدخلوا ضمن عداد الأكراد، فتكون نسبة الأكراد حينذاك سبعة أثمان السكان».

وكان إلغاء الخلافة أحد هدفين هامين عند الإنجليز أولهما: إلغاء الخلافة وسواء كانت للخليفة سلطة فعلية أو لا فإنها كانت تحمل على الدوام احتمال الظهور والوجود وكان الهدف الثانى اقتطاع الموصل ومنابع النفط فيها من تركيا(١).

وقد عقد مؤتمر الصلح بلوزان بعد عشرين يوماً من إلغاء السلطنة، وفى مفاوضات المؤتمر كان الإنجليز فى بدايته ما يزالون يخفون رغبتهم فى إلغاء الخلافة ولكنهم كانوا كما يقول الدكتور رضا نور (وزير الصحة التركى والممثل

(١) انظر الرجل الصنم ـ مصدر سابق.

الثانى لتركيا فى المؤتمر) فى مذكراته عن مؤتمر الصلح بلوزان والذى كان فى البداية معارضاً لإلغاء الخلافة بالرغم من موافقته على إلغاء السلطنة!

«يظهرون تعصبهم المسيحى بإصرارهم على بقاء بطريريكية الروم فى أسطنبول»!

ويتوقف المؤتمر وتدور الاتصالات من وراء الكواليس، وتأتى شروط انجلترا للصلح وفيها الشرطان الأساسيان: إلغاء الخلافة وترك الموصل.

وبعودة المؤتمر للانعقاد بدأت الحكومة التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك تقدم سيل التسهيلات إلى إنجلترا والعالم الغربى للحصول على الصلح وكأنهم يقولون لهم لقد تركنا الإسلام ودخلنا إلى طريق التشبه بكم فاحملونا.

وهذا ما قاله رضا نور عضو الوفد التركى فى كتابه «حياتى وذكرياتى»: كنت أول من تلفظ بهذه الكلمة فى جلسات مؤتمر لوزان إذ قلت: «إن تركيا أصبحت علمانية وقد انفصل الدين عن الدولة وإذا ما تم الصلح فإننا سنقوم بوضع القوانين المدنية».

ثم يقول: «وكلامى هذا مسجل فى محاضر الجلسات وقد قلت هذا من أجل الدفاع عن مصالحنا فى لوزان، وقد كانت هذه من أهم نقاط الارتكاز والاستناد التى كنا نستند عليها فى لوزان، وقد سبق أن وضعت شرط فصل الدين عن الدولة فى التقرير الذى وضعته عن إلغاء السلطنة وهذا هو الأساس فى العلمانية.

وقد وضعت مجلة «بيوك دوعو» لصاحبها نجيب فاضل الذى يعتبر من كبار أدباء ومفكرى تركيا ـ وكذلك كتاب معاهدة لوزان انتصار أم هزيمة فى سنة ١٩٥٨ هذه الحقيقة المرعبة أمام الأنظار.

ويأتى بعض أعضاء مجلس النواب الذى أصدر قرار إلغاء الخلافة فى عام ١٩٢٤ إلى كمال أتاتورك ويعرضون عليه الخلافة ولكنه يرفضها بكل نفور قائلاً (إن الإنجليز سوف لا يرضون عن هذا).

---

(١) المصدر السابق.

ولهذا اعتبر رؤوف باشا رئيس الوزراء وصديق مصطفى كمال أن «اتفاقية لوزان» فى غير مصلحة الأمة والوطن، وأعلن اعتراضه عليها فرد عليه مصطفى كمال.

ـ هناك طريقة واحدة أستطيع أن أعفيك بها من استقبال «عصمت»، وهى أن تقدم استقالتك من رئاسة الحكومة فوراً!

وبالفعل قدم «رؤوف» استقالته، فعين مصطفى كمال «فتحى بك» رئيساً للحكومة بدلاً منه فى شباط عام ١٩٢٢(١).

وكان رؤوف باشا لا يرغب فى إلغاء منصب الخلافة وقطع تركيا المسلمة علاقتها بالعالم العربى والإسلامى.

وكان أول رئيس وزراء للجمهورية التركية فى ١١ أغسطس ١٩٢٢، بعد الإطاحة بنظام الدولة العثمانية.

تخرج من الكلية الحربية وكلية الهندسة فى دنيز عام ١٨٩٩ م وأفد فى عدة دورات تدريبية إلى أمريكا وبريطانيا وألمانيا.

شارك فى المعارك التى خاضتها القوات العثمانية فى إقليم طرابلس فى ليبيا وفى حرب البلقان، وقد اشتهر أثناء هذه الحرب عام ١٩١٢ م بخروجه من مضيق الدردنيل ببارجته الحربية (الدارعة) المسماه حميدية فى عملية ناجحة، مخترقاً الحصار المفروض دون إذن من قادته ضارباً السفن والبوارج الحربية اليونانية مغرقاً ومدمراً عدداً منها، والنجاح بالوصول ببارجته حميدية إلى ميناء بور سعيد

(١) حسين رؤوف أورباى الشهير برؤوف باشا كان بحاراً فى الجيش التركى شارك فى المعارك التى خاضتها القوات العثمانية وأظهر بطولات عسكرية فى حرب البلقان.

والده أحمد باشا التركى، ولد حسين رؤوف فى اسطنبول عام ١٨٨١ م وتوفى فيها عام ١٩٦٤م. شغل منصب رئيس البرلمان التركى فى عهد السلطان وحيد الدين بعد الثورة الكمالية وكان صديقاً لمصطفى كمال وشاركه فى الثورة على السلطان شارك بعد استقالته من رئاسة الحكومة فى المعارضة التركية ضد كمال أتاتورك وقبض عليه وحوكم بتهمة محاولة اغتيال مصطفى كمال هو وآخرون من رفاق الثورة وصدر عليه الحكم بالإعدام إلا أن مصطفى كمال عفا عنه. كما سيأتى إن شاء الله «انظر كتاب أعلام الشراكسة» ـ فيصل حبطوش فوت أيزاخ ـ عمان الأردن».

بعد أن مر على مسقط رأسه طرابلس، حيث حيته الجماهير المحتشدة فى كلا الميناثين واستقبلته استقبال الأبطال وأطلقت عليه لقب (بطل الدارعة حميدية).

حارب مع مصطفى كمال أتاتورك لإنقاذ تركيا من الهزيمة العسكرية أمام الحلفاء. وكان يرمى للإصلاح الوطنى فى تركيا بتطوير وتحديث دولة السلطنة العثمانية مع وجوب المحافظة على الخلافة العثمانية.

تولى منصب رئيس وزراء الحكومة الوطنية الإقليمية التركية فى أنقرة والتى شكلتها الحركة الوطنية من نواب حزب مؤتمر سيواس المعارضين للسلطان وحكومته المركزية فى اسطنبول.

بعد إلغاء السلطنة العثمانية كسلطة دنيوية وإبقاء الخلافة كسلطة دينية فقط، ثم استغل غياب الرئيس حسين رؤوف أورباى المعارض لخططه وتوجهاته عن أنقرة ليفرض على أعضاء البرلمان الوطنى التركى إلغاء الخلافة العثمانية وترحيل الخليفة للخارج، وتحويل الحكم إلى نظام جمهورى، وتولى مصطفى كمال هو بنفسه رئاسة الجمهورية ورئاسة أركان الجيش ورئاسة حزب الشعب الحاكم.

قدم حسين رؤوف أورباى استقالته من رئاسة الوزراء فى شباط ١٩٢٢ م احتجاجاً على إرسال عصمت إينونو ممثلاً لتركيا فى مؤتمر لوزان، واحتجاجه جاء متأخراً على عمليات التهجير العقابية الإجبارية التى فرضت على سكان الكثير من القرى والبلدات الشركسية إلى مناطق صحراوية، والتمادى فى مطاردة الشخصيات الشركسية. توفى فى مدينة اسطنبول عام ١٩٦٤.



موقف الدول الغربية والدول العربية من الثورة الكمالية

فى الحقيقة انخدع العرب والترك فى مصطفى كمال وثورته الزائفة وظنوا به خيراً حينما رفع راية الجهاد المقدس ضد المحتل ورفع مع الراية المصحف فالتف حوله الشعب التركى المسلم وظنوا أنه يدافع عن عرين الإسلام.

أما المستفيد الوحيد من ثورته فهى الدول العظمى الدول الاستعمارية الغربية التى ظلت فى صراع مع الإمبراطورية العثمانية أكثر من ستة قرون ولهذا كان شروط تلك الدول العظمى فى معاهدة لوزان التى ألغت معاهدة سيفر والتى عقدت مع مصطفى كمال أن يقوم بإلغاء الخلافة والسلطنة وإلغاء كل مظاهر الإسلام من تركيا وقد وافق الغازى الوهمى مصطفى كمال فوراً على تلك الشروط.

فقد كان حرص الدول الغربية على هزيمة الإسلام بالقضاء على الدولة العثمانية حاملة راية الخلافة الإسلامية.

لقد حققت الدول الكبرى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية انتصاراً كبير فى الحرب العالمية الأولى بالقضاء على الإمبراطوريات فى أوربا، فسقطت الإمبراطورية الروسية القيصرية والإمبراطورية الألمانية والنمساوية ثم الإمبراطورية العثمانية. ولهذا دعم الغرب كله ثورة مصطفى كمال كما دعموا كل الثورات المشابهة لها والتى قامت فى الدول الأخرى العربية والإسلامية.

فقد ظل مصطفى كمال نحو سنتين فى شرق الأناضول وهو لا يستطيع أن يتقدم لمواجهة أعدائه بل كان أعداؤه اليونان هم الذين يتقدمون حتى وصولا مشارف أنقرة، ثم حقق النصر بتدخل الدول الغربية الكبرى.

وذلك لأن الحلف الغربى كان يريد دحر الدولة العثمانية، دولة الخلافة

الإسلامية، التى كانت قذى فى عيون أهل الغرب وشوكة فى حلوقهم، ولذا فقد وضع فى ميدان المعركة، كل طاقاته وإمكاناته وعمد إلى كل السبل فسلكها وعمل بكل الوسائل حتى بلغ ما يريد.

إن أهل الحلف الغربى وعلى رأسهم انجلترا وفرنسا كانتا حريصتين كل الحرص على انتصار مصطفى كمال على اليونان كما أنهما كانتا حريصتين على بقاء بلاد الأناضول لأصحابها على أن تكون تابعة للغرب بعيدة عن الإسلام والمسلمين وكانتا تعلمان مسبقاً أن مصطفى كمال سيحقق لهما هذا الحلم الغربى القديم.

كانت دول الغرب حريصة على القضاء على الدولة العثمانية لأنها دولة إسلامية قادرة باسم الإسلام على أن تهدد العالم كله وليس الغرب وحده إذا استعملت هذا السلاح المعنوى استعمالاً صحيحاً وسليماً، ولذا فإن كل الحروب التى شنها أهل الغرب على الدولة العثمانية وكل المعاهدات والاتفاقات التى عقدوها كانت تدور حول هذه النقطة وهذا الهدف، بعد فشل كل الحروب الصليبية التى قادها الغرب على الأمة الإسلامية.

إن الحروب الصليبية ظهرت فى القرن الحادى عشر الميلادى، يوم ضعفت البلاد الإسلامية، واشتدت يوم بدأت الدولة العثمانية تغزو أوروبا فى عقر دارها، ومع أن دول الغرب مجتمعة ظلت أكثر من ثلاثة قرون تعمل للقضاء على هذه الدولة الإسلامية دون أن تبلغ ما تريد، على الرغم مما أصاب الدولة العثمانية من ضعف، فإنها قد ذهلت وارتبكت حينما تم لها هذا النصر بهذا الشكل الذى حدث والذى لم تكن تتوقعه ولا تتصوره أيضاً وذلك بأن ترى الإمبراطورية العثمانية ومعها حليفاتها تنهار أمامها فى شهور الحرب العالمية الأولى.

فقد كانت الحرب العالمية فى سنواتها الأولى سجالاً بين المتحاربين وكانت فى بعض الجبهات انتصاراً للحلف العثمانى ولم يكن ما يبعث على الاعتقاد بحدوث هذا الانهيار، ولكن وقوف العرب إلى جانب الحلف الغربى وحماقات ارتكبها بعض رجال الاتحاد والترقى وإمكانات الحلف الغربى المادية والمعنوية الواسعة واستسلام البلغار المفاجئ، كل ذلك غير وجه الحرب فأسفرت عما أسفرت عنه من انهيار

ثلاث امبراطوريات كانهيار قصور الرمال.

فهذا النصر الساحق الذى أحرزه الحلف الغربى على الحلف العثمانى قد فرح الغربيين ولكنه أدهشهم وأذهلهم أيضاً بل قد كانت دهشتهم أكبر من فرحتهم وأدرك الغربيون بعد أن تم لهم هذا النصر أن الغنيمة التى أمامهم أكبر من أفواههم وأنهم لا يستطيعون هضمها وأنه لا بد لهم من إعادة النظر على برامجهم السابقة، وعلى الرغم من أنهم كانوا قد اقتسموا تركة (الرجل المريض) فيما بينهم مرات وأنهم باعوا جلد الدب قبل أن يصطادوه إلا أن أوضاعهم اليوم تختلف عما كانوا عليه من قبل إذ مات أحد الورثة قبل موت الإمبراطورية العثمانية وهى إمبراطورية روسيا بنشوب الثورة الشيوعية فيها.

وماتت أيضاً كل من الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمسوية بسبب تحالفهما مع الدولة العثمانية. فأصبحتا فى جانب التركة لا فى جانب الورثة.

ولذا فقد كان من البديهى أن يتغير التقسيم وتتغير الأهداف لا سيما وأنه لم يعد فى الميدان إلا انجلترا وفرنسا.

وأما إيطاليا واليونان فقد كان بالإمكان إرضاؤهما بالقليل لأن إيطاليا كانت فى بداية الحرب حليفة للدولة العثمانية ثم تركتها وانضمت إلى الحلف الغربى وهى لم تهضم بعد البلاد الليبية التى استولت عليها سنة ١٩١١ ولم تكن الدولة العثمانية قد اعترفت بعد بتنازلها عنها، واليونان دولة صغيرة لا حول لها ولا طول وبالتالى فليس لها حساب.

وأما أمريكا التى كانت السبب فى انتصار الحلف الغربى، فإنها كانت بشخص رئيسها ولسن، تريد الحرية للجميع فإذا لم تصل إلى هذه الغاية تركت الدنيا لأهل الدنيا وانصرفت وهذا ما حدث.

وكان كليمنصو رئيس وزراء فرنسا يقول: أنا فى حيرة من أمرى بين رجلين: الأول يظن نفسه المسيح والثانى يحسب نفسه نابليون، ويعنى بذلك ولسن رئيس الولايات المتحدة الذى كان مشبعاً بالروح الإنسانى، ولويد جورج، رئيس وزراء

بريطانيا الذى كان مليئاً بالعجب والغرور والتعالى غير أن الذى كان يخيف الغالبين هى روسيا التى وإن كانت قد خرجت من الحرب مغلوبة بسبب نشوب الثورة الشيوعية فيها، تلك الثورة التى كان الفضل الأكبر فى نجاحها لألمانيا، التى زودت لينين بالمال والسلاح وأرسلته إلى روسيا ليقلب الحكم فيها، فإن حلفاءها القدامى أى انجلترا وفرنسا ومن معهما، كانوا يعلمون بأن ضعفها لن يطول أمده وأنه لا بد لها من أن تنهض وتقف على ساقيها ثم لا بد لها من أن تطالب بإرثها وأن تسعى إلى تحقيق مطامعها فى البحر الأسود وفى الممرين المائيين، ولذا فقد كان لا بد للإنجليز وهم سادة البحار، آنذاك من أن يفكروا بهذه النتيجة وأن يتداركوا عواقبها قبل حلولها.

وكان الحل هو إبقاء الأناضول لأصحابه حتى تتصدى للمطامع الروسية فى البلقان والبسفور ولكن يجب أن تكون تلك الدولة الجديدة غير إسلامية.

فكان المنقذ لهم هو مصطفى كمال وثورته العلمانية التى قادها باسم الإسلام!!

وفى الوقت الذى اتفقت فيه الدولتان الإنجليزية والفرنسية على هذا التقسيم سرّاً كانت قد أعطتا فلسطين للصهيونيين لتكون وطناً قوميا لهم، ووعدتا الشريف حسين بإمبراطورية عربية تشمل الوطن العربى كله، وظل الشريف حسين ثابتاً على مبدئه محسناً الظن بالإنجليز على الرغم من أن رجال الثورة الشيوعية، بعد أن استلموا الحكم فى البلاد، فضحوا الاتفاقية السرية (اتفاقية سايكس ـ بيكو) المعقودة بين إنجلترا وفرنسا وروسيا لتقسيم الإمبراطورية العثمانية، وعلى الرغم من أن جمال باشا نبه العرب فى الكلمة التى ألقاها فى بيروت بتاريخ ٣٠/ ١١/ ١٩١٧ إلى هذه الحقيقة.

وقد أعرب مندوبا انجلترا وفرنسا المقيمان فى الحجاز صراحة عن سوء نية حكومتهما حينما رفضا الحفلة التى أقيمت فى جدة احتفاءً بمبايعة الشريف حسين ملكاً على البلاد العربية.

وقد تمت المبايعة فى مكة المكرمة فى ٤/ ١١/ ١٩١٦ وأقيم الاحتفال فى جدة لكى يتسنى لهذين المندوبين حضوره ولكنهما لم يحضرا لأن حكومتيهما لم تعترفا بالشريف حسين ملكاً على البلاد العربية بل ملكاً على الحجاز ورفضتا منحه

لقب صاحب الجلالة بل دعته بصاحب السيادة وأحياناً بصاحب السمو.

فلما انجلت الحرب ورأى العرب أنفسهم أنهم أصبحوا أكثر فرقة وشتاتاً مما كانوا عليه من قبل وأنهم أصبحوا محكومين بأسماء مخترعة، منها الانتداب والحماية والتحالف والاستعمار والقوة، بعد أن كانوا شركاء الدولة العثمانية فى الحكم، أسقط فى أيديهم وكانت ردة فعلهم عنيفة ويأسهم من حلفاء الأمس عظيماً ولكنهم لم يتحركوا بل ظلوا يعيشون بالآمال.

وقد جرت مراسلات بين الشريف حسين ومصطفى كمال ومراسلات جرت بين بعض رجالات سوريا وبين مصطفى كمال أيضاً ولكنها دفنت فى المهد، ويبدو أن هذه المراسلات لم تكن تنفع شيئاً لأن مصطفى كمال نفسه كان بحاجة إلى المعونة إضافة إلى كراهيته للعرب من جهة أخرى.

وبينما كان العرب غارقين فى بحور آمالهم يستجدون عطف حلفائهم تنبه السلطان وحيد الدين للأمر وأدرك أن بقاء الأناضول بلداً مستقلاً أمر لازم لأعداء الدولة العثمانية كما أنه أدرك بأن الحصول على الاستقلال لن يتم إلا بالسعى إليه فأوعز إلى مصطفى كمال بأن يقوم بثورة مسلمة، فخدع مصطفى كمال السلطان والأمة التركية بعد أن فشل فى تحقيق أحلامه بعيداً عن الغرب الصليبى.

فقد أدركت انجلترا وهى التى تحتل اسطنبول أنها لا تستطيع ابتلاع البلاد العثمانية كلها وأن حصتها من البلاد العربية كافية لها وأن تماديها فى استفزاز الشعور الإسلامى قد ينقلب عليها ويضر بمصالحها ولا سيما فى شبه الجزيرة الهندية والباكستانية، التى كان يهمها أمرها كثيراً، وأن الثورة الكمالية إنما هى الخطوة الأولى وربما تبعتها ثورات وبالتالى فإنه لا بد من إنهاء العالم الإسلامى بهذه الثورة، التى علق عليها المسلمون كل آمالهم فى إحياء الخلافة، وعلق الغربيون عليها آمالهم بأن تكون هدماً للخلافة واجتثاثاً لجذور الإسلام من البلاد حتى لا تقوم لها قائمة.

ولذا فإن نجاحها كان يهم الإنجليز أكثر مما يهم المسلمين، لأنها بهذه الثورة تصرف العرب عن التفكير بأنفسهم وتعلق آمالهم على الثورة التركية، من جهة وتكون من جهة ثانية قد ثبتت أقدامها وأقدام حليفتها فرنسا فى البلاد العربية فإذا صحا العرب لا يجدون لأنفسهم مخرجاً مما وقعوا فيه.

عمل الإنجليز جهدهم لإنجاح الثورة الكمالية بدليل أنهم لم يساعدوا اليونان بشيء، وبما قاموا به من دعاية للثورة ذاتها ولشخص مصطفى كمال حتى جعلوا الناس يظنون أن الخلافة الإسلامية أصبحت فى متناول أيديهم وأنها قد استعادت مجدها وأن مصطفى كمال هو نور الدين زنكى أو صلاح الأيوبى أو حتى عمر بن الخطاب ونسى المسلمون مصائبهم فرحاً بانتصارات مصطفى كمال التى اعتبروها الخطوة الأولى نحو تحقيق آمالهم الإسلامية.

غير أن ما حدث بعد ذلك خيب آمال المسلمين، ولكن الفرصة كانت قد فاتت ولم يعد بمقدورهم أن يفعلوا شيئاً بعد أن تفرق شملهم.

كان الغرب عامة والإنجليز خاصة يفضلون وجود دولة تركية ضعيفة مشذبة الأطراف بعيدة فكراً ومبدأ وروحاً عن البلاد العربية المجاورة على أن يسيطروا هم على الأناضول لأن وجود أية دولة أوروبية فى الأناضول باسم الاستعمار أو الحماية أو الانتداب سيجعل الاحتكاك مع الروس مستمراً بينما وجود دولة تركية ضعيفة سائرة فى ركاب الغرب العلمانى هو الضمان الوحيد للغرب الصليبى القديم أن يظل فى مأمن.

وإذا كان الإنجليز قد نكثوا عهودهم مع العرب لأنهم أدركوا ضعفهم وشتات كلمتهم وعدم اتفاقهم على رأى ولأنهم كانوا يعلمون بأنهم لن يتنازلوا عن دينهم ولا عن قوميتهم الإسلامية فإنهم قد ساعدوا مصطفى كمال ولم يناهضوه، لأنهم كانوا يعلمون أنه سيعطيهم كل ما يطمعون به وذلك لأن الاستعمار لم يعد فى أيامنا هذه استعمار أرض وسماء وسيطرة عسكرية وحكماً مباشراً بل أصبح استعمار أفكار ومبادئ وأهداف، وقد أصبحت تركيا مستقلة فى ظاهرها وفيما لا يضر الغرب

ولكنها مستعمرة فى أفكارها ومبادئها.

لقد جرب الإنجليز العرب وامتحنوا إخلاصهم فوجدوهم لا يصلحون لصداقتهم لأنهم صادقون مع أنفسهم.

لقد فرح المسلمون فى العالم كله بنجاح الثورة التركية ولكن فرحتهم لم تطل بعد أن أدركوا أبعادها ومراميها ورأوا نتائجها ولمسوها فى أنفسهم وفيما يعانون من أوضاع.

ويحاول اليوم كثير من الأتراك المخلصين الرجوع إلى ماضيهم ولكنهم لا يستطيعون لأن الثورة قد ضربت بينهم وبين ما يبتغون سداً منيعاً لا يقدرون على النفوذ منه بعد أن قطعتهم الثورة من جذورهم وأبعدتهم عن تاريخهم ولغتهم وثقافتهم.

ولكن كيف انخدع العرب بهذه الثورة الكمالية التى ظنوا أنها خير للمسلمين والإسلام؟

لم يكن المسلمون يعلمون عن أسرارها وخفاياها شيئاً فخدعوا بظاهرها وبالدعايات التى كانت ترافقها وأولوها كل دعم وتأييد وأكبروا همة وإخلاص باعثها وذلك لأن العالم الإسلامى كان قد فقد صوابه بعد انهيار الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية وكان على استعداد تام لتأييد أية حركة تقوم فى أية ناحية من العالم لنصرة الإسلام وإعادة الخلافة أو أنه كان كالغريق يرفع يديه إلى السماء ليتمسك بحبال الهواء.

وعن هذه الخديعة يقول د. إحسان حقى:

«لقد عايشت الحركة الكمالية منذ يومها الأول وأدركت كل أدوارها وقد أخذت بها وخدعت كما أخذ غيرى وخدع من المسلمين إذ ظنناها حركة إسلامية ولم يكن من شىء يعزينا عما نحن فيه، بعد اندحار الدولة العثمانية، إلا الإسلام، فقد أصبحنا غرباء فى أوطاننا أشقياء فى بلادنا تعساء فى مجتمعنا. أو نحن كالأيتام على مأدبة اللئام ليس لنا وطن ندعيه لأن الغريب يستعمره ولا لنا دولة

نستند إليها لأن الأغراب يحكموننا.

وصرنا نسمع سفهاء الناس يشتمون ديننا فى وجوهنا ومن كان منهم مهذباً ولم يشتم قال لنا: لقد ولى زمانكم ونحن اليوم أسيادكم وإن لم يقولوها بألسنتهم قالوها بأفعالهم. وكنا نتطلع يمنة ويسرة فلا نجد على سطح الأرض كلها، وعلى كثرة عدد المسلمين فيها، دولة إسلامية واحدة مستقلة حرة نستطيع أن ندعيها أو ننتسب إليها لنعتز بها بل كان العالم الإسلامى كله مستعمرات غربية أو شبه مستعمرات.

لهذه الأسباب كان سرورنا بالثورة الكمالية عظيماً ولا حدود له لأننا كنا نستطيع أن نقول بأنه قام مسلم من بين المسلمين يقف فى وجه الغرب ويعلن ثورته عليه وأنه غداً سيعيد إلى المسلمين الخلافة الإسلامية ويعيد إلينا شأننا وعظمتنا.

وكما سررنا وانتعشنا بثورة مصطفى كمال فقد سررنا وانتعشنا بثورة أنور باشا - أى ثورة جماعة الاتحاد والترقى - ولكن سرورنا بثورة مصطفى كمال كان أعظم لأسباب كثيرة منها:

١ - أن بلاد الأناضول متصلة ببلادنا العربية اتصالاً مباشراً وأن وجود دولة إسلامية إلى جوارنا أفضل من وجود دولة غربية عدوة.

٢ - ان الدولة العثمانية هى أمنا التى غذينا بلبانها وكنا جزءاً منها فرجوع الحياة إليها هو بعث لنا.

٣ - أن مصطفى كمال يعمل للخلافة الإسلامية بينما أنور باشا يعمل لإقامة دولة إسلامية وليس هذه كتلك.

٤ - أن السلطان يؤيد حركة مصطفى كمال ولم نسمع أنه كان يؤيد حركة أنور باشا.

٥ - أن هالة الدعاية التى أحيطت بها الثورة الكمالية كانت أعظم وأحكم من هالة الدعاية التى رافقت حرب أنور باشا.

٦ - أن الثورة الأنورية ماتت سنة ١٩٢٢ بموت قائدها ولم يبق أمامنا إلا الثورة

الكمالية.

٧ ـ أن الغربيين أرادوا أن يصرفوا تفكير العالم الإسلامى إلى الثورة الكمالية لكى يستهلكوا آلام المسلمين ويخففوا على نفوسهم أثر الصدمة التى أنزلوها بهم بإزالة الخلافة فأولوا الثورة الكمالية كل عنايتهم ودعموها برعايتهم لأنهم كانوا يعلمون نتائجها مسبقاً على اعتبار أنهم هم الذين صنعوها.

وكما أن الغربيين قد نجحوا فى مخططهم وجعلوا العالم الإسلامى كله يسير فخوراً بضع سنوات وراء الثورة الكمالية فقد استغل مصطفى كمال عواطف المسلمين وأموالهم إلى أبعد حدود الاستغلال وكسا ثورته لباساً إسلاميا، سواءً بأحاديثه وتصريحاته وخطبه، أو بمعاملته لزعماء المسلمين.

فمن ذلك أنه استعان بالزعيم الليبى الشهير السيد أحمد السنوسى وجعله مستشاراً له وكان يبرق إليه، كما قال لى صديقى الأمير شكيب أرسلان، إذا أراد شن هجوم على مكان ما قائلاً: إننا ننوى الهجوم غداً أو بعد غد على مكان ما فاقرأوا البخارى الشريف على نية النجاح والتوفيق.

واستغل أيضاً أعمال وأقوال جمعية الخلافة الهندية التى قامت بزعامة الأخوين شوكت على ومحمد على واستغل الشعراء فمدحوه والأدباء فأثنوا عليه ومشايخ الطرق فرفعوه إلى مقام الولاية.

كان مصطفى كمال يبطن غير ما يظهر وينوى أن يفعل غير ما يقول إذ أنه ما كاد ينتصر نهائيا ويطمئن إلى مصيره حتى ألغى الخلافة وطرد الخليفة من البلاد وطرد السيد أحمد السنوسى وتنكر لكل القيم الإسلامية وسار بسيرة ليس فيها أية مصلحة للإسلام ولا للمسلمين لا بل ليس فيها أية مصلحة لتركيا نفسها، فها هى تركيا بعد مضى كل هذه السنين على هذه الثورة ما زالت بلداً نامياً ضعيفاً لا حول له ولا طول فالحركة العلمية فيها ضعيفة والأمية سائدة والحياة الاجتماعية متأخرة والحالة الاقتصادية فى الحضيض.

وكل ما فعلته هذه الثورة أنها أشغلت الناس بأمور جانبية تافهة مثل إلغاء

الطربوش ولو كان هذان الأمران تركا للزمن لتكفل بتحقيقهما من غير ثورة كما حدث فى كل البلاد الإسلامية حتى فى أشدها تعصباً ومحافظة مثل أندونيسيا وباكستان والهند وأفغانستان حيث كان ذكر المرأة على اللسان فى هذه البلدان يعد عورة.

فأصبحت المرأة فى هذه البلاد وفى بحر سنوات قليلة قد تخطت التركية وكان السلطان محمد وحيد الدين يدرك أن وجود تركيا لازم لدول الغرب لإقامة التوازن بينها وأن انجلترا وفرنسا لن تسمحا بالقضاء على تركيا قضاء مبرماً لأنهما بذلك تفسحان المجال أمام روسيا للاستيلاء على الأناضول وبالتالى على مضيق البسفور والدردنيل مفتاحىْ العالم، بل كان ما تريدانه هو تشذيب أطراف الدولة العثمانية وجعلها دويلة صغيرة مثل دول البلقان وباقى الدول التى كانت تنويان خلقها فى المنطقة على أنقاض الدولة العثمانية.

واستناداً على هذا التفكير السليم كان السلطان محمد وحيد الدين يعلم بأن استرجاع بعض ما أخذ لا يتم بالهبة بل لا بد من القتال فى سبيله لاسترجاعه وبالتالى لا بد من القيام بثورة فى البلاد وحيث أن السلطان كان يعرف مصطفى كمال إذ كان مرافقاً له يوم ذهب، وهو ولى عهد إلى برلين ليقدم للإمبراطور الألمانى سيفاً مهدى إليه من السلطان محمد رشاد، فقد اتخذه يوم عاد من الجبهة الفلسطينية مدحوراً مرافقاً له ثم عهد إليه سرا بأن يقوم بثورة فى شرق الأناضول حتى يتسنى لرجال السياسة أن يحاوروا ويناوروا أثناء عقد الصلح ليأخذوا أكثر ما يمكن أخذه من الأعداء.

وللتغطية على هذه الثورة عن عيون الأعداء عامة والإنجليز خاصة الذين كانوا يسيطرون على اسطنبول، عينه مفتشاً عاما لجيوش الأناضول بصلاحيات واسعة وزودوه بمبلغ عشرين ألف ليرة عثمانية ذهباً، وهو مبلغ ضخم بالنسبة إلى ذاك الزمن وإلى ما كانت عليه خزينة الدولة من عجز وإفلاس.

ذهب مصطفى كمال بمهمة معينة لحساب الدولة العثمانية ولكن خان الأمانة وغدر بالسلطان وعمل لحساب نفسه عملاً بالقول المأثور: أرسلته لى خاطباً فتزوج.

وغادر اسطنبول، فى ١٧ مايو ١٩١٩ عن طريق البحر مصطحباً معه عدداً من العسكريين والمدنيين الذين اختارهم لمساعدته ووصل مدينة صامسون فى ١٩ مايو، وبعد أن جمع حوله فلول الجيش والأهلين بدأ ثورته.

وهنا يقول صبرى أفندى والذى عاصر تلك الأحداث وهو فى منصب شيخ الإسلام:

اطلع الحلفاء المحتلون على ما يرمى إليه السلطان من إرسال مصطفى كمال إلى الأناضول فاحتجوا إلى الوزارة القائمة فى اسطنبول المحتلة مستندين إلى أحكام الهدنة المعقودة فى عهد الوزارة السابقة وطالبوها باستدعاء الرجل، وحيث أن الشكايات قد كثرت ضده من الولاة بسبب ما يتمتع به من صلاحيات واسعة فقد دعوناه إلى اسطنبول بلسان وزير الحربية ولكنه لم يجب.

ثم تكرر الاحتجاج من قيادة الاحتلال وتمادت أصوات الشكاية من الولاة إلى وزارة الداخلية وتكررت منا دعوة مصطفى كمال إلى العاصمة واستمر هو فى عدم الإجابة، وإزاء ذلك هدد الحلفاء الوزارة بالرجوع إلى الحرب فاضطرت الوزارة إلى إقالته وأنا يومئذ رئيساً للوزارة بالنيابة بسبب غياب رئيس الوزارة فريد باشا فى أوروبا لحضور مؤتمر الصلح.

قررت الوزارة إقالة مصطفى كمال من منصبه وعرضت القرار على السلطان محمد وحيد الدين لكنه لم يوافق عليه موصياً بالاكتفاء بدعوته إلى العاصمة والاستمرار فى الدعوة ففعلنا، وتمادى المطل من مصطفى كمال والرفض من السلطان بالتوقيع على الإقالة، كما استمر احتجاج الحلفاء إلى الوزارة طالبين البت بالأمر.

وأخيراً قررت الوزارة فى ٨ يوليو ١٩١٩ البت بأمر الرجل وذهبت أنا إلى القصر وقابلت السلطان ومكثت فى حضرته من المساء حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وهو يماطلنى بانتظار الجواب البرقى من مصطفى كمال إذ كان رئيس الديوان يكلمه برقيا من غرفة ثانية فى القصر.

فلما انقطع الأمل من نزول منصطفى كمال عند طلب الوزارة اضطر السلطان مكرهاً إلى التوقيع على قرار الوزارة بإقالته، فكان جوابه على قرار إبلاغه القرار

بالإقالة أن أعلن استقالته من الجيش بعبارة تنم عن التمرد.

وعلى الرغم من أن السلطان وافق على قرار لإقالة بعد تعيينه بشهرين وبضعة أيام إلا أنه كان كارهاً ذلك بدليل أنه لم يصدر ضده أى أمر بل أقال فى ٢ أكتوبر الوزارة التى طلبت إقالته وأنا منها فى منصب الرئاسة بالنيابة... وأتى بوزارتين ملائمتين لحركة مصطفى كمال.

وبعد مضى أكثر من سنة على الثورة لم تجن البلاد إلا الدمار والخراب وتقدم اليونان نحو قلب الأناضول حتى كادوا يطرقون أبواب أنقرة أعيد تكليف فريد باشا بتأليف الوزارة وعلى الرغم من أن وزارته السابقة هى التى بعثت بمصطفى كمال إلى الأناضول فإنها فى هذه المرة أصدرت حكمها عليه بالعصيان والتمرد على السلطان استناداً إلى فتوى أصدرها شيخ الإسلام عبد الله درى زاده.

ولكن السلطان ما لبث أن أقال هذه الوزارة وكلف توفيق باشا وهو من أنصار مصطفى كمال، بتأليف وزارة جديدة دامت فى الحكم نحو سنتين خدمت فيهما أغراض مصطفى كمال.

فلما قويت شوكة مصطفى كمال تنكر للسطان وطلب إليه أن يتنازل عن الحكم ويكتفى بالخلافة المجردة من السلطة على أن يظل مقيماً فى اسطنبول وتنتقل السلطة إلى أنقرة، فرفض السلطان وتنازل عن العرش سنة ١٩٢٢ وخلفه عبد المجيد خليفة لا ملكاً ثم خلع سنة ١٩٢٤ وأخرج من البلاد.

وقد ظل السلطان وحيد يحسن الظن بمصطفى كمال رغم التحذيرات وظل مصطفى كمال يستغل إخلاص السلطان وصدق وطنيته والسلطان ليس بغافل بل راض بكل شىء يكون فيه خير البلاد وقد قيل له مرة: «إنه لا يستبعد أن يغتصب هذا الرجل عرشك. فقال: «ليخدم الوطن وليغتصب عرشى» وشاعت كلمة سمعتها وأنا فى بلادى تنسب إلى أحد الإنجليز وهى: «إن السلطان وحيد الدين أراد أن يكيد الإنجليز بمصطفى كمال فكاد الإنجليز به السلطان».

هذا موجز ما قاله سماحة شيخ الإسلام صبرى أفندى وأنا أقول ـ الدكتور

إحسان حقى ـ: إن من يمعن النظر فى الثورة الكمالية يجد أن الإنجليز قد لعبوا فيها أدواراً رئيسية مع ثلاثة أطراف.

الطرف الأول هو مصطفى كمال الذى تبنوه وساعدوه للوصول إلى ما وصل إليه شريطه أن يلغى الخلافة ويفعل فى تركيا ما فعل.

والطرف الثانى هو اليونان الذين كانوا حلفاءهم فى الحرب وخرجوا منها بلا غنيمة فطوحوا بهم فى مغامرة كانوا يقدرون لها الفشل فاغروهم بالاستيلاء على أزمير على أن تكون نصيبهم من غنائم الحرب وهم فى الواقع لا يريدون أن يمكنوهم من شىء لأنهم يعلمون بأن استيلاء اليونان على شىء من أرض تركيا يعنى استيلاء روسيا عليه على اعتبار أن القوميين يدينون بالأرثوذكسية وروسيا هى حامية الأورثوذكسية فى العالم.

ولكن الإنجليز أرادوا أن يعطوا اليونان درساً بهذه المغامرة لكى يرضوا من الغنيمة بالإياب ثم إنهم يخلقون من مصطفى كمال بطلاً محرراً لبلاده.

والطرف الثانى هى الحكومة التركية نفسها التى استملوها أداة للتفريق بين السلطان وبين مصطفى كمال وقد نجحوا فى تمثيل هذه الأدوار الثلاثة نجاحاً تاما.

أما مصطفى كمال فهو وحده من بين هذه الأطراف الثلاثة الذى كان يعلم ما يراد منه كما أنه كان يعلم النتائج لأنه كان على صلة بالإنجليز منذ سنة ١٩١٧ يوم كان قائداً عثمانيا فى جبهة فلسطين فقد أخبرنى ـ أى أخبر الدكتور إحسان حقى ـ إبراهيم بك صبرى ابن صبرى أفندى شيخ الإسلام الذى مر ذكره بما يلى: اتصل الإنجليز بمصطفى كمال يوم كان قائداً فى فلسطين وطلبوا إليه أن يقوم بثورة على السلطنة ووعدوه أن يساعدوه على ذلك فاتصل مصطفى كمال بقائدين عثمانيين من زملائه كانا يتوليان قيادة جيشين قريبين منه وفاتحهما بالأمر «وقد ذكر لى إبراهيم بك اسمى القائدين المذكورين ولكنى أنسيتهما لأنى لم أسجلهما عندى إذ أنى لم أكن أتوقع أن احتاج إلى ذكرهما».

فلما سمعا الخبر استعظماه واستنكراه وقالا له: «بما أنك لم تحاول العصيان الذى يوجب الإعدام فإننا سنكتم الأمر وننصحك أن تعتبره منسياً وأنك لم تفاتحنا به ولا سمعنا منك».

وانتهى الأمر بالنسبة إلى هذين القائدين عند هذا الحد وأما بالنسبة إلى مصطفى كمال الذى قبل، وهو القائد العثمانى أن يتآمر مع الإنجليز لارتكاب مثل هذه الخيانة فإنه لم ينته، ولا شك، بدليل ما وصل إليه، ولا يستبعد أن يكون الإنجليز هم الذين دعموه لدى السلطان، بطريقة غير مباشرة، لكى يعينه مفتشاً عاماً لجيوش شرق الأناضول ليسهلوا مهمته.

قد يتساءل المرء: كيف يساعد الإنجليز مصطفى كمال على القيام بثورة فى بلاد هم يسيطرون عليها؟

والجواب قد مر معنا وهو أن أمم الغرب كانت منذ زمن بعيد تريد تحطيم الدولة العثمانية وتريد اقتسام تركة «الرجل المريض» وقد عقدت هذه الدول مئة معاهدة لتقسيم هذه التركة ولكنها لم تكن تتفق على ما يصيب كلا منها كما أنها لم تكن قد افترستها، فلما نشبت الحرب العالمية الأولى وانهارت الدولة العثمانية رأت هذه الدول، وعلى رأسها انجلترا وفرنسا، أن بقاء تركيا دولة صغيرة غير إسلامية يضمن لها مصالح أكثر مما لو استولت عليها واستعمرتها كما فعلت بالبلاد العربية لأنها ستبقى حاجزاً بين العالم الحر وبين روسيا، التى وإن كانت فى تلك الأيام ضعيفة فإنها لابد لها من أن تسترجع قوتها فى يوم من الأيام وتقوم فتطالب بإعادة تقسيم الغنيمة، وإنها لن تسكت عن سيطرة انجلترا على الممرين المائيين.

ولذا فإن هذه الدول الغالبة رأت من الأصلح وجود دولة صغيرة ضعيفة وغير مسلمة صديقة للغرب كالدولة التركية الحالية التى صنعتها على يد مصطفى كمال من أن تكون هى المسيطرة.

وهكذا فقد نال الغرب بغيته وأصبحت تركيا دولة صغيرة علمانية وتنكرت

حتى لواقعها فهى أعلنت أنها دولة غير إسلامية مع أن ٩٥٪ من سكانها مسلمون وتنكرت لأسيويتها مع أن مالها فى أوروبا من مناطق لا يتجاوز عشر مساحتها.

فقد ذكر سماحة شيخ الإسلام صبرى أفندى فى كتابه أموراً منها أنه لما كان مصطفى كمال على فراش الموت أوصى بألا يصلى عليه صلاة جنازة ولكنهم صلوا عليه إجابة لرجاء أخته.

ثم أنه لما دعيت تركيا لحضور المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى القدس سنة ١٩٣١ رفضت الحكومة التركية حضوره لأنها غير مسلمة، ولما دعيت لحضور المؤتمر الآسيوى الذى عقد فى دلهى رفضت حضوره بحجة أنها ليست بدولة آسيوية.

لقد انخدع المسلمون والعرب بثورة مصطفى كمال حتى أنهم علقوا الآمال عليه ليحررهم من الاستعمار الذى رفض منحهم الاستقلال بعد انتصاره فى الحرب العالمية الأولى.

قال «أرمسترونج» فى كتابه الذئب الأغبر:

«والواقع أن انتصارات مصطفى كمال قد أنعشت آمال الشعوب الشرقية وزادت من مخاوف الدول الغربية، بحيث لم تكن تنشب أى اضطرابات عدائية نحو دول الغرب فى أى بقعة من العالم إلا واتجهت الأنظار نحو هذا البطل والقائد الشرقى الذى هز كل جبروت أوروبا ومرغ جبينها فى الوحل ورأت فيه الشعوب الشرقية منقذاً لخلاصها من استعباد الجنس الأوروبى.

فعرضت عليه إيران وأفغانستان عقدى صدقات دفاعية مع تركيا، كما طلب الهنود مساعدته فى صراعهم مع بريطانيا».

ويضيف أيضاً فى موضع آخر عن مصطفى كمال:

«إنه لو وجد مكان مصطفى كمال رجل آخر صغير النفس والعقل لكان ضاعف فى مطالبه بعد كل تلك الانتصارات الأسطورية التى أحرزها، إذ ماذا كان

يمنعه من الاسترسال فى الغزو والتوسع وها هم الحلفاء يتوسلون إليها بأن لا يتسبب فى نشوب حرب عالمية جديدة، ورسائل التهنئة وبرقيات المديح والهدايا من الأوسمة وسيوف الشرف تنهال عليه من جميع دول العالم(١).

وفى الحقيقة إن أرمسترونج لم يخف انحيازه لمصطفى كمال فى كتابه عن قصة حياته وسيرته فهو أستاذه الذى صنع منه بطلاً، فكما ذكرنا كان «هـ. س. أرمسترونج» ضابط مخابرات بريطانيا تم تكليفه بصناعة مصطفى والاتفاق معه على الخيانة وهدم الدول العثمانية ثم الخلافة ولهذا انسحب من فلسطين فى الحرب العالمية الأولى ليثبت ولاءه للإنجليز.

وأما الحقيقة فى كلام ضابط المخابرات البريطانى أرمسترونج أن الشعوب الشرقية نظرت إلى مصطفى كمال بوصفه المخلص المنتظر، لقد ظنوا ذلك وانخدعوا فيه فلما علموا حقيقته رشقوه بالأحذية والنعال كما يفعلون حين يرجمون إبليس.

وأما الكذب الواضح فى كلام أرمسترونج ادعاؤه أن الدول الكبرى خشيت من مصطفى كمال وانتصاراته أن يثير المشاكل والثورات ضدهم وهذا كذب ويدعو للضحك والسخرية لأن مصطفى كمال صنيعة الإنجليز والأمريكان ساعدوه فى كل حروبه التى ادعى أنها حروب استقلال، وهم الذين شجعوا اليونان على غزو المدن التركية ثم أمدوا مصطفى كمال بالسلاح والخطط والمعلومات المخابراتية لتحقيق النصر على اليونان بالإضافة لاستغلاله الجانب الدينى لدى الأتراك فى تلك الحرب ورفعه للمصحف والشعارات الإسلامية حتى تحقق النصر.

لقد تعلم مصطفى كمال الدرس من سلفه أنور باشا حين تجاوز الحدود وأراد إعادة الامبراطورية العثمانية مرة أخرى للوجود وإن كانت على الطريقة الطورانية أو القومية الطورانية فتصدى له الإنجليز والحلفاء وقضوا عليه.

والدليل على أن انتصارات مصطفى كمال كانت انتصارات زائفة أنه لم يتحقق

(١) انظر الذئب الأغبر ـ ارمسترونج.

له الاستقلال إلا بعد عقد معاهدة «لوزان» التى اشترط فيها الإنجليز لاستقلال تركيا وتحرير أراضيها إلغاء الخلافة الإسلامية وكل مظاهر الدين الإسلامى وجعل تركيا دولة علمانية وهو ما وافق عليه مصطفى كمال دون قيد أو شرط وحقق لهم ما أرادوا فى سنوات قليلة.

■ ■ ■

مصطفى كمال أتاتورك

رئيساً لتركيا

- إعلان النظام الجمهوري في تركيا وانتخاب مصطفى كمال رئيساً للبلاد.
- إلغاء منصب الخليفة وطرد آخر الخلفاء العثمانيين من تركيا.



إعلان النظام الجمهورى فى تركيا وانتخاب مصطفى كمال رئيسا للجمهورية

اكتملت فصول المسرحية واعتلى مصطفى كمال كرسى الحكم بلا منازع، وبقى أن يحقق ما وعد به الحلفاء من القضاء على الإسلام فى تركيا وجعلها دولة علمانية لا دين لها.

ومن أولى الخطوات طرد الخليفة العثمانى عبدالمجيد الثانى والقضاء على كل من يحاول الوقوف فى وجه الطاغية الجديد مصطفى كمال الذى أصبح الديكتاتور ورئيس الدولة.

لم يكن الأمر سهلاً فقد واجه الطاغية الجديد بعض المعارضة من رفقاء السلاح والكفاح الذين رفضوا انجرار تركيا فى طريق العلمانية الغربية بحجة التحديث وأن الدين الإسلامى عقبة فى طريق تركيا لتلحق بالركب الحضارى الغربى، وكذلك رفضهم إلغاء الخلافة الإسلامية.

وكان على رأس هؤلاء المعارضين لإلغاء الخلافة صديق مصطفى كمال وأول رئيس للوزراء فى عهد الجمهورية رؤوف باشا وهو أيضاً رئيس النواب السابق.

وتكاثر المعارضون لمصطفى كمال حول رءوف باشا، فأخذوا يعلنون معارضتهم واتهاماتهم لمصطفى كمال بالديكتاتورية والاستبداد.

وطالبه النواب المعارضون باستعادة الصلاحيات المطلقة التى حصل عليها أثناء حربه لليونانيين وعودة الديمقراطية.

وانضم إلى رءوف باشا، كاظم كره بكير الجنرال السابق فى الجيش وأحد الذين أنقذوا مصطفى كمال من الاعتقال وتنفيذ حكم الإعدام فيه حين عزله

السلطان وحيد الدين وكذلك «على فؤاد» ونور الدين باشا وغيرهم الكثيرون حتى إنه لم يبق مع مصطفى كمال من الزملاء القدامى أنصار الثورة الكمالية سوى «عصمت إينونو» الذى استمر معه حتى وفاة مصطفى كمال وتولى رئاسة الجمهورية بعده.

وأخذ مصطفى كمال يخطط للقضاء على أصدقائه الذين أصبحوا معارضين له وكلهم كانوا أعضاء فى الجمعية الوطنية الكبرى «البرلمان»، وقد تجمعوا حول «رءوف باشا».

وبدأ يقوم بجولات واسعة فى جميع أنحاء البلاد وأقاليمها، فكانت الجماهير تتهافت لتكريمه والترحيب به ومصافحته، وكانو هو بدوره يلقى فيهم الخطب الحماسية، فيلهب مشاعرهم الوطنية داعياً إياهم إلى المزيد من الحذر واليقظة فى وجه أعدائهم الداخليين من الساسة المحترفين والانتهازيين، الذى بدأوا يتسابقون على الحكم، بعد زوال الاحتلال الأجنبى، من أجل تكوين أرسطوقراطية جديدة تحل محل «الباشوات» و«الباكوات» القدامى، الذين كانوا يحيطون بالسلاطين وحاشياتهم.

كما أخذ يدعو فى كل قرية ومدينة يزورها إلى أحياء «لجان المقاومة الشعبية» التى كان قد أنشأها بمعاونة «رءوف» و«رأفت» إثر هزيمة تركيا فى الحرب وتوقيع اتفاقية «مودروس».

وبما أن هذه المنظمات كانت خاضعة لأوامره مباشرة وذات طابع عسكرى، فقد حولها مصطفى كمال إلى حزب سياسى منظم أطلق عليه اسم «حزب الشعب».

وأصبح بإمكانه أن يحكم البلاد مباشرة بواسطة هذا الحزب ومنح كل لجنة من لجانه سلطة اختيار «مختار» القرية «وقائمقام» القضاء و«والى» المنطقة، وكذلك نظار المدارس ومديرى الشرطة والمجالس البلدية، وحتى رجال الدين

(١) انظر الذئب الأغبر ـ ارمسترونج.

ووعاظ الجوامع والمساجد، مع ربط جميع هذه اللجان به شخصيا بوصفه زعيم الحزب ورئيسه.

وأدرك النواب المعارضون له ما يفعله مصطفى كمال وخطورة إنشائه لحزب يتزعمه وهو فى نفس الوقت رئيساً للجمعية الوطنية الكبرى ولم يعلن النظام الرئاسى بعد وهو الحاكم الفعلى أيضاً للبلاد.

فتقدم إليه وفد منهم يطالبون بالتخلى عن رئاسة الجمعية الوطنية الكبرى باعتباره أصبح رئيساً لحزب سياسى وأن رئيس البرلمان يجب أن يكون فوق الأحزاب، إلا أنه رفض وثار فى الوفد وهددهم قائلاً:

أى أحزاب، هنالك حزب واحد فقط فى البلاد هو حزب الشعب الذى لى شرف رئاسته فإياكم وتكرار هذه النغمة مرة أخرى.

لكن بعض النواب تقدم بمشروع للبرلمان بتعديل قانون الانتخابات بحيث لا يسمح لأى مواطن تركى أن ينتخب نائباً فى البرلمان ما لم يكن قد ولد على أرض تركية أو يكون قد قام فى المنطقة التى يرشح فيها نفسه مدة خمس سنوات متواصلة على الأقل.

وهذا يعنى عدم إمكانية ترشح مصطفى كمال للبرلمان مرة أخرى، لأنه مولود فى «سالونيك» وهى مدينة يونانية وقتها بعد إعادتها لليونان بموجب المعاهدات الأخيرة بعد الحرب وكذلك عدم إقامته فى أى مدينة تركية لمدة خمس سنوات متصلة لإنشغاله بالحروب طوال فترة حياته العسكرية.

وأمام هذه المعارضة قام مصطفى كمال بإصدار قرار بحل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة فى البلاد لتصفية المعارضة.

وبالفعل تم إجراء الإنتخابات البرلمانية فى سبتمبر ١٩٢٣م، وقد أظهر المعارضون لشخص مصطفى كمال عيوبه ونواقصه وأهدافه الموافقة للاتجاهات الغربية الصليبية المعادية للإسلام وإنه يسعى لإلغاء منصب الخلافة كما ألغى

السلطنة العثمانية، وأظهروا فى حملتهم الانتخابية الجانب الشخصى من حياته الديكتاتورى وإدمانه لشرب الخمر مجاهرة بها واستهتاره بالدين الإسلامى.

ومن جانبه اتهم المعارضين له بالخيانة والعمالة والجبن والتخلف، واستغل موهبته الخطابية فى التفاف الغوغاء حوله متظاهراً بحبه للدين ووعوده بأن يجعل من تركيا دولة عصرية حديثة.

وبعد إجراء الاقتراع لم يحصل أنصار حزب الشعب الكمالى على الأغلبية المطلوبة لتشكيل الحكومة فقام بأساليب السياسة القذرة فى تفريق الخصوم وأدت تلك الخطة إلى عدم إمكانية تشكيل حكومة تتمتع بتأييد الأغلبية وانقسم النواب إلى كتل وأحزاب متناحرة واستمرت الأزمة السياسية بعد أن قدم الوزراء استقالتهم بناء على مشورة قائدهم ورئيسهم مصطفى كمال.

واضطر النواب المعارضون للالتفاف حول الديكتاتور من جديد بعد أن نجحت خطته من جعلهم يفشلون فى اختيار حكومة وطنية، وتم عقد مجلس النواب بدون حضور زعماء المعارضة الكبار أمثال رءوف باشا وكاظم قرة وعلى فؤاد واتفقوا على تحكيم مصطفى كمال فى أمر تشكيل الوزراء والخروج من المأزق السياسى الجديد.

وكانت خطة مصطفى كمال مع فتحى بك رئيس المجلس أن يقف ضد أى اقتراح يؤدى إلى لم الشمل واتحاد الآراء حيث قال له:

لقد حان الوقت لوضع حد لهذه المهزلة، غداً سوف نعلن قيام النظام الجمهورى فهو المخرج الوحيد للخلاص من جميع هذه المصاعب والمتاعب، لذلك عليك أنت يا فتحى أن تعقد الأمور غداً فى الجمعية الوطنية فى صفوف النواب إلى آخر مدى، عندئذ تقترح أنت يا كمال الدين أن أستدعى أنا لحل الأزمة وأن يفوض النواب أمرهم إلىَّ للخروج من هذا المأزق(1).

وقد قام كل من النواب بأداء دوره الذى حدده له مصطفى كمال وكأنه قطعة

(1) ذئب الأناضول - مصدر سابق.

شطرنج صماء لا عقل لها.

وحضر مصطفى كمال الجلسة كى يؤدى دوره، فلما وصلت الرواية أو المسرحية إلى آخر فصولها صعد المنبر وتحدث وقد هيأت الأمور له وانقاد الجميع لإرادته حيث ذهبوا إلى مقر إقامته بعد ذلك فى «شانكايا» ومعهم عريضة قد وقعوا عليها يطالبونه بالتدخل وقد غاب عن هذه الجلسة أكبر المعارضين له مثل رءوف باشا وكاظم «قره» كما ذكرنا.

فقال لهم مصطفى كمال:

«لقد اخترتمونى حاكماً فيما بينكم لإخراجكم من هذه الأزمة، ولكننى أقول لكم إن هذه الأزمة هى من صنع أيديكم بسبب عدم حكمكم حكماً سليماً على الأمور. إن هذه الأزمة ليست ناجمة عن أسباب عابرة، إنها نتيجة طبيعية لهذا الوع غير الطبيعى من الحكم.

فالجمعية الوطنية تمارس فى الوقت نفسه السلطتين التشريعية والتنفيذية، وهذا أمر غير مقبول وليس له مثيل فى جميع دول العالم المتقدمة اليوم. إن كل واحد منكم يريد أن يجعل من نفسه وصيا على الحكومة، وأن يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة من شئونها، وأن تؤخذ موافقته سلفاً على كل خطوة تريد أن تخطوها..

إن أى وزير جدير بهذا اللقب لا يمكنه أن يصرف أمور وزاراته فى ظل هذا الوضع غير الطبيعى، وما من حكومة تستطيع أن تحكم فى حالة شاذة كهذه.

إن هذا ليس حكماً بل مجرد فوضى، وقد لمستم ذلك بأنفسكم، لذلك، أصبح يتحتم علينا أن نعيد النظر فى تركيبنا السياسى من الأساس، والحل الوحيد للخروج من هذه الأزمة ومن الأزمات المماثلة فى المستقبل هو إعلان النظام الجمهورى وانتخاب رئيس للجمهورية يكون متمتعاً بالسلطات التنفيذية كافة».

ثم تلى عليهم مشروع تعديل الدستور كما وضعه مع «عصمت «إينونو» على

النحو التالى:

مادة أولى: إن نظام الحكم للدولة التركية هو النظام الجمهورى.

مادة ثانية: يتولى تصريف شئون الدولة مجلس الوزراء بإشراف رئيس الجمهورية ومراقبة «الجمعية الوطنية الكبرى».

مادة ثالثة: ينتخب رئيس الجمهورية من قبل «الجمعية الوطنية الكبرى» التى تلتئم بكامل أعضائها.

مادة رابعة: يجب أن يكون رئيس الجمهورية المنتخب من بين أعضاء «الجمعية الوطنية الكبرى» وينتخب لمرة واحدة ويمارس صلاحياته لغاية انتخاب رئيس جديد، على أن يمكن إعادة انتخاب الرئيس السابق.

مادة خامسة: إن رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة. وبهذه الصفة يحق له، عندما يرى ذلك ضروريا، أن يترأس الجمعية الوطنية ومجلس الوزراء.

مادة سادسة: إن رئيس الجمهورية هو الذى يختار، من بين أعضاء «الجمعية الوطنية» رئيساً للوزراء. وبعد ذلك يختار الرئيس المكلف أعضاء حكومته من بين أعضاء «الجمعية الوطنية».

مادة سابعة: بعد أن يشكل رئيس الوزراء أعضاء حكومته يحيل رئيس الجمهورية الحكومة الجديدة أمام «الجمعية الوطنية» للتصويت على الثقة بها. فإذا لم تكن «الجمعية الوطنية» فى حال انعقاد، أرجئ الاقتراع على الثقة إلى بدء الدورة.

وأدرك النواب لدى سماعهم هذا التعديل الدستورى إن الخطوة التالية إلغاء الخلافة، فوقف أحدهم وطلب إعطاء النواب فرصة للتفكير فى الأمر، كما طالب نائب ثان بإحالة مشروع التعديل إلى لجنة قانونية لدراسته.

إلا أن مصطفى كمال طلب التصويت على المشروع فوراً.

وبدأت عملية التصويت وحظى المشروع بأكثرية الأصوات بينما امتنع أربعون

نائباً عن الإدلاء بأصواتهم.

وبعد خمس عشرة دقيقة، بعد الموافقة انتخب مصطفى كمال أول رئيس للجمهورية التركية!

بينما كانت المدفعية فى الخارج تطلق إحدى وعشرين طلقة تحية للدكتاتور الذى أصبح أول رئيس للجمهورية التركية فى ١٩٢٣/١٠/٢٩م.

وأقيمت الاحتفالات الشعبية وأقواس النصر ومعالم الزينة فى كل قرية ومدينة باستثناء اسطنبول التى ظل ساستها وصحافيوها موالين للخليفة.

فنشرت صحيفة «تانين» مقالاً طويلاً هاجمت فيه إعلان الجمهورية، واتهمت مصطفى كمال بأنه يسعى للقضاء على الخلافة وإبعاد تركيا عن العالم الإسلامى.

كما نشرت صحيفة «وطن» مقابلة مع «رءوف باشا» ألقى فيها ظلال الشك حول نجاح النظام الجمهورى «الذى لا يتلاءم مع تقاليد الشعب! فقد كان من رأيه أن تصبح تركيا دولة على غرار بريطانيا اليوم، أى ملكية دستورية يكون فيها الخليفة بمثابة رمز لوحدة الأمة، بينما تتولى «الجمعية الوطنية» إدارة شئون البلاد وسياستها.

إلا أن مصطفى كمال لم يعر اهتماماً لهذه الانتقادات بل اعتبرها مرحلة طبيعية تمر بها كل أمة تنتقل من نظام قديم إلى نظام جديد.

وبدأ يخطط لإنهاء نظام الخلافة ثم القضاء على المعارضين له كما سيأتى.

ذلك أن الخلافة فى نظره قد باتت رمزاً لتخلف تركيا وعجزها عن السير فى طريق العمران والتقدم، بسبب الذين تعاقبوا على وضع عمامتها فوق رؤوسهم، واستخدامها لإشباع شهواتهم ونهمهم على حساب الشعب، واستنزاف لقمة العيش من أفواه الفقراء والمساكين، لاسيما الفلاحين، لتحويلها إلى مآدب ضخمة ومواكب فخمة، بحجة الدين وفى سبيل الدين الذى هم منه براء.

ولهذا فالفرصة المناسبة للإطاحة بهذه الخلافة المهلهلة السائرة فى ركاب

الأجانب ضد شعبها، والخلاص نهائيا من المتاجرة بالدين وتسخيره لنشر الجهل والاستغلال والفقر.

وقامت المعارضة من السياسيين وعلى رأسهم رءوف يغادرون أنقرة إلى أسطنبول، ويقومون بزيارات سرية لعبد المجيد لإغرائه بتنصيبه «سلطاناً دستوريا» على أن يختارهم وزراء له، وعندما يتمكنون من إسقاط نظام الحكم فى أنقرة والخلاص من مصطفى كمال، كما ظن هو ذلك أو أشاع حين أراد التخلص منهم.

ومما زاد فى حنقه أن الخليفة كلما ذهب للصلاة يوم الجمعة فى مسجد «أيا صوفيا» يمتطى صهوة جواد أبيض، على غرار ما كان يفعل السلطان محمد الفاتح، ويحيط نفسه بحرس من الفرسان، بينما تسير الجموع وراءه مهللة مكبرة، كما أخذ يستقبل فى قصرة علية القوم من رجال الحاشية الملكية القدماء، ويتقبل زيارات السفراء والمبعوثين الأجانب بوقار السلطنة وأبهتها.

وهكذا وجد الخليفة الصورى نفسه على الرغم منه محوراً وسلاحاً للمعارضة فى وجه مصطفى كمال وحكومة أنقرة.

وإزاء تلك التصرفات أصدر مصطفى كمال، أمراً حازماً إلى والى اسطنبول بمنع عبدالمجيد من إحاطة نفسه بمظاهر الأبهة أثناء تأدية الصلاة ومن استقبال الزائرين الأجانب.

كما أرسل تحذيراً صارماً إلى جميع الذين يترددون على «قصر يلدز» من بطانة وحاشية السلاطين القدماء، بالتزام بيوتهم تحت طائلة إحالتهم أمام محكمة عرفية عسكرية بتهمة الخيانة والتآمر ضد نظام الحكم الجمهورى، أى تعليقهم على المشانق.

أما «رؤوف» وسائر خصومه من السياسيين فى «الجمعية الوطنية»، فقد استدعاهم إلى أنقرة حيث أرغمهم على إقسام يمين الولاء للجمهورية وله شخصياً كرئيس لها، ولم يكتف بكل هذه التدابير التأديبية ضد عبد المجيد، بل أرسل إلى «الجمعية الوطنية» مشروع مرسوم بتخفيض مخصصاته إلى الحد الأدنى، وكذلك

تخفيض مرتبات أمراء العائلة المالكة، فوافقت الجمعية الوطنية على مشروع المرسوم كما ورد دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض عليه، بعد أن شعروا بخطورة إجراءاته الانتقامية التى قد تصيبهم من جراء إغضاب الحاكم الطاغية الجديد.

وذاعت أنباء التدابير التى اتخذها مصطفى كمال بحق «الخليفة» فى طول البلاد وعرضها، وأخذ خصومه من السياسيين القدامى ورجال الدين يطوفون فى مختلف المدن والقرى، يؤلبون الناس عليه ويستثيرون نخوتهم الدينية ضده، متخذين من إجراءاته الأخيرة «قميص عثمان» جديداً لاتهامه بالإلحاد والكفر والسعى للقضاء على الخلافة والإسلام!

ونجحوا إلى حد بعيد فى تهييج الرأى العام ضده.

فأخذت الجماهير المتعصبة الصاخبة تهاجم لجان «حزب الشعب» وفروعه المنتشرة فى كل مكان، وتعتدى على مراكزها وأفرادها بالضرب والحرق والسحل فى الشوارع والساحات العامة[1].

وعلى الفور قام الطاغية بإكمال فصول المؤامرة التى بدأها حيث قرر تسديد ضربته القاضية المميتة وإلغاء الخلافة نهائياً وإلى الأبد من تركيا.

إلا أنه وجد أن الظروف تعمل ضده فى الوقت الحاضر، وأن إقدامه على مثل هذه الخطوة سوف يزيد النقمة الشعبية المتصاعدة فى وجهه، فوقع فى حيرة وارتباك كبيرين.

فلا هو بقادر على قمع الفتنة بالإرهاب والبطش مخافة إلقاء البلاد فى حرب أهلية جديدة، كما أنه ليس بإمكانه أن يترك هذه الفتنة تتفاقم وتتصاعد، فيتمكن خصومه من التغلب عليه، وربما تمكنوا من الإطاحة بالنظام الجمهورى برمته وجاءته اعتراضات من الزعيمين الهنديين المسلمين «الآغا خان» و «أمير على» يحتجان باسم مسلمى الهند، ويطالبانه فيه باحترام مقام «الخليفة» الذى هو خليفة على جميع المسلمين فى العالم وليس «خليفة» على الأتراك فقط.

---

(١) المصدر السابق.

يقول أرمسترونج: ـ وجد «الغازى» أن فرصته الذهبية المنشودة قد حانت. فراح ينبش تاريخ الزعيمين الهنديين حتى تبين له أنهما من عملاء الاستخبارات البريطانية «الانتلجنس سيرفس»، كما تبين له أن «الآغا خان» بصورة خاصة، يعيش فى انجلترا عيشة الترف والبذخ، فيسير جياده فى حلبات السباق، ويرتدى الثياب الإنجليزية، ويمشى فى ركاب الساسة الإنجليز ويرتاد نواديهم الخاصة، ويحيط نفسه بعشرات العشيقات الجميلات!

فاتخذ من جميع هذه الأمور ومن حياة الآغا خان الخاصة سلاحاً لإثارة الشعور القومى، فراح يهيج الرأى العام قائلاً:

«إن إنجلترا العدوة الماكرة اللدودة حين فشلت فى القضاء على تركيا بواسطة اليونانيين عمدت إلى دسائسها المألوفة، فأخذت تستخدم صنيعتها «الآغا خان» لدس أنفها فى شؤون تركيا ومناصرة الخليفة، وشطر الأتراك إلى معسكرين بغية إشعال الحرب الأهلية فيها».

فتمكن بذلك من إخماد الفتنة الداخلية وخنقها فى مهدها، ومرة أخرى تغلب الشعور القومى على شعور الولاء للخليفة، فقد كان يكفى أن يلوح بالخطر الخارجى و «دسائس الإنجليز»، حتى يهب الشعب للوقوف فى صفه ومناصرته».

وأثارت خطب مصطفى كمال ثائرة «الجمعية الوطنية»، فعقدت اجتماعاً طارئاً فى الثالث من مارس عام ١٩٢٤.

وأخذ الخطباء من النواب يتسابقون إلى شن الحملات الشعواء على الإنجليز والآغا خان، عندها ضرب ضربته الكبرى، فقدم إلى «الجمعية الوطنية» ـ مشروع قانون بإلغاء الخلافة.

وأقرت «الجمعية الوطنية» مشروع القانون دون مناقشة أو اعتراض.

وخرج مصطفى كمال من القاعة، وأرسل فى مساء اليوم نفسه أمراً إلى حاكم اسطنبول بإلقاء القبض على «الخليفة»، ووضعه خارج الحدود قبل الفجر.

وما أن تلقى الوالى هذا الأمر، حتى توجه فى منتصف الليل إلى «قصر يلدز» بصحبة حامية من رجال البوليس والجيش، فأيقظ عبد المجيد من النوم ووضعه فى سيارة حملته عبر الحدود باتجاه سويسرا بعد أن تركه يأخذ حقائب ثيابه، ثم نقده بعض الدراهم لتدبير أموره.

وبعد يومين، حشد مصطفى كمال جميع الأمراء العثمانيين وأميراتهم ونفاهم خارج البلاد.

وهكذا نفذ الطاغية نصف ما هو مطلوب منه وبقى تغريب تركيا كما هو متفق معه فى معاهدة لوزان.

وإليك نص تلك الوثيقة من دار الوثائق المصرية:

قانون نمرة ١٥٦:

بشأن إلغاء الخلافة وإبعاد الأسرة العثمانية إلى خارج بلاد الجمهورية التركية الصادر فى ٢٦ رجب ١٣٤٢.

قانون نمرة ٤٣١:

مادة ١: الخليفة مخلوع. وبما أن معنى الخلافة فى الأصل مندمج فى مفهوم الحكومة والجمهورية فإن منصب الخلافة ملغى.

مادة ٢: ممنوع من حق الإقامة إلى الأبد فى داخل بلاد الجمهورية التركية كل من الخليفة المخلوع وجميع أعضاء الأسرة العثمانية المنقرضة رجالاً ونساء، وكذلك أصهارهم. ويدخل فى حكم هذه المادة من تولد من النساء اللائى ينتمين إلى هذه الأسرة.

المادة ٣: إن الأشخاص المذكورين فى المادة الثانية مجبورون لمغادرة أراضى الجمهورية التركية فى مدة لا تزيد على الأكثر عن عشرة أيام من يوم إعلان هذا القانون.

المادة ٤: أن الحقوق الوطنية التركية وصفة مواطن تركى منزوعة من هؤلاء الأشخاص المذكورين فى المادة الثانية.

المادة ٥: من الآن فصاعد لا يجوز للأشخاص المذكورين فى المادة الثانية أن يتصرفوا فى الأموال المنقولة داخل أراضى الجمهورية التركية.

ويمكنهم بواسطة وكلائهم أن يعملوا على قطع علاقاتهم أمام محاكم الدولة فى مدة عام واحد فقط وليس لهم بعد مضى هذه المدة حق المراجعة لأية محكمة من محاكم الدولة.

المادة ٦: وستصرف الحكومة لمدة واحدة لهؤلاء الأشخاص المذكورين فى المادة الثانية مبلغاً يتفاوت مقداره حسب ثروة كل منهم، وذلك نظير ما يلزم من النفقات الضرورية.

المادة ٧: أن الأشخاص المذكورين فى المادة الثانية مجبورين بتصفية جميع أموالهم غير المنقولة الكائنة داخل أراضى الجمهورية التركية فى بحر عام واحد بعلم من الحكومة وموافقتها.

وإذا لم يتمكنوا من تصفية تلك الأموال فإن الحكومة ستتولى ذلك وتصرف لهم بدل أموال التصفية.

المادة ٨: تنتقل إلى الشعب ملكية جميع الأملاك غير منقولة المسجلة باسم الذين تولوا السلطنة فى الإمبراطورية العثمانية الكائنة الآن داخل أراضى الجمهورية التركية.

المادة ٩: تنتقل إلى الشعب ملكية جميع الأثاث من أطقم ولوحات فنية وآثار من الفنون الجميلة وكذا سائر الأموال المنقولة الكائنة فى سرايات وقصور السلطنة وغيرها من الأماكن.

المادة ١٠: إن الأملاك المسماة بأملاك الفاتاينة السابق ملكيتها إلى الشعب أيضاً قد انتقلت إلى الشعب مع محتويات الخزينة الهايونية السابقة وكذا السرايات والقصور والمبانى والأراضى.

المادة ١١: ستنظم لائحة تثبيت وحفظ جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة التى آلت ملكيتها للشعب.

المادة ١٢: إن هذا القانون نافذ المفعول ابتداء من يوم نشره.

المادة ١٣: يقوم بتنفيذ أحكام هذا القانون هيأة السلطنة التنفيذية[١].

وهكذا استكملت الخطة حلقاتها التى بدأها مصطفى بعد معاهدة لوزان.

ففى سنة ١٩٢٢ تم فصل السلطنة عن الخلافة وإلحاقها بمجلس الأمة وكانت هذه الخطوة هى التمهيد الطبيعى لإلغاء الخلافة بعد ذلك فى شهر مارس من عام ١٩٢٤.

وكان إلغاء الخلافة كما يقول مؤلف كتاب «الرجل الصنم» أحد هدفين هامين عند الإنجليز أولهما: (إلغاء الخلافة وسواء كانت للخليفة سلطة فعلية أو لا فإنها كانت تحمل على الدوام احتمال الظهور والوجود).

وكان الهدف الثانى اقتطاع لواء الموصل ومنابع النفط فيها من تركيا ثم عقد مؤتمر الصلح بلوزان بعد عشرين يوماً من إلغاء السلطنة، وفى مفاوضات المؤتمر كان الإنجليز فى بدايته ما يزالون يخفون رغبتهم فى إلغاء الخلافة ولكنهم كانوا كما يقول الدكتور رضا نور فى مذكراته ـ وزير الصحة التركى والممثل الثانى فى مؤتمر الصلح بلوزان وكان فى البداية معارضاً لإلغاء الخلافة بالرغم من موافقته على إلغاء السلطنة ـ يظهرون تعصبهم المسيحى بإصرارهم على بقاء بطريركية الروم فى اسطنبول ويتوقف المؤتمر وتدور الاتصالات من وراء الكواليس، وتأتى شروط انجلترا للصلح وفيها الشرطان الأساسيان:

١ ـ إلغاء الخلافة.

٢ ـ ترك الموصل للعراق تحت الانتداب الإنجليزى.

وهو ما تحقق فيما بعد، حيث حققه الديكتاتور كما ذكرنا، وأصبح مصطفى كمال ديكتاتور تركيا الأوحد وحاكمها الفعلى لا ينازعه أحد فى الحكم سوى أصدقاء وزملاء الماضى وعلى رأسهم رؤوف باشا رئيس الوزراء فى أول حكومة بعد إلغاء السلطنة وإعلان النظام الجمهورى.

---

(١) دار الوثائق المصرية.

تركيا هى أنا

ـ تخلص مصطفى كمال من زملائه فى الثورة وتفرده بالسلطة ليكون صنم تركيا الجديدة.

الشعب التركى فى عهد مصطفى كمال والسير نحو التغريب وإلغاء الإسلام ومظاهره، ومحاولة تحويله للحداثة الأوربية.

13

قضاء مصطفى كمال على زملائه وأعوانه في الثورة ليكون صنم تركيا الجديدة

كى يحقق مصطفى كمال مطالب الإنجليز فى معاهدة «لوزان» أو بمعنى آخر يستكمل مشواره لمحو الإسلام من تركيا كان لازماً عليه القضاء على كل المعارضين له حتى من أصدقائه القدامى الذين انخدعوا به أمثال رؤوف باشا وعلى فؤاد وكاظم قره بكير.

شن مصطفى كمال حرباً شعواء على معارضيه أصدقاء الماضى ووصفهم بالخيانة لتركيا الحديثة، وأنشأ محاكم لتطهير البلاد من كل معارضيه وأنصار الإسلام والخلافة وقامت هذه المحاكم العسكرية بإصدار أحكام بإعدام كل المعارضين بأمر مصطفى كمال.

هكذا بدأ مصطفى كمال حكمه الديكتاتورى بأعواد المشانق وقد علقت عليها جثث كل المعارضين للحكم الفاشى.

وفى ظل هذا الحكم المستبد نشأت الجمعيات السرية لمحاولة إنقاذ تركيا المسلمة من جرها إلى أتون الكفر الغربى بواسطة الطاغية عدو الإسلام والمسلمين أتاتورك.

ولم يتبقَّ أمام مصطفى كمال إلا القضاء على رؤوس المعارضين الكبار الذين يعرفهم جيداً بوصفهم أصدقاء الماضى القريب، وهذا يتطلب تدبير مؤامرة كبرى لهم وهذا ما حدث بالفعل فى يوليو عام ١٩٢٦ م.

وقد تم تدبير مؤامرة أو بمعنى أدق صناعة مؤامرة وفق سيناريو يتم وضعه عن طريق الأجهزة السرية البوليسية، تحت مسمى قلب نظام الحكم وفيها يتم ضرب أكثر من عصفور بحجر واحد.

ففى يوليو ١٩٢٦ كان مقرراً للزعيم أن يقوم بزيارة لمدينة أزمير لافتتاح ميناثها الجديد، وحسب السيناريو المعد من أجهزة النظام الديكتاتورى تم الإعلان عن اكتشاف مؤامرة لاغتيال الزعيم أثناء تلك الزيارة بإلقاء قنابل يدوية على موكبه وتم تقديم ثلاثة من المتهمين الذين اعترفوا بأن المحرضين على جريمة الاغتيال نائب البرلمان سعيد خورشيد واليهودى جاويد باشا وزير المالية فى حكومة أنور باشا وأحد زعماء الاتحاديين.

وتحت محاكمة زعماء المعارضة أصدقاء الأمس وصدرت الأحكام ضدهم بالإعدام وعلى رأسهم زعيم الماسونية الذى كان من ألد خصوم الزعيم والذى نفذ فيه الحكم رغم شفاعة اليهود الصهاينة له إلا أن الزعيم أراد التخلص من آثار جماعة الاتحاد والترقى ويثبت للماسونية أنه قد شب عن الطوق كما فعل ذلك بعض الماسون الذى تولوا الزعامة فى بلادهم فكان جزاؤهم التخلص منه أمثال نابليون بونابرت فى فرنسا قديماً.

لكن الزعيم عفى عن أصدقائه القدامى رؤوف وكاظم واكتفى بنفيهم بعد أن كانوا على شفا حفرة الموت.

وفى خطابه للبرلمان فى أغسطس عام ١٩٢٦ شرح الزعيم للأعضاء أسباب ومبررات ما فعله وأوضح فى خطابه أهدافه الديكتاتورية من الاستيلاء على الجيش والشعب معاً ومما جاء فى خطابه:

إن جميع جهودى فى الماضى إنما كانت مستوحاة من هذا الشعور العميق بالواجب، وهو أن أجعل من الشعب التركى أمة قوية ومستقلة من أجل هذا طردت جيوش الاحتلال الأجنبى من البلاد.

ومن أجل هذا أرغمت الأعداء على توقيع معاهدة صلح مشرفة أنقذت تركيا من المصير المخزى الذى كان يدبر لها كما هدمت جميع العراقيل والحواجز التى كانت تحول دون تقدم هذه الأمة وسيرها إلى الأمام بجرأة وثبات.

لقد أخذ على بعضهم هدم السلطنة وتقويض الخلافة! أنى لم أفعل ذلك بدافع الحقد والانتقام كما يروج البعض، بل من أجل إنقاذكم من العبودية وجعلكم أسياد أنفسكم.

لقد ربحت الجيش وربحت الوطن وربحت السلطة.

ألا يحق لى أن أربح شعبى؟!

إن الخونة الذين علقت مشانقهم الليلة الماضية كانوا ينوون إبعادى عن هذا المكسب الأخير.

لقد أرادوا الحيلولة بينى وبين الهدف الوحيد الذى أعيش من أجله: الشعب التركى. لقد أطحت برؤوسهم وسأطيح برأس كل من يحاول أن يضع حاجزاً بين الشعب وبينى. عليكم أن تفهموا مرة واحدة وأخيرة: تركيا هى أنا.

فكل محاولة لتدميرى إنما هى محاولة لتدمير تركيا، أنا رئتها التى تتنفس بها وهى سبب وجودى وحياتى. لقد سالت الدماء.

ولكن هذا كان أمراً ضروريا. إن الثورات يجب أن تروى بالدماء.

وكل ثورة لا تعمد بالدماء محكوم عليها بالفشل أريد أن تبقى أعمالى حية بعد مماتى.

إن أى حركة كبرى فى التاريخ يجب أن تستمد جذورها من أعماق الشعب الذى هو المنبع الرئيسى لكل قوة ولكل عظمة.

ومن دون الشعب لا يوجد سوى الركام والغبار.

لقد خبرت جميع الأمم.. خبرتها فى ساحات القتال وتحت نيران المدافع وفى وجه الموت عندما تتعرى النفوس وتظهر على حقيقتها. وأننى أقسم لكم بأن الطاقة الروحية للشعب التركى لا تفوقها أى طاقة فى العالم!

سأقود شعبى بيدى حتى تستقر قدماه على أرض صلبة ويتعرف إلى طريقة الحقيقة، وإذ ذاك يستطيع أن يختار القائد الذى يريده وأن يحكم نفسه بنفسه. عندها تكون مهمتى قد انتهت ويصبح بإمكانى أن أنسحب من المعركة.

ولكن ليس قبل ذلك.

أتسمعون ماذا أقول؟ ليس قبل ذلك!

وكانت تلك الكلمات تخرج من فمه كالرصاص وهو يقرع بعنف على منضدة المنبر أمامه بعد أن تسمرت نظراته الفولاذية على النواب الذين تجمدت الدماء فى عروقهم، وما أن فرغ مصطفى كمال من خطابه، حتى وقف النواب وملأوا القاعة بدوى من التصفيق(١).

■■■

(١) ذئب الأناضول - مصدر سابق.

تركيا فى عهد مصطفى كمال والسير نحو التغريب وإلغاء الإسلام ومظاهره

صُدم الكثير من الأتراك، وعامة المسلمين، بإزاحة الخلافة، ووقف الأتراك فى صمت إزاء سياسة الديكتاتور الذى نجح فى استقطاب جميع مراكز القوى بيديه. وبدأ منذ عام ١٩٢٥ يطبق أفكاره ويمارس سياسته فى تحديث وتغريب تركيا ومنها:

١ - إلغاء الطربوش:

فقد كان الطربوش يمثل عنوان الثقافة العثمانية فى القرن التاسع عشر، بعد أن جاءت به إصلاحات محمود الثانى قبل قرن كامل من عهد مصطفى كمال، واستخدمه المسلمون والمسيحيون واليهود العثمانيون.

ولكن مصطفى كمال قام بالثورة على «الطربوش»، وأقر «القبعة الأوروبية» عنواناً جديداً لشباب الجمهورية الجديدة ورمزاً للتحرر والتقدم.

ففرض القبعة أولاً على نفسه، ثم على حرسه الخاص، ولما لم يجد اعتراضاً فرضها على الجيش!!

وأرسل العديد من الضباط الذين آمنوا بأفكاره، إلى مختلف القطاعات العسكرية لإقناع الجنود بأن ارتداء القبعة من شأنه أن يظهر الجيش التركى بمظهر الجيش الحديث (الغربى).

ارتدى جميع أفراد وضباط الجيش القبعة وحاول فرض القبعة على الشعب، فكادت حرب أهلية تنشأ بسبب منع الطربوش.

وانتزع الغازى مرسوماً من المجلس الوطنى بإلغاء الطربوش فى أغسطس عام ١٩٢٥[١].

---

(١) مصطفى الزين، ذئب الأناضول.

وأمر رجال الشرطة والدرك والجيش بتطبيق المرسوم فى أنحاء البلاد جميعاً، فراحوا يجوبون المدن والقرى ويصادرون «الطربوش» عن رؤوس الناس بالقوة ويضربون ويجلدون ويسجنون كل من يرفض الإذعان للمرسوم الجديد.

وقام مصطفى كمال بجعل مندوبه أديب ثروت إلى المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى مكة يرتدى القبعة الأوروبية.

إغلاق التكايا والزوايا وإلغاء الطرق الصوفية:

والطرق الدينية السليمة والتكايا من عناصر الحياة الاجتماعية العثمانية.

٢ ـ القانون المدنى وحظر الحجاب:

كانت الدولة العثمانية، خلال عصر التنظيمات، تستمد بعض القوانين من القوانين الغربية على نحو ما حدث لدى إصدار القانون التجارى عام ١٨٥٠ م والذى أخذ من القانون الفرنسى، وكان قانون الجزاء العثمانى الصادر عام ١٨٥٨ مستمداً من قانون العقوبات الفرنسى.

وكانت هناك محاكم مدنية على النسق الغربى للنظر فى القضايا المدنية التى تخص غير المسلمين، وكذلك المحاكم الشرعية تنظر القضايا المدنية للمسلمين.

وكان الفقه الإسلامى أساساً للقانون المدنى فى الدولة العثمانية. وقد دون بمجلة الأحكام العدلية وفى عام ١٩٢٦ م حينما قرر مصطفى كمال استمداد القانون المدنى السويسرى كأساس للقانون المدنى التركى الذى صدر فى أكتوبر عام ١٩٢٦.

وتضمن القانون ٤٤٨ مادة، تضمنت موضوعات حقوق الشخص ـ الأشخاص المعنويين ـ الزواج ـ الطلاق ـ النفقة ـ النسب ـ التبنى ـ الميراث.. وغيرها.

وتضمنت أحكام الزواج منع تعدد الزوجات، بالنص على أن «الزوجية تبطل إذا كان أحد الزوجين متزوجاً عند إجراء مراسم الزواج».

ومن أخطر ما جاء فى القانون للمرأة المسلمة إعطاؤها حق أن تتزوج من غير

مسلم وأن تغير دينها.

وقرر القانون المساواة بين الذكر والأنثى فى الميراث وأباح زواج الأخت والأخ فى الرضاعة، وكل ذلك خروجاً على أحكام الشريعة الإسلامية.

كما أعطى القانون الحق لكل من الزوجين برفع قضية طلاق بسبب زنا الآخر أو بسبب محاولة الآخر اغتياله أو معاملة سيئة جداً أو بسبب سوء العشرة بين الزوجين، ويتوجب الحكم بالطلاق إذا ثبتت أسباب صحته.

كما جعل القانون من حق الأب الاعتراف بولده الذى يولد له فى غير فراش الزوجية ويلحق به، ومن حق الأم أيضاً رفع قضية تعيين والد ولدها الذى تلده فى غير فراش الزوجية، ومن حقها ـ أيضاً ـ رفع قضية للحصول على نفقة لها ولولدها ولو كانت متزوجة من آخر، وما زالت بعض البلاد الإسلامية يسعى العلمانيون فيها إلى تشريع وفرض مثل هذه القوانين غير الإسلامية فى بلادهم.

أما بالنسبة للحجاب نفى نهاية عام ١٩٢٦، جرى فرض السفور على النساء، وأصدرت المجالس البلدية قراراً يحظر على السيدات لبس (الجلباب) وألزمهن لبس الفستان وإلا قدم أزواجهن أو أقرباؤهن للمحاكمة!!

بل وأقر مصطفى كمال الدعارة والفجور تحت رقابة الدولة كما هو معمول به فى أوربا.

٣ـ تغريب التعليم واللغة التركية:

قام مصطفى كمال بتغريب التعليم على مرحلتين، الأولى توحيد المدارس، المرحلة الثانية هى مرحلة إلغاء الحروف العربية واستبدال الحروف اللاتينية بها.

وكان مما قاله فى هذا الشأن:

«إننا اعترفنا بوجوب اتخاذ جميع أسلحة الغرب المدنية، فيجب علينا أن نكون منصفين فى أتباع الطريق المؤدية إلى خيرنا، وبخاصة فيما يتعلق بلغتنا. فقد أخذنا

عن الشرق عاداته ولغته وأحرفه، فلم نستفد مما أخذناه إلا الرجوع إلى الوراء والتقهقر المتتابع فى عاداتنا وأخلاقنا، لذا يجب علينا أن نطرح عنا جانبا الأحرف العربية ونستبدل بها أحرفا لاتينية، فنضمن إذ ذاك رقينا وتقدمنا، ونخلص لغتنا من السقوط، وننشرها فى أركان العالم الأربعة ونتربع بواسطتها وسط الترقى والتمدن.

والانقلاب على الحرف العربى، قد بدأ الدعوة له على استحياء عندما أثارها الناشر التركى محمد منيف باشا عام ١٨٦٢، وانتشرت الدعوة خلال حكم الاتحاد والترقى بعد عام ١٩٠٨، لكن مصطفى كمال جعل الانقلاب اللغوى مهمته، فكلف لجنة من الأساتذة بكتابة الألفاظ التركية بحروف لاتينية، وطبق «الانقلاب» الجديد على نفسه أولاً.

ثم أمر المجلس الوطنى فى يوليو عام ١٩٢٨ بالانتقال معه إلى اسطنبول، ودعا إلى قصر «الدرتمابهاتشى» الشخصيات المرموقة، وأخذ يشرح لهم بالطباشير على لوح خشبى أسود كبير الحروف المستحدثة الجديدة وطريقة كتابتها.

وانتقل إلى المدن والقرى ومعه لوحه الأسود والطباشير شارحاً للناس طريقة الكتابة لجديدة. وتحول «الغازى» إلى «خوجا»، ولما تأكد أن الشعب قد تقبل انقلابه الجديد، استصدر قراراً من المجلس الوطنى الكبير بجعل كتابة اللغة التركية بالحرف اللاتينى إلزامية فى أنحاء البلاد كلها اعتباراً من الثالث من نوفمبر عام ١٩٢٨..

ثم أمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية وتلاوة الصلاة باللغة التركية ولما ثارت ثائرة رجال الدين والعلماء، فكان رده عليهم:

ألا يفهم الله اللغة التركية؟

وكما بدأ مصطفى كمال بنفسه فى تعلم اللغة التركية الجديدة، سمى نفسه أتاتورك (أى أبو الأتراك)، عندما طلب من كل تركى اتخاذ اسم عائلة ينتسب إليها، واتخذ عصمت اسم عائلة «إينونو» نسبة إلى معركة إينونو الشهيرة التى انتصر

فيها على اليونانيين.

وفى عام ١٩٣٥، جرى تبديل يوم العطلة الأسبوعية من يوم الجمعة الذى له قدسية فى الدين الإسلامى، إلى العمل بنظام عطلة نهاية الأسبوع الغربية أى يوم «الأحد». وفى عام ١٩٣٨.

أيضاً ألغى أتاتورك مادة الدستور المتضمنة أن «الإسلام دين الدولة التركية».

وألغى المدارس الدينية واكتفى بالمدارس على النمط الغربى، فأصدر عام ١٩٣٤ م قانون توحيد المدارس الذى ضم المدارس الدينية وغير الدينية لوزارة المعارف وجعل لها حرية إنشاء مدارس لتخريج الدعاة وخطباء المساجد.

٤ ـ تغريب الاقتصاد التركى:

وتحويل الاقتصاد التركى نحو الغرب أمر بديهى وطبيعى فى سياسة أتاتورك، لأن الاقتصاد هو عصب الحياة للدولة وقد كانت السياسة الاقتصادية قائمة على البرجوازية التركية التى أدى إلى فشل عملية التصنيع خلال العشرينات من القرن العشرين قبل حكم أتاتورك.

ولم يكن الأمر مختلفاً فى قطاع الزراعة، إذ لم يترتب على الإجراءات التى اتخذتها الدولة زيادة الإنتاج أو تحديث الزراعة، إلا لدى كبار ملاك الأرض الذين أفادوا من الائتمان الزراعى والميكنة الزراعية بما لهم من سيطرة اجتماعية وسياسة فى الريف التركى.

ثم جاءت أزمة الكساد العالمى بنهاية العشرينيات، لتترك أثراً واسعاً فى الاقتصاد التركى حيث تدهورت صادرات تركيا من المواد الأولية والمنتجات الزراعية، ونقص النقد الأجنبى اللازم لاستيراد المعدات الرأسمالية ومستلزمات الصناعة، وربما أدخل عملية التطور الاقتصادى فى مأزق.

ثم جاء تدخل الدولة للسيطرة على تلك الأزمة الاقتصادية بتأميم معظم الشركات الأجنبية، حيث بدأ التأميم بتولى الدولة مؤسسات وأجهزة المنافع

والخدمات العامة كالسكة الحديدية والنقل والموانئ، وانتقلت بعد ذلك إلى المناجم والمصانع المملوكة للأجانب ثم لجأت الدولة إلى «التخطيط الحكومى».

وبدأت الخطة الخمسية الأولى عام ١٩٣٢ من خلال الدائرة الحكومية الصناعية، وبنك الاعتماد الصناعى، وكان هدفها إنتاج السلع الاستهلاكية وإنشاء البنى الارتكارية الضرورية لتصنيع المواد الرئيسية، والتوسع فى صناعة النسيج لسد الطلب المحلى وتوفير النقد الأجنبى من خلال التصدير وقد استهدفت الخطة إنشاء مصنع للفولاذ ومصنع للورق والسليلوز ومعمل للأسمنت وستة معامل كيمياوية وسبعة مصانع للنسيج ومصنع للسكر.

ثم فى عام ١٩٣٨ بدأت الدولة الخطة الخمسية الثانية، والتى استهدفت إنشاء صناعات ثقيلة بالاعتماد على المواد الأولية المحلية وتطوير موارد الطاقة من فحم وكهرباء والنقل البحرى والسكك الحديدية، وتضمنت إنشاء مائة مصنع جديد مقابل ٢٠ مصنعاً فى الخطة الخمسية الأولى.

وبالتالى فقد استهدفت الخطة الخمسية الأولى التصنيع لبدائل الواردات (السلع الاستهلاكية) وتوجهت الخطة الخمسية الثانية إلى التصنيع الثقيل والطاقة والنقل.

وأنشأت الدولة مصرفين لتمويل الصناعة، المصرف الأول هو بنك سومر الذى أنشئ عام ١٩٣٣ لتمويل مصانع الدولة والتخطيط لإنشاء مشروعات صناعية جديدة والمشاركة فيها والمصرف الثانى هو بنك إيتى الذى أنشئ عام ١٩٣٥ لاستخراج وشراء وبيع المعادن، واستكشاف البترول، وإنتاج الطاقة الكهربائية.

أما فى قطاع الزراعة، تواصلت سياسة الدولة بدعم تعاونيات الائتمان الزراعى التى وصلت إلى ٥٧٢ تعاونية تعمل تحت إدارة بنك الائتمان الزراعى، وشهدت المرحلة الثانية من سيطرة الدولة إنشاء مؤسسة لشراء المحاصيل من الفلاحين عام ١٩٣٢.

ثم دائرة إنتاج الأراضى التى توسعت فى شراء المنتجات الزراعية. وفى عام

١٩٣٧، اعتمدت الدولة خطة لأربع سنوات لتطوير الزراعة.

وهكذا سيطرة الدولة فى عصر مصطفى كمال على كل آليات الاقتصاد فى الدولة مثل كل الدول الاشتراكية والشيوعية.

ففى المرحلة الأولى التى امتدت طيلة عقد العشرينيات، كان تدخل الدولة غير مباشر من خلال تشجيع الدولة للرأسمالية المحلية لبناء قاعدة اقتصادية تركية.

وفى المرحلة الثانية، التى أعقبت فشل المرحلة الأولى، كان تحول الدولة إلى التدخل المباشر فى الاقتصاد خلال عقد الثلاثينيات.

لقد كان مؤتمر أزمير (مارس عام ١٩٢٣)، هو الأساس لسياسات المرحلة الأولى، أى تشجيع الرأسمالية المحلية، التى طالب بها الملاك الزراعيون والصناعيون والتجار.

وفى ٢٨ مايو عام ١٩٢٧ صدر «قانون تشجيع الصناعة» بهدف منح امتيازات وإعفاءات ضريبية للمشروعات الصناعية، وتضمن القانون أن تمنح تلك المشروعات مساحات أرض مجانية (١٠ هكتارات للمشروع)، وإعانات مالية (١٠٪ من القيمة السنوية للإنتاج)، وإعفاء منشآتها من جميع الضرائب، واستثناء مواد تشييدها من الرسوم الجمركية.

وعلى صعيد الزراعة، اتخذت الدولة التركية عدة إجراءات لتشجيع رأس المال الخاص فى الريف، مثل إلغاء العشور (ضريبة العشر) عام ١٩٢٥، وتوزيع الأراضى على الفلاحين الذين ليست لديهم أراضٍ من خلال القوانين التى صدرت عام ١٩٢٧ وعام ١٩٢٩.

كما قامت الدولة بتزويد المزارعين بالبذور المحسنة، وتشغيل مرشدين زراعيين فى القرى، وتدريب الجنود على «الزراعة الإلزامية» خلال فترة خدمتهم العسكرية، وتشجيع الميكنة فى الزراعة، وإنشاء تعاونيات للائتمان الزراعى وتسويق المنتجات.

ويرى الباحثون أن الجمهورية التركية التى أسسها أتاتورك على أنقاض الدولة العثمانية قد تحولت خلال السنوات التى تلت حكمه العلمانى فى أواخر

الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضى إلى دولة عصرية متقدمة اقتصادياً ترقى إلى مصاف دول العالم الثانى.

وأن ثقة الأتراك فى اقتصاد بلادهم جعلهم يدخلون فى دائرة المنافسة مع الدول الكبرى كما فعلت اليابان وألمانيا بعد الحرب العالمية حتى جعلها تتطلع إلى الانضمام للاتحاد الأوربى مؤخراً.

وأن حجم التجارة الخارجية منذ تأسيس الجمهورية العلمانية وبعد مرور هذا العدد من الأعوام قد تضاعف إلى نحو ٢٧٣ مرة حيث كان حجم التجارة عام ١٩٢٣ م - ١٣٧,٦ مليون دولار فى حين بلغ فى نهاية ١٩٩٢ م نحو ٣٧,٥ مليار دولار، وارتفعت الواردات بمعدل ٢٦٣ مرة والصادرات بتحو ٢٨٩ مرة(١).

وارتفع سعر الدولار الأمريكى بالمقارنة مع الليرة التركية خلال سبعين عاماً على تأسيس الجمهورية بنحو ٧٧٠٠ مرة.

وبلغ الدين الخارجى كما جاء فى معاهدة لوزان على ١٩٢٣ نحو ١٢٩ مليوناً و ٣٤٨ ألفاً و ٩١٠ ليرة ذهبية تقرر أن تدفع منها تركيا ٨٤,٥٩٧,٥٠ مليون ليرة، قد تضخم هذا الدين فى الخمسينات حيث وصل إلى ٣٧٣ مليون دولار، إلا أنه وصل فى عام ١٩٩٣ م إلى ٦٠ مليار دولار ثم فى ربيع عام ١٩٩٦ إلى ٧٥ مليار دولار، أى أن الدين الخارجى قد تضاعف نحو ١٥٩ مرة.

وأما عدد السكان فكان حسب إحصائيات عام ١٩٢٧ قد بلغ ١٣,٦ مليوناً فأنه ارتفع عام ١٩٥٠ إلى ٢٠,٩ مليوناً ثم وصل عام ١٩٨٥ م إلى ٥٠,٦ مليوناً ثم عام ١٩٩٠ م إلى ٥٦,٤ مليوناً ومع بداية الألفية الثالثة وصل إلى حوالى السبعين مليوناً(٢).

وبلغ حجم الانتاج الصناعى إلى ٩٨,٤ تريليون ليرة تركية عام ١٩٨٨ م؛ وبلغت

(١) انظر تركيا فى الزمن المتحول - محمد نور الدين.

(٢) المصدر السابق.

مساحة الأراضى الزراعية إلى ٢٤ مليون هكتار عام ١٩٩٢.

كما دخلت تركيا عالم إنتاج السيارات، فبلغ عدد السيارات المصنعة فيها عام ١٩٩١ م إلى أكثر من ما يقارب المليونين سيارة مع نهاية القرن الماضى.

ومع كل هذه التغيرات والتحولات فى الدولة التركية الحديثة يرفض الاتحاد الأوربى انضمامها إليه خوفاً من المارد الإسلامى الكامن فى صدور الأتراك الذين كانوا فى يوم من الأيام حملة الراية الإسلامية والخلافة الإسلامية مئات السنين ولم ينس الأوربيون ما فعله الأجداد من غزو بلادهم وفتحها وإدخال الإسلام فيها.

■ ■ ■

انقلابات فى المجتمع التركى
غير مسبوقة لتحويله إلى مجتمع أوربى

منذ توليه السلطة عمل مصطفى كمال على فرض النظام الأوربى العلمانى على المجتمع التركى المسلم شكلاً وموضوعاً، وفرض ذلك بالقوة المفرطة وتعليق المشانق للمعارضين.

فمن الصعب وقد يصل إلى المستحيل تغير عادات الشعوب إلا أن مصطفى كمال استطاع تغيير الكثير من أبجديات الشعب التركى بالقهر والقوة فى غضون سنوات قليلة.

وبتقدم الأيام يظهر من مصطفى كمال خفايا، تعريه وتظهره على حقيقته حتى إنه فى أواخر حياته وهو على فراش الموت يرشح سفير بريطانيا ليخلفه فى الحكم، نشرت جريدة الأهرام القاهرية يوم الخميس (١٦ من ذى القعدة ١٣٨٧ هـ ١٥ من فبراير ١٩٦٨ م) تحت عنوان:

«كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه فى رئاسة الجمهورية التركية».

وذلك نقلاً عن صحيفة «صنداى تايمز». قالت التايمز إنه: فى نوفمبر سنة ١٩٣٨ كان كمال أتاتورك يرقد على فراش الموت، وعلى امتداد ١٥ سنة حاول بديكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها، ويدخلها إلى القرن العشرين.

واستدعى وهو على فراش الموت السفير البريطانى «برسى لورن» إلى قصر الرئاسة، واختلى به، وظل ما دار بينهما سرّاً لمدة ٣٠ سنة، إلى أن عثر الابن «بيرز ديكسون» بين أوراق والده على برقية بعث بها بيرسى لورن إلى «اللورد هاليناكس» وزير الخارجية، وفيها يروى السفير أن أتاتورك أظهر له أخلص رغبة فى أن يخلفه

فى منصب الرئيس.

فلما رفض السفير ظهرت على مصطفى علامات التأثير الشديد، ومال برأسه إلى الوسائد، ودق الجرس للممرضات اللواتى أعطينه دواء مهدئاً، مما اضطره إلى أن يعين «عصمت إينونو» بدلاً منه.

ويقول أتاتورك فى مذكراته ص ٣٢ ـ ٣٣ «منذ صغرى ونا أحمل طبعاً معيناً ففى البيت الذى كنت أسكنه لم أكن أرتاح للوجود مع أمى، أو مع أختى أو مع صديق... الخ».

ـ كان فى المجلس الوطنى جناح معارضة، وكان على رأس هذا الجناح السيد على شكرى الذى كان ضابط ركن فى البحرية.. ولم يرض هذا أتاتورك، فدعاه بواسطة رئيس الحرس الشعبى «توبال عثمان» حيث خنقه وألقى بجسده فى إحدى الحفر.

ـ أما توبال عثمان فقد كانت مكافأته رصاصات اخترقت جسده من الخلف.

ـ وكتب عنه رضا نور: كان يشرب باستمرار، حتى الصباح، إلى أن يسقط من السكر.

ـ ويقول بعد انتصار الأتراك فى معركة صقاريا رجع مصطفى كمال إلى أنقرة، فاستقبل استقبالاً حافلاً.. لقد مات الآلاف، والرجل الذى صنع النصر. أما مصطفى الذى أصدر أوامره بالتقهقر فقد نال مجداً لا يستحقه.

ـ ويقول مصطفى كمال فى كتابه الخطابة ص ٤٢: لقد برهنت مستنداً على التاريخ التركى والإسلامى على إمكانية فصل السلطنة عن الخلافة، وإمكانية فصل الخلافة عن السلطنة.. وقلت بأن الخلافة انتهت فى الدنيا عندما قام هولاكو بإعدام الخليفة المستعصم.

ـ وقال فى أعضاء مجلس الأمة التركى: إننى أرى أن من المستحسن أن يوافق المجتمعون على اعتبار هذه قضية طبيعية، ولكن إذا حدث العكس فإن هذا الأمر سينفذ أيضاً وفى إطار المجرى الطبيعى، ولكن من المحتمل أن بعض الرؤوس ستقطع.

- ثم ألغيت السلطنة وبعد إلغائها عقد مؤتمر الصلح فى لوزان فى سويسرا، وكان فى المؤتمر ثمانى دول تسيطر عليها إنجلترا زيادة على تركيا، وكان الانجليز يحرصون على أمرين هما:

١ - إلغاء الخلافة.

٢ - بعد اقتطاع البلدان العربية من جسم الإمبراطورية، وظهور منابع النفط، اقتطاع لواء الموصل ومنابع النفط فيها من تركيا.

انقطعت المفاوضات فى مؤتمر لوزان لعدم الوصول إلى اتفاقات حاسمة، فتتدخل الشخصية اليهودية المعروفة «حاييم ناعوم» كبير حاخامى اليهود، ويتصل بمصطفى أتاتورك ليقدم له الخطة أو الأمر التالى:

إن إلغاء الخلافة وترك الموصل للإنجليز شرطان ضروريان للاعتراف باستقلال تركيا وحقها فى الحياة.

وبعد هذه الرشوة أعلن المجلس القومى الأعلى الجمهورية، وانتخب مصطفى كمال بالاجماع رئيساً لها وصدر من المجلس القوانين ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، القوانين الآتية.

١ - تلغى الخلافة، كما يتقرر إخراج الخليفة مع جميع أفراد عائلته من البلاد.

٢ - تلغى وزارة الأوقاف ووزارة الشرعية.

٣ - تربط جميع المؤسسات العلمية والدينية فى تركيا بوزارة المعارف، أى تلغى المدارس الدينية.

وكتب رضا نور فى كتابه «حياتى وذكرياتى» صدر قانون لبس القبعة دون غيرها، يستوى فى ذلك المدنيون ورجال الدين، وشكلت كمحكمة باسم «محكمة الاستقلال» لمحاكمة المعترضين على لبس القبعة، وحكمت بالإعدام على كثيرين رفضوا لبسها. وقال الجلاد وهو يعدم أحد رجال الدين الرافضين لبس القبعة بعد أن وضع القبعة على رأسه وهو يشنق «البس أيها الخنزير»، وظلت جثته معلقة عدة

ساعات.

وعاش لجنسية منهومة، وشذوذ فى العلاقات معروف، حتى أصيب بالسيلان المزمن، وله قصص لا تنتهى فى هذا المجال.

وقام أتاتورك ببيع أذربيجان للبلاشفة، مقابل المال، وذلك عندما طلب من الأذربيجانيين السماح بدخول الجيوش الروسية بحجة أنها متوجهة لمساعدة تركيا. وعندما دخل البلاشفة بهذه الحيلة إلى أذربيجان لم يخرجوا منها، ولم يرسلوا جيوشاً إلى تركيا.

أقام مصطفى كمال مذبحة ضد المعارضين وضد الاتحاديين بحجة محاولتهم اغتياله فى أزمير. ومن الذين شنقوا النائب المعارض المؤمن ضياء خورشيد.

ومن استهتاره بالدين وعلى مائدة الخمر يقوم بتكليف امرأة بقراءة الأذان.

وكان فى فندق «بارك»، وكان المؤذن يرفع صوته بالأذان من مسجد صغير قائم أمام الفندق مباشرة، فيلتفت أتاتورك إلى من حوله قائلاً:

«من قال إننا مشهورون؟ وما شهرتنا نحن؟ انظروا إلى هذا الرجل (يعنى سيدنا محمدا ﷺ) كيف أنه أوسع منا اسماً وشهرة بحيث ينادى باسمه كل لحظة فى جميع أنحاء العالم، إذا أخذنا فرق الساعات بنظر الاعتبار».

وأمر بهدم المئذنة.

وعلى مائدة الخمر يصدر أمراً مختصراً بتحويل «أيا صوافيا» من جامع إلى متحف.

وقد ظهرت بعد موته وثائق متعددة وكلها تدينه أخلاقيا وسلوكيا ودينيا بل إن بعضها يضعه فى صف مرتكبى الخيانة العظمى منها:

الوثيقة رقم ٧: اخترق الإنجليز جبهة الجيش التركى الذى يقوده مصطفى كمال. اخترقوه بواسطة وحداتهم من الخيالة، حيث وصلوا إلى مؤخرة أربعة جيوش تركية.

وقد وقعت هذه الجيوش فى يد الأعداء بكل أفرادها: جنودهم وضباطهم ولوازمهم وجميع أسلحتهم. وكان قائد الجيش الرابع «كوجك جمال باشا» يرى على الدوام أن مصطفى كمال هو المسئول عن هذه الهزيمة، فليس بإمكان وحدة من الخيالة أن تخترق جبهة جيش، وأن تقوم بأسر هذه القوات.

الوثيقة رقم ٦: وتمت الكارثة التى لا يتحملها العقل ولا الخيال، وهى أن مصطفى كمال انسحب إلى «أدرنة» و «قونية»، لكى ينقذ نفسه.

هذا هو مصطفى كمال أتاتورك الزعيم الملهم من الشيطان الأكبر، ولهذا لم تستمر الكمالية الكفرية التى صنعها أتاتورك طويلاً حيث إن تركيا تعود مجدداً إلى حظيرة الإسلام بقوة.

فقد حصلت متغيرات على الساحة التركية فى السنوات الأخيرة، فلم تعد المرجعية الأتاتوركية راسخة إلى الحد الذى نتصوره، وقمعها للمرجعية العثمانية أو الإسلام أخذ يثير ردود فعل مضادة أكثر فأكثر.

والشعب أصبح يعود إلى الإسلام بعد طول غياب.

والواقع أنه منذ بداية الثمانينيات كان تورغوت أوزال الذى حكم البلاد من عام ١٩٨٣ إلى عام ١٩٩٣ يعرف أن النموذج الكمالى قد استنفد طاقته وتعب بعد أن حكم تركيا طيلة ستين سنة متواصلة، وكان أوزال إسلامى الهوى وله بعض الجذور الكردية فى عائلته.

ثم جاء بعده نجم الدين أربكان، ولكن الفرق بين الأصوليين الأتراك وأصوليى الدول العربية وبقية الدول الإسلامية هو أنهم لا يريدون تدمير الدولة الكافرة وإنما الوصول إلى السلطة، وبالتالى فالحركة الإسلامية التركية ليست راديكالية إلا فى جزء قليل منها.

وحتى عندما وصل أربكان إلى السلطة فإنه لم يستطع أن يغير السياسة الخارجية التركية على الرغم من رغبته فى التقارب مع العالم العربى وإيران، ولم

يستطع قطع العلاقات مع أوربا المسيحية أو مع إسرائيل.

حتى إنه أجبر على الاستقالة بعد مرور عام فقط على تسلمه للحكم.

وفى الواقع أن حزب أربكان حاول أسلمة تركيا أو إعادتها إلى الإسلام على عكس ما فعله مصطفى كمال أتاتورك، واتخذ عدة إجراءات فى هذا الصدد، فعلى المستوى المحلى أعلن عن تحويل كاتدرائية القديسة صوفيا إلى جامع، ومنع بيع الكحول فى بعض الأحياء، وفصل بين الرجال والنساء فى الحافلات ووسائل النقل العام، وقرر بناء مسجد فى ساحة التقسيم باسطنبول التى هى رمز الجمهورية العلمانية التركية، وكان ذلك يعتبر تحدياً للكماليين واليساريين والعلمانيين.

ولكن كل هذه القرارات لم تنفذ لأن الجيش وقف ضدها وكذلك الطبقات العليا فى المجتمع والنخب الثقافية والسياسية.

وفشل أربكان فى أسلمة الفضاء العام للمجتمع التركى واضطر إلى الاستقالة والانسحاب من الحكم تحت ضغط الجيش.

فقد أنذروه بإيقاف تطبيق الشريعة وحذروه من الاعتداء على ميراث أتاتورك، وطلبوا منه إغلاق المدارس القرآنية غير الشرعية وكذلك الكليات التى تخرج أئمة المساجد والدعاة، باختصار فقد طلبوا منه استئصال كل نشاط أصولى فى البلاد، وطالبوا أيضاً أن تسيطر الدولة على كل الفعاليات والشؤون الدينية.

وقالوا له بأنه إذا لم يمتثل للأوامر فسوف يتدخل الجيش مباشرة للقضاء على الرجعية فى البلاد.

وبالتالى فقد فشل نجم الدين أربكان فى فرض الشريعة الإسلامية على المجتمع.

ثم جاء بعده حزب العدالة والتنمية المعتدل واستفاد من أخطاء تجربته فلم يكررها أبداً، وأثبت هذا الحزب بقيادة طيب رجب أردوغان بأنه يفهم الإسلام بطريقة متسامحة ومستنيرة على عكس أربكان، بل وفعل كل شىء لكى يبعد عن

نفسه صفة الأصولية والتزمت والإكراه فى الدين. وراح يطهر خطاباته وبرامجه الحزبية من نزعة معاداة الغرب أو نزعة معاداة السامية، وهما نزعتان شائعتان جداً فى أوساط الأصوليين العرب والمسلمين بشكل عام.

وهكذا استفاد أردوغان من التجارب السابقة للإسلاميين وقدم وحزبه تجربة إسلامية متطورة جديدة لتعود تركيا إلى الأمة الإسلامية من جديد.

لقد استطاعت الرأسمالية التركية تحويل الشمال الغربى من تركيا إلى مناطق مزدهرة ومتطورة. ولكن ماذا تفعل بالجنوب الشرقى؟ إنها مناطق فلاحية متخلفة جّداً. وبالتالى فليست كل مناطق تركيا مزدهرة كمنطقة الأناضول أو أنقرة واسطنبول.

وبالتالى فتركيا مؤلفة من طابقين : طابق علوى متقدم، وطابق سفلى متخلف. والطابق العلوى أصبح أوربياً أو قابلاً للالتحاق بأوروبا، وأما الطابق السفلى فلا يزال شرقياً.

ولا ريب فى أن المشكلة الكردية هى الأكثر حساسية بالإضافة إلى مشكلة جزيرة قبرص، وهاتان المشكلتان هما اللتان ستحولان دون انضمام تركيا إلى أوربا. نقول ذلك على الرغم من أن الحكومة التركية استجابت لبعض مطالب الأكراد عندما اعترفت بلغتهم، وتحاول أن تستجيب لمطالب القبارصة إلى حد ما.

والواقع أن العلمانية التركية ليست راسخة فى أعماق الشعب كالعلمانية الفرنسية مثلاً أو الألمانية أو الانجليزية.

وتقول الباحثة إيليز ماسيكار التى تعمل فى المركز القومى للبحوث العلمية الفرنسية فى بحثها بعنوان: «الإسلام فى تركيا. بلد إسلامى وعلمانى». الأتراك متألمون من موقف الأوربيين تجاههم ويتهمون أوروبا بأنها تحولت إلى ناد مسيحى مغلق على نفسه.

ثم تردف الباحثة قائلة: إن تركيا كثيراً ما تعرض على أساس أنها البلد

العثماني الوحيد في أرض الإسلام، وهذا صحيح بمعنى من المعانى وإن كانت العلمانية التركية غامضة وغير مضمونة.

فهى غير منتشرة فى أعماق الشعب التركى ولذلك نجح الأصوليون فى العودة إلى الساحة بقوة فى الآونة الأخيرة.

وهذا الشىء يستحيل حصوله فى أوروبا.

ويستغرب بعضهم كيف أن هذا البلد الذى سيطر على مقدرات العالم الإسلامى والعربى طيلة ستة ثرون قد أصبح علمانيا.

فالواقع أن الإسلام كان دين الدولة طيلة قرون عديدة، والخليفة العثمانى كان يوقع اسمه على النحو التالى: سيف الإسلام وظل الله على الأرض!

كان هدف كمال أتاتورك أن يجرد الإنسان التركى من كل مظاهر انتمائه إلى العالم الإسلامى، وأن يفصل بين الدين والدولة كما حصل فى أوروبا.

ولذلك ألغى السلطنة العثمانية ثم الخلافة بين عامى ١٩٢٢ ـ ١٩٢٤، وأغلق المدارس القرآنية، الشىء الذى أدى إلى نهاية تخريج الفقهاء الجدد أو المشايخ الجدد فى البلاد.

وفى عام ١٩٢٦ تجرأ أتاتورك وألغى الشريعة الإسلامية بصفتها مصدراً للتشريع وأحل محلها القانون المدنى السويسرى!

وهذا شىء لم يتجرأ عليه أى زعيم عربى أو إسلامى ربما ما عدا بورقيبة إلى حد ما.

وفى عام ١٩٢٨ ألغى مصطفى كمال الإسلام كدين للدولة، وهكذا وضع حدا للمشروعية الدينية.

ولأول مرة منذ قرون طويلة لم يعد الدين هو الذى يخلع المشروعية على السلطة السياسية فى تركيا.

وإنما أصبحت هذه الأخيرة تستمد مشروعيتها من الشعب، والتصويت، والبرلمان، تماماً كما يحصل فى الديمقراطيات الغربية. وفى عام ١٩٣٧ توجت كل هذه التطورات المذهلة باعتماد العلمانية فى الدستور بصفتها الدعامة التى يقوم عليها النظام السياسى التركى.

وقد أسس مصطفى كمال مكتباً لإدارة الشؤون الدينية باسم (ديانات) تابع لرئيس الوزراء، وأصبح مكتب الديانات هو الذى يخرج أئمة الجوامع ويسيطر على المشايخ وطبقة رجال الدين، وهو الذى ينظم كل سنة موسم الحج إلى مكة. وبالتالى فإن الدولة العلمانية التركية لم تقطع الروابط مع الدين كما فعلت الدولة الفرنسية مثلاً، وإنما استمرت فى تنظيم أموره وتعليمه، وذلك لأن الدروس القرآنية لم تتقطع.

وفى عام ١٩٨١ كانت ميزانية مكتب الديانات تفوق ميزانية وزارة الصناعة.

وفى عام ٢٠٠٠ وصلت إلى ٤٠٠ مليون يورو. والآن يشرف مكتب الديانات على ٧٥٠٠٠ مسجد، وعلى حوالى ٩٠٠٠٠ موظف، و ٧٥٠٠٠ مستخدم.

إلا أن هذا لا يعنى أن تركيا الآن دولة إسلامية وإنما ما زالت دولة علمانية تحاول التخلص من علمانية أتاتورك الكافرة التى فرضها عليها بالقوة.

لقد خرج مصطفى كمال من ثورته منصوراً يكلل هامته تاج العز والفخار لأنه أعاد إلى تركيا حياتها واستقلالها وقد تقبل نصف العالم الإسلامى هذا النصر بسرور عظيم لأنهم خدعوا بظاهره وهذا النصف هو النصف الجاهل أو الغبى أو الذى لا يعرف من الأمور إلا ظاهرها.

وأما النصف الآخر العاقل المفكر الذى ينظر إلى خلفيات الأمور بمنظار الحقيقة فقد أدرك مدى الكارثة التى حلت بالعالم الإسلامى كله وليس بتركيا وحدها.

وأشغل مصطفى كمال المسلمين بأمور جانبية تافهة أرضى بها الشبان

التواقين إلى الأخذ بالمظاهر وأخذ المعول وهدم الكيان التركى من جذوره.

وإذا جاز لنا أن نسمى ما قام به مصطفى كمال ثورة فهى ولا شك ثورة على الدين وعلى الثقافة وعلى التاريخ وعلى العالم الإسلامى عامة والأمة التركية بصورة خاصة.

لقد قضى مصطفى كمال على الأمة التركية وطمس معالمها وعراقتها وخلقها أمة جديدة وكأنها ليست من هذا العالم أو كأنها كما يقول المثل مقطوعة من شجرة. ولم يقدم البلاد ولا أهها خطوة واحدة إلى الأمام بل أرجعها خطوات إلى الوراء من كل ناحية بدليل تقدم بعض البلاد التى كانت جزءاً من الدولة العثمانية وفصلت عنها وقد تقدمت، بفعل الزمن، خطوات واسعة فى الفن والأدب والعلم والعمران. وما دامت تركيا لم تتقدم فهى إذن متأخرة.

ثم إنه بقضائه على الخلافة جردها من سلاح ماض كان فى يدها تهزه متى شاءت فى وجه الأعداء وكانت الدولة العثمانية حتى فى أخريات أيامها، يوم لم يكن لها حول ولا طول، مرهوبة الجانب يخشاها القريب والبعيد ويحترمها العدو قبل الصديق لأنها كانت تحمل صولجان الإسلام الذى كانت تهدد به العالم فأصبحت اليوم بفضل مصطفى كمال دولة ثانوية مثل غيرها من الدول الصغيرة ليس لها وزن سياسى إلا بقدر ما لمركزها الاستراتيجى من أهمية وبقدر حاجة الدول إليه لا مركز علمى ولا اقتصادى حتى ولا سياحى على الرغم من جمال تركيا وما فيها من جبال وبحار وغابات وأنهار لو كانت فى بلاد أخرى لاستغلت أحسن استغلال فى السياحة والاقتصاد.

إننا إذا أخذنا فى تقييم هذه الثورة نجد أنها كانت وبالاً على تركيا وعلى العالم الإسلامى لأنها قضت على كل ثروات تركيا المعنوية وسلبتها عظمتها التى كانت تقوم على الإسلام وعلى اللغة العربية وهى عظمة لن تعود أبداً.

ما فعله مصطفى كمال كان فى مصلحة الغرب وليس فى مصلحة تركيا ولا

فى مصلحة الشعب التركى، لقد قطع كل صلة للأتراك بإخوانهم المسلمين حتى إنه غير أسماء الناس وغير اسمه، وقضى مصطفى كمال على هذه الأمة بالعقم الأبدى وأجهض مقدماً كل حركة إصلاحية يمكن أن تقوم فى البلاد لخير البلاد وخير أهلها.

لقد كانت الخلافة، على ضعف الخلفاء، وتخاذلهم وجهل بعضهم لا بل ورذائلهم، سلاحاً ماضياً بيد المسلمين يزعج الغربيين فعملوا حتى قضوا عليه.

ولو كان مصطفى كمال أبقى على الهيكل الإسلامى ولم يمس اللغة لكان خلق تركيا خلقاً جديداً سليماً ولكانت اليوم سيدة العالم الإسلامى كما كانت من قبل ولو تقلصت أطرافها، وإن كانت اليوم تحاول استعادة ماضيها الغابر.

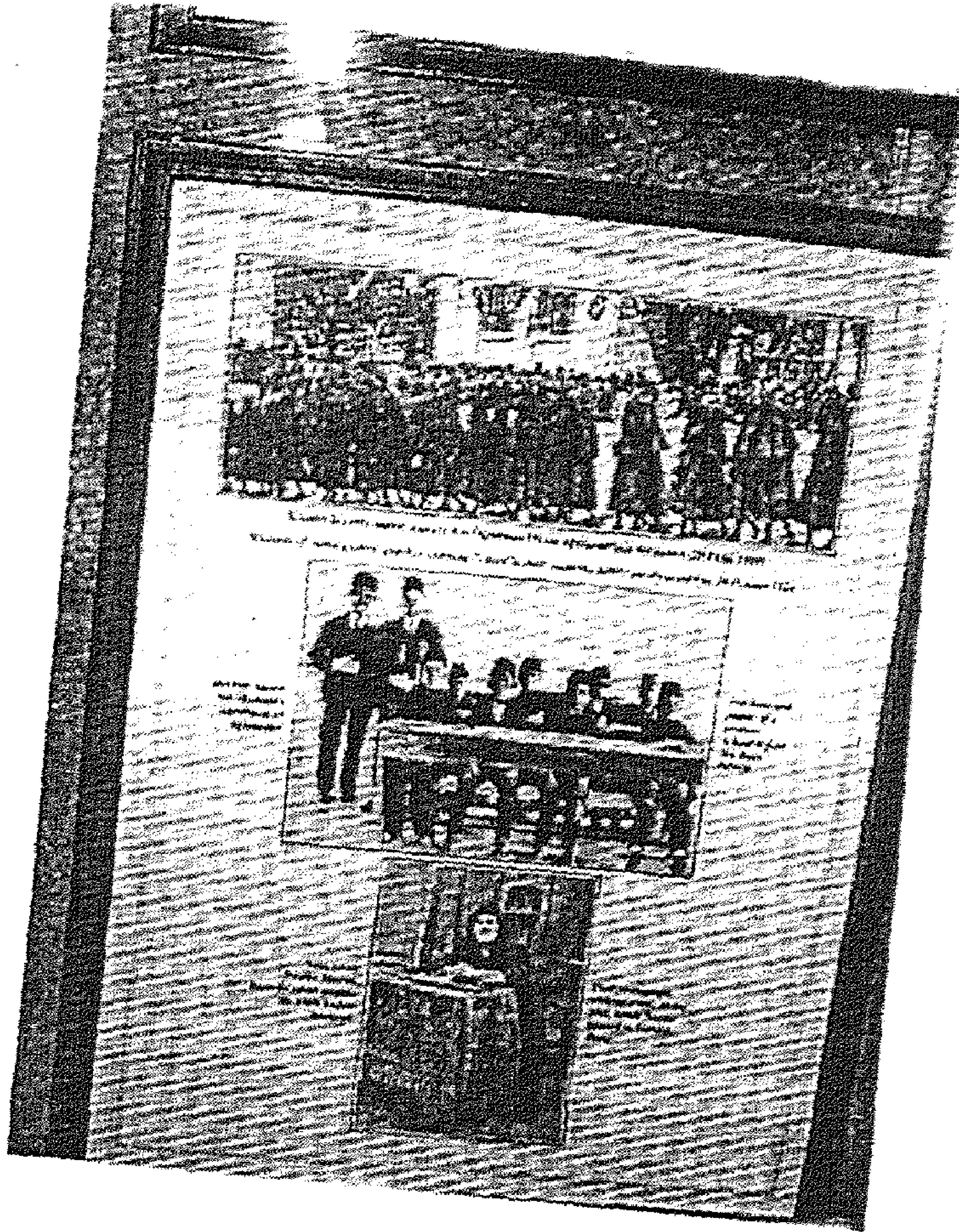
وإذا نظرنا إلى السياسة التى انتهجها السلطان الظاهر بيبرس والسياسة التى انتهجها مصطفى كمال نجد الفرق بين تفكير الرجلين بعيداً جدا إذ بينما استند بيبرس على الخلافة وأحياها فى مصر، بعد أن تلاشت فى بغداد فرفع بذلك من شأن نفسه ومن شأن المسلمين فى كل مكان وكانت الخلافة له ولخلفائه من بعده قوة ودعماً ودرعاً واقياً، نجد مصطفى كمال قد استند على الإنجليز لهدم الخلافة ليرفع نفسه ويهدم تركيا، فقد كان شخصية مريضة معقدة منكبا على الشهوات والمنكرات لا يعرف حراماً ولا ديناً.

لقد ابتليت الأمة التركية بهذا الطاغية وما زالت تعانى من آثاره حتى الآن وتنتظر خروج وظهور المهدى المنتظر ليعيدها إلى حظيرة الأمة الإسلامية ويفتح القسطنطينية كما فتحها السلطان محمد الفاتح أحد أعظم السلاطين العثمانيين.

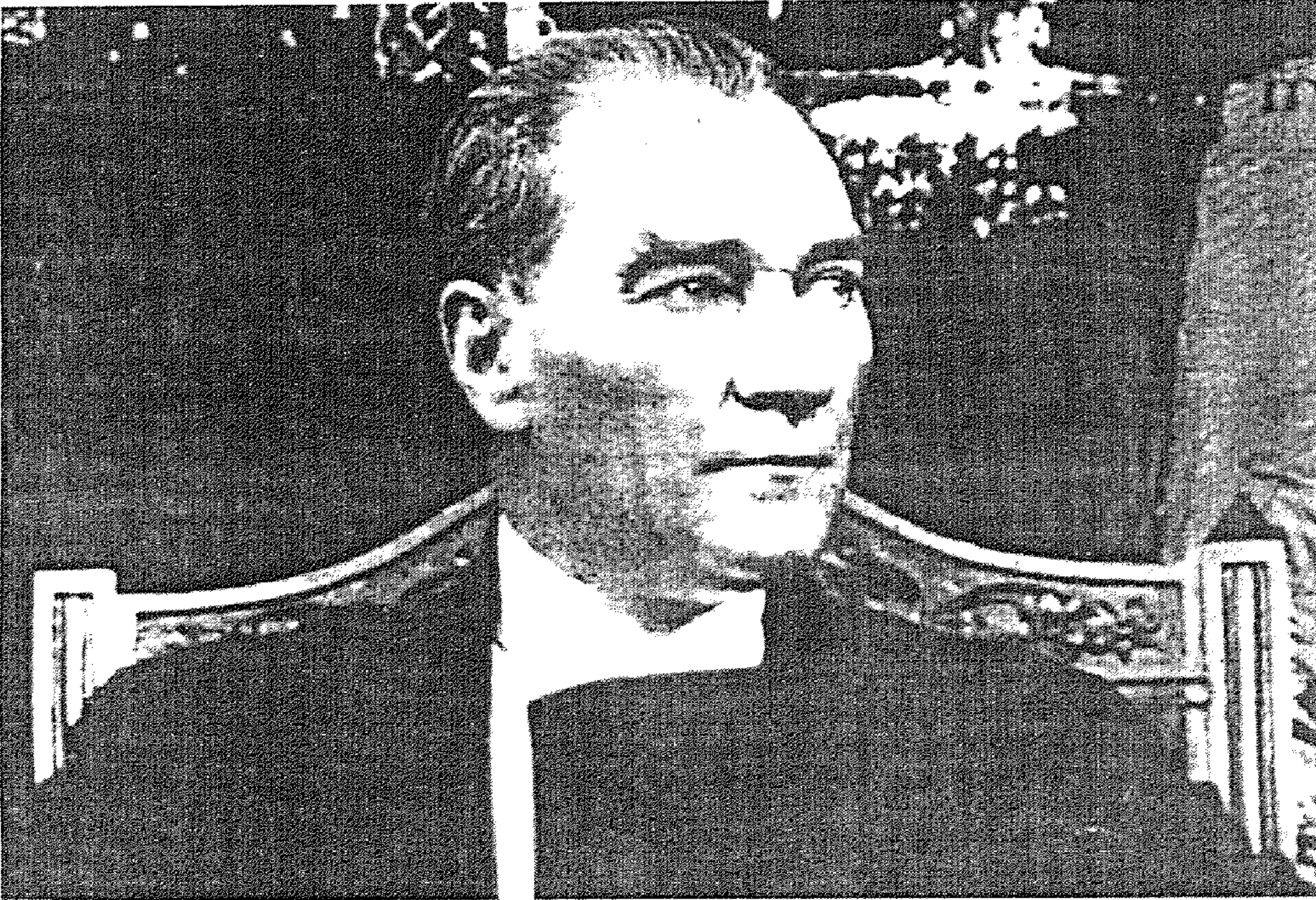




صورة للحروف اللاتينية التى تم استخدامها بدلاً من العثمانية والعربية



صورة لأول دفعة من طلاب المدارس ونساء أتراك بملابسهن الحديثة التي أقرها أتاتورك «الشرق الأوسط»



صورة لمصطفى كمال على كرسى الرئاسة



أحد الملوك فى زيارة لقبر أتاتورك



مصطفى كمال أتاتورك ميتاً



مصطفى كمال أتاتورك يشرح استبدال الحروف اللاتينية

بدلاً من الحروف العربية



الديكتاتور أتاتورك



أتاتورك يرقص رقصة غربية

الأكراد ومصطفى كمال
بين الوعود والخداع

- مصطفى كمال استفاد من مشكلة الأكراد في نقض معاهدة «سيفر» وإبرام معاهدة لوزان.
- تطور مشكلة الأكراد في عهد أتاتورك واستمرارها من بعده.

14

مشكلة الأكراد
ومصطفى كمال أتاتورك

الشعب الكردى يوجد فى تركيا والعراق وسوريا وإيران ويقود هذا الشعب حروباً وصراعاً منذ زمن لإقامة دولة خاصة به قائمة على القومية الكردية وقد استخدمه البعض كورقة لتحقيق مكاسب سياسية.

إلا أن الأكراد فى تركيا قد تحملوا العبء الأكبر فى هذا الصراع الدموى الذى لا ينتهى وإن كادوا أن يحققوا مكاسب هامة عقب هزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى حيث قبلت الحكومة العثمانية فى اسطنبول مرغمة معاهدة سيفر (Sevres) التى عقدت فى ١٠ أغسطس عام ١٩٢٠.

ولكن الحكومة الوطنية، التى شكلها مصطفى كمال أتاتورك، فى الأناضول عام ١٩١٩، رفضت الاعتراف بها وبادرت إلى إعلان التمرد من شرقى تركيا، لتحرير الوطن التركى وإفساد المخطط البريطانى لتقسيم تركيا واستقلال الأكراد عنها.

وفى البداية حرص مصطفى كمال أتاتورك على ضمان انضمام الأكراد إليه، فى حركته الوطنية فأخذ بعد مؤتمر أرضروم، عام ١٩١٩، يؤثر فى زعماء الأكراد، ويطلب منهم إرجاء القضية الكردية ريثما يكتمل تحرير البلاد التركية كلها من المحتلين وينعقد الصلح، وذلك لا يكون إلا باتحاد العنصرين، التركى والكردى أصحاب البلاد.

كما نص الميثاق الوطنى، الصادر عام ١٩٢٠.

وكان أتاتورك قطع لهم الوعود الصريحة، بأن تعترف تركيا للكرد، ولكردستان بالاستقلال بمساحة أكبر وأوسع مما ورد فى معاهدة سيفر. وكان عدد النواب الأكراد الذين يمثلون كردستان فى المجلس الوطنى الكبير، فى أنقرة ٧٢ نائباً.

وفى بدايات الحركة الكمالية، فى الأناضول لم يظهر الكماليون أى بادرة سوء نحو الأكراد، بل قدموا العون للأكراد فى تركستان الجنوبية (العراق) والضغط على الإنجليز وإجبارهم على التخلى عن الموصل.

إزاء ذلك لم يتخل الأكراد عن الترك، إخوتهم فى الإسلام فى وقت الشدة ومواجهة العدو الأجنبى خاصة أن قسماً كبيراً من جنوبى كردستان، كان تحت احتلال الإنجليز كما أن الفرنسيين كانوا يحتلون السواحل وأما شمالى كردستان فكان تحت احتلال الروس.

ورفض قادة جمعية تقدم الكرد، اللجوء إلى أى عمل ضد الأتراك عندما طالب الشباب الكردى من أعضاء الجمعية، عام ١٩١٩ م، باتخاذ قرار حول إعلان استقلال كردستان، وطرد جميع القوات الأجنبية منها، بما فيها التركية ووقف سيد عبد القادر ضد هذا الاقتراح، إذ رأى أنه لا يليق بالحركة الكردية الوقوف ضد الأتراك، فى مثل هذا الظرف العصيب.

وكان رؤساء الحلفاء، فى باريس يؤكدون للجنرال شريف باشا رئيس الوفد الكردى إلى مؤتمر الصلح، فى العاصمة الفرنسية (عام ١٩١٩ - ١٩٢٠)، أن إخلاد الكرد إلى السكينة والهدوء، هو ضرورى لتحقيق آمالهم القومية.

وقد نشر قائد القوات الإنجليزية فى كردستان، حينذاك، الجنرال ماك أندرو منشوراً باللغة الكردية، ورد فيه ما يأتى:

«بما أن مصير الأراضى العثمانية ذات الأكثرية الكردية، سيقرر فى مؤتمر الصلح، الذى سوف يحقق الأمانى القومية الكردية، والحقوق الطبيعية للكرد وكردستان، فإن هذه الحالة توجب على الأكراد التزام السكينة والهدوء، وعليهم أن يطمئنوا إلى عدالة إنجلترا التى ستحافظ على حقوقهم».

ومن ناحية أخرى منع رئيس الاستخبارات الإنجليزية فى حلب، العقيد بل إصدار منشور أراد نشره الأمير الكردى ثريا بدرخان سكرتير جمعية الاستقلال الكردى، فى حلب لكشف نيات مصطفى كمال إزاء الرد، قائلاً: إن أكبر خدمة

وأعظم فائدة تقدم إلى الشعب الكردى الآن، هى دعوته إلى الإخلاد إلى الهدوء والسكينة».

وكذلك حضر هذا القائد الإنجليزى إلى ملاطية، فى الأناضول حينما شعر أن الأمير الكردى جلادت بدرخان، والأمير كامران بدرخان، وأكرم جميل باشا، زاده مندوبى جمعية تقدم كردستان، يحشدون فى جبال كاخته قوات كردية لرد هجمة مصطفى كمال باشا، التى يريد أن يشنها بغتة، ومن دون سبب معلوم، على الوطنيين الأكراد فأرسل الرائد إدوارد و. س. نويل Noel إلى المندوبين الأكراد المذكورين، يبلغهم باسم حكومته، وجوب تفريق القوى الكردية حالا وأن أقل مقاومة مسلحة تعرض القضية الكردية للأخطار الشديدة، بعد أن حازت قبول الدول الأوروبية.

وأخلد الأكراد للسكون، خاصة بعد تعهد الدول الحليفة، بأن الأتراك إذا لم ينفذوا معاهدة سيفر (Sevres)، سوف يحرمون من الأستانة كذلك.

وهكذا أضاع الحلفاء وخاصة الإنجليز، على الأكراد فرصة أحلامهم من الاستقلال وإقامة دولة خاصة بهم.

وفى عام ١٩٢٢، طلب مصطفى كمال من النواب الأكراد فى المجلس الوطنى التركى فى أنقرة، الرد على الاستفسار الذى وصله من رئيس الوفد التركى، عصمت باشا إلى مؤتمر لوزان، حول رغبة الأكراد فى البقاء ضمن الدولة التركية الجديدة. فرد النائب الكردى عن أرضروم فى المجلس حسين عونى بك، عام ١٩٢٢، قائلاً: «إن هذه البلاد هى للأكراد والأتراك، وأن حق التحدث من فوق هذه المنصة، هو للأمتين، الكردية والتركية».

وأيده فى ذلك النواب الأكراد فى المجلس الوطنى الكبير، وقوبل ذلك بالترحيب والاستحسان من أتاتورك.

وبناء على هذا الجواب من النواب الأكراد، أعلن عصمت باشا الكردى الزصل، مندوب تركيا فى مؤتمر لوزان، أن «تركيا هى للشعبين التركى والكردى،

المتساويين أمام الدولة، ويتمتعان بحقوق قومية متساوية».

وحينما وجد المشاركون فى مؤتمر لوزان، أن النواب الأكراد لا يريدون انفصال كردستان عن تركيا، وأن حكومة تركيا وعدت بتلبية مطالب الأكراد القومية، وافقوا على غض النظر عن أى فكرة لاستقلال كردستان، وحذفوا ذكر الأكراد من الوثائق الرسمية للمؤتمر.

وتم الموافقة على معاهدة لوزان، فى ٢٣ يولية ١٩٢٣، بين الحلفاء وحكومة أنقرة الوطنية.

وبهذه المعاهدة ألغيت معاهدة سيفر، وقدم الإنجليز والأتراك تنازلات بعضهما إلى بعض، فى خصوص المسألة الكردية.

ولم يذكر فيها شىء عن استقلال الأكراد، سوى ما جاء فى المواد (٣٨) و (٣٩) و (٤٤) من الفصل الثالث:

إذ نصت المادة (٣٨) على أن تتعهد الحكومة التركية بمنح جميع السكان الحماية التامة والكاملة، لحياتهم وحريتهم، من دون تمييز فى العرف والقومية واللغة والدين.

ونصت المادة (٣٩) من معاهدة لوزان على أنه «لن تصدر أى مضايقات فى شأن الممارسة الحرة لكل مواطن تركى لأية لغة كانت، إن كان ذلك فى العلاقات الخاصة أم فى العلاقات التجارية، أم فى حقل الدين والصحافة أم فى المؤلفات والمطبوعات من مختلف الأنواع أم فى الاجتماعات العامة.

وتنص المادة (٤٤) على أن تعهدات تركيا هذه، هى تعهدات دولية، لا يجوز نقضها، فى حال من الأحوال، وإلا فيكون لكل دولة من الدول الموقعة على معاهدة لوزان، والدول المؤلفة منها عصبة الأمم، الحق فى الإشراف على تنفيذ تركيا هذه التعهدات، بدقة والتدخل ضدها لحملها على تنفيذ ما تعهدت به أمام العالم.

وهكذا، أضاعت معاهدة لوزان كل الحقوق القومية للأكراد فى تركيا وكانت معاهدة لوزان خطوة إلى الوراء، مقارنة بمعاهدة سيفر (Sevres).

وعلى الرغم من معاهدة لوزان، وقبيل حل مشكلة الموصل، فى عام ١٩٢٥، نجد تسامحاً فى بعض التصريحات الكردية.

فقد صرح فتحى بك رئيس الوفد التركى إلى مؤتمر اسطنبول، الذى انعقد لحل مشكلة الموصل عام ١٩٢٤، قائلاً: «إن هذا الوطن، يخص الأمتين الكردية والتركية، فقط.

وكان ذلك مما يخدم الحكومة التركية، فى مسألة الموصل، آنذاك.

حينما وقعت معاهدة لوزان، لم يبق فى تركيا من الشعوب سوى الأكراد والأتراك. ورأى الكماليون بعد قيام الجمهورية، أنه لا مكان لشعب غير الشعب التركى، ويجب تتريك كل القوميات الأخرى، التى تضمها هذه الجمهورية، وصهرها فى المجتمع التركى. ورفضوا الاعتراف بوجود شعب آخر غير الأتراك، وأطلقوا على الأكراد اسم «أتراك الجبال».

وألغوا اللغة الكردية فى المدارس والمعاهد، وحرموا التحدث بها فى الشوارع والمجالس، فضلاً عن تحريمها فى المصالح الحكومية وأمام المحاكم، على الرغم من تعهداتهم السابقة، فى معاهدة لوزان.

وسعى الأكراد من جانبهم، إلى إظهار رفضهم لعدم الاعتراف بحقوقهم من جانب الحكومة التركية. فبادر الفريق خالد بك الجبرانلى، الذى كان قائداً فى الألوية الحميدية، إلى تنظيم لجنة استقلال كردستان (آزادى) السرية، وأرسل مندوبين عنها إلى جميع أنحاء كردستان، لإنشاء فروع وتشكيلات عامة لها، ولتوزيع أسلحة وذخائر حربية. ودخل فى هذا التنظيم الشيخ سعد الكردى، من قرية بيران، وهو من المشايخ ذوى النفوذ الدينى لدى مريديه وأتباعه.

وتقرر أن تبدأ الثورة، صباح ٢١ مارس ١٩٢٥، وهو يوم الاحتفال بعيد النيروز، أو رأس السنة عند الأكراد، ولكن وصلت قوة تركية إلى قرية بيران، حيث يقيم الشيخ سعيد الكردى فى ٧ مارس ١٩٢٥، فنشب القتال بينها وبين أتباع الشيخ سعيد، لسبب بسيط تافه، فانفجرت الثورة فى كل أنحاء كردستان وكان من أبرز

شعاراتها «إقامة كردستان مستقلة، فى ظل الحماية التركية وإعادة حكم السلطان».

وبادر الفريق خالد الجبرانلى، ومن معه من الضباط الأكراد، الذين كانوا خارج المكان، الذى انفجرت فيه الأحداث، إلى التوجه إلى المكان المذكور للإشراف على الثورة وإدارة دفة القتال، ولكن قبض عليهم قبل وصولهم إلى مكان الثورة، وأعدموا من دون محاكمة.

وبذلك حرمت الثورة من اشتراك المخططين لها، والعارفين بالفنون الحربية، فقادها من لا خبرة لهم بها ولا بأسرارها.

وتوسعت الثورة، وانتشرت فى مناطق شاسعة من البلاد.

ولكن الأكراد صرفوا همهم نحو السيطرة على المدن الكبيرة، فى الوقت الذى كانت القوات التركية تصل إلى المنطقة، وتصل إليها الإمدادات من كل ولايات تركيا.

وبعد سلسلة من المعارك أخمدت الثورة وقدم الشيخ سعيد ورفاقه إلى المحاكمة، وسيقوا إلى محاكم عسكرية، عرفت باسم «محاكم الاستقلال». ثم شنقوا وتركوا معلقين على أعواد المشانق، عبرة لمن يعتبر، وفر قسم من المقاتلين إلى رؤوس الجبال، أو إلى الدول المجاورة، سورية والعراق وإيران.

وأعلن رئيس المحكمة، الذى حكم بالإعدام على ثلاثة وخمسين زعيماً من زعماء الثورة، أثناء المحاكمة، فى ٢٨ يونية ١٩٢٥، قائلاً: «لقد اتخذ بعضكم إساءة استعمال السلطة الحكومية، والدفاع عن الخلافة ذريعة للثورة ولكنكم كنتم متفقين جميعاً على إقامة كردستان المستقلة».

وقد استخدمت الحكومة التركية ٣٥ ألف جندى و ١٢ طائرة حربية، لإخماد الثورة التى شكلت خطراً على الجمهورية التركية الناشئة وأجرى حشد ٨٠ ألف جندى تركى فى كردستان.

ودمرت القوات التركية بعدها ٢٠٦ قرية كردية، وأحرق ٨٧٥٨ منزلاً، وقتل ١٥٢٠٠ شخص.

وقالت يومها جريدة «وقت» التركية: «أليس هناك مسألة كردية، حين تظهر الحراب التركية».

وتكبد كل من الأكراد والأتراك، خسائر فادحة، من جراء هذه الثورة.

وكان من نتائجها صدور قانون الحفاظ على الأمن أو (تقرير ما يكون قانونى)، الذى جرى بموجبه تشتيت آلاف الأسر الكردية وتهجيرها ودمر كثير من القرى الكردية، ونفى زعماؤها ورؤساؤها إلى مختلف الولايات التركية.

واختلفت الآراء حول ثورة الشيخ سعيد. فقد قيل إن الشيخ ورفاقه كانوا يسعون إلى إعادة الخلافة، التى ألغاها مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٣ لا إلى الاستقلال الكردى.

وقالت الجرائد التركية، آنذاك إن الجمعيات الكردية دبرت الثورة تحت ستار الدين، لتصل إلى غايتها الوحيدة وهى إنشاء كردستان مستقلة، فى الولايات الشرقية من تركيا.

على إثر ما نزل بالأكراد، وما حل ببلادهم عقب ثورة ١٩٢٥، من الخراب والتشريد عقدوا مؤتمراً، عام ١٩٢٧ شهدته جميع الفئات الكردية ومندوبو الجمعيات ورؤساء العشائر ووجوه البلاد والمراكز، وذلك لاتخاذ القرارات السريعة، لجمع الفصائل الكردية المشتتة، واستجماع القوى لمواصلة نضالهم ضد تركيا، وعقد المؤتمر داخل الحدود التركية، ودامت جلساته مدة شهر ونصف الشهر. واتخذ قرارات منها:

١ ـ حل الجمعيات الكردية القائمة، وتأسيس قيادة موحدة للفصائل الكردية، تجمعها باسم جمعية «خويبون» (أى الاستقلال).

٢ ـ تدريب المقاتلين الأكراد على وسائل الحرب الحديثة، وتنظيم قوات توافق أساليب عسكرية متطورة، وإنشاء مركز عام ومقر للقيادة العليا للثورة فى جبال كردستان فى تركيا.

٣ ـ إقامة علاقات قوية بالحكومات الإيرانية والعراقية والسورية.

وافتتحت جمعية «خويبون» عدة فروع لها، فى كردستان وخارجها وتولى الفريق إحسان نورى باشا تأسيس منظمة عسكرية كردية، فى منطقة جابل أرارات (آغرى)، فى كردستان التركية، تمكنت من إرسال مجموعات قتالية حالت دون نفى الحكومة التركية السكان الأكراد من مواطنهم.

وقد نجحت جمعية «خويبون» عام ١٩٣٠، فى تنظيم انتفاضة مسلحة فى إقليم أرارات (جبال آغرى)، بقيادة الفريق إحسان نورى باشا، وكان السبب المباشر لاشتعالها، اتخاذ الحكومة التركية الإجراءات اللازمة لتتريك الأكراد، والأقليات الأخرى، وبعد حرب طويلة قضى على الانتفاضة بوساطة القوات والمدفعية والطائرات واستناداً إلى إحصاءات غير رسمية، فإن ١٦٥ قرية و ٦٨١٦ بيتاً قد دمرت.

وبدا للحكومة التركية أنها قضت على الحركة الكردية فأكد عصمت إينونو، رئيس الوزراء التركى فى خطبة ألقاها فى ٣٠ أغسطس ١٩٣٠، عدم أحقية الأكراد فى الاعتراف بهم: «ليس فى هذه البلاد جماعة لها الحق بادعاء كيان قومى ووطنى، غير الجماعة التركية».

وقال وزير العدل التركى محمود أسعد أورامش فى خطبة له فى سبتمبر ١٩٣٠ : «هذه هى عقيدتى ونظريتى: ليعلم الصديق والعدو، حتى الجربال أن سيد هذه البلاد هو التركى.

فمن لم يكن من الدم التركى، ليس له فى الوطن التركى سوى حق واحد، هو أن يكون خادماً وعبداً. نحن فى بلاد أكثر حرية من جميع بلاد العالم، هذه هى تركيا ولهذا أنا لا أخفى عواطفى وأحاسيسى عن أحد».

وبعد القضاء على انتفاضة ١٩٣٠، فقدت جمعية «خويبون» نفوذها تدريجياً وفى أثناء ذلك، سويت النزاعات ما بين الحكومة التركية والإنجليز والفرنسيين فى المسائل العالقة، والتى تمس المسألة الكردية.

بعد انتفاضة ١٩٣٠، أمعنت الحكومة التركية فى سياستها الرأسية إلى صهر

السكان الأكراد، واندماجهم فى المجتمع التركى وأصدرت قانوناً يجيز لها فرض الأحكام العرفية، واستدعاء القوات إلى المناطق الكردية، فى الأقاليم الشرقية من تركيا، وصدر قانون فى مايو ١٩٣٧ رحل بموجبه مئات الألوف من الأكراد من مناطقهم إلى مناطق أخرى، وبنص ذلك القانون على: «أن أولئك الذين ليست لغتهم التركية يحرمون من إعادة بناء قراهم، أو تشكيل منظمات حرفية أو كتابية أو طبقية، ويمنح وزير الداخلية حل هذه المنظمات.

وهذا القانون ينافى ما جاء فى معاهدة لوزان، من احترام حقوق الأقليات. وشرعت الحكومة التركية بعد ذلك تنفذ حملة فكرية، لصهر الأكراد وتتريكهم.

بعد تردى الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للسكان الأكراد شهد عام ١٩٣٧، انتفاضة فى إقليم درسيم، الذى حول إلى ولاية باسم تونجالى فى شكل عصيان كبير تزعمه سيد رضا وهو شيخ من شيوخ الطريقة النقشبندية، فقد شكلت الحكومة دائرة التفتيش العامة الرابعة فى الولاية وأصدر المفتش العام الجنرال ألب دوغان، أمراً بفرض حالة الحصار على ولايات تونجالى وأليازيغ وبين جول، وطلب من الأكراد تسليم ٢٠ ألف بندقية، وإلا فسينالهم عقاب شديد.

وأرسل زعيم الأكراد سيد رضا رسالة إلى ألب دوغان، يطلب إلغاء قراره والاعتراف بحقوق السكان الأكراد وداً على ذلك أرسل الجنرال ألب دوغان فرقة من المشاة وفوجاً من الدرك على سكان درسيم.

وكانت هذه القوات مدعومة بعشر طائرات من سلاح الجو التركى. وتوقفت العمليات فى شتاء ١٩٣٦، بسبب الثلوج والأمطار والبرد القارس. واستؤنفت الحملة بعد تحسن الجو فى الربيع، واستدرج الجنرال ألب دوغان نجل الشيخ سيد رضا لإجراء مفاوضات.

ثم قتله بوحشية عندئذ هبت العشائر الكردية فى وجه القوات التركية التى أحرقت الغابات المحيطة بدرسيم، لإرغام الثوار الأكراد على الخروج من الملاجئ

الجبلية، ووجهت مدفعيتها صوب مواقع الشيخ سيد رضا وفصيله.

وتمكن الجنرال ألب دوغان، بحيلة إجراء مفاوضات مع سيد رضا أن يقبض عليه فى ٥ سبتمبر ١٩٣٧.

وقدم هو ورفاقه للمحاكمة فى ١٠ نوفمبر ١٩٣٧، وحكمت المحكمة بإعدام أحد عشر من قادة الانتفاضة. ونفذ الحكم فى ١٨ نوفمبر ١٩٣٧.

وقال وزير الداخلية التركى وقتها جلال بك، إن القضية الكردية لا وجود لها بعد اليوم وأن العصاة جرى تلقيحهم بلقاح الحضارة، من طريق القوة «فى إشارة إلى الرأى التركى القائل بأن الأكراد ما هم إلا أتراك الجبال الذين تخلفوا حضارياً.

كانت العمليات العسكرية ضد الأكراد فى درسيم، قوية وعنيفة، إلى درجة أن الحركة القومية الكردية ظلت بعدها ساكنة على مدى نصف قرن تقريباً.

ولقد عزا بعض المؤرخين هذه الثورة إلى إجراءات القمع التى مارستها الحكومة ضد زعماء القبائل فى تلك المنطقة.

كما أرجعها بعضهم إلى نشر قانون هدفه تحقيق تتريك الأقليات غير التركية واندماجها فى الشعب التركى.

وقيل إن هذا العصيان كان مدعوماً من الاتحاد السوفييتى، وإنه زود الثوار فى درسيم بالسلاح والمال.

وفى يونية عام ١٩٣٧ عقد «ميثاق سعد آباد» بين تركيا وإيران والعراق وأفغانستان تحت إشراف بريطانيا وكان هذا الميثاق موجهاً بصورة رئيسية ضد الحركات الكردية فتقول إحدى مواده: إن كلاً من الأطراف الموقعة، تتعهد باتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون قيام أى نشاط لعصابات مسلحة أو جمعيات، أو منظمات، تهدف إلى إطاحة المؤسسات الحالية التى تتحمل مسؤولية المحافظة على النظام والأمن، فى أى جزء من حدود الأطراف الأخرى.

ولقد انتهى أثر ذلك الميثاق بنشوب الحرب العالمية الثانية.

وظلت المناطق الكردية فى شرقى تركيا فى العهد الجمهورى تعانى التخلف فى مجالات الزراعة والصناعة والتعليم ويطلق عليها المناطق المحرومة ولم تجد الحكومة التركية وسيلة لإخماد الثورات والانتفاضات الكردية، عبر القمع العسكرى والتهجير والنفى والتعذيب والتمادى فى حرمان الأكراد حقهم فى التحدث بلغتهم، أو إصدار جريدة أو مجلة باللغة الكردية.

وكان العسف والقسوة والوحشية، تزداد فى فترات الانقلابات العسكرية التى شهدتها تركيا الحديثة فى أعوام ١٩٦٠ و ١٩٧١ و ١٩٨٠ على التوالى ولم يطرح أى حلول سلمية لهذه المعضلة التى لا تعترف بها الحكومة أصلاً.

لم تسمح الدساتير التركية فى أعوام ١٩٢٤ و ١٩٦١ و ١٩٨١، للأقليات القومية فى تركيا بتأسيس أحزاب سياسية مما ولد فى نفوس الأكراد شهوة الانتقام والتطلع إلى التحرر ورد العنف بالعنف.

وظلت المناطق الكردية مغلقة، حتى أوائل الستينيات حين بدأ التململ بين الأكراد فأسسوا الجمعيات والأحزاب السرية، التى كانت تأخذ فى مسيرتها بالمناهج الشيوعية الماركسية اللينينية أو الماوية والاشتراكية وأخذت تعمل بطريقة سرية، وأحياناً متضامنة مع حزب العمال التركى اليسارى الذى حظرته السلطات فيما بعد.

وفى أعقاب الانقلاب العسكرى عام ١٩٦٠، بقيادة جمال جورسيل أصدرت لجنة الاتحاد الوطنى القانون الرقم ١٠٥، فى ١٧ أكتوبر ١٩٦١ الذى جرى بمقتضاه تهجير العائلات الكردية غير المرغوب فيها وبصورة قسرية إلى مناطق أخرى فى تركيا.

استمرت الحكومات التركية فى سياسة صهر الأكراد بعد أن منعتهم من فتح مدارس لهم، أو إصدار المطبوعات الكردية واستخدمت محطات الإذاعة التى أنشئت فى أرضروم وديار بكر ووان، لبث اللغة والثقافة التركيتين بين الأكراد وأغفلت اللغة الكردية وثقافتها.

من جانب آخر أولى قادة الحركة القومية الكردية فى تركيا ثقافة الشعب الكردى اهتماماً كبيراً فنشطوا نشر نتاجهم الأدبى باللغة التركية فترجمت ملاحم الشعب الكردى مثل ملحمة «ميم وزين» للشاعر الكردى المشهور (١٥٩١ ـ ١٦٥٢) باللغة التركية، عام ١٩٦٨. ولكنها صودرت ولم تصل إلى القراء.

نشأت منظمات سرية كردية فى كردستان تناضل من أجل الاعتراف بحقوق الأكراد القومية، فأسس الحزب الديمقراطى الكردستانى فى تركيا فى أواسط الستينيات وحزب تحرير الأكراد فى تركيا، ورابطة الحرية ومنظمة مقاتلى كردستان.

وإلى جانب المنظمات الكردية السرية، أخذت تتشكل فى الستينيات منظمات شبابية علنية مستترة بالمؤسسات والمنظمات الاجتماعية والثقافية اليسارية التركية. ففى أغسطس ١٩٦٩، أنشأت مجموعة من الشباب الأكراد مراكز ثقافية فى شرق تركيا ضمن تنظيمات حزب العمال التركى ومازالت مشكلة الأكراد فى تركيا قائمة حتى الآن.

وقد صدر فى تركيا كتاب بعنوان «تقرير عن الكورد لعصمت باشا» للكاتب والصحافى التركى «سايغى أوزتورك» يعرض للمرة الأولى محتويات التقرير، الذى كتبه «عصمت أينونو باشا» عن الكورد والوجود الكوردى فى كوردستان تركيا وكان التقرير مخبئاً بعناية فائقة وسرية مطبقة فى خزائن الدولة التركية، طيلة العقود الماضية من عمر الجمهورية التركية، كما ويتميز التقرير الذى صدر فى كتاب بأنه يعرض لجوانب أساسية من السياسات التى اتبعتها الحكومات التركية المتعاقبة ضد المكون الكوردى.

يقدم للكتاب الكاتب والصحافى التركى المعروف «أمين جولشان» الذى يشير إلى أن مجرد تناول هذا التقرير وحيازة نسخة منه، كان يشكل فيما مضى أمراً بالغ الخطورة ويضرب على ذلك مثلاً الصحافى «أوغور مومجو» الذى قتل فى انفجار سيارة مفخخة، بعد يومين من استلامه نسخة من هذا التقرير من الكاتب والصحافى «سايغى أورتورك».

فبحسب «جولاشان» كان مجرد الاقتراب من تقرير «عصمت إينونو» وتداوله بشكل خطأ أحمر، يصادر الحياة الحائزة أو المطلع عليه.

وتعود خلفيات قصة هذا التقرير إلى أن «عصمت إينونو» رئيس وزراء تركيا فى بدايات الجمهورية، قد قام بتكليف من «أتاتورك» بجولة دقيقة فى مناطق كوردستان تركيا عام ١٩٣٥ وأعد خلالها تقريراً بالغ السرية عن الكورد وكوردستان تركيا، والآن للمرة الأولى بعد ٧٢ سنة يصدر التقرير للعلن.

وينبغى القول إن «أتاتورك» لم يكتف بتكليف «إينونو» فقط من أجل رسم سياسته التتريكية، بل كلف أيضاً الكاتب التركى «شريف فرات» ولكن لإعداد كتاب علمى بهدف إثبات الأصل التركى للكورد.

تقرير «إينونو» بسهم حينها فى تطبيق السلطات التركية لسياسة «الإشراف العام» أو «المفتشية العامة»، وهى النسخة التركية من حالة الطوارئ المعمول بها فى بلدان أخرى.

ولا يقتصر كتاب الصحافى «سايغى أوز تورك» الصادر حديثاً على إيراد تقرير «إينونو» فى متنه فقط، بل يعرض أيضاً لتقارير مفتشى سياسة «الإشراف العام» فى كوردستان ويتضح من ذلك أن الجمهورية التركية لم تخطو إلى الآن وبعد ٧٢ سنة على تقرير إينونو أية خطوة إيجابية فى الملف الكوردى. ولا تزال القضية الكوردية بجوانبها العديدة عالقة على مشحب اللاءات التركية، وأمراً مسكوتاً عنه وتعيش فى عنق القارورة التركية.

هذا ويتضمن تقرير «إينونو» معلومات عن معظم المدن الكوردية فى كوردستان تركيا، إضافة إلى تحليلاته وتقسيماته المصاحبة للمعلومات.

الإطار التاريخى لتقرير إينونو:

يأتى تقرير «إينونو» عن الكورد، بعد أن استتب الأمر فى الداخل للأتراك بقيادة «مصطفى كمال أتاتورك»، بعد عقدين من الصراعات والمواجهات مع القوى الخارجية والداخلية فمعلوم أن الدولة العثمانية انهارت عمليا عام ١٩١٨ بتوقيعها

على هدنة مودرس مع الحلفاء، وانسحابها تالياً من الحرب العالمية الأولى، ولكن الحلفاء لم يتقيدوا بالهدنة، وتقاسموا آسية الصغرى (تركيا الحالية).

فلقد شهد عام ١٩١٩ احتلال اليونان لمنطقتى «سميرنا» وساحل بحر إيجه، واحتلال البريطانيين لمناطق عديدة بينها «أورفه» (الرها)، إضافة إلى احتلال إيطاليا وفرنسا لمناطق أخرى الأمر الذى حث «أتاتورك» على شن حرب الاستقلال وإخراج الجيوش الأجنبية متكلاً فى ذلك على الزعماء والعشائر الكوردية وتمكن الكورد خلال ذلك وبعده من إيصال مطالبهم إلى الهيئة الاستشارية العليا الحفاء فى مارس ١٩١٩ وأبريل ١٩٢٠ بواسطة المندوب الكوردى «شريف باشا»، الأمر الذى أدى إلى تسليم المجلس الاستشارى للحلفاء مسودة معاهدة «سيفر» إلى الوفد التركى وتوقيع تركيا بالتالى على المعاهدة عام ١٩٢٠، وكانت المواد ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ من المعاهدة تفتح الآفاق أمام قيام كوردستان مستقلة.

ولكن يشهد يوم ٢٣ أبريل ١٩٢١ قيام حكومة تركية جديدة بنتيجة اجتماع المجلس الوطنى التركى فى أنقرة، ويمنح أتاتورك سلطات وصلاحيات واسعة، الأمر الذى يسهم فى إلغائه للسلطنة والإطاحة بالسلطان «عبد الحميد» فى نوفمبر ١٩٢٢، وتكلل جهود «أتاتورك» الرامية إلى دفن معاهدة «سيفر» بالنجاح فى ٢٤ يوليو ١٩٢٣، حيث تستبدل «سيفر» بمعاهدة «لوزان» التى تخلو نصوصها من أية إشارة إلى الأكراد.

وانطلقت الثورة الكوردية الأولى عام ١٩٢٥ بقيادة الشيخ «سعيد بيران» وهو زعيم دينى نقشبندى، وسرعان ما تقمع الثورة بمساعدة من فرنسا المنتدبة حينها على سوريا.

ثم فى عام ١٩٣٠ كانت ثورة كوردية أخرى بقيادة الجنرال «إحسان نورى» فى منطقة «أرارات» والمنطقة الواقعة شرقى بحيرة «وان» وحتى الحدود الإيرانية، وقمعت هذه الثورة أيضاً خلال سنتين «وإحسان نورى» شارك مع «أتاتورك» فى حرب الاستقلال وحارب ضد الجيش اليونانى فى الغرب، وكان آنئذ برتبة نقيب فى الجيش التركى.

وتم قمع ثورة «آغرى» أو «آرارات» وبدأ «إينونو» مكلفاً من صديقه «أتاتورك» بصياغة تقريره فى عام ١٩٣٥، آخذاً كل ما جرى بعين الاعتبار ومحتاطاً كذلك من كل ما سبق، ويأتى التقرير ليؤسس لمرحلة أخرى من الصراع الكردى.

ومما جاء فى تقرير «إينونو» عن الكورد:

- فى «آغرى» تتجلى مدنية وصبر الكورد فى العمل.

- «قره كوسه» مدينة كوردية، ولكنها موالية للحكومة.

- إذا ما أصبحت «أزرجان» مركزاً للكورد، أخشى حينها من قيام كوردستان مستقلة.

- تهجير الكورد من «إغدير» غير ممكن وغير مطلوب كذلك.

- «سيرت» مدينة للعرب الذين يريدون أن يتتركوا، لذا يتوجب أن تمتد إلى الشرق أكثر.

- يتوجب نشر القوات التركية على جناح السرعة فى «وان» و «أزرخان» ورويداً رويداً فى سهل «موش» وسهل «العزيز».

- يجب على الأتراك والكورد الدراسة فى المدارس نفسها، هذا سياستهم فى تتريكهم.

«ديار بكر» مستعدة منذ الآن من أجل تطبيق سياستنا القاضية بتحويلها إلى مركز للتركية.

- جذر معاداة الدولة يكمن فى روساء العشائر الكورد وأشياعهم، وبمقدور ضباط الاستخبارات الفرنسية تحريكهم ضد الدولة التركية متى ما شاءوا.

- أماكن المسيحيين والعرب فى «ماردين» التى ستخلى سرعان ما سيستولى عليها الكورد، وهذا ليس لصالحنا.

- يقطن «سيرت» العرب الذين يحبون الدولة التركية، وهم قوم مربون وأوفياء للحكومة النسيم فى «سيرت» عليل، ولكن هنالك شح فى المياه وهناك أيضاً مركز

لمعالجة مرض العيون «التراخوما» تكمن قوتنا هناك فى المعامل التى شيدناها وكذلك الموظفين والضباط ينبغى تقوية معاملنا هناك، وإذا لزم الأمر ينبغى وضع النظام الخاص بالعدلية فى «سيرت».

- بين «بدليس» وهيزان ومونكى أقيم مركز للقومية التركية بقوة الدولة إن لم تكن هناك بدليس لتوجب علينا خلق البدليسيين.

- لا أتوقع بقاء سهل «موش» هكذا خالياً من السكان. المتوقع أن الكورد رويداً رويداً سيشغلون هذا السهل.

- فى «وان» خليط من الأعراف، ولكن الشعب يعلق كل آماله على الدولة فى الشرق ذو البنية القوية يتوقع أن تتحول «وان» إلى أساس هام لجمهوريتنا أساس كهذا ضرورى من أجل تسلط الأتراك من جميع النواحى.

- مدينة مغلوبة على أمرها مثل «كلاذ كرد» صعب إدارتها، ولكن إذا ما أعيد بناؤها من جديد وبشكل أنظف ستكون عزيزة علينا جداً.

- إلى أين سنرحل الكورد من هذه الأرض المنتجة الغنية؟ ينبغى توزيعهم على المناطق الحدودية، ولكن الكورد الذين جلبناهم من «آغرى» مؤقتاً ينبغى تركهم وعدم الاقتراب منهم، وذلك لأجل الحفاظ على هدوئهم.

- بعد ١٠ سنوات أعتقد أننا سنحتاج من الناحية العسكرية إلى مقر «سارى العسكرى».

نحن مجبرون على إقناع الداخل والخارج بأننا غير راغبين فى نهب «فارس» و «آرتفين» بل علينا إبداء حرصنا على حمايتهما.

- إذا ما تمكنا من تطوير «أرضروم» وتحويلها خلال سنوات عدة إلى مركز للقومية التركية، نستطيع حينها استعمالها فى الصراع ضد جيراننا فى الشمال، وضد القومية الكوردية فى الداخل.

- ينبغى علينا الخشية من تحول «أزرجات» إلى مركز للكوردية، حينها ستقام كوردستان مزدهرة.

ـ مع بناء «ديرسم» ينبغى إقامة ثكنة عسكرية هناك، وينبغى إصلاح أهل «ديرسم» وفق برنامج.

ـ فى الغرب التركى ليست هنالك مؤسسات كبرى يمكنها تخريج دفعات كبيرة بين الشرطة والموظفين، لذا ينبغى عدم رفض الكورد الحاصلين على الشهادة الإعدادية الذين يتقدمون إلى وظائف الدولة التركية.

بناءً على توصيات «إينونو» تم من عام ١٩٢٥ حشد ثلثى الجيش التركى فى مناطق كوردستان تركيا وتحولت المدن الكوردية بذلك إلى ثكنات عسكرية كما تم منع الأزياء القومية الكوردية، والتحدث بالكوردية فى حضور موظفين وانطلاقاً من عام ١٩٤٧ تم التنكر التام للوجود الكوردى، والشاهد البسيط على ذلك رد الرئيس التركى «جلال بايار» على الصحافيين فى الولايات المتحدة عام ١٩٥٢ بأنه لا وجود لأى أقلية قومية فى تركيا.

وفى عام ١٩٥٩ ردت حكومة «عدنان مندريس» بعنف على النشاطات الثقافية الكوردية واعتقلت مثقفاً كورديا.

عام ١٩٦١ رحلت الحكومة العسكرية بقيادة الجنرال «جمال غورسنيل» ٥٠ وجيها ورئيس عشيرة كوردى إلى ولايتى «بورصة» و «أزمير» فى الغرب.

كما شهدت الأعوام بين ١٩٣٧ و ١٩٦٥ منع السلطات التركية لدخول السياسيين مناطق كوردستان تركيا، بحجة أنها مناطق عسكرية مغلقة، والمقصود هم البحاثة والصحافيون الغربيون بغية عدم إطلاعهم على الواقع.

وأصدرت الحكومة التركية فى الستينيات قانون تنظيم الرعاية الثقافية الموجه ضد الكورد، والصادر بموجب القرار الإدارى رقم ٦/ ٧٦٣٥ والمنشور فى الجريدة الرسمية التركية بتاريخ ١٤ شباط ١٩٦٧.

وأخضعت مناطق كوردستان تركيا (١٣ مقاطعة) إلى الأحكام العرفية وقانون الطوارئ ما بين عامى ١٩٣٥ ـ ١٩٥٠، وبين عامى ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣، وبين عامين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤، وبين عامى ١٩٨٠ ـ بداية الألفية الجديدة.

بينما شهد خريف ١٩٨٣ توطين تركيا لـ ٣٤٥٠ لاجئا أفغانيا كانوا موجودين فى باكستان، ونقلتهم تركيا منها جواً. لتسكنهم فى منطقة «هكارى» (شرق تركيا) الكوردية، بعد إخلاء المنطقة من سكانها الأصليين الكورد، كما وتسجل سنوات بعد ١٩٨٤ أكثر من ٤٠ ألف قتيل و ٢ ـ ٣ مليون مهجر وناج كردى من مناطق كوردستان تركيا، وتدمير الجيش التركى حوالى ٢٥٠٠ قرية.

وفى عام ١٩٩٤ أغلقت أربعة آلاف مدرسة، بنتيجة المواجهات بين حزب العمال الكوردستانى وتركيا.

وفى العامين ١٩٩٣ و ١٩٩٤ سجلت تركيا قتل ٢٣٠٠ كوردى فى اغتيالات غامضة[١].

وما زالت الحرب قائمة بين جيش حزب العمال الكردى والجيش التركى حتى فى ظل الحكومات ذات التوجهات الإسلامية.

■ ■ ■

(١) المصدر: (annaged - katib. org).

لكل طاغية نهاية

- هلاك أتاتورك كما هلك أمثاله من الطواغيت.
- ما كتب عن الذئب الأغبر في الصحف العربية والأجنبية في ذكرى رحيله ووقت مرضه ووفاته.
- التسلسل الزمني لحياة الذئب الأغبر.

15

هلاك أتاتورك كما هلك أمثاله من الطواغيت

لكل ظالم وطاغية نهاية محتومة تكون آية لمن يأتى خلفه وإن كان الكثير من الناس لا يتعظون، فلو اتعظ الناس بالموت وهلاك الأمم السابقة لتغيرت الأحداث وأحوال الناس والحياة على وجه الأرض.

فقد كان مصطفى كمال أتاتورك طاغية يكره الإسلام ونذر حياته لمحاربته فقد غلب عليه طابعه اليهودى الأصل، وكان متعلقاً بالحياة الأوربية الماجنة فكان يكثر من شرب الخمور ومعاشرة النساء حتى أصيب بأمراض تليف الكبد.

وظل أتاتورك يعانى من المرض شهوراً عديدة حتى لفظ أنفاسه الأخيرة فى ١٠ نوفمبر عام ١٩٣٨ م فى إحدى غرف قصر الدونما بهشى باستانبول، وقد استراح منه العباد والبلاد، وبعد أن حقق للاستعمار البريطانى والأوربى أكثر مما كان يطمح من جعل تركيا دولة ضعيفة لا قيمة لها وقد أخذت من الغرب العلمانى أسوأ ما عنده من العادات السيئة من شرب الخمور وانتشار الزنا والترخيص بالدعارة حتى جعل النساء الغوانى يُعْرَضْنَ فى المحلات كالبضاعة من أجل السياحة وجلب الأموال.

وكما ذكرنا الكثير من المؤرخين والكتاب أن مصطفى كمال مشكوك فى نسبه إلى أبيه على رضا أفندى.

وكان أتاتورك لا يكاد يفيق من شرب الخمر ومشهوراً بارتكابه للفواحش والزنا مجاهراً بذلك حتى جاء على لسان زوجته لطيفة هانم أنه حاول الاعتداء على شقيقة زوجته الصغرى وحين هربت منه حاول قتلها وزوجته أيضاً، وكان لديه

ثلاثون فتاة أطلق عليهم بناته بالتبنى وكن يقمن بالرقص له وهن شبه عاريات، بالإضافة إلى أنه وشرع الدعارة فى تركيا كما هو الحال فى كل بلدان أوربا.

وكان من الطبيعى، ونتيجة للسلوك الجنسى الساقط، ولإدمان شرب الخمر كل ليلة إلى حد السكر أن يصاب بأمراض متعددة قاتلة منها مرض الكبد، ومنها الحكة الدائمة وخصوصاً فى فخذيه، ويقال إنه لم يكن يتحمل هذا الحك فكان يضطر معه إلى الانحناء، والانهيارات العصبية الدائمة.

ومن كتاب «الرجل الأوحد» لشوكت ثريا:.... وكان مفعول مرض الكبد يسرى فيه بدون توقف وعندما رجع إلى أنقرة أصبح مريضاً منهداً، أما نزيفه وحكته فقد زادا عن ذى قبل كان وزنه عندما مات ٤٨ كيلو جرام وأثناء حالة إغمائه كان فمه وهو يسلم روحه قد اتسع حتى كاد أن يصل لحاجبيه وكأنه يهم بابتلاع رأسه، وهو الرأس الذى ابتلع جميع مقدسات الأمة التركية.

ـ وقاموا بتحنيطه ثم وضعوه فى تابوت رصاصى على عادة المسيحيين، يزيد وزنه على نصف طن.

ـ واختلف الكبار هل يصلى عليه أم لا، فلم يصل عليه[1]، وعرضوه لزيارة الناس ثلاثة أيام بلياليها على الطريقة المسيحية فى عرض الموتى.

ـ وكان يستلذ شعر النفاق، فنقرأ قصائد من هذا الشعر لأحد أذنابه فى الحديث عن «قصر خانقايا» الذى كان يسكر فيه كل ليلة. ومما قاله هذا المنافق:

لا عنكبوت ولا سحر لتبق الكعبة لدى العرب لأن خانقايا يكفينا[2]

وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة دراسات جادة تكشف حقيقة «كمال أتاتورك» منها كتاب الدكتور رضا نور، حيث كشف جرائم أتاتورك وخياناته فى أكثر من ألفين من الصفحات تحت عنوان «حياتى وذكرياتى» كما صدر كتاب «الرجل الصنم» لأحد الضباط المقربين من أتاتورك.

---

(١) قيل إنهم صلوا عليه برجاء من أخته.

(٢) انظر الرجل الأوحد ـ شوكت ثريا.

وقـد هدمت هذه المؤلفـات بناء الأكـذوبة الأسـطورية التى خـدعت الأتراك والمسلمين فى بعض البلاد إلى حين، وألقت الأضواء الحقيقية على حياة المغامر الخطير، بل لقد تحدثت فى جرأة شديدة على مولده وظروف حياته الأولى.

بل إن هذه الظروف قد أوردتها كتب ناصرت أتاتورك، وأهمها كتاب «الذئب الأغبر» الذى يقول بالنص: كان بفطرته ثائراً لا يحترم رئيساً أو إنساناً، أو وضعاً من الأوضاع ولا يقبح شيئاً على الإطلاق وإنه كان يشرب ويلهو كل ليلة حتى مطلع الفجر فى المقاهى وأوكار الغرام، وقد مارس جميع الرذائل وجرب كل الموبقات وانغمس فيها حتى أذنيه، ثم دفع الثمن مرضاً جنسيا وصحة منهارة.

ويقول أرمسترونج أيضاً: إنه كان ولوعاً بالأحاديث الخليعة، والإفراط فى الشراب والمغامرات الماجنة والليالى الحمراء فى رفقة النساء، وهناك جوانب أخرى يعف اللسان عن ذكرها أو ترديدها.

وعندما نستعرض حياة كمال أتاتورك منذ تولى السلطة حتى وفاته ١٩٣٨م نجد صورة عاصفة من العنف والظلم والتسلط البالغ فى سبيل تثبيت دعائم هذا النظام الوافد، وأية ذلك الولاء المزدوج لبريطانيا وروسيا الشيوعية فى وقت واحد.

وأبرز هذه المواقف صلته بالانجليز، وما تحمله الوثائق مشيرة إلى عبارة: قيامه ببيع الوطن إلى الإنجليز ومن ذلك موقفه إبان المرض عندما استدعى السفير البريطانى فى تركيا وطلب إليه أن يتولى منصب رئيس جمهورية تركيا وفزعت بريطانيا لذلك.

ولقد استطاع أن يحقق للصهيونية العالمية خطتها فى السيطرة بإلغاء الخلافة والوجهة الإسلامية والحروف العربية والشريعة والمواريث والأوقاف والتعليم الدينى وإسقاط الخلافة الإسلامية.

وإذا كانت تركيا تحاول أن تعود اليوم إلى طابعها الإسلامى الأصيل فإن محاذير كثيرة تعمل لتصدها عن تحقيق هذه الغاية، ولكن الله غالب على أمره ولكن التجربة كلها تثبت أن مجاوزة الفطرة ومحاربة الدين هى محاولة باطلة لا يمكن أن

تستمر، ولا بد أن يحطمها الزمن لمجافاتها لسنن الأمم والحضارات والتاريخ.

وتاريخ أتاتورك قد ارتبط بأخطر حدث فى تاريخ الإسلام وهو إلغاء الخلافة الاسلامية بعد تدمير الدولة العثمانية لكى تتفرق للأمة الإسلامية، وهو آخر المراحل التى تطلع إليها الاستعمار واليهودية العالمية من أجل تمزيق وحدة الإسلام والعروبة، والقضاء على آخر صرح جامع للعرب والترك يحمل لواء الجامعة الإسلامية.

لقد كان إسقاط الخلافة عام ١٩٢٤ م من أخطر الأحداث فى العالم كله، وسيظل من الأعمال الكبرى ضد الإسلام، وسيحمل لاسم مصطفى كمال أكبر التبعات فى حكم التاريخ، فقد فتح الباب واسعاً أمام صراع الإقليميات والقوميات التى تتحرك فى فراغ، دون أن ترتبط بدائرة أساسية هى دائرة الفكر الإسلامى، أو الوحدة الإسلامية الجامعة فى مجال الجغرافيا أو فى مجال الفكر.

غير أن إلغاء الخلافة الإسلامية لم يحقق ما توقعه الاستعمار واليهودية العالمية من تمزق الإسلام أو اضطراب المسلمين والعرب، الذين أغرقوا فى أتون الأجناس والعصبيات والعنصرية، بقصد تعميق عوامل الخلاف ودعمها والحيلولة دون قيام وحدة فكرية أو اجتماعية بينهم، لقد ركزت هذه الدعوات التغريبية على الازدراء بالخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية، وعلى إثارة الصراع بين الإسلام والعروبة وبين القومية والوطنية وبين الإقليمية والقومية، وبين العناصر المختلفة وبين الأديان والمذاهب.

وذلك كله لإذابة كل هدف سليم واضح تطرحه حركة اليقظة الإسلامية فى الطريق الصحيح إلى معرفة الحقيقة، وإلى اتخاذ الأسلوب الأصيل لمواجهة الأخطار ونتيجة للضعف السياسى الذى كان يمر بالعالم الإسلامى.

فقد عجز قادة المسلمين عن إعادة بناء الخلافة الإسلامية مرة أخرى بعد أن أسقطها مصطفى كمال وإن ظلت عنصراً أساسيا فى مناهج الدعوات الإسلامية، وخطة واضحة فى برنامج حركة اليقظة العربية الإسلامية.

وما زال المسلمون يبحثون عن صيغة تحمل لواء الوحدة بديلاً من الخلافة أو مقدمة لها، ولقد كانت مكة وجامعتها فى أيام الحج، وكان الأزهر من القوى التى ساندت حركة اليقظة الإسلامية بعد سقوط الخلافة، وكان انتعاش السلفية الجديدة فى الجزيرة العربية واليقظة الإسلامية فى مصر وباكستان وغيرها، من علامات التعويض السريع، جاءت بعد ذلك مؤتمرات التضامن الإسلامى، وما زالت تخطو خطوات بطيئة ولكنها ثابتة.

وقال الدكتور عبدالوهاب عزام عن الآثار التى ترتبت على إلغاء الخلافة فى العالم الإسلامى فقال: إن عمل الكماليين من بعد دل على أن إلغاء الخلافة لم يكن نزوه عابرة بل كان الحلقة الأولى فى سلسلة مصنوعة، والخطوة الأولى من خطة موضوعة، خطة أملاها عليهم الروس والإنجليز وأوروبا.

لقد كان إلغاء الخلافة من هذه الخطوب المكفهرة لحل رباط حزمة من التعصب فى ريح عاصف بلغت من المسلمين أسوأ مبلغ وبلغت بأعدائهم أبعد غاية، ولا يفكر من إلا، وأحسب أن الإنجليز كان يهون عليهم أن يبذلوا ملايين الجنيهات ليلغوا الغاية التى بلغهم إياها الكماليون بغير بذل ولا كد.

وصية أتاتورك الغامضة

وهناك من الدلائل ما يؤكد أن إلغاء الخلافة الإسلامية كان أمراً مقرراً منذ اليوم الأول للانقلاب العثمانى الذى قام بإسقاط السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٩ ولكنه نفذ على مراحل، واتخذت إجراءاته واحدة بعد أخرى، حتى تم تنفيذه على يد مصطفى كامل عام ١٩٢٤م، بعد أن أسقط الخلافة وأقام بدلاً منها خلافة منفصلة عن السلطنة توطئة للإجهاز عليها، جملة.

كان أتاتورك من أكثر الناس جبناً وهلعاً من كل شىء ولا شىء وحقّاً من خاف الله أخاف منه كل شىء فقد كان فى زيارة ذات مرة لإحدى المدارس فحركت الرياح الشديدة الأبواب فهب البطل من مكانه فزعاً وأمسك رشاشه، فقالوا له إنه صوت الأبواب فلا يصدقهم حتى يقوم بنفسه ويتطلع من النافذة.

وكان أتاتورك من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ وكما ذكرنا فقد كان فى

فندق «بارك» والمؤذن يؤذن أمام الفندق مباشرة فيلتفت أتاتورك لمن حوله قائلاً: من قال بأننا مشهورون، وما شهرتنا نحن؟ انظروا إلى هذا الرحل وكيف أنه اكتسب اسماً وشهرة بحيث أن اسمه يتكرر فى كل لحظة فى جميع أنحاء العالم وأمر بهدم المأذنة.

كان أتاتورك شديد الخوف على نفسه لذلك فقد أحاط نفسه بكبار الأطباء ومع ذلك لم يكتشفوا أنه كان مريضاً بالكبد والتليف الذى أصابه بالاستسقاء واحتاج إلى سحب الماء من بطنه بالإبر ثم أصابه الله بمرض الزهرى بسبب شذوذه وفحشه وفى مرض موته ابتلاه الله بحشرات صغيرة حمراء لا ترى بالعين سببت له الحكة والهرش حتى أمام زواره حتى ظهرت على وجهه ويكتشف أن السبب وراء ذلك نوع من النمل الأحمر الذى لا يوجد إلا فى الصين!!

ويدور جدال حول الصلاة عليه فيرى رئيس الوزراء عدم الصلاة عليه ويصمم رئيس الجيش ثم صلى عليه شرف الدين أفندى مدير الأوقاف الذى كان أخبث وأسوأ من أتاتورك نفسه.

أما عن وصيته فقد نشرت جريدة «حريت» التركية الصادرة فى اسطنبول خبراً انفجر كقنبلة مدوية فى أنحاء «تركيا»، الخبر يتعلق بالوصية التى كتبها «مصطفى كمال أتاتورك» قبل وفاته وبقيت سرا حتى الآن، يقول الخبر: إن «أتاتورك» قام فى ٦ سبتمبر ١٩٣٨م «أى قبل وفاته بشهرين» باستقدام «إسماعيل كونتر» كاتب العدل السادس فى شارع «بك أوغلو» إلى قصر «دولمة باغجة» حيث كان يقيم وهو مريض بحضور «رضا صوياك» والبروفيسور «نشأت عمر إردلب»، وسلم إليه وصيته المكتوبة بخط يده داخل مظروف، حيث تم ختمه بالشمع الأحمر فى ثلاثة أماكن، وقال لكاتب العدل: «فى داخل هذا المظروف المختوم توجد وصيتى، وعندما يحين الوقت المناسب ستقومون بإجراء اللازم».

وفى يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٣٩م، فتحت محكمة الصلح الثالثة فى «أنقرة» المظروف الكبير أمام هيئة رسمية.

ويقال: إن هذه الرواية ناقصة، إذ كان يوجد داخل المظروف الكبير مظروف

آخر، وإن هذا المظروف أودعه رئيس محكمة الصلح الثالثة «عثمان سلجوق» في ديسمبر ١٩٣٩ أمام هيئة رسمية في صندوق سرى خاص في المركز الرئيسي للمصرف الزراعي الحكومي.

أحد المواطنين الأتراك واسمه «مريج توملو أر» اهتم منذ سنوات عدة بهذه الوصية، وسعى لمعرفة حقيقتها ومحتوياتها، وأسباب عدم نشرها حتى الآن على الرأى العام التركي، وأسس موقعاً خاصاً لهذا الموضوع هو:

www.ataturkungizlivasiyati.com

أى: «الوصية السرية لأتاتورك» حيث إنه لم يرجع بأى طائل من جميع مراجعاته للمؤسسات الحكومية الرسمية، ومنها رئاسة الجمهورية ورئاسة الأركان العامة للجيش التركي التى تحتفظ بأرشيف غنى من المصادر التاريخية، وأنكرت جميعها وجود هذه الوصية عندها.

يقول المواطن: «قامت المحكمة بقيد وتسجيل هذا المظروف، وضماناً لعدم فتحه قبل الوقت المحدد له، وهو خمسون عاماً، فقد تم وضعه فى صندوق حديدى وإغلاقه بلحام كهربائي.. وعندما حان وقت فتحه فى فترة الثمانينيات من القرن الماضى لم يصرح المسئول آنذاك وهو رئيس الجمهورية «كنعان أورن» بأى شىء، ولم يحط الشعب علماً بالمسألة».

والحقيقة أنه عندما حان وقت فتح الوصية وإعلان محتواها لم تتحرك أى جهة رسمية فى هذا الصدد.

لذا قام هذا المواطن عام ٢٠٠٥م بمراجعة محكمة الصلح الثانية عشرة فى أنقرة، طالباً منها الإعلان عن محتوى الوصية حسب قانون حق الفرد فى الوصول إلى المعلومات، وذكر أسماء شهود يعلمون بوجود هذه الوصية، منهم رئيس الجمهورية الأسبق «كنعان أورن» الذى لا يزال على قيد الحياة، وكذلك «أمين شيرين» نائب البرلمان الأسبق عن اسطنبول، والكاتب والباحث التركي المعروف «آيتوج آلتون دال»، ولكن المحكمة ردت الطلب دون القيام بأى بحث قائلة: «إنه لم يثبت لديها أى شىء حول هذا الأمر».

وعندما سدت الأبواب أمام هذا المواطن، قام فى ١٩ أبريل ٢٠٠٧م بمراجعة محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، وقدم إليها عريضة من أربعين صفحة شرح فيها الموضوع بالتفصيل.. وفى ٣١ مايو ٢٠٠٧م جاء الرد كمال يلى: «إن طلبكم المرقم ١٧٨٢٠ ـ ٧ قد تم قبوله، وسنبلغكم لاحقاً بقرار المحكمة».

ماذا فى وصية أتاتورك؟ هل طلب إرجاع الخلافة؟

يقول الكاتب والباحث التركى «آيتوج التون دال»: «إن أتاتورك كانت له أفكار وملاحظات أوصى بالكشف عنها بعد خمسين عاماً. ويضيف: «قام رئيس الجمهورية كنعان أورن وكذلك رئيس وزرائه آنذاك تورجوت أوزال رئيس الجمهورية فيما بعد بقراءة هذه الوصية، ولكنهما رفضا الكشف عن مضمونها بحجة أن المجتمع غير مهيأ الآن لهذا».

ويتابع «آلتون دال»: «فى عام ١٩٨٨م أضيفت مدة جديدة أخرى وهى ٢٥ عاماً، قبل الشكف عنها، وفى هذه الوصية يرى أتاتورك إرجاع الخلافة الإسلامية، ولكن ليس على أساس فردى أو وراثى، بل على أن يكون العالم الإسلامى كله مشاركاً فى مؤسسة الخلافة وفى منصبها بشكل دورى.

وفى عام ١٩٥٨م كان رئيس الوزراء الأسبق الراحل «عدنان مندريس» قد اطلع عليها، وهذا ما شجعه مرة إلى القول لنواب البرلمان التركى: لو أردتم لاستطعتم كل شىء حتى إرجاع الخلافة».

لكننا نرى من خلال ما كتب عن أتاتورك كما ذكرنا لا نرى أنه قد أوصى بعودة الخلافة الإسلامية أو بعودة الإسلام إلى تركيا أبداً.

فهو زعيم ديكتاتورى علمانى لا يرى ولا يسعى إلا لمجد نفسه حيا وميتاً، فهو مؤسس حزب الشعب الجمهورى العلمانى التركى وأول رئيس للجمهورية التركية العلمانية.

وكان من أهم الشخصيات السياسية فى عصره وظهرت صورته على غلاف مجلة «تايم» الأمريكية ٣ مرات خلال حياته، فى أعوام ١٩٢٣ و١٩٢٧ و١٩٣٤.

إذا كنت زائراً لتركيا، لن تفتقد صور أتاتورك أيضاً فهى فى كل مكان مثل العلم التركى.

كما أن اسمه يتردد فى النشيد الوطنى التركى الذى يقول: أنا تركى أنا أمين.. اعمل بجد ولدى مبدأ وهو أن أحمى صغيرى وأحترم كبيرى وأن أحب بلدى ووطنى أكثر من نفسى، لدى حلم هو أكبر وأتقدم للإمام، أتاتورك العظيم، أقسم لك أن أسير بلا توقف على الطريق الذى مهدته وللمبتغى الذى اخترته، آملاً فى أن يكون وجودى هدية للأتراك.. سعيد هو من قال: أنا تركى.

وفى النصب التذكارى الذى يضم مقبرته المعروفة باسم «انيت كبير» يتوافد المئات يومياً يسمعون خطبه فى المناسبات المختلفة ويعرفون أكثر عن تاريخ حياته، وبعضهم يبكى عندما يسمع صوته فى الشرائط المسجلة له، فى الضريح، المقام وسط أنقرة تجد أقوال أتاتورك المأثورة مثل «السيادة للشعب بدون شروط»، و«الامم التى لا تستطيع تحديد هويتها تستعبدها الأمم الأخرى».

أما القبر المدفون فيه أتاترك فهو عبارة عن غرفة تحت الأرض، غير مسموح للزائرين بالدخول إليها، لكن هناك كاميرا تنقل على مدار الساعة منظر القبر من الداخل وأكواب التراب المرصوصة داخله، كل كوب يحمل تراب إحدى مقاطعات تركيا، وهو ما طلب أتاتورك أن يدفن معه.

وفوق القبر صورة لأتاتورك على النحاس ومعه أطفال ونساء وعمال ومعلمون وموظفون كلهم يرفعون شعلة المتحف ويروى بالصور تاريخ بناء الجمهورية التركية الحديثة، فهناك صورة لواحدة من أهم الكتابات التركيات فى ذلك الوقت وهى نزيهة هانم بدون حجاب عام ١٩٢٤ وهى من أوائل الصور لامرأة تركية غير محجبة بعدما منع أتاتورك الحجاب.

وصورة للموظفين لدى الدولة بملابسهم الجديدة الإجبارية، البدلة وربطة العنق والقبعة عام ١٩٢٥م وصورة لأول ملكة جمال فى تركيا عام ١٩٢٩,

وخطاب نادر لأتاتورك، هو من أول الخطابات التى استخدم فيها الحروف

اللاتينية بدلاً من الحروف العثمانية والعربية، والخطاب مؤرخ فى ٩ أغسطس «آب» ١٩٢٨.

وصورة لمجموعة من الفتيات خريجات جامعة اسطنبول بدون حجاب عام ١٩٣٧، وأول صحيفة مدنية استبدلت فيها الحروف العثمانية والعربية بالحروف اللاتينية، وعليها صورة أتاتورك وعصمت أنونو ووزير التعليم فى ذلك الوقت مصطفى نجاتى.

ولا تقتصر آثار أتاتورك على ضريحه ففى مبنى الجمعية الوطنية التركية «البرلمان» الذى افتتحه أتاتورك عام ١٩٢٤ وشهد إعلان ميلاد الجمهورية التركية الكثير من آثار أتاتورك، ومن بينها صالة كاملة فيها تماثيل من الشمع تمثل أتاتورك ونائبه عصمت أنونو وأعضاء أول برلمان تركى منتخب.

وصورة أخرى كبيرة لجنازة أتاتورك عام ١٩٣٨م فى أسطنبول.



ما كتب عن رحيل الذئب الأغبر في الصحف العربية والأجنبية

بالطبع لم يمر خبر مرض وهلاك الذئب الأغبر أتاتورك إلا وقد تصدر الصحف الأجنبية والمصرية وخاصة جريدة الأهرام القاهرية حتى إنه بعد عام من رحيله فى عدد ١١ ـ ١١ ـ ١٩٣٨، نقلت الجريدة مقالاً طويلاً لجريدة الديلى سكوتش وقد ذكر المقال أمجاد الراحل الهالك حسب رأى كاتب المقال الذى أنهاه بقوله.

«لو قدر للغازى أتاتورك الحياة ١٥ سنة أخرى فإنى أعتقد أن تركيا ستتخذ مكانها بين الأمم العظمى فى العالم وستكون من أقوى ضمانات السلم فى البحر الأبيض المتوسط وتحت عنوان (هدية الغازى إلى أمته) كتبت جريدتنا تحيى الرجل لأنه أوصى بجميع أملاكه الخاصة فى أنقرة للأمة التركية، وهى عبارة عن بستان وقصر يحملان اسم مرمرة والبناية التى تصدر منها جريدة أولوس، وهى الجريدة شبه الرسمية للحكومة التركية وبعض الأراضى المحاذية لها وقد أذاعت الصحف التركية خبر هذه الهدية الثمينة من منقذ الوطن بشكر عظيم».

دفع هذا العمل أحد قراء الأهرام إلى الكتابة للصحافى العجوز صاحب عمود «على الهامش» يسأله رأيه فيما أقدم عليه لما يكون فيه من التنبيه لزعمائنا وقادتنا وأغنيائنا، ولم يخيب الرجل ظن قارنه فقد خصص عموده فى عدد الجريدة الصادر يوم ٢٠ مايو ١٩٣٨ لهذا الموضوع والذى جاء فيه: ليس الأغنياء والأثرياء وأرباب الألوف المؤلفة من الأطيان والجنيهات عمى البصر والبصيرة، فهم يعرفون مثلى ومثلك أن هناك شيئاً اسمه الإحسان وأنه فرض دينى على الناس كلهم، وعلى حضراتهم خاصة ويسجل صاحب «على الهامش» فى هذه المناسبة ما دخل على مفهوم فكرة الإحسان فى أوروبا من تغيير، فيذكر أنه بعد أن أصبحت طرق

الإحسان القديمة غير ملائمة للعصر الحديث تحولت لتصبح جزءاً من المدنية الحديثة فاليوم يبنون فى أوروبا وأمريكا ملاجئ للممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات وكواكب السينما ونجومها ويرتبون معاشات للمصابين من الطيارين، ويقيمون دوراً للعجزة من جنود المطافئ وقائدى السيارات وغيرهم من أرباب الحرف الحديثة، وينصح قارئه أن يراجع أسماء المؤسسات الخيرية فى باريس ولندن وبرلين وكوبنهاجن ليعلم ما دخل على فكرة الإحسان من تغيير!!

ومما جاء أيضاً فى الأهرام عن الذئب الأغبر فى عام رحيله ما كتبه الأستاذ عزيز خانكى فى عددها الصادر يوم ٩ أبريل من تلك السنة، وكان مقالاً طويلاً احتل أغلب الصفحة الأولى، المناسبة: زيارة وزير الخارجية التركى، العنون: ترك وأتاتورك:

«تركيا اليوم هى غير تركيا القديمة. وترك اليوم هى غير ترك الأمس. تركيا اليوم هى وليدة نظام جديد وروح جديد وعهد جديد. من سلطانى إلى جمهورى. ومن أتوقراطى إلى ديمقراطى. ومن سلطة الفرد إلى سلطة الأمة. ومن رأى الفرد إلى شورى الجماعة.

من تغليب مصلحة السلطان الخاصة إلى تقديم مصلحة الشعب العامة، من حكومة اتكالية إلى حكومة كمالية من رق سياسى ومالى وتشريعى وصناعى وتجارى إلى استقلال سياسى ومالى وتشريعى وصناعى وتجارى. من دينى إلى مدنى.

من شريعة سماوية إلى قوانين وضعية، من هجرى إلى ميلادى.

من أسماء عربية إلى أسماء تركية. من أرقام عربية إلى أرقام لاتينية من لغة هى مزيج من الفارسية والتركية إلى لغة تركية بحتة. من عمامة العربى إلى قبعة الأعجمى.

ولم يحجم الأستاذ خانكى أن يتطرق فى مقدمة مقاله الطويل إلى موضوعات تبدو حساسة، فكل مما جاء فيه أن تركيا فى ظل حكم أتاتورك قد انتقلت من الحجاب إلى السفور، من السلاملك والحرملك متفرقين إلى السلاملك والحرملك مجتمعين.

من حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إلى حظ الذكر مثل حظ الانثى فى الحقوق

السياسية وفى الحقوق المدنية.

من زوجات أربع إلى زوجة واحدة، من اسطنبول إلى أنقرة، من وزير إلى وكالة ووكيل من فخامتلو وابهتلو ودولتلو وعطوفتلو وسعادتلو وعزتلو إلى باى «معناها مسيو أو مستر أو سيد».

من علمانية شائعة ينضوى تحت لوائها اليمنى والحجازى والمصرى والسورى والأرمنى والرومى والكردى إلى تركية مفروزة لا تعرف إلا الوطن التركى والرجل التركى والمرأة التركية والمصلحة التركية والسياسة التركية، خيراتها من الوطن وللوطن شعارها «تركيا للترك» و«التركى وكل التركى ولا شىء غير تركى» المصريون عرفوا تركيا فى العهد الحميدى السلطانى الشاهانى الهمايونى.

عرفوها فى حالة انحلال واضمحلال فى عهد تفريق وتمزيق فى حالة مرض وهزال، فى زمن ضعف ووهن وسماها ساسة أوروبا «الرجل المريض» كما سموا سلطانها السلطان الأحمر.

وقد خرج صاحب المقال فى هذه المقدمة إلى دعوة المصريين لزيارة تركيا الجديدة ليجدوها شعباً مختلفاً عن تركيا القديمة، تجدوها بلاد حرية واستقلال بعد أن كانت بلاد ذل واستعباد بلاد قوة ويسر بعد أن كانت بلاد ضعف وعسر، بلاد عمار ورخاء بعد أن كانت بلاد يباب وشقاء، تجدوها بلاداً قوية برجالها ونسائها قوية بعزمها وحزمها، قوية بأموالها وخيراتها، وعلى الرغم من انسلاخ مصر وجزيرة العرب وفلسطين وسوريا والعراق وتراقية والبوسنة والهرسك وألبانيا وطرابلس وقبرص وكريت من تركيا القديمة، فإن تركيا الجديدة لا تزال أكبر وأوسع من انجلترا خمس مرات.

ويعرب صاحب مقال «ترك وأتاتورك» عن إعجابه بأن «كل هذا الانقلاب السياسى والمالى والتشريعى والصناعى والتجارى والعلمى والأدبى فى هذه البلاد الواسعة تم فى خمس عشر سنة لأن الرجل الذى تولى إدارة البلاد كان فعالاً لا قوالاً يعمل عمل سنة فى يوم وعمل يوم فى ساعة وعمل ساعة فى لحظة».

من ثم لم يكن غريباً أن تعنى الأهرام وسائر الصحف المصرية بالأخبار الشخصية للغازى أتاتورك وإن كنا نلاحظ أنها كانت تسوق فى العادة تلك الأخبار نقلاً عن الصحف الأوروبية، خاصة الإنجليزية، إذ يبدو أنه لم يكن لها «مراسل خصوصى» فى العاصمة التركية بعد أن انتقلت إلى «أنقرة»، إذ بقى مراسلها فى مقره القديم بمدينة اسطنبول.

فهى تنقل عن جريدة الديلى لتجراف فى ٥ مايو أخبارا بأن طبيباً فرنسيا متخصصاً استدعى إلى أنقرة قبل بضعة أسابيع للعناية بالرئيس أتاتورك، والتى أضافت أن هذا المرض، على ما يبدو، غير ذى علاقة بالأول، مما يدل على أن «الذئب الأغبر» الذى كان قد قارب الستين وقتئذ قد أحاطت به الأمراض، وتفسر ذلك بأن صاحبنا عاش عيشة تتعب أمتن البنيان وأقواها.

ويبدو أن الأتراك كانوا يحتفظون بأسرار صحة حكامهم، مما يتضح من حرص المفوضية التركية فى القاهرة على تكذيب الأهرام وأن الرئيس متمتع بكامل الصحة وأنه قائم بالتريض الطويل المدى كعادته!!

وانتهت شهور الصيف، وبدأ الخريف، وعادت الأنباء تتردد عن سوء صحة الرئيس التركى فى الخريف، كان كل ما فعله مراسلها فى اسطنبول هذه المرة أن بعث ببرقية إلى جريدته جاء فيها أن الحكومة التركية أصدرت بلاغاً رسميّاً يوم ١٧ أكتوبر بأن كمال أتاتورك رئيس الجمهورية مريض مرضاً خطيراً وأن مرض الكبد الذى يعانى منه قد تحول تحولاً خطيراً فقد اكتشف فجأة حالة من الضعف العام المطرد وعسر فى الهضم وسرعة فى نبضات القلب.

غير أن ألحقتها ببلاغ آخر فى المساء بأن حالة أتاتورك تحسنت بعض التحسن أثناء النهار.

ويبدو أنه لم يعد بعدئذ للإنكار فائدة، فقد صدر بعد يومين بيان مفصل تأكد منه سوء حالة «الذئب الأغبر» جاء فيه أنه لا يمكن إنقاذ حياة الرئيس إلا بمعجزة فقد بلغ النبض ١٠٨ والتنفس ٣٠ الأمر الذى هرع معه الرجل الثانى فى الدولة،

عصمت أينونو، إلى العاصمة ليكون إلى جوار الرئيس خاصة وأن الشخصين الآخرين المؤهلين للرئاسة، فوزى شكماك وأوكيار، لن ينافساه عليها، الأول: يرفض تقلد المنصب، والثانى ليس عضواً فى البرلمان.

وانتهزت الأهرام هذه الفرصة لتقدم تعريفاً بالرئيس المنتظر إينونو، فهو مشهور بميله إلى إنجلترا وروسيا، ويقال عن ثقة أن أربعة وزراء بينهم رئيس الوزراء ووزير الخارجية قد اختاروه للمنصب ويبدو أن الرئيس التركى كان عنيداً فى وفاته كما كان عنيداً فى حياته.

فقد صدرت نشرة طبية بعد يومين آخرين أن حالة أتاتورك حسنة جداً وأن الأعراض العصبية زالت زوالاً تاماً، وإن لم يمنع ذلك من الإشارة إلى أن الدستور التركى يقضى بأن يتولى رئيس المجلس الوطنى رياسة الجمهورية إذا طال مرض رئيس الجمهورية ويبدو أن طول مرض الرئيس التركى قد أغرى الكثيرين على القول بأنه يفكر فى اعتزال منصبه لأسباب صحية.

فيما نقلته الأهرام على جريدة الديلى إكسبريس فى ٢٩ أكتوبر بأن هناك ما يفيد بأن أتاتورك يفكر فى التنازل عن منصبه، ووصل الأمر إلى أن حدد اسم خلفه، فتحى إكيار، وإن كان تنازله مشروطاً بأن يبقى الأخير على الوضع الدكتاتورى بسبب الحالة الأوروبية القائمة.

وبقى الحال على هذا الحال حتى يوم الخميس ١٠ نوفمبر عام ١٩٣٨، حين طلعت الأهرام على قرائها فى اليوم التالى.

وقد تصدرت صورة الرجل فى أعلى صفحاتها الأولى، وصورة لوالدته تحتها صورة له ولزوجته لطيفة هانم احتلت القسم الأسفل من ذات الصفحة، وكان العنوان «مات أتاتورك».

واحتل خبر رحيل «الذئب الأغبر» مساحات واسعة من عدد الأهرام الصادر فى ذلك اليوم، ففضلا عما شغله من مساحة فى الصفحتين الأولى والثالثة، فقد عنى بالتعليق عليه عدد من كتاب الصحيفة العريقة على رأسهام الأستاذ أحمد الصاوى محمد فى عموده الشهير «ما قل ودل».

استهلت الأهرام المقال الرئيسى بأنه قد مات مصطفى كمال أو قل مات أتاتورك، أبو الشعب التركى، وأعظم رجل أنجبته تركيا فى القرون الأخيرة! مات منقذ تركيا من العبودية، وموقد نار ثورتها على الاحتلال الحاكم المطلق، ذو الإرادة التى لا تنقض، والمصلح الكبير الذى سار بأمته شوطاً بعيداً فى طريق الإصلاح «مات الرجل العظيم الذى استطاع أن يمزق معاهدات وأن ينقض ما أبرمته دول، وأن يفرض على الأمم احترام أمته، وحسبان حسبانها والاكتراث العظيم لها، مات الرجل العصامى العظيم الذى استطاع أن يجعل من أمة ضعيفة مهيضة الجناح، منهكة القوى، تعبة تنوء بأثقال الهزيمة والخسران والعبودية أمة قوية ناهضة عزيزة الجانب، موفورة الكرامة، تسير إلى الأمام وتتطلع إلى العلا فى فتوة واندفاع، إنه لمنقذ وطن، وإنه لمصلح أمة وسيظل اسم أتاتورك مصدر اعتزاز كل تركى وباعث فخره.

وانتقلت الأهرام بعد ذلك إلى تقديم ما أسمته نبذة تاريخية عن حياة مصطفى كمال.

أما إنجازاته التى ذكرتها الأهرام فى هذه المناسبة فقد عددها الأستاذ أحمد الصاوى محمد فى «ما قل ودل» فى ذات العدد من الأهرام، وكانت سبعة:

١ - إلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة.

٢ - إدخال الحروف اللاتينية التى هى نموذج للجرأة فى التجديد والإصلاح.

٣ - إلغاء القلبق والطربوش والطرطور والعمامة - إلا لرجال الدين - والحبرة واليشمك والبرقع واستعاض عنها كلها بالقبعة لأن الزى يخلق الإنسان.

٤ - اقتباس التشريعات والقوانين الألمانية والسويسرية والإيطالية وتطبيقها لخير البلاد.

٥ - القضاء على ذل العبيد واستبداد الأغوات وإغلاق التكايا والإقطاعيات ومرتبات تنابلة السلطان وقطع دابر الكسالى والدساسين والوصوليين ولو كانوا فى أعلى المراتب.

٦ - رفع الروح المعنوية للشعب كله وإشعاره بأنه وحدة لا تتجزأ فى العدالة والحرية والمساواة.

٧ - استقلال بلاده اقتصادياً وسياسيّاً فى وقت واحد وخلق الشىء الذى فقدته تركيا قبل ألف سنة وهو القومية التركية كشخصية مستقلة يحسب لها الأجنبى ألف حساب.

بيد أن كل ذلك الاهتمام الذى أعاره الرأى العام المصرى برحيل «الذئب الأغبر» وما تبعه من انتقال السلطة إلى خليفته عصمت إينونو، لم ينعكس على الدوائر الرسمية فى العاصمة المصرية، ربما لأن الملك فاروق لم ير مناسبة للاحتفال برحيل الرجل الذى قضى على النظام السلطانى وأعلن الجمهورية فى تركيا.

ومن ثم فقد اكتفى بأن أرسل مندوباً، سعيد ذو الفقار باشا، إلى دار المفوضية التركية فى القاهرة ليبلغ المسئولين فيها تعازيه، وكان هذا التصرف مصدر انتقاد من الصحف المصرية.

فيما عبر عنه صاحب «ما قل ودل» فى عدد الجريدة الصادر يوم ٦ ديسمبر من دهشته من هذا التقصير بينما أرسلت إنجلترا أربعمائة بحار وجندى وماريشال عظيم، وأرسلت فرنسا وفداً من وزير داخليتها وكبير قوادها ومائتين من جنودها بل إن اليونان نفسها العدو التقليدى بعثت برئيس وزرائها ووزيرين ومائة وخمسين جنديّاً، ولم يحر أحد جواباً على انتقاد المحرر الأهرامى البارز إذ يبدو أن المسئولين فى الحكومة المصرية أرادوا إغلاق ملف «الذئب الأغبر» لكن ملفات التاريخ لا تغلق أبداً وتظل مفتوحة، فذاكرة التاريخ تظل تذكر الذئب الأغبر بوصفه أغبر على الأمة الإسلامية مهما انخدع فيه البعض قديماً وحديثاً.



التسلسل الزمنى لحياة الذئب الأغبر

١ ـ عام ١٨٨١م ولد مصطفى كمال فى سالونيك المدينة التركية سابقاً اليونانية حالياً.

٢ ـ عام ١٨٩٢م يدخل المدرسة العسكرية التحضيرية فى تسالونيكى.

٣ ـ عام ١٨٩٥م مصطفى كمال يدخل المدرسة الثانوية العسكرية فى Ma-nastir.

٤ ـ ١٨٩٩م مصطفى كمال يدخل المشاة الدرجة من الأكاديمية العسكرية فى اسطنبول.

٥ ـ ١٩٠٢م مصطفى كمال من خريجى الكلية الحربية ويمضى العام لكلية الموظفين.

٦ ـ ١١ يناير ١٩٠٥ مصطفى كمال من خريجى كلية الأركان العامة مع الموظفين برتبة نقيب، وأرسل إلى الفرقة الخامسة للجيش، الذى يوجد مقره فى دمشق.

٧ ـ أكتوبر ١٩٠٦م مصطفى كمال ورفاقه من الجمعية السرية «الوطن والحرية» فى دمشق.

٨ ـ سبتمبر ١٩٠٧م مصطفى كمال نقل إلى الجيش الثالث ويذهب إلى تسالونيكى.

٩ ـ ١٣ سبتمبر ١٩١١ مصطفى كمال نقل إلى هيئة الأركان العامة فى اسطنبول.

١٠ ـ ٩ يناير ١٩١٢ مصطفى كمال بنجاح يقود الهجوم ـ طبرق فى ليبيا.

١١ ـ ٢٥ نوفمبر ١٩١٢ عين مصطفى كمال مدير العمليات.

١٢ ـ ٢٧ أكتوبر ١٩١٣ عين مصطفى كمال الملحق العسكرى فى صوفيا.

١٣ ـ ٢٥ أبريل ١٩١٥، معركة جاليبولى.

١٤ ـ ٩ أغسطس ١٩١٥ مصطفى كمال قائد للفريق Anafartalar.

١٥ ـ ١ أبريل ١٩١٦ مصطفى كمال وترقيته إلى العميد.

١٦ ـ ٣١ أكتوبر ١٩١٨ مصطفى كمال البرق يصبح قائد مجموعة الجيوش.

١٧ ـ ٣٠ أبريل ١٩١٩ مصطفى كمال مفتش للجيوش المتمركزة فى إيرزوروم مع صلاحيات واسعة.

١٨ ـ ١٦ مايو ١٩١٩ مصطفى كمال يغادر اسطنبول.

١٩ ـ ١٩ مايو ١٩١٩ وبداية حرب الاستقلال.

٢٠ ـ ٨ يوليو ١٩١٩ مصطفى كمال استقال من منصب مفتش من الجيش.

٢١ ـ ٢٣ يوليو ١٩١٩ مصطفى كمال رئيساً للإيرزوروم الكونغرس.

٢٢ ـ ٤ سبتمبر ١٩١٩ مصطفى كمال رئيساً للبرلمان التركى فى أنقرة.

٢٣ ـ ٢٧ ديسمبر ١٩١٩ مصطفى كمال يصل إلى أنقرة مع اللجنة التنفيذية.

٢٤ ـ ٢٣ أبريل ١٩٢٠ مصطفى كمال يفتتح الجمعية الوطنية الكبرى التركية فى أنقرة.

٢٥ ـ ١١ مايو ١٩٢٠ مصطفى كمال محكوم عليها بالإعدام من قبل الحكومة فى اسطنبول.

٢٦ ـ ٥ أغسطس ١٩٢١ مصطفى كمال يعين القائد العام للجيش من قبل الجمعية الوطنية الكبرى فى أنقرة.

٢٧ ـ ٢٣ أغسطس ١٩٢١ معركة ساكاريا بقيادة مصطفى كمال.

٢٨ ـ ١٩ سبتمبر ١٩٢١ الجمعية الوطنية الكبرى تعطى مصطفى كمال رتبة المارشال ولقب غازى.

٢٩ ـ ٣٠ أغسطس ١٩٢٢ غازى مصطفى كمال باشا يكسب معركة -Dum lupinar.

٣٠ ـ ١٠ سبتمبر ١٩٢٢ غازى مصطفى كمال يدخل أزمير بعد انسحاب القوات اليونانية منها.

٣١ ـ ١ نوفمبر ١٩٢٢ الجمعية الوطنية الكبرى تقبل اقتراح إلغاء السلطنة الذى تقدم به مصطفى كمال وأجبر الجمعية الوطنية على قبوله.

٣٢ ـ ١٤ يناير ١٩٢٣ وفاة والدة مصطفى كمال السيدة زبيدة هانم فى أزمير.

٣٣ ـ ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ إعلان الجمهورية التركية وانتخاب مصطفى كمال أول رئيس لها.

٣٤ ـ ٢٤ أغسطس ١٩٢٤ غازى مصطفى كمال يرتدى قبعة لأول مرة فى -Sa raybumu فى أسطنبول.

٣٥ ـ ٩ أغسطس ١٩٢٨م غازى كمال يتحدث Saraybumu عن التركية الجديدة الأبجدية.

٣٦ ـ ١٢ أبريل ١٩٣١م غازى مصطفى كمال أسس الجمعية التاريخية التركية.

٣٧ ـ ١٢ يوليو ١٩٣٢م غازى مصطفى كمال أسس التركية لجمعية اللسانيات.

٣٨ ـ ١٦ يونيو ١٩٣٤ الجمعية الوطنية الكبرى تمرر قانونا بمنح غازى مصطفى كمال لقب «أتاتورك».

٣٩ ـ ١٠ نوفمبر ١٩٣٨م أتاتورك وفاته فى قصر Dolmabahce، اسطنبول.

هذه هى أهم السنوات فى حياة الذئب الأغبر منذ ولادته حتى هلاكه عام ١٩٣٨م.

تركيا بعد أتاتورك بين بنادق العسكر وأصوات الناخبين

- تحول تركيا من ديكتاتورية أتاتورك إلى الديمقراطية الغربية.
- وصول الأحزاب الإسلامية للسلطة والانقلابات العسكرية المتكررة ضد أسلمة تركيا.



تركيا فى عهد عصمت إينونو والتحول إلى الديمقراطية والنظام البرلمانى

خلف أتاتورك فى رئاسة الجمهورية التركية مساعده عصمت إينونو المولود فى مدينة أزمير عام ١٨٨٤م وتخرج من الكلية الحربية عام ١٩٠٣ ثم الأكاديمية العسكرية الحربية عام ١٩٠٦ وكان مندوب أتاتورك فى معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ ثم رئيساً للوزراء بعد استقالة رءوف باشا.

وانتقلت تركيا فى عهد إينونو من الديكتاتورية للحزب الواحد والحكم الرئاسى إلى الحكم البرلمانى والنظام البرلمانى الذى يعطى سلطات واسعة لرئيس الوزراء وحيث ينتخب رئيس الدولة أيضاً من الأغلبية الحاكمة وكانت تلك النقلة الهامة بعد الحرب العالمية الثانية.

وظل عصمت إينونو رئيساً للدولة التركية بعد أتاتورك حتى عام ١٩٥٠م، وتوفى فى ١٩٧٣/١٢/٢٥م، وقد تولى رئاسة الحكومة أكثر من مرة خلال حياته بعد تعديل النظام السياسى.

وقد قال «إينونو» عقب انتخابه رئيساً للجمهورية لنواب الأمة فى ١١ نوفمبر ١٩٣٨: «لا تنتظروا منى أن أكون مثله، فهذا أمر لا أنا ولا سواى يستطيع أن يتطلع له، كل ما أستطيع أن أعدكم به هو أن أظل مخلصاً لأفكاره ومبادئه وتعاليمه وأن أواصل السير على الطريق القويم الواضح الذى رسمه من أجل رفاهية الشعب التركى ورفعة الوطن ومنعته».

وأصبح إينونو رئيساً لحزب الشعب الذى أسسه أتاتورك وكان يخوض به انتخابات شكلية.

وظل الجيش التركى الذى أسسه أتاتورك محافظاً على علمانية الدولة ويحول دون تحولها نحو الإسلام، فيقوم بالانقلابات المتتالية ضد أى محاولة من أى حزب يحاول التوجه نحو الإسلام.

وظل إينونو رئيساً للجمهورية وللحزب الحاكم حتى بعد الحرب العالمية الثانية التى كانت تركيا فيها دولة محايدة.

وأوضح عصمت إينونو فى خطابه أمام البرلمان التركى بوصفه رئيساً للجمهورية فى نوفمبر ١٩٤٥، إلى أنه كان يعد لتغييرات فى النظام السياسى ليتواءم مع المستجدات فى السياسة العالمية.

وذكر إينونو أن العجز الأساسى فى النظام التركى هو افتقاد حزب معارض، ولذلك فإنه يعد للسماح بظهور مثل ذلك الحزب أى إيجاد ديمقراطية حقيقية فى البلاد تساهم فى الحياة السياسية.

وكانت المستجدات فى السياسة العالمية التى تحدث عنها إينونو هى انتصار الدول الديمقراطية على الفاشية فى الحرب العالمية الثانية.

ويبدو أنه كان قد اتضح، داخلياً، أن التحالف السياسى بين النخبة البيروقراطية ـ العسكرية وملاك الأراضى والبرجوازية التركية، جعل استمرار الوضع القائم فى تركيا مستحيلاً، فقد شهدت تركيا، خلال الحرب العالمية الثانية، تدهور الأوضاع الاقتصادية والمالية والمعيشية. ارتفعت أسعار السلع الاستهلاكية ارتفاعاً جنونيا لندرتها من جانب، ولتوقف التجارة الدولية من جانب آخر.

واستغل كبار التجار الفرصة، فلجأوا إلى تخزين واحتكار المواد الاستهلاكية لاسيما الغذائية منها، فنتج عن ذلك هبوط مريع فى القيمة الشرائية لليرة التركية «التضخم»، الأمر الذى دفع الدولة إلى التدخل، بإصدار قانون الدفاع الوطنى فى يناير عام ١٩٤٠ والذى أعطى الدولة سلطات استثنائية لضبط الأوضاع الاقتصادية والمعيشية.

إلا أن ذلك، لم يؤد إلا إلى زيادة ثروات البيروقراطية وكبار ملاك الأراضى

فى الريف وتجار المدن من اليهود والأرمن واليونانيين.

وبدأت رياح التذمر تعم أرجاء البلاد بسبب الأوضاع المعيشية المتدهورة لاسيما فى أوساط فقراء الفلاحين والعمال والحرفيين، والبرجوازيتين الصغيرة والمتوسطة اللتين صعدتا خلال حكم أتاتورك، وأصبحتا تطالبان بضرورة تغيير بنية النظام سياسيا واقتصاديا.

ولهذا قام بإنشاء مجموعة معارضة بتكوين حزب معارض لامتصاص المعارضة وشحذ همة الحزب الحاكم دون تحدى الشرعية القائمة كما فعل أتاتورك عام ١٩٣٠.

أوعز إلى جلال بايار أن يصبح زعيم المعارضة، وكان جلال بايار هو نائب أزمير، الذى شغل منصب رئيس الوزراء فى عهد أتاتورك، ثم أصبح رجل اقتصاد وأعمال ورئيساً لعدة مجالس إدارات فى كبريات الشركات والبنوك.

وكان بايار مع ثلاثة نواب آخرين، يشكلون كتلة يمينية برلمانية تنتقد سياسات حزب الشعب الجمهورى، وكان الثلاثة الآخرون هم:

ـ عدنان مندريس، نائب أيدين، وكان أحد المحامين المشهورين، وخطيباً مرموقاً ومن كبار ملاك الأرض ومزارع القطن فى أزمير.

ـ فؤاد كوبرولو، نائب كارس، وكان أستاذاً جامعيا ومؤرخاً معروفاً من أكبر مثقفى تركيا فى عصره، إضافة إلى أنه سليل أعرق عائلة تركية بعد آل عثمان، إذ حازت منصب الصدر الأعظم لأربع أو خمس مرات.

ـ رفيق كورالتان، نائب إيتيل، وكان أحد القضاة والمحامين المحترمين.

فى حين أن بايار ومندريس وكورالتان كانوا من الأعضاء البارزين فى حزب الشعب الجمهورى، إلا أن «كتلة الأربعة» التى انضم إليها كوبرولو من خارج الحزب، كانت تطالب بتغيير سياسات الحزب، وتطور أفكاراً إصلاحية حول الحريات الديمقراطية والليبرالية الاقتصادية.

وكانت كتلة الأربعة، بزعامة بايار، هى التى أعلنت تأسيس «الحزب الديمقراطى» فى ٧ من يناير عام ١٩٤٦ كحزب معارض للحزب الحاكم.

بدأ «الحزب الديمقراطى» كما لو كان حزباً تحت سيطرة النظام، فالحزب أقر المبادئ الستة للأتاتوركية، ولكن قادته أرادوا إعادة تفسير تلك المبادئ وفق الظروف الجديدة، وأن هدفهم - كما قالوا - هو تقدم الديمقراطية، لقد أرادوا الحد من تدخل الدولة بأكبر قدر ممكن والتوسع فى الحقوق والحريات الفردية وجعل السيادة الشعبية من القاعدة وليس من أعلى أو من الحزب الحاكم.

وتدريجيا، استقطب الحزب الديمقراطى أعداداً متزايدة وأصبح يمثل تعبيرا عن الرغبة الشعبية العارمة فى التغيير وهذا ما ظهر فى نتائج الانتخابات البرلمانية فيما بعد.

وقبل أن يتعاظم نفوذ الحزب الديمقراطى ويستفحل خطره، قرر زعماء الحزب الجمهورى تقديم موعد الانتخابات النيابية التى كان مقرراً إجراؤها فى عام ١٩٤٧، لإجرائها فى ٢١ من يوليو عام ١٩٤٦.

وأسفرت تلك الانتخابات عن فوز ٦١ نائباً من الحزب الديمقراطى إلا أن حزب الشعب الجمهورى هو الذى فاز بالأغلبية، لكن الحزب الديمقراطى أصبح الحزب الثانى فى تركيا، وبالتالى فقد قضى على هيمنة الحزب الواحد الذى حكم البلاد منذ قيام الجمهورية الأولى فى عام ١٩٢٤.

وألف حزب الشعب الجمهورى حكومة جديدة برئاسة رجب بكير، الذى حاول أن يلجم شعبية الحزب الديمقراطى، بإصدار قوانين لتقييد الصحافة والتضييق على زعماء ونواب الحزب الديمقراطى.

إلا أن حكومة رجب بكير، سرعان ما استقالت تحت ضغط المعارضة المتزايدة وانضمام ٤٧ نائباً جديداً للحزب الديمقراطى من حزب الشعب الجمهورى، وخلفتها حكومة مؤقتة حكمت البلاد حتى ١٦ من يناير عام ١٩٤٩.

وفى ٢٣ من يناير عام ١٩٤٩، تألفت حكومة جديدة برئاسة شمس الدين غوناتالى الذى أعلن فى خطاب له أمام المجلس الوطنى فى جلسة الثقة أن:

«على تركيا أن تتخذ من الأنظمة الديمقراطية الغربية نموذجاً لها. وأن حرية

الاعتقاد السياسى مقدسة».

وأمام ذلك، طالب نواب الحزب الديمقراطى بالمزيد من الحريات الديمقراطية ووضع قانون انتخاب جديد.

ووافق المجلس الوطنى فى ١٥ من فبراير عام ١٩٥٠ على وضع قانون انتخابات جديد.

وبصدور القانون، بدأت الحملات الانتخابية فى جو من الحرية والديمقراطية لا مثيل له فى تاريخ تركيا الحديث.

إذ أبيحت حرية عقد الاجتماعات والمهرجانات الانتخابية ونشر خطب مرشحى المعارضة.

وسمح لزعماء المعارضة بشرح برامجهم ومبادئ حزبهم عبر الإذاعة الرسمية على قدم المساواة مع مرشحى الحزب الحاكم.

وجرت الانتخابات الجديدة فى ١٤ من مايو عام ١٩٥٠، فأسفرت عن فوز ساحق للحزب الديمقراطى، فاجأ الأتراك، والرأى العام الأوروبى الذى كان يتابع عن كثب سير الانتخابات.

حيث فاز الحزب الديمقراطى وحصل على ٤٠٣ مقاعد من أصل ٤٨٢ مقعداً ولم يحصل حزب الشعب الجمهورى الذى أسسه أتاتورك إلا على ٦٩ مقعداً وفاز المستقلون بتسعة مقاعد.

وأدى هزيمة حزب أتاتورك فى الانتخابات عام ١٩٥٠ إلى استقالة «عصمت إينونو» من رئاسة الجمهورية وتم انتخاب «جلال بابار» رئيساً جديداً للجمهورية التركية والذى كلف عدنان مندريس من تأليف الحكومة وظل الحزب الديمقراطى من ١٩٥٠ حتى ١٩٦٠م.

لقد كان فوز الحزب الديمقراطى فى انتخابات عام ١٩٥٠ أهم منعطف فى تاريخ تركيا الحديث بعد قيام الجمهورية وإلغاء الخلافة.

وكان فوز الحزب الديمقراطى نتيجة لنجاحه فى إثارة الاستياء الشعبى ضد حكومة الحزب الواحد وحزب الشعب الجمهورى، لقد نجح قادة الحزب الديمقراطى فى تحويل هذا الشعور إلى عداء صريح ضد الحزب الجمهورى، أى الحزب الذى أسسه أتاتورك وتولى السلطة منذ تأسيس الجمهورية.

وتركز الاهتمام الرئيسى للحزب الديمقراطى فى الفترة بين عاما ١٩٤٥ - ١٩٥٠ على التأكيد على اختلافه عن حزب الشعب الجمهورى اختلافاً حقيقياً.

واتهم مؤسسو الحزب الديمقراطى أعضاء حزب الشعب الجمهورى بأنهم يمثلون «ديكتاتورية الأنتلجنسيا» وصف عدنان مندريس منظمات حزب الشعب بأنها «منظمات فاشية» وقال: «إن الاختلاف بين نظام ستالين ونظام حزب الشعب الجمهورى فى تركيا، هو مجرد اختلاف بسيط.

وفى الكلمة الافتتاحية التى ألقاها مندريس أمام المجلس الوطنى بعد فوز الحزب الديمقراطى فى انتخابات ١٤ من مايو عام ١٩٥٠، لم يشر إلى اسم أتاتورك - وهو الأمر الذى كان متعمداً قال مندريس: «سوف نتذكر يوم ١٤ من مايو، دون شك، كيوم ذى أهمية خاصة، إذ وضع نهاية لمرحلة فى تاريخنا وكان بداية لمرحلة أخرى فمع انتخابات ١٤ من مايو، جرى اتخاذ خطوة مهمة من خلال ثورة تعد أهم من كل ما تحقق فى بلدنا سابقاً.. نحن لسنا حكومة من الحكومات العديدة التى كانت تمثل الحزب نفسه وتتوالى واحدة بعد الأخرى، ولكننا حزب جاء للحكم بإرادة الأمة.. لقد شهدت السنوات الماضية، استمرار نظام للحكم دون رقابة وطنية أو سياسية، مما أدى إلى تفاقم الأخطاء والفساد والتجاوزات».

وبعد الانتخابات بشهر واحد، اتهم مندريس حزب الشعب الجمهورى بالتآمر مع الجيش للإطاحة بحكومة الحزب الديمقراطى وقال:

«إن هدفنا الوحيد هو تقوية الديمقراطية فى بلدنا، وإذا كان الحزب الجمهورى يرغب فى تقديم العون، فعليه أن يتخلص من قيادته المصابة بمرض حب الاستحواذ على السلطة».

ورفض عدنان مندريس مزاعم الجمهوريين بأنهم حراس إصلاحات أتاتورك، وقال فى إحدى المقابلات التى أجريت معه إن الأمة التركية هى الحارس الحقيقى للإصلاحات. وكان الدعم الكامل للمبادرة الخاصة وفتح المجال أمام القطاع الخاص، ركناً أساسيا فى برنامج الحزب الديمقراطى لمواجهة النزعة التدخلية للدولة التى تسترت وراءها مصالح النخبة البيروقراطية ـ العسكرية.

ومثل مبدأ «حرمة الاقتراع وقدسيته» أساساً للإرادة الشعبية وللدفاع الذاتى للمواطن عن حريته ولتغيير الحكومة.

وعبر عن ذلك مندريس بقوله:

«لقد جرت العادة على أن يحكم شخص واحد فقط، وعلى أن لا تشارك فى صنع السياسات سوى فئات قليلة. ولكن مع ثورتنا الديمقراطية «يقصد فوز الحزب الديمقراطى فى الانتخابات»، اكتسب ملايين من المواطنين حق التصويت وأصبحوا يؤثرون فى مجال إدارة بلدنا، لقد أصبحوا مواطنين حقيقيين.

وفى تحد واضح للنخبة البيروقراطية ـ العسكرية، قال مندريس: «قديماً، كان من الممكن أن يتآمر ثلاثة أفراد للاستيلاء على الكرسى من فرد رابع، بينما ترقب الأمة الآن عن بعد حكم الحزب الجمهورى، وكان مصير البلد بأكمله يتحدد عن طريق هذا الفرد أو ذاك أما الآن فإن الأمة برمتها وعبر أنحائها كافة هى التى تحدد مصير البلد، ولا يتوق هذا البلد لأن يصبح مسرحاً لمغامرات دموية، ولهذا السبب، فإننا مصممون، شأننا شأن الغالبية العظمى من مواطنى الأمة التركية، على التغلب على هذه المغامرات وهؤلاء المغامرين.

وبعد ذلك بأسبوع، وقبيل انقلاب ٢٧ من مايو عام ١٩٦٠، الذى أطاح به وقاد به إلى المقصلة لإعدامه، واصل مندريس تحديه للنخبة البيروقراطية العسكرية، فى أثناء الاضطرابات التى سبقت الانقلاب العسكرى بقوله: «إنهم يرغبون فى معرفة ما إذا كان من الممكن الوصول إلى السلطة عبر وسيلة أخرى غير الانتخابات.. وإذا كنا نؤمن بنضج الأمة التركية وبمزايا الديمقراطية، فينبغى أن نوافق على أن الانتخابات هى الطريق الوحيد للوصول إلى السلطة أو فقدها».

غير أن تحدى الحزب الديمقراطي ومندريس للنخبة البيروقراطية العسكرية، انتهى بالانقلاب العسكري فى عام ١٩٦٠ وإعدام مندريس واثنين من وزرائه.

وبدا الأمر كما لو أن الجيش، يحاول إعادة خلق الظروف التى كانت قائمة قبل عام ١٩٥٠، وذلك عن طريق الإطاحة بحكومة منتخبة ديمقراطيا وتبنى الاتجاه البيروقراطي العسكري فى التشريع والإدارة والحفاظ على التعاون الوثيق مع قيادة حزب الشعب الجمهورى، وجرى من جديد إحياء الائتلاف بين الجيش والبيروقراطية والذى انضمت إليه زمرة من الأساتذة الجامعيين، لإجهاض مشروع الحزب الديمقراطي والتخلص من حكومته[1].

لقد حاولت الأتاتوركية، فرض مشروع ثقافى جديد، يكون بديلاً للثقافة الإسلامية المتجذرة فى المجتمع التركى. ولكن ما حدث أن مشروع الأتاتوركية لم ينجح فى اقتلاع الثقافة القائمة «الإسلامية» كما لم ينجح فى تجذير الثقافة الجديدة «العلمنة والتغريب» فى المجتمع، وحدث ذلك، لأن مشروع الأتاتوركية، كان مشروعاً فوقيا بيروقراطيا «مشروع الدولة» ولم يكن مشروعاً مجتمعيا نابعاً من المجتمع كما حدث فى السياقين الاجتماعى والتاريخى لأوروبا.

لذلك، ما إن توفى أتاتورك، حتى عادت المرجعية الإسلامية وظهرت تنظيمات ومطبوعات تهاجم الأتاتوركية وتربط العلمانية بالكفر والإلحاد، وطبعت فى عام ١٩٤١ دائرة المعارف التركية الإسلامية.

ثم ما لبث بعض نواب الأقاليم أن أخذوا يطالبون بتعليم الدين فى المدارس الرسمية، بضغط من ناخبيهم، مما اضطر المجلس الوطنى إلى مناقشة هذا الموضوع فى ٢٤ ديسمبر عام ١٩٤٦ وكانت المفاجأة الكبرى، أن طالب بعض نواب حزب الشعب الجمهورى «حزب أتاتورك»، بالسماح بالتعليم الدينى.

وفى عام ١٩٤٩، سمح بالتعليم الدينى فى المدارس، بمعدل ساعتين فى الأسبوع فقط، وللطلاب الذين يرغب أهلوهم فى ذلك، وفى العام ذاته، أقرت الحكومة دورات تدريبية خاصة للأئمة والخطباء، كما وافقت على إنشاء كلية

(١) انظر السيف والهلال ـ رضا هلال.

للدراسات الدينية.

والحق أن ما دفع حكومة حزب الشعب الجمهورى لذلك، أن الحزب الديمقراطى، منذ ظهوره عام ١٩٤٦، قد ميز نفسه عن الحزب الجمهورى فى توجهه إزاء مسألة الدين، وطالب برنامج الحزب الديمقراطى باحترام أكبر للدين والشئون الدينية. وأعلن جلال بابار رئيس الحزب فى عام ١٩٤٩ أن الأمة التركية أمة مسلمة.

وفيما بعد، طرح عدنان مندريس أن حزب الشعب الجمهورى بالغ فى حديثه عن مخاطر الرجعية الإسلامية، وذلك بهدف إبقاء نظام الحزب الواحد لفترة أطول مما كان ضروريا. ولذلك أصبحت العلمانية أداة لإثارة الأحقاد واضطهاد الناس.

ومن الناحية الواقعية، شهد العقد الذى حكم خلاله الحزب الديمقراطى «١٩٥٠ - ١٩٦٠»، توسيع وتعضيد دور الإسلام فى الحياة السياسية التركية فقد ألغت حكومة الحزب الديمقراطى، عام ١٩٥٠، القانون الذى كان ينص على أن يرفع الأذان للصلاة باللغة التركية، فأصبح الأذان باللغة العربية.

كما أصبح القرآن يتلى فى محطات الإذاعة الرسمية، وأدخلت الدراسات الدينية، ومنحت الصفة القانونية لمدارس «إمام وخطيب» التى تتيح المطالب تعليماً دينيا، وجرى بناء ١٥٠٠ جامع إضافة إلى ترميم عشرات الجوامع فى الفترة ١٩٥٠ - ١٩٥٧.

وفى حين ظلت الطرق الدينية والزوايا، غير مسموح بها قانوناً، فإنها من الناحية الواقعية عادت لممارسة دورها الاجتماعى وفتحت تكاياها وزواياها ومدارسها، بل إنها دخلت الحلبة السياسية بإعلان الطريقة النقشبندية أنها ستصوت للحزب الديمقراطى.

وكما عرف الإسلام السياسى طريقه داخل الحزب الديمقراطى، فقد شق طرقاً أخرى داخل أحزاب أخرى، تمهيداً لأن يصبح له حزبه السياسى فيما بعد.

وهكذا خرج الإسلام، ليصبح أداة سياسية، وظفها الحزب الديمقراطى فى فترة الخمسينبات، ثم ليصبح فيما بعد المتغير المعادل للجيش والنخبة العلمانية فى السياسة التركية الحديثة الحالية.

واتهم الحزب الديمقراطى بمحاولة الانقلاب على تعاليم أتاتورك مما جعل الجيش يقوم بانقلاب عسكرى ضده عام ١٩٦٠م واعتقال رئيس الجمهورية المنتخب «جلال بايار» ورئيس الحكومة «عدنان مندريس» وجميع الوزراء.

وكانت تلك هى ديمقراطية أتاتورك الرجل الذى ظل يحكم تركيا حتى بعد هلاكه وما زالت تعاليمه تسيطر على الدولة التركية وحتى الآن حيث تكررت الانقلابات العسكرية على الحكومات الشرعية المنتخبة من الشعب لكونها ذات توجهات إسلامية.

وتمت محاكمة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء فى محاكم عسكرية والحكم عليهم بالإعدام شنقا وخفف الحكم إلى السجن المؤبد بالنسبة لرئيس الجمهورية.

وتم إجراء الانتخابات البرلمانية وأسفرت عن فوز حزب العدالة الذى حصل على ١٥٨ مقعداً أى نسبة ٣٤,٧٪ من أصوات الناخبين ونال حزب الشعب الجمهورى على ١٧٣ مقعداً، ولهذا تكونت حكومة ائتلافية لعدم حصول أى من الأحزاب على الأغلبية البرلمانية.

وفى ٢٥ أكتوبر انتخب زعيم الانقلاب العسكرى الجنرال جمال غورسل رئيساً للجمهورية.

وقام عصمت إينونو بتشكيل حكومة إئتلافية، ولكنه لم يستطع الاستمرار فى قيادة البلاد بحكومة ائتلافية من أحزاب معارضة لتوجهات أتاتورك فقدم استقالته فى مايو ١٩٦٢م.

ثم عهد إليه رئيس الجمهورية بتأليف حكومة ثانية يشاركه فيها حزب الفلاحين الجمهورى وانتقل حزب العدالة إلى صفوف المعارضة.

ولمحاولة استرضاء حزب العدالة تم الإفراج عن رئيس الجمهورية المخلوع جلال بايار لأسباب صحية، ولكن العسكر قاموا بانقلاب آخر لوقف نشاط حزب العدالة إلا أن الانقلاب فشل وأعدم زعيم طلعت أيديمير فى يوليو ١٩٦٤م.

وأجريت انتخابات برلمانية عام ١٩٦٥ فاز فيها حزب العدالة بأكثرية ٥٣٪ من الأصوات وتم تكليف رئيس الحزب سليمان ديمترى بتأليف الحكومة واستمرت حتى عام ١٩٦٩م.

وفى الانتخابات التالية فاز أيضاً حزب العدالة بالأغلبية واستمر فى حكم البلاد حتى قام العسكر بتهديد رئيس الحكومة ثم استقالته وإجراء انتخابات جديدة لم يفز فيها أى حزب بأغلبية تؤهله من تكوين حكومة أغلبية ولهذا تشكلت حكومات ائتلافية، وظلت تركيا تتأرجح بين سيطرة العسكر على الحكم والديمقراطية.

وبنهاية السبعينيات، أصبح العنف السياسى مشكلة حقيقية فى تركيا. فمنظمات الشباب اليسارية دخلت فى مواجهة مع منظمة الذئاب الرمادية اليمينية المتطرفة والأصوليين الإسلاميين للسيطرة على الشوارع وحرم الجامعة.

وتبارت تلك المنظمات فى رعاية «عصابات الأحداث» من خريجى المدارس الثانوية، الذين لم يكن لديهم أمل الالتحاق بالجامعات التى لا يدخلها إلا ٢٠٪ من ٢٠٠ ألف تخرجهم المدارس الثانوية سنويا، ولم تكن لديهم مطامع فى الحصول على وظائف بسبب الأزمة الاقتصادية الخانقة.

وفى حين ساندت الحكومة اليمينية فى الفترة بين عامى ١٩٧٤ ـ ١٩٧٧، حزب الحركة الوطنية الفاشى ومنظمة الذئاب الرمادية فى الصراع ضد اليسار، فإن فترة حكم أجاويد بين عامى ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩، شهدت حماية لمنظمات اليسار، بالرغم من انتقاد أجاويد، زعيم يسار الوسط، لليسار المتطرف.

وتصاعدت عدد ضحايا العنف السياسى فى تركيا، من ٢٣٠ شخصاً عام ١٩٧٧ إلى ١٢٠٠ عام ١٩٧٨ ثم إلى ١٥٠٠ عام ١٩٧٩ ويفسر إريك. جى. زورغر،

ارتباط التطرف السياسى بالعنف فى تركيا، بالرجوع إلى الثقافة التقليدية التركية التى تجعل من الشرف والعيب محددين للعلاقة بين الشخص وعائلته وعشيرته من جانب وبين الآخرين من جانب آخر.

كما تعطى الثقافة التقليدية دوراً بارزاً لعادة الثأر فى هذه الحالة.

وخير الأمثلة على ذلك، مذبحة «كهرمان ماراس» التى نفذها أتراك متطرفون «الذئاب الرمادية» ضد العلويين «الأتراك الشيعة». ناهيك عن الاقتتال المستمر بين الأكراد والأتراك.

لقد كان المشهد السياسى ـ الاجتماعى فى تركيا بنهاية السبعينيات، يعكس أزمة عامة، فقد شهدت تركيا ١٢ حكومة أقلية وائتلافية، خلال الفترة من يناير عام ١٩٧١ حتى ديسمبر عام ١٩٧٩، أى بمعدل حكومة كل ٩ شهور.

وتدهور معدل النمو الاقتصادى عام ١٩٧٩ إلى ٧, ١٪ مقارنة بمعدل ٨٪ عام ١٩٧٥ وفى عام ١٩٧٩ ـ أيضاً ـ تزايد معدل البطالة إلى ٢٠٪ فى حين ارتفع معدل التضخم إلى ٨٥٪.

ثم جاء الانقلاب العسكرى فى ١٢ سبتمبر عام ١٩٨٠ وجاء فى بيان الانقلاب: إن الدولة وأجهزتها الرئيسية صارت عاجزة عن العمل، وإن الهيكل الدستورى كان مليئاً بالمتناقضات، كما أن الأحزاب السياسية كانت متعنتة فى مواقفها وتفتقر إلى الإجماع الضرورى لمعالجة مشكلات البلاد.

ونتيجة لكل هذه العوامل، فقد زادت القوى الانفصالية من أنشطتها، ولم تعد حياة وممتلكات المواطنين آمنة. كما أن الهجمات على كل جوانب المجتمع ـ كالمدارس والجامعات والهيئات القضائية والمنظمات العمالية وغيرها ـ تقود البلاد نحو الانفصال والحرب الأهلية. وباختصار باتت الدولة بلا حول ولا قوة، وأصبحت عاجزة[1].

وسيطرت القوات المسلحة على مقاليد السلطة السياسية وحل البرلمان ووقف

---

(١) انظر السيف والهلال ـ رضا هلال.

نشاط الأحزاب السياسية واتحادات نقابات العمال اليسارية واتحادات النقابات اليمينية المتطرفة وقبض على قادة الأحزاب فيما عدا البارصلان توركيش زعيم حزب الحركة الوطنية الذى تخفى فى مكان سرى لمدة يومين ثم سلم نفسه. وفرضت الأحكام العرفية على كل أنحاء البلاد، ومنع المواطنون من مغادرة تركيا.

وأقالوا العمد وأعضاء المجالس المحلية الذين كان عددهم يصل إلى ١٧٠٠ وتركزت السلطات فى قبضة مجلس الأمن القومى برئاسة الجنرال كنعان إيفرين قائد الانقلاب الذى تولى رئاسة الجمهورية فى ١٤ من سبتمبر.

وأصبح مجلس الأمن القومى قاصراً على العسكريين يساعده مجلس حكومى تكون من ٢٧ عضواً من البيروقراطيين والعسكريين المتقاعدين تحت قيادة الجنرال المتقاعد بولنت ألوسو، لتقديم النصائح لمجلس الأمن القومى وتنفيذ قراراته. كما أعطيت سلطات واسعة للحكام العسكريين للمناطق المختلفة من البلاد، بمقتضى قانون الأحكام العرفية.

وأصبح لهم حق الإشراف على التعليم والصحافة وغرف التجارة والاتحادات العمالية ولم يترددوا فى استخدام سلطاتهم فى إغلاق الصحف بما فيها صحيفة «جمهوريت» التى أسسها أتاتورك نفسه عام ١٩٢٤.

وتم حظر المناقشات السياسية فى عام ١٩٨١، ثم تلا ذلك فى عام ١٩٨٢ حل الأحزاب السياسية بعد أن كان قد حظر نشاطها، كما صودرت ممتلكاتها.

وشملت البلاد موجة من الاعتقالات، فقادة الانقلاب، بعد عام من الإعداد له، كانت لديهم قوائم تضم غير المرغوب فيهم، وخلال الأسابيع الستة الأولى بعد الانقلاب جرى اعتقال ١١٥٠٠ شخص، وتزايد العدد إلى ٣٠ ألف شخص بنهاية العام، ثم إلى ١٢٠٦٠٠ بنهاية عام ١٩٨١.

غير أن موجة الاعتقالات أسفرت عن تكلفة اجتماعية عالية، إذا شملت الاعتقالات أعضاء الاتحادات المهنية والأحزاب الشرعية وأساتذة الجامعات والصحفيين ورجال القانون، وكل من كان قد أظهر ميلاً يساريا أو إسلاميا، وفى

عامى ١٩٨٢ و١٩٨٣، واجه أساتذة الجامعة مذبحة بفصل ٣٠٠ أستاذ منهم وحرمانهم من معاشاتهم ومنعهم من العمل فى أى وظيفة حكومية.

وفى ظل الأحكام العرفية، تعرض أعضاء الحزب: الحركة الوطنية «الفاشى» والسلامة الوطنى «الإسلامى» والعمال الكردستانى «الانفصالى» والعمال التركى «اليسار المتطرف»، واتحاد نقابات العمال إلى عمليات تعذيب واسعة النطاق، كما أصدرت المحاكم العسكرية أحكاماً بالإعدام فى حق ٣٦٠٠ شخص.

إن هناك أربعة دروس أساسية فى انقلابى عامى ١٩٦٠ و١٩٧١، استفاد منها قادة انقلاب عام ١٩٨٠:

الدرس الأول: أن تكون السلطة موحدة فى قمة الجيش، فدون مشاركة رئيس الأركان وقادة القوات المسلحة، فإن البديل هو الصراع على السلطة بين قادة الجيش كما حدث فى انقلاب عام ١٩٦٠.

والدرس الثانى: أن قادة الانقلاب لابد وأن يسيطروا ـ أولاً ـ على السلطة السياسية، التى لا ينبغى أن تترك للسياسيين أو أن تكون مشاركة بين العسكريين والسياسيين.

والدرس الثالث: أن تكون هناك خطة واضحة للعمل جرى الاتفاق عليها، قبل أن يقرر الجيش الانقلاب.

والدرس الأخير: أن يسبق الانقلاب، انشقاق النظام السياسى المدنى وتفككه، مما يتيح للجيش بعد الانقلاب فترة مناسبة لإعادة بناء النظام السياسى وفق الخطوط التى تحددها القوات المسلحة.

واستطاع الجنرال إيفرين انتزاع الموافقة على مشروع الدستور الجديد بنسبة ٩١,٤٪ من الأصوات من البرلمان التركى.

وبعد إقرار الدستور الجديد، وتولى إيفرين رئاسة الجمهورية، تحرك العسكريون لاستكمال إعادة هيكلة النظام السياسى. ففرضوا قانوناً جديداً، يحظر نشاط السياسيين قبل الانقلاب، ولمدة ١٠ سنوات.

وسمح بتكوين أحزاب جديدة، إلا أن مؤسسيها كان عليهم أخذ موافقة مجلس الأمن القومى، كما منع الطلاب والأساتذة وموظفو الخدمة المدنية من أن يصبحوا أعضاء بالأحزاب، ومنعت الأحزاب من أن تكون لها أفرع شبابية أو نسائية. ولدى إجراء انتخابات نوفمبر عام ١٩٨٣، كانت الأحزاب المسموح لها بدخول الانتخابات ثلاثة أحزاب فقط:

١ ـ الديمقراطية الوطنية، الذى حظى بدعم العسكريين والجنرالات المتقاعدين.

٢ ـ حزب الشعب، الذى كان قائده نجدت غالب، ويمثل الجناح الأتاتوركى فى حزب الشعب الديمقراطى.

٣ ـ حزب الوطن الأم، بقيادة تورجوت أوزال، الذى اضطلع بتطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادى عامى ١٩٧٩ و١٩٨٠، وأصبح وزيراً للمالية والاقتصاد فى ظل الحكم العسكرى.

واستمر الصراع بين العسكر والأحزاب غير العلمانية حتى تولى حزب رجب أردوغان الحكم حالياً وتولى «عبدالله جول» رئاسة البلاد ومازال تهديد العسكر لهما بالانقلاب العسكرى قائماً للمحافظة على تعاليم الذئب الأغبر ذلك الصنم الذى لا يزال يحكم البلاد من قبره!!



تركيا الحديثة.. معلومات وإحصائيات

- الموقع الجغرافى والحدود ومساحة الأراضى التركية الحالية.
- تعداد السكان والجنسيات والأعراق ومجموع السكان.
- السلطة التنفيذية ونظام الحكم الحالى
- الأحوال الاقتصادية والموازنة العامة.
- الجيش التركى.



حقائق وإحصاءات
عن الجمهورية التركية الحديثة

إليك عـزيزى القـارئ بعض المعلومـات عن الجـمـهـورية التـركـيـة فـى العـصـر الحديث لتتعرف عما تبقى من الدولة العثمانية القديمة.

أولاً ـ الموقع الجغرافى:

الموقع: جنوب غرب آسـيـا (الجـزء الغـربى من مضـيق البـوسـفور وشـملت فى بعض الأحيـان مع أوروبا، والمتاخـمة لمنطقـة البـحـر الأسـود، بين بلغاريا وجـورجـيـا، والمطلة على بحر إيجة والبحر المتوسط، بين اليونان وسوريا.

وتبلغ المساحة الإجمالية: ٧٨٠,٥٨٠ كم مربع.

مساحة الأرض: ٧٧٠,٧٦٠ كيلو متر مربع.

مجال المياه: ٩,٨٢٠ كم مربع.

مقارنة المساحة: أكبر بقليل من ولاية تكسـاس، أو أكبـر من فـرنسـا والمملكة المتحدة (إنجلترا) مجتمعتين، أو ٢,٥ مرة أكبر من إيطاليا.

الحدود البرية:

المجموع: ٢,٦٤٨ كم.

الحدود: ٢٦٨ كيلو متـراً أرمـينيـا، وأذربيـجـان ٩ كم، بلغـاريا ٢٤٠ كم، ٢٥٢ كم جورجيا، واليونان ٢٠٦ كم، ٤٩٩ كم إيران، والعراق ٣٥٢ كم، سوريا ٨٢٢ كم.

الخط الساحلى: ٧,٢٠٠ كم.

الجمهورية بكل اللغات:

جمهورية تركيا (رسمى باللغة العربية)، (تركيا) الانجليزية Turchia (إيطالية) Turkel (ألمانية) Turkiet (السويدية)، Turkije (هولندا) Turkki (فنلندا) Tur- quia (البرتغالى) Turquia (أسبانيا)، Turquie (الفرنسية) Tyrkia (النرويج) Tyrkiet (الدنماركية) Tyrkland (الأيسلاندية).

المناخ:

المناخ: معتدل، حار جاف فى الصيف مع اعتدال، رطب فى الشتاء، أشد قسوة فى المناطق الداخلية.

التضاريس:

التضاريس: معظمها الجبال، السهل الساحلى الضيق وارتفاع الهضبة الوسطى (الأناضول).

أدنى نقطة: البحر الأبيض المتوسط م.

أعلى نقطة: جبل إرارات ٥,١٦٦ م.

أكبر بحيرة: بحيرة فان ٣,٧١٣ كم مربع.

الموارد الطبيعية: الفحم وخام الحديد والنحاس والكروم والقصدير والزئبق والذهب barite، بوارت celestite (الاسترونتيوم) صنفرة والفلسبار، الحجر الجيرى. والمغنسيت، والرخام، وperlite، خفاف، البورطيس (الكبريت)، والصلصال، والأراضى الصالحة للزراعة، والطاقة الكهرمائية.

استخدام الأراضى التركية:

ـ الأراضى الصالحة للزراعة: ٣٢٪.

المحاصيل الدائمة: ٣٪.

الأخرى: ٦٦٪ (٢٠٠٦).

تعداد السكان:

٧١٥١٧١٠٠ رسميا اعتبارا من كانون الثانى/ يناير ٢٠٠٩ (٦٧٨٠٣٩٢٧ تم فى عام ٢٠٠٠)، بمعدل ٩٣ نسمة لكل كيلو متر مربع يعيش، ٧٠,٥٪ من مجموع السكان يعيشون فى المدن و ٢٩,٥٪ فى القرى أو المدن الصغيرة فى الريف.

اسطنبول: ١٢٦٩٧١٦٤ اعتبارا من كانون الثانى/ يناير ٢٠٠٩ (١٠٠٣٣٤٧٨ فى عام ٢٠٠٠)، ١٧,٨٪ من مجموع السكان، ٢٤٤٤ شخصا لكل كيلو متر مربع.

- **أنقرة:** ٤٥٤٨٩٣٩ اعتبارا من كانون الثانى/ يناير ٢٠٠٩ (٤٠٠٧٨٦٠ فى عام ٢٠٠٠) و ٦,٤٪ من مجموع السكان.

- **أزمير:** ٩٧٨. ٣,٧٩٥ اعتبارا من كانو الثانى/ يناير ٢٠٠٩ (٣٣٨٧٩٠٨ فى عام ٢٠٠٠) ٥,٣٪ من مجموع السكان، ٣١٦ نسمة لكل كيلو متر مربع.

بايبورت: أدنى من السكان فى تركيا: ٧٥٦٧٥ (يناير ٢٠٠٩).

الهيكل العمرى:

مجموع السكان: ٣٥٩٠١١٥٤ عدد، الإناث ٣٥٦١٥٩٤٦ (اعتبارا من كانون الثانى/ يناير ٢٠٠٩).

١٤ - ٠ سنة ٢٦,٣٪ (ذكور٩٥٧٠٧٧٣، الإناث ٩٠٧١٦١٨) (يناير ٢٠٠٩).

٦٤ - ١٥ سنة: ٦٦,٩٪ (ذكور ٢٣٦٥٥٦٥٧، الإناث ٢٢٢٨٨٠٣٣) (يناير ٢٠٠٩).

٦٥ وما فوق: ٧,١٪ (ذكور ٢١٥٠١٠٣، الإناث ٢٨٥٠٠٧٢).

متوسط العمر: مجموعة ٢٨,٥ سنة (ذكور: ٢٨ سنة، الإناث: ٢٩ سنة). أكثر من نصف السكان تحت متوسط العمر (اعتبارا من يناير ٢٠٠٩).

معدل النمو السكانى: ١,٢٤٪ (٢٠٠٦).

معدل المواليد ١٨,٧ ولاده/ ١,٠٠٠ سكان (٢٠٠٦).

معدل الوفيات: ٦,٣ وفاة/ ١,٠٠٠ سكان (٢٠٠٦).

الجنسية والعرقيات التركية:

اسما: تركى.

الصفة: التركية.

الانقسامات العرقية: ٨٠٪ من الأتراك، والأكراد ٢٠٪.

الأديان: المسلمون ٩٩٪ (معظمهم من السنة)، وغيرها من ١٪ (من المسيحيين واليهود).

اللغات: التركية (رسمية).

محو الأمية: فى سن ١٥ وأكثر من القراءة والكتابة.

مجموع السكان: ٨٧٪.

الذكور: ٩٤,٣٪.

الإناث: ٧٨,٧٪ (٢٠٠٦).

التقسيمات الإدارية:

٨١ محافظة، أضنة، أديامان، أفيون، الزراعية، أكساراى، أماسيا، أنقرة، أنطاليا، أردهان، أرتفين، أيدين، باليكسير، بارتين، باتمان، وبايبورت، بيلسيك بنجول وبيتليس، بولو، بوردور، بورسا، Canakkale، كانكيرى كوروم دينزلى، ديار بكر، Duzce، إدرنة، الازيغ، وايرزوروم واسكيسهير، غازى عنتاب، جايرصن، جوموهين، هكارى، هاتاى، البينى، اغدير، Isparta واسطنبول وأزمير، كهرمان ماراس، Karabuk، كرمان، كارس، وكاستامونو، وكيسرى، Kilis، كيريكالى، كيركلاريلى، كيرسيهر، كوجايلى، كونيا، كوتاهيا، ملاطية، مانسيا، وماردين، موغلا، موريشيوس، نفسهير، نجد، أوردو، أوسمانيا، رايز، ساكاريا، شمشون، سانليورفا، سيرت، سينوب، سيرناك، سيواس، تيكيرداج، توكات، طرابزون، تونجلى، أوساك، فان يالوفا، Yozgat، زونجلداك.

الاستقلال: ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ (دولة الخلافة الامبراطورية العثمانية).

العطلة الوطنية: فى ذكرى إعلان الجمهورية، فى ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر (١٩٢٣).

الدستور: ٧ نوفمبر ١٩٨٢، والمعدل فى ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١ من قبل TBMN.

النظام القانونى:

المستمدة من مختلف النظم القانونية الأوروبية، تقبل الاختصاص الإلزامى لمحكمة العدل الدولية، مع بعض التحفظات. عضو فى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان (المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان).

سن الاقتراع للناخبين الأتراك ١٨ سنة لكل مواطن.

السلطة التنفيذية:

١ ـ رئيس الدولة:

الرئيس التركى عبد الله غول (السابقون الرؤساء التركى أحمد نجدت سيزر، وسليمان ديميريل وانتخب فى آب/ أغسطس ٢٠٠٧ لمدة خمس سنوات (كان يتم قبل سبع سنوات من عام ٢٠٠٧) من قبل الجمعية الوطنية (ملاحظة: مع الجديد مواد الدستور، والرئيس القادم سينتخب من قبل الجمهور للتصويت).

٢ ـ رئيس الحكومة:

رئيس الحكومة: رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان (ليالى الافتتاح كانت سابقا عبد الله جول وبولندا جاويد (إعادة انتخابهم بالاقتراع العام ويعين رئيس الجمهورية فى تموز/ يوليو ٢٠٠٧).

٣ ـ مجلس الأمن القومى:

الهيئة الاستشارية لرئيس الجمهورية ومجلس الوزراء.

٤ ـ مجلس الوزراء:

مجلس وزراء يعينهم رئيس الجمهورية بناء على ترشيح من رئيس الوزراء.

السلطة التشريعية:

الجمعية الوطنية الكبرى فى تركيا: (تركيا buyuk ميلليت 550) يتم انتخاب الأعضاء عن طريق التصويت الشعبى لخدمة خمس سنوات).

السلطة القضائية:

المحكمة الدستورية، وقضاة يعينهم رئيس الجمهورية محكمة الاستئناف العليا (Yargitay) ومجلس الدولة (Danistay)، والقضاة، وينتخب المجلس الأعلى للقضاة والمدعين العامين. ديوان المحاسبة (Sayistay)، العسكرى محكمة الاستئناف العليا العسكرية، المحكمة الإدارية العليا.

جماعات الضغط السياسى:

أتحاد نقابات القطاع العام أو KESK، اتحاد نقابات العمال الثورى أو القرص، الصناعيين ورجال الأعمال المستقلين أو رابطة MUSIAD، الحقوق الأدبية أو نقابة عمال هاك هل، التركية الصناعيين، وجمعية رجال الأعمال أو TUSIAD، التركية اتحاد أرباب العمل أو نقابات TISK، التركية للعمل أو الترك هل، التركية اتحاد التجار والحرفيين أو TESK، التركية والاتحاد العام للغرف التجارية وتبادل السلع أو TOBB.

المنظمة الدولية المشاركة:

مصرف التنمية الآسيوى، ومجموعة استراليا، وبنك التسويات الدولية، ومنظمة التعاون الاقتصادى، م، سيرن (مراقب)، ومجلس الشراكة الأوروبية الأطلسية، والمصرف، ومنظمة التعاون الاقتصادى، والاتحاد الأوروبى (الطالب)، ومنظمة الأغذية والزراعة والوكالة الدولية للطاقة الذرية، والبنك الدولى ومنظمة الطيران المدنى الدولى، والمحكمة الجنائية الدولية، الاتحاد الدولى للنقابات الحرة،

ICRM، المؤسسة الدولية للتنمية، والبنك الإسلامى للتنمية، وكالة الطاقة الدولية، الصندوق الدولى للتنمية الزراعية.

ومؤسسة التمويل الدولية، الأحمر، والمنظمة الهيدروغرافية الدولية، ومنظمة العمل الدولية، صندوق النقد الدولى، المنظمة البحرية الدولية، المنظمة الدولية للجنة الأوليمبية الدولية، والمنظمة الدولية للهجرة (مراقب)، المنظمة الدولية للتوحيد القياسى والاتحاد الدولى للاتصالات، ومنظمة حلف شمال الأطلسى، وكالة الطاقة الدولية، مجموعة موردى المواد النووية، ومنظمة الدول الأمريكية (مراقب).

منظمة التعاون الاقتصادى والتمية، ومنظمة المؤتمر الإسلامى، منظمة حظر الأسلحة الكيميائية، ومنظمة الأمن والتعاون، ومحكمة التحكيم الدائمة فى الأمم المتحدة، الأونكتاد.

ومنظمة اليونسكو والمفاوضية، واليونيدو، بعثة الأمم المتحدة فى كوسوفو، وبعثة الأمم المتحدة، وبعثة مراقبى الأمم المتحدة، والأونروا، والاتحاد البريدى العالمى، والمنظمة العالمية للجمال، واتحاد أوروبا الغربية (المنتسبين)، والاتحاد، ومنظمة الصحة العالمية، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية، والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية، ZC، WTrO، WToO.

الحالة الاقتصادية لتركيا:

هو خليط معقد من العصرية والصناعة والتجارة التقليدية إلى جانب قطاع الزراعة فى عام ٢٠٠٤ التى ما زالت تمثل ٣٤٪ من العمالة. انها قوية وسريعة النمو والقطاع الخاص، ومع ذلك فإن الدولة ما زالت تلعب دورا رئيسيا فى هذه الصناعة الأساسية، والبنوك، والنقل، والاتصالات.

أهم وأكبر دولة مصدرة للصناعة هى المنسوجات والملابس، والذى يكاد يكون كليا فى أيدى القطاع الخاص.

الوضع الاقتصادى فى السنوات الأخيرة، ولقد تميز النمو السريع المقترن بنجاح جزئى فى تنفيذ إجراءات الإصلاح الهيكلى. وانخفض معدل التضخم إلى ٨,٤٪ فى عام ٢٠٠٧ انخفاضا من ٩٩ فى المائة فى عام ١٩٩٧، ولكن القطاع العام والعجز المالى لا يزال على الأرجح بالقرب من ١٠٪ من النتائج المحلى الإجمالى، ويعود فى جزء كبير على مدفوعات الفائدة والتى تمثل ٤٠ فى المئة من إنفاق الحكومة المركزية فى عام ٢٠٠٣. الحكومة بسن قانون الضرائب الجديد وتسريع الخصخصة فى عام ١٩٩٨ ولكنها لم تحرز تقدما بشأن حاجة ماسة لإصلاح الضمان الاجتماعى.

أنقرة تسعى إلى زيادة التجارة مع البلدان الأخرى فى المنطقة حتى الآن أكثر من تركيا لا تزال التجارة مع بلدان المنظمة. على الرغم من تنفيذه فى كانون الثانى/ يناير ١٩٩٦ اتحادا جمركيا مع الاتحاد الأوروبى، والاستثمار الأجنبى المباشر فى البلاد ما زالت منخفضة ـ نحو ١ بليون دولار سنويا.

وتحسين النتائج فى ٢٠٠٢ ـ ٠٤، وذلك بأسباب قوية على دعم مالى من صندوق النقد الدولى، وسياسة مالية متشددة.

الرئيسية السياسية والاقتصادية القضية على مدى السنوات العشر القادمة هو ما إذا كانت تركيا ستصبح عضوا فى الاتحاد الأوروبى. ولكن المزيد من إصلاحات اقتصادية وقضائية والمحتملين لعضوية الاتحاد الأوروبى من المتوقع أن يعزز الاستثمار الأجنبى المباشر. الخصخصة وبيع حاليا يقترب من ٢١ بليون دولار (٢٠٠٧).

الناتج المحلى الإجمالى:

الناتج المحلى الإجمالى المجموع: ٤٠٢,٧ مليار دولار (٢٠٠٦) م.

الناتج المحلى الإجمالى: تعادل القوة الشرائية ـ ٥٥١,٦ مليار دولار (٢٠٠٥)م.

معدل نمو الناتج المحلى الإجمالى: ١٠,٧٪ (٢٠٠٦) م.

الناتج المحلى الإجمالى للفرد: ٥,٤٨٢ $ (٢٠٠٦) م.

تكوين الناتج المحلى الإجمالى حسب القطاع:

الزراعة: ٩,٧٪.

الصناعة: ٢٦,٨٪.

صناعة: ٢٢,٢٪.

الخدمات: ٦٣,٥٪ (٢٠٠٦) م.

الاستثمار الثابت الإجمالى: ١٥,٥٪ من الناتج المحلى الإجمالى (٢٠٠٤).

السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر: ٢٠,٥٪ (٢٠٠٧)، (٢٠٪ فى عام ٢٠٠٥)، و ١٨٪ فى عام (٢٠٠١) م.

دخل الأسرة أو استهلاك النسبة المئوية لنصيب الفرد: ٧٠,٧٪ من الناتج المحلى الإجمالى (٢٠٠٦) م.

أدنى بنسبة ١٠٪: ٢,٣٪.

أعلى ١٠٪: ٣٢,٣٪ (١٩٩٤).

توزيع دخل الأسرة: ٤٤ (٢٠٠٢).

القوة العاملة: ٢٤,٧ مليون (٢٠٠٥) م.

حسب المهنة: الزراعة ٣٥,٩٪ والخدمات ٢٢,٨٪، الصناعة ٤١,٢٪ (٢٠٠٤).

ملاحظة: حوالى ٣ ملايين تركى العمل فى الخارج (٢٠٠٥) م ومعظمهم فى ألمانيا.

معدل البطالة: ١٠,٧٪ (زائد ٣,٥٪ من العمالة الناقصة) (آذار/ مارس ٢٠٠٨).

معدل العمالة: ٤٢,١ (آذار/ مارس ٢٠٠٧).

الموازنة العامة:

الإيرادات: ٩٣,٥٨ مليار دولار.

النفقات: ١١٥,٣ بليون دولار، بما فيها النفقات الرأسمالية الوطنية (٢٠٠٥)م.

الدين العام: ٦٧,٥٪ من الناتج المحلى الإجمالى (٢٠٠٥)م.

الصناعات: المنسوجات، وتجهيز الأغذية، والسيارات، والتعدين (الفحم والكروم والنحاس والبورون، والفولاذ، والنفط والبناء والخشب والورق.

معدل نمو الإنتاج الصناعى: ٨,٥٪ (٢٠٠٤) م.

الزراعة:

المنتجات الرئيسية: التبغ والقطن والحبوب والزيتون، وبنجر السكر، والحبوب والحمضيات، والثروة الحيوانية.

المخدرات غير المشروعة: طريق عبور رئيسية لجنوب غرب آسيا والهيروين والحشيش إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة عن طريق الجو والبر، والطرق البحرية، الحكومة تحتفظ لفرض مراقبة صارمة على مجالات قانونية على زراعة خشخاش الأفيون وإنتاج قش الخشخاش.

الأراضى الزراعية: ٥٣,٦٪ من مساحة الأرض (٢٠٠٥) م.

مساحة الغابات: ١٠١,٨٠٠ كيلو متر (٢٠٠٥) م.

الكهرباء:

٢٢٠ فولت

القدرة: ١٨,٧١,٠٠٠ كيلو واط.

الإنتاج: ١٩١,٢ مليار كيلو واط فى الساعة (٢٠٠٧).

الاستهلاك: ١٤٠,٣ مليار كيلو واط فى الساعة (٢٠٠٥).

الصادرات: ١٠٨ مليار كيلو واط/ ساعة (٢٠٠٥).

الواردات: ٦٣٦ مليون كيلو واط ساعة (٢٠٠٥).

النفط:

الإنتاج: ٥٠,٠٠٠ برميل فى اليوم (٢٠٠٥).

الاستهلاك: ٧١٥,١٠٠ برميل فى اليوم (٢٠٠٥).

الصادرات: ٤٦,١١٠ برميل فى اليوم (٢٠٠١).

الواردات: ٦١٦,٥٠٠ برميل فى اليوم (٢٠٠١).

الاحتياطيات المؤكدة: ٢٨٨,٤ مليون دولار للبرميل الواحد (١ يناير ٢٠٠٢).

الغاز الطبيعى حتى عام ٢٠٠٥ م:

الانتاج: ٩٨٠ مليون متر مكعب ٢٠٠٥ م.

الاستهلاك: ٢٧,٣ بليون متر مكعب (٢٠٠٥) م.

الصادرات: صفر متر مكعب (٢٠٠٥) م.

الواردات: ١٥,٧٥ مليار متر مكعب حتى عام ٢٠٠١.

احتياطات: ٨,٦٨٥ مليار متر مكعب (١ يناير ٢٠٠٢) م.

ميزان الحساب الجارى:

٣٢,٧٧ ـ مليار دولار (٢٠٠٧) م.

الصادرات: ١٠٥,٩ مليار دولار فوب (٢٠٠٧) م.

السلع: الملابس، والمواد الغذائية، والمنسوجات، والمصنوعات المعدنية ومعدات النقل.

الشركاء: ألمانيا ١٣,٩٪، ٨,٨٪ فى المملكة المتحدة، والولايات المتحدة ٧,٧٪ وإيطاليا ٧,٤٪، وفرنسا ٥,٨٪، أسبانيا ٤,٢ (٢٠٠٤) م.

الواردات: ١٣٧ مليار دولار سيف (٢٠٠٦) م.

السلع: الآلات، والمواد الكيميائية، والسلع شبه تامة الصنع، والوقود، ومعدات النقل.

الشـركـاء: ألمانيـا ٩ ,١٢٪، وروسـيـا ٣ ,٩٪، وإيطاليـا ٧٠١٪، وفـرنسـا ٤ ,٦٪، الولايات المتحدة ٤ ,٤٪ حتى عام (٢٠٠٤).

الدين الخارجى: ٢ ,٢٤٧ بليون دولار حتى عام (٢٠٠٧) م.

احتياطات النقد الأجنبى والذهب &: ٧ ,٦٠ مليار دولار حتى عام (٢٠٠٦) م.

المساعدات الاقتصادية:

المتلقى: المساعدة الإنمائية الرسمية، مبلغ ٨ ,٦٣٥ مليون دولار حتى عام (٢٠٠٢).

ملاحظة: المساعدات لحرب الخليج جهود التحالف من الحلفاء حتى عام (١٩٩١) ١ ,٤ مليار دولار من المعونة، وتعهد وزير الدفاع التركى للصندوق بمبلغ ٢ ,٥ بليون دولار مساعدات للحرب ضد العراق (٢٠٠٣) تقريباً ٨ ,٥ مليار دولار.

العملة التركية:

ليرة تركية جديدة.

أسعار الصرف: ١ دولار = ٦٣ ,١، يورو = ٢ ,١٢ يناير ٢٠٠٩.

اعتباراً من ٠١/ ٠١/ ٢٠٠٥، وستة من الأصفار هى أسقطت القديم به القانون، مما جعل من ١,٠٠٠,٠٠٠ يساوى ١ ليرة ليرة على حد سواء، وكانت الأوراق النقدية المتداولة فى السلامة البدنية لمدة سنة واحدة فى عام ٢٠٠٥، والأوراق النقدية القديمة تسحب من التداول اعتباراً من ١ يناير ٢٠٠٦ م اعتباراً من كانون الثانى/ يناير ٢٠٠٩، «وينى» (جديد) هو تراجع عن اسم العملة ليرة، ويسمى الآن (ليرة تركية جديدة) من جديد.

بعض المعدلات السابقة: ١ دولار = ١٤٢٠٠٠٠ (ديسمبر ٢٠٠٤)، ١٦٧٠٠٠٠ (يناير ٢٠٠٣)، ١٤٠٠٠٠٠ (فبراير ٢٠٠٢)، ٥٣٨٠٠٠ (يناير ٢٠٠٠)، ٤٢٠٠٠٠ (يوليو ١٩٩٩)، ٢٧٠٠٠٠ (يوليو ١٩٩٨)، ١٧٥٠٠٠ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٧ (٦٠٥٠٢,١) كانون الثانى/ يناير ١٩٩٦)، ٤٥٨٤٥,١ عام (١٩٩٥)، ٢٩٦٠٨,٧ عام

(١٩٩٤)، ٦, ١٠٩٨٤ عام (١٩٩٣) ٤, ٦٨٧٢ عام (١٩٩٢)، ٨, ٤١٧١ عام (١٩٩١).

السنة المالية: السنة التقويمية.

النقل والطرق:

السكك الحديدية:

المجموع: ١٠,٩٩١ كم حتى عام (٢٠٠٧) م.

قياس: ٨٧١٧ كم القياسية الكهرباء + ٢٢٧٤ كيلو متر حتى عام (٢٠٠٧) م.

القطار الجديد الفائق السرعة المسارات هى قيد الإنشاء بين اسطنبول - أنقرة.

مجموع سعتها: ١٠٨,٣٣٠ «٢٠٠٧».

قدرة شحن العربات: ٦٣٤, ٦٩١ طن حتى عام «٢٠٠٧».

الطرق السريعة:

المجموع: ٤٢١, ٣٥٤ كم.

مهد: ١٤٧٤٠٤ كم «منها ١٨٥١كم من الطرق السريعة».

غير ممهدة: ٢٠٧,٠١٧ كم حتى عام «٢٠٠٢».

الممرات المائية: نحو ١,٢٠٠ كم حتى عام «٢٠٠٣».

خطوط الأنابيب: الغاز ٣,١٧٧ كم؛ النفط ٣,٥٦٢ كم حتى عام «٢٠٠٣».

الموانئ: hopa، gemlik، الإسكندرونه، واسطنبول وأزمير، أزميت، مرسين، وسيمسون، وطرابزون.

البحرية التجارية:

المجموع: ٥٢٦ سفينة (ألف GRT أو أكثر) ٤٦٦٦٨٩٥ طن وزن ساكن GRT\7311504.

السفن حسب النوع: ١٠٨ ناقلات البضائع السائبة، والبضائع ٢٢٨، ٤٥ ناقلة كيماويات، وخام مزيج/ ١ للنفط، ٢٥ حاوية، وألغاز المسيل ٦، ركاب ٥ ركاب/ شحن ٥٠ ناقلة نفط و٣٣، والبضائع المبردة ٢، قائمة على/ ٢٢ طابور السيارة، المتخصصة فى ناقلة ١ .

المملوكة لأجانب: ٨ وقبرص ٣، والدنمارك ٢، واليونان ١، وإيطاليا ١، وسويسرا ١، ومسجلة فى بلدان أخرى: ٢٣١ حتى عام (٢٠٠٥).

المطارات التركية:

المجموع: ١٢٠ «٢٠٠٤».

«المعبدة فى مدارج غير معبدة، و٣٢ مع مدارج».

المعبدة فى المدرجات أكثر من ٠٤٧٣م: ١٥ .

المعبدة فى مدارج ٤٣٨٢ إلى ٠٤٦م ٣: ٣٢ .

المعبدة فى مدارج ٥٢٤١ إلى ٤٣٧م ٢: ١٩ .

المعبدة فى مدارج ٩١٤ إلى ٥٢٣١م: ١٨ .

المعبدة فى مدارج ٩١٤م: ٤ .

المدارج غير ممهدة مع أكثر من ٠٤٧٣م: ١ مع مدارج غير ممهدة ٠٤٦٣٤٣٨٢م: ١ .

مع مدارج غير ممهدة ٥٢٤١ إلى ٤٣٧م ٢: ٢ .

مدارج غير ممهدة مع ٥٢٣١ إلى ٩١٤م: ٨ .

مع مدارج غير ممهدة تحت ٩١٤م: ٢٠ حتى عام «٢٠٠٥»م.

الاتصالات:

رمز البلد: ٩٠ .

الهاتف: ٢٢٣، ٩٧٨، ١٨ «٢٠٠٥».

شبكة الهاتف: عادل النظم المحلية والدولية، مجال المدونات.

الهواتف النقالة: ٦٣٩٠٠٠٠٠ حوالى جى إس إم (يونيه ٢٠٠٨، وثلاث شبكات، ريكسيل، فودافون، «سابقاً تلسيم»، AVEA «الأغذية وAycell إندمجت.

الداخلية: الجزع الميكروويف الإذاعى شبكة محدودة المفتوحة شبكة الأسلاك.

الدولى: الخدمات الدولية وتقدم ثلاثا من الغواصات وكابلات الألياف البصرية فى منطقة البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود التى تربط بين تركيا وإيطاليا واليونان، وإسرائيل، وبلغاريا، ورومانيا، وروسيا، كما فى موعد أقصاه ١٢ امتلسات المحطات الأرضية، وبها ٣٢٨ فى المحطات الترفية الثاتلية المتنقلة انمارسات ويوتلسات «٢٠٠٢» تركيا أربعة سواتل الاتصالات، توركسات ٣, ٣١ B1 درجة شرقاً، وليس العمل منذ ٢٠٠٦، وتركسات ٣, ٣١ C1 درجة شرقاً وتركسات ٤٢ A2 درجة شرقاً، وتركسات A3 درجة شرقاً.

محطات البث الإذاعى: ٣٦ وطنية و١٠٢ إقليمية و٩٥٥ المحلية، كان ما مجموعه ١٠٩٣ «٢٠٠٥».

أجهزة الراديو: ١٩,٤ مليون دولار «١٩٩٧».

محطات البث التليفزيونى: ٢٤ وطنية و١٧ إقليمية و٢١٨ محلية، ما مجموعه ٢٥٩ «٢٠٠٥».

رمز البلد الانترنت: طن تبريد تستضيف شبكة الانترنت: ٢١٥، ٣٥٥ «٢٠٠٤».

مستخدمو الانترنت: تقريباً ٢٠ مليون دولار فى عام ٢٠٠٨ ٥,٥ مليون دولار فى عام ٢٠٠٣ و٨,٥ مليون فى عام ٢٠٠٥ .

القوات المسلحة التركية «الجيش»:

القوات المسلحة التركية «TSK»: القوات البرية وقيادة القوات البحرية (تضم القاعدة الجوية البحرية ومشاه البحرية، والقوات الجوية وحرس السواحل للقيادة «الدرك».

سن الخدمة العسكرية

الذكور فى سن من ١٥ إلى ٤٩: ١٦,٧٥٦,٣٢٣ حتى عام «٢٠٠٥».

ذكور صالح للخدمة العسكرية: ١٣٩٠٥٩٠١ «٢٠٠٥».

يصل الذكور فى سن الخدمة العسكرية ٢٠ سنة: ٦٧٩٧٣٤ «٢٠٠٥».

نفقات وزارة الدفاع: ١٠,١ مليار دولار «٢٠٠٤»، و٣,٢ من الناتج المحلى الإجمالى ٢٠٠٥م(١).



(١) المصادر: وكالة المخابرات المركزية ـ كتاب حقائق العالم ٢٠٠٦، والمعهد التركى للإحصاء، والبنك الدولى على شبكة الانترنت.

كلمة أخيرة
تركيا الآن والخلاص من إرث أتاتورك

وبالرغم مما فعله أتاتورك فى تركيا من محاربة الإسلام ومحاولته القضاء عليه إلا أن الإسلام المتأصل فى جذور الأمة التركية انتصر فى نهاية الأمر ورغم محاولات العسكر الذين حملوا السلاح للدفاع عن علمانية أتاتورك الكافرة التى أضرت بتركيا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وأخلاقيا.

فقد انتصر الشعب التركى المسلم فى نهاية الأمر وأصبحت تركيا الآن فى مصاف العالم الثانى وتحاول اللحاق بركب العالم الأول والانضمام إلى الاتحاد الأوروبى بعد فوز الأحزاب ذات الاتجاهات الإسلامية فى الانتخابات وصعودها إلى سدة الحكم.

أما مصطفى كمال أتاتورك فلم يكن إلا طاغية وهلك بعد أن أضر ببلاده وشعبه.

وبالمقارنة بالدول العربية التى كانت تحت الحكم العثمانى التركى ثم وقعت فريسة الاستعمار الغربى فما زالت فى مصاف العالم الثالث أو الرابع رغم تحررها من الاستعمار الغربى شكلية إلا أنها ما زالت تترنح تحت الاحتلال الاقتصادى والثقافى والسياسى للحزب الواحد الذى كان يحكم به أتاتورك تركيا قبل هلاكه.

فتركيا الآن تعيش أزهى عصور الديمقراطية فصناديق الانتخابات تقرر إرادة الشعب، والحالة الاقتصادية فى تركيا ترتقى بها إلى مصاف دول العالم الثانى رغم ما تعانيه من مشاكل وصعوبات، وأما الدول العربية فهى ما زالت فى العالم الثالث تعيش معظم شعوبها تحت مستوى الفقر رغم ما لدى تلك الشعوب من ثروات طبيعية إلا أن بعض الثروات فى جيوب الاستعمار الغربى الأمريكى والأوروبى.

إلا أن أهم المشاكل التى تواجه تركيا هى مشكلة الأكراد التى ساعد فى تضخمها وتعقيدها أتاتورك نفسه إلا أنها ليست مشكلة تركيا وحدها فهى تخص بلادا أخرى وبالجملة فإن حياة أتاتورك تستوجب الدراسة وأخذ العظات لأننا ما زلنا نعانى من النعرات العلمانية التى تتطالب بتطبيق تجربته الفاشلة فى بلادنا.

فقد انخدع الكثيرون فى الماضى من التجربة الكمالية وأشادوا بها، إلا أننا بعد تلك السنوات قد أدركنا الحقيقة وها هى تركيا تعود إلى الإسلام المعتدل مرة أخرى.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتقبل منا أعمالنا الصالحة وهذا العمل المتواضع ابتغاء مرضاته إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلّ اللهم وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم.

المؤلف

ملــف وثــــائقى



الرجل الذى حول عاصمة الخلافة العثمانية إلى دولة علمانية في خروج مشين عن كل تعاليم دين الدولة الإسلامي الذي بعلمانيته الجديدة لم يعد كما كان!!



أتاتورك بزيه العسكري قبل الثورة وإعلان جمهوريته العلمانية!!



أتاتورك أثناء إحدى خطبه التي كان يحرض فيها الأتراك على الثورة



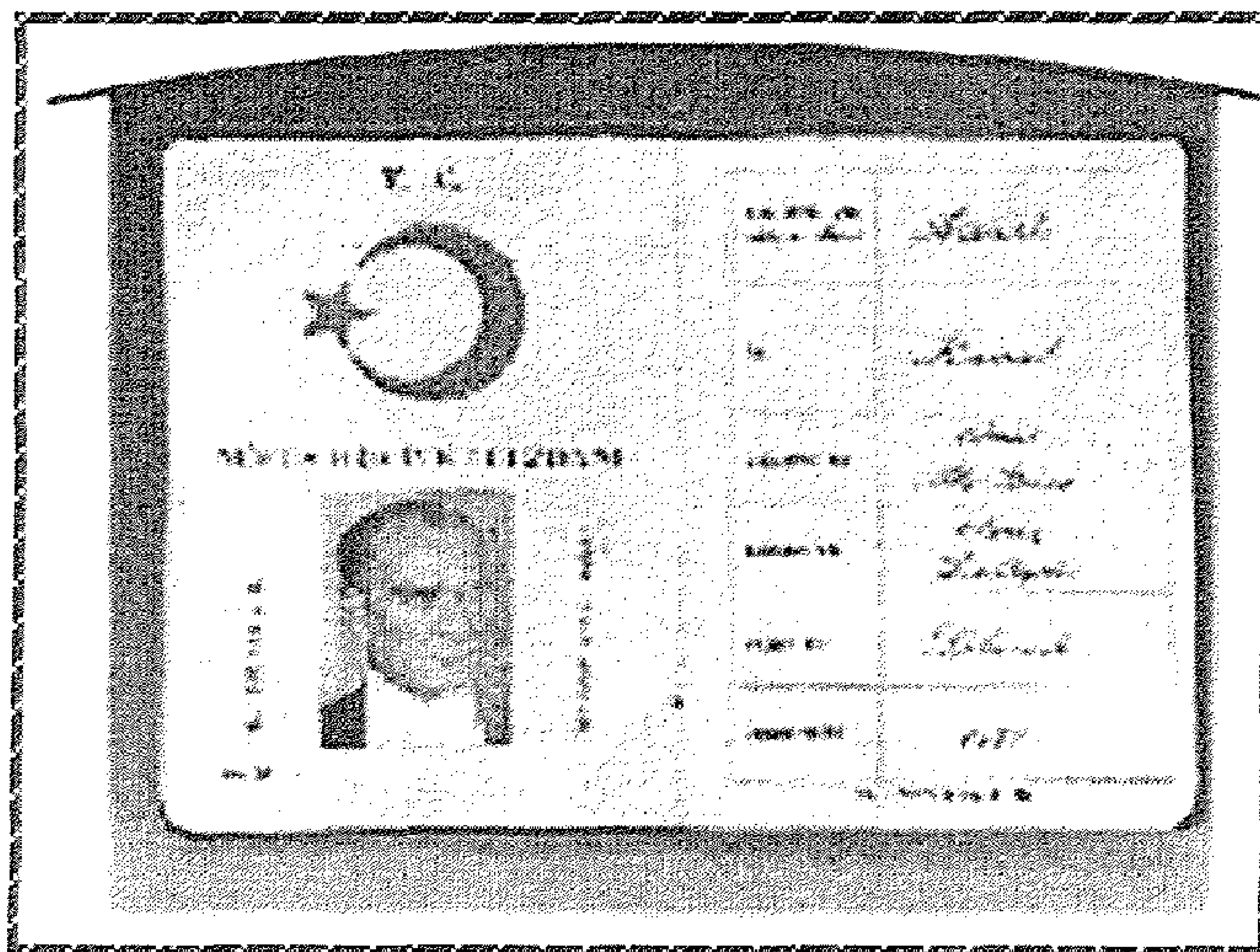
أتاتورك قبيل توليه السلطة بقليل



ويتحدث إلى البرلمان التركي في بداية توليه الحكم



وبعد أن تحول إلى رمز مقدس في بلاده!!



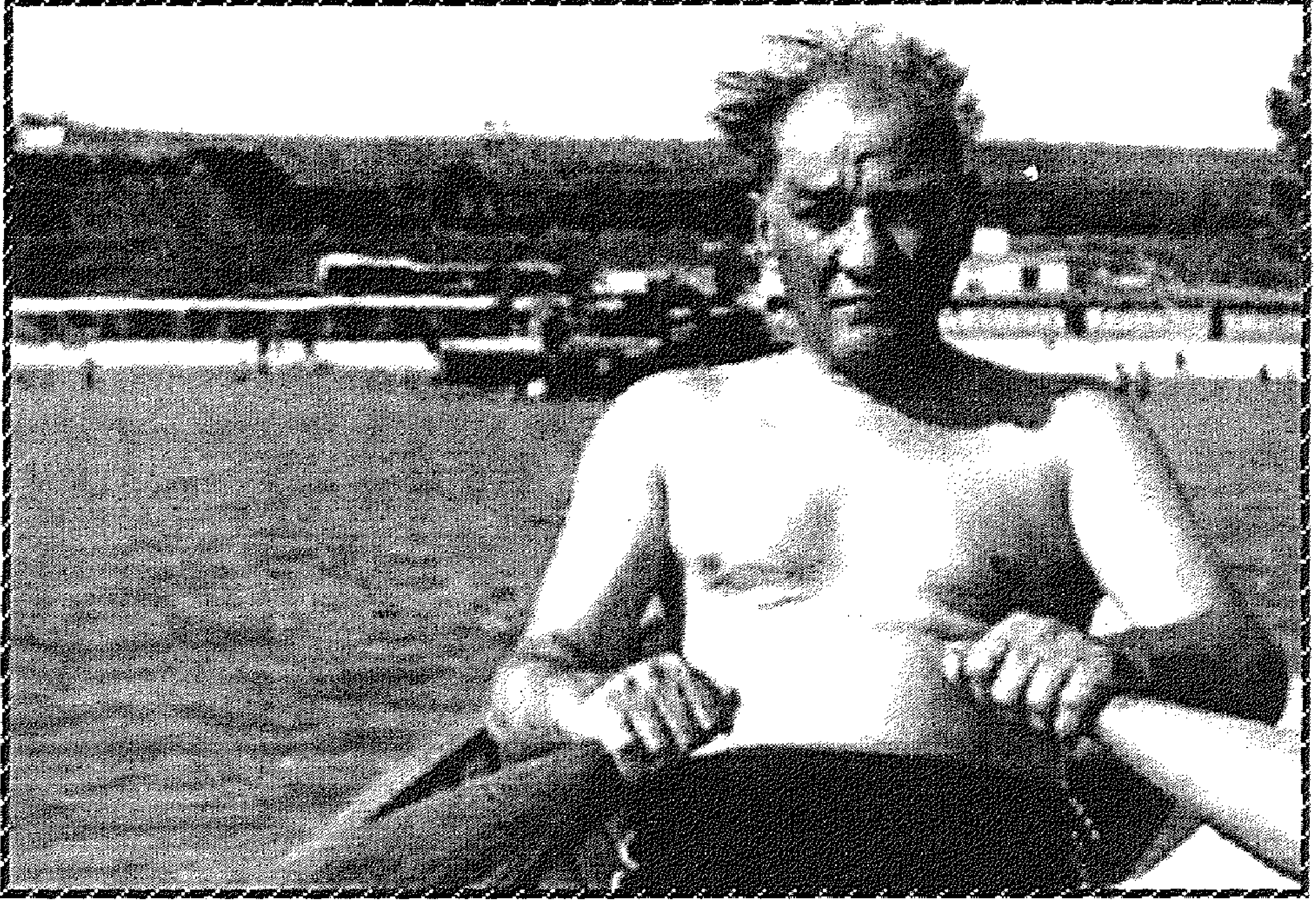
صورة لبطاقة أتاتورك الشخصية



أتاتورك في لقطة نادرة بالزي الشعبي التركي!!



ولقطة نادرة أخرى وهو يراقص زوجته



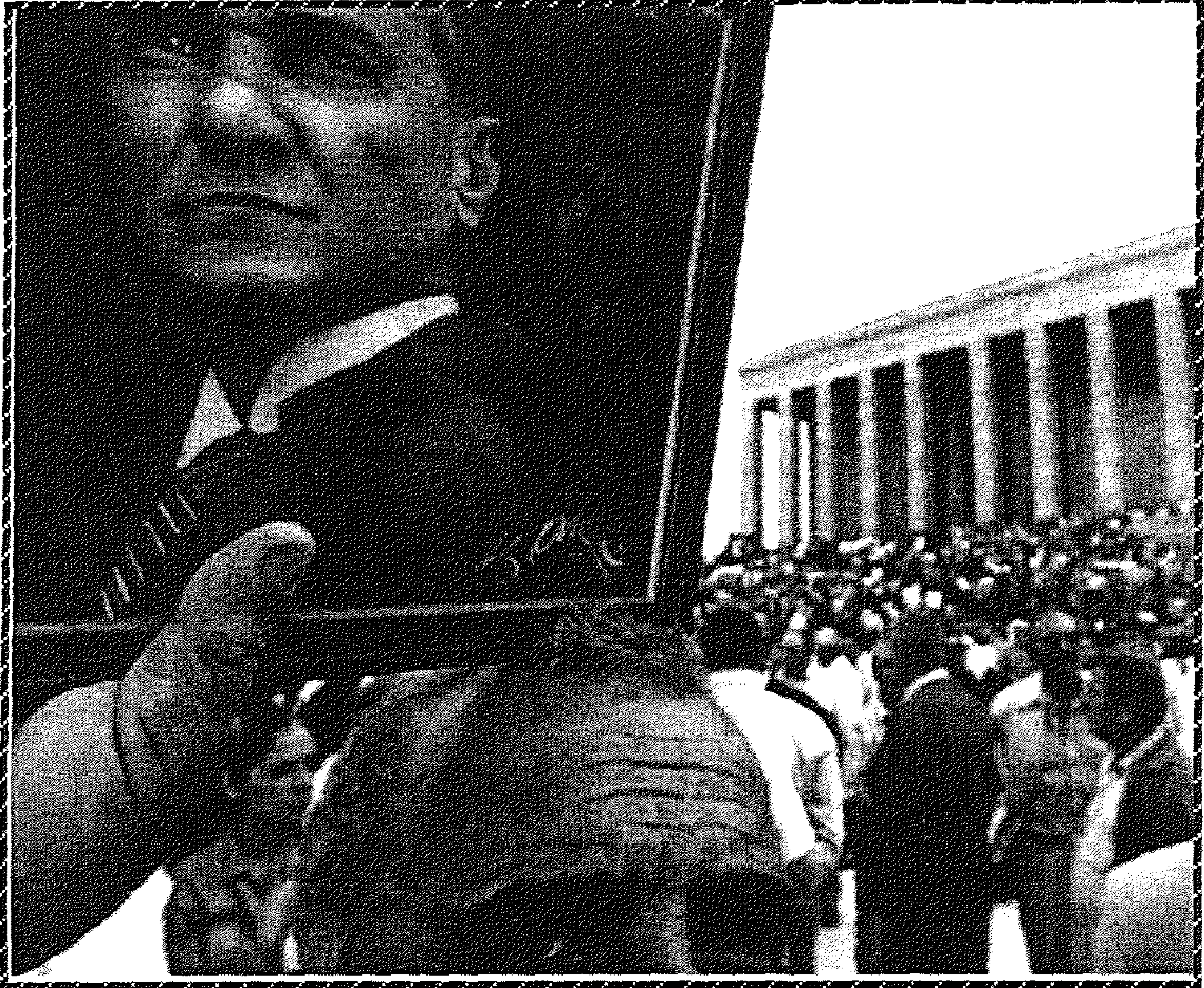
ولقطة أخرى بلباس البحر يتنزه بأحد القوارب



أتاتورك على غلاف مجلة «تايم» الأمريكية باعتباره أحد أكثر الشخصيات تأثيرا في العالم!!



قصة حياة أتاتورك باللغة الإنجليزية.. هذا الكتاب ليس سوى واحد من مئات الكتب العالمية التي تناولت سيرة أتاتورك



علمانيو تركيا لا يزالون يرفعون صورته حتي يومنا هذا باعتباره الرمز التاريخي الخالد !!



عملات ورقية تحمل صورة الرجل القوي والحاكم العتيد والآمر الناهي مصطفي كمال أتاتورك هكذا اصطبغ كل شيء في الدولة بالديكتاتور الرهيب!!



تمثال أتاتورك الشهير بمدينة اسطنبول.. إنه مجرد تمثال يوجد منه المئات في شتي المدن والبلدات وحتى القرى التركية!!

أهم المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الذئب الأغبر ـ هـ. س أرمسترونج.

٣ ـ ذئب الأناضول ـ مصطفى الزين.

٤ ـ السيف والهلال ـ رضا هلال.

٥ ـ الإسلاميون وتركيا العلمانية ـ هدى درويش.

٦ ـ السلطان عبدالحميد والخلافة الإسلامية أنور الجندى.

٧ ـ الدولة العثمانية ـ د. عبدالعزيز الشناوى.

٨ ـ الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة.

٩ ـ السلطان عبدالحميد الثانى آخر السلاطين المحترمين ـ منصور عبدالحكيم.

١٠ ـ العرب والأتراك ـ د. سيار الجميل.

١١ ـ الحركة الكمالية والعلمانية فى تركيا ـ رسالة ماجستير ـ جامعة الإسكندرية ـ السيد الطنوبى.

١٢ ـ العلمنة والدين ـ محمد أركون.

١٣ ـ الرجل الصنم ـ مؤلف مجهول ـ ضابط فى الجيش التركى.

١٤ ـ موقع الحكومة التركية على الأنترنت.

١٥ ـ قبعة وعمامة ـ محمد نور الدين.

١٦ ـ تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ـ هـ. أ. ل فيشر ـ ترجمة أحمد نجيب

هاشم.

١٧ ـ صحوة الرجل المريض ـ موفق بنى المرجة.

١٨ ـ يهود الدونمة ـ د. النعيمى.

١٩ ـ صحيح مسلم.

٢٠ ـ تركيا فى الزمن المتحول ـ محمد نور الدين.

٢١ ـ نشوة القومية العربية ـ زين نور الدين زين.

وكتب ومصادر أخرى ذكرت فى الهوامش.

الكاتب فى سطور

- منصور عبدالحكيم محمد عبدالجليل.

- من مواليد القاهرة عام ١٩٥٥م.

- حاصل على ليسانس فى الحقوق - جامعة عين شمس ١٩٧٨م.

- يعمل بالكتابة والمحاماة.

- له العديد من الإصدارات المتنوعة التى تجاوزت ١٠٨ مجلدات وكتب فى مختلف الموضوعات أثرت المكتبة العربية والإسلامية وله العديد من الأبحاث والمقالات واللقاءات فى البرامج الحوارية على الفضائيات العربية.

من الكتب التى صدرت للمؤلف

أولاً: سلسلة أحداث آخر الزمان وصدر منها تسعة أجزاء:

١ ـ السيناريو القادم لأحداث آخر الزمان.

٢ ـ نهاية العالم وأشراط الساعة.

٣ ـ عشرة ينتظرها العالم.

٤ ـ تنبؤات نوستراداموس ومخططات اليهود.

٥ ـ يأجوج ومأجوج من البدء حتى الفناء.

٦ ـ البداية فتن والنهاية ملاحم.

٧ ـ واقتربت الساعة.

٨ ـ هلاك الأمم من قوم نوح إلى عاد الثانية.

٩ ـ أصحاب البروج فى مواجهة أصحاب الكهوف.

ثانياً: سلسلة حكومة العالم الخفية وصدر منها:

١٠ ـ أقدم تنظيم سرى فى العالم.

١١ ـ العالم رقعة شطرنج.

١٢ ـ من يحكم العالم سراً؟

١٣ ـ أوراق ماسونية سرية للغاية.

١٤ ـ أسرار الماسونية الكبرى.

١٥ ـ حكومة الدجال الماسونية الخفية.

١٦ ـ مؤامرات وحروب صنعتها الماسونية.

١٧ ـ دولة فرسان مالطا وغزو العراق.

ثالثاً: سلسلة مدن وبلاد هزت العالم وصدر منها:

١٨ ـ العراق أرض النبوءات والفتن.

١٩ ـ نيويورك وسلطان الخوف.

٢٠ ـ بلاد الشام أرض الأنبياء وأشراط الساعة.

٢١ ـ بلاد الحجاز معقل الإيمان آخر الزمان.

٢٢ ـ جبريل أمين الوحى الإلهى.

٢٣ ـ إسرافيل وأهوال القيامة.

٢٤ ـ ملك الموت.

٢٥ ـ رضوان حارس الجنة ووصف الجنة وأهلها.

٢٦ ـ مالك خازن النار وأحوال أهل النار.

وكتب أخرى متنوعة منها:

٢٧ ـ هولاكو مارد من الشرق.

٢٨ ـ جنكيز خان إمبراطور الشر.

٢٩ ـ صلاح الدين المنقذ المنتظر.

٣٠ ـ تيمورلنك إمبراطور على صهوة جواد.

٣١ ـ السلطان عبدالحميد آخر السلاطين المحترمين.

٣٢ ـ السفيانى صدام آخر على وشك الظهور.

٣٣ ـ الشيطان إبليس وصراعه مع الإنسان.

٣٤ ـ القرين العدو الحقيقى للإنسان.

٣٥ ـ الثالوث الغامض ـ اطلنتس ـ برمودا ـ الأطباق الطائرة.

٣٦ ـ الحياة الأخرى.

٣٧ ـ الحرب العالمية الأخيرة.

٣٨ ـ عالم السحر والسحرة والمسحورين.

٣٩ ـ الإمبراطورية الأمريكية ـ البداية والنهاية.

٤٠ ـ الحرب السابعة وزوال اليهود.

٤١ ـ هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل ـ مشترك.

٤٢ ـ المهدى فى مواجهة الدجال.

٤٣ ـ ازدراء وإيذاء الأنبياء.

٤٤ ـ الفراسة فى معرفة الآخرين.

٤٥ ـ نهاية العالم قريباً.

٤٦ ـ بنات الصحابة.

٤٧ ـ زوجات الأنبياء والرسل.

٤٨ ـ النساء المبشرات بالجنة.

٤٩ ـ المبشرات بالنار من النساء.

٥٠ ـ نهاية دولة إسرائيل عام ٢٠٢٢م.

٥١ ـ نساء أهل البيت النبوى.

٥٢ ـ بيوت الرسول والصحابة حول المسجد النبوى.

وكتب أخرى متنوعة تطلب من دار الكتاب العربى ـ دمشق ـ القاهرة.

فِهرِس المحتَويات

مصطفى كمال أتاتورك

MUSTAFA KAMAL ATATÜRK

مصطفى كمال أتاتورك هو مصطفى علي رضا أثار الجدل في القرن العشرين حين ظهر كمنقذ لتركيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ووقوعها تحت الاحتلال فاعتبره البعض حينها بطلاً قومياً وظنوا أنه سيعيد أمجاد الإسلام وأبطال الإسلام حتى ظنه الشاعر أحمد شوقي أنه خالد الترك وشبهه بخالد بن الوليد، ولكن سرعان ما ظهرت حقيقته وعداؤه للإسلام حين اعتلى السلطة وألغى الخلافة الإسلامية وأنهى حكم السلاطين العثمانيين لتركيا والعالم الإسلامي، وقذف بتركيا في أتون التغريب والعلمانية الكافرة الملحدة وحارب الإسلام ومظاهره بشدة بعد أن اتهم الإسلام بأنه سبب هزيمة وتخلف تركيا!!.

ولد مصطفى كمال في مايو ١٨٨١م في مدينة يسكنها اليهود هى سالونيك التي كانت تابعة وقتها للدولة العثمانية ثم أصبحت تابعة لليونان بعد الحرب العالمية الأولى، انتسب مصطفى إلى الأب على رضا أفندي ويرى البعض أنه (ولد زنا) وأنه تسمى باسم مصطفى كمال حين التحق بالمدرسة العسكرية وأصول مصطفى كمال يهودية ترجع إلى يهود الدونمة وتربى في مدارسهم وقامت المخابرات البريطانية باستقطابه وتدريبه حين عمل في الجيش العثماني ببلاد الشام وصنعوا منه بطلا قومياً كي يجهز على الخلافة العثمانية وقد حقق ما أرادوه منه بالفعل.

وفي هذا الكتاب تقرأ سيرة هذا الرجل أو هذا الصنم الذي ... حتى الآن من قبره من خلال تعاليمه التي يتمسك ... وأعوانهم.

وتقرأ كيف استطاع الوثوب إلى كرسي الحكم والقضاء ... العثمانية والخلافة الإسلامية حتى أهلكه الله عام ١٩٣٨ ... العضال بعد أن قضى سنوات حياته في شرب الخمور وف... ونشرها بين الشعب التركي، إنه كتاب يجدر بك عزيزي القارئ أن تقرأه وتدعو غيرك إلى قراءته.

